

مجموع مؤلفات ورسائل الشيخ سليمان ابن حمدان (١)

الدُّرُّ النَّضِيدُ

عَلَى

أَبْوَابِ التَّوْحِيدِ

تَأليف

العلامة الشيخ سليمان بن عبد الرحمن حمدان

١٣٩٧ - ربيع الأول

اعتنى به

عبد الإله بن عثمان السانعي

دار المعرفه
للطباعة والنشر

مجموع مؤلفات ورسائل الشيخ سليمان بن حمدان (١)

الدرُّ البصير على أبواب التوحيد

تأليف

العلامة الشيخ سليمان بن عبد الرحمن الحمدان

ت ١٣٩٧ - رحمه الله -

اعتنى به

عبد الإله بن عثمان الشايع

دار الصميعي
للنشر والتوزيع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حُقُوقُ الطَّبْعِ مَحْفُوظَةٌ

الطبعة الثانية

١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م

دار الصميعي للنشر والتوزيع

هاتف ٤٢٦٢٩٤٥ - ٤٢٥١٤٥٩ فاكس ٤٢٤٥٣٤١

المركز الرئيس ، الرياض - شارع السويدي العام

ص.ب ٤٩٦٧ الرمز البريدي ١١٤١٢

المملكة العربية السعودية

فرع القصيم ، عنيزة ، امام جامع الشيخ (بن عثيمين) يرحمه الله

هاتف ٣٦٢٤٤٢٨ تليفاكس ٣٦٢١٧٢٨

إذن نشر الكتاب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

نعم أنا أحمد بن عبدالرحمن الحمدان أخو الشيخ سليمان بن عبدالرحمن
ابن حمدان - رحمه الله - ، أقول إنه ليس لدي مانع من إعادة طبع ونشر
كتاب أخي المذكور « الدر النضيد على أبواب التوحيد » .
وهذا إذن مني لعبدالإله بن عثمان الشايح .
والله الموفق .

أحمد بن عبدالرحمن الحمدان
التوقيع
١٤٢٢/٨/٢١ هـ

أصل إذن نشر الكتاب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لما أتانا أحمد بن عبد الرحمن الحمادي، أخو الشيخ عليه السلام،
بمخطوطه، رحمه الله، أقول إنه ليس لي ما نوزع إعادة طبع
ونشر كتابه أخيراً المذكور (الدر المنضيد على أبواب التوحيد)
وهذا إذ منى لصياغة عمارة الشمايم،
فأله الوفاء، أحمد بن عبد الرحمن الحمادي

١٤٢٩/٨/١ هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة المعتني

الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم ، مالك يوم الدين ، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين ، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد :

فهذا كتابُ « الدر النضيد على أبواب التوحيد » للشيخ العلامة سليمان بن عبدالرحمن ابن حمدان (ت ١٣٩٧هـ) - رحمه الله تعالى - ، وهو شرح لـ « كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد » للشيخ المجدد الإمام محمد بن عبدالوهاب (ت ١١١٥هـ) - رحمه الله تعالى - . وهذا الشرح يُعد من أفضل الشروح على هذا الكتاب العظيم^(١) ، وسبق أن طُبِع في حياة مؤلفه - رحمه الله - ، وقد أذن لي الأستاذ أحمد بن عبدالرحمن بن حمدان - وفقه الله - ، وهو شقيق المؤلف بنشر الكتاب ، فصارت هذه الطبعة شرعية ولله الحمد ، بعد أن صُوِّر هذا الكتاب من بعض المكتبات !! دون إذن ، أو مراجعة .

وتميزت هذه الطبعة - ولله الفضل والمنة - بعدة ميزات سترها قريباً .

وقد تلخص عملي في هذا الكتاب في النقاط التالية :

* ضبط نص الكتاب وتصحيح الأخطاء التي كانت في الطبعة السابقة،

(١) انظر : الكلام على « كتاب التوحيد » وثناء العلماء عليه ، ورصد شروحه في

كتاب « عناية العلماء بكتاب التوحيد » نشر دار طيبة بالرياض ، لرقمه .

ورأيت أن لا أشير في الهامش لأكثر هذه التصحيحات حتى لا أثقل الكتاب بالحواشي التي لا تنفع كثيراً من القراء ، وقد بلغت هذه الأخطاء ما يقرب من مائتي خطأ ، ما بين سقط ، وتحريف ، وتقديم في بعض المواضع ، وأخطاء طباعية ، وقد كان اعتمادي على طبعة المكتبة السلفية بمصر ، ولم أجد نسخةً خطيةً للكتاب بعد البحث والتفتيش والسؤال .

* مقابلة النقول التي ينقلها الشارح من مصادرها .

* مقابلة متن « كتاب التوحيد » على أكثر من ثلاث نسخ مطبوعة .

* ترقيم الآيات القرآنية وعزوها إلى سورها .

* تخريج الأحاديث النبوية وعزوها باختصار ونقل حكم العلماء عليها^(١) .

* عزو ما تيسر من النقول إلى مصادرها .

* صنع فهرس متنوع للآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية ، والأعلام الذين ترجم لهم الشارح ، والفوائد المتنوعة ، والموضوعات .

* ترجمت للشيخ سليمان بن حمدان ، وتكلمت عن كتابه وموارده وميزات شرحه.. وغير ذلك .

(١) وقد استفدتُ من كتب العلامة المحدث محمد ناصر الدين الألباني - رحمه الله - كما استفدت من كتاب « الدرُّ النَّضِيدُ فِي تَخْرِيجِ كِتَابِ التَّوْحِيدِ » للشيخ صالح العصيمي، وتحقيق الدكتور الوليد الفريان لكتاب « فتح المجيد » ، وتحقيق الشيخ زهير الشاويش لكتاب « تيسير العزيز الحميد » وغيرها من الكتب .

أسأل الله سبحانه أن يرحم الشيخ محمد بن عبدالوهاب والشيخ سليمان بن حمدان ، وأن يرفع درجاتهما في أعلى عليين ، وأن يحشرنا معهم إنه جواد كريم ، وأن يجعل هذا العمل - وهو جهد المقل - في ميزان حسناتي^(١) . والحمد لله رب العالمين .

أبو معاذ

عبدالإله بن عثمان بن عبدالله الشايع

١٤٢٤ / ٢ / ١٩ هـ

ص. ب. ٢٣٠٢٩ الرياض ١١٤٢٦



(١) ولا يفوتني في هذا المقام أن أشكر الأخ الفاضل أبي عبدالرحمن الشاذلي بن عبدالمطلب عرمان حيث بذل الكثير من الجهد في تنضيد الكتاب وتصحيحه .

ترجمة المؤلف - رحمه الله -

وتتضمن المطالب التالية :

- ١- اسمه .
- ٢- مولده .
- ٣- شيوخه .
- ٤- ثناء العلماء عليه .
- ٥- أعماله .
- ٦- صفاته الخلقية .
- ٧- صفاته وأخلاقه .
- ٨- طلابه .
- ٩- نسخه للكتب .
- ١٠- مؤلفاته .
- ١١- وفاته .



ترجمة الشيخ سليمان بن عبد الرحمن بن حمدان^(١)

١- اسمه،

هو العلامة الفقيه القاضي الواعظ الصادع بكلمة الحق الشيخ سليمان

(١) مصادر ترجمته :

- ١- علماء نجد خلال ثمانية قرون (٢/٢٩٥-٣٠٠) .
- ٢- موسوعة أسبار (١/٣٥٣-٣٥٤) .
- ٣- معجم الكتاب والمؤلفين (ص/٤٣-٤٤) .
- ٤- روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد وحوادث السنين (١/١٤٩-١٥٠) .
- ٥- المجموعة ، عبدالكريم بن حمد الحقييل (ص/٤٤ ، ٤٩ ، ١٢٩) .
- ٦- هداية الأريب الأجد تحقيق الشيخ بكر أبو زيد المقدمة .
- ٧- تنمة الأعلام (١/٢١٤) محمد خير رمضان يوسف .
- ٨- معجم مصنفات الخطابلة (٧/١٢٩-١٣٥) .
- ٩- مجلة العرب (٧/٢٢٢) .
- ١٠- تكملة معجم المؤلفين (ص/٢١٦) محمد خير رمضان يوسف .
- ١١- كتاب قضاة المدينة المنورة للشيخ عبدالله بن محمد بن زاحم (١/١٨٨-١٩١) وهي ترجمة الشيخ عبدالله البسام في كتابه علماء نجد بنصها .
- ١٢- معجم المطبوعات العربية في المملكة العربية السعودية ، علي جواد الطاهر (٦١٤-٦١٥) .
- ١٣- إتمام الأعلام، للدكتور نزار أباظه ومحمد رياض المالح (ص/١١٢)، دار صادر بيروت .
- ١٤- الشيخ سليمان بن سحمان وطريقته في تقرير العقيدة ، محمد بن حمود الفوزان (ص/١١٨-١١٩) ، مكتبة الرشد بالرياض ١٤٢٠
- ١٥- معجم المعاجم والأثبات ، للدكتور يوسف المرعشلي (٢/٥٦٦-٥٦٨) .
- ١٦- المرجان في ترجمة الشيخ سليمان بن حمدان ، لراقمه ، يسر الله نشره .

ابن عبدالرحمن بن محمد بن حمدان الجمعي النجدي مؤلداً ، ثم المدني ، ثم المكي ، ثم الطائفي مدفنأ .

٢- مولده .

ولد في بلدة الجمعة عاصمة سدير ، عام ١٣٢٢هـ ، وأمه هي فلوة بنت محمد البتيلي .

تزوج ابنة عمه الجوهرة بنت محمد بن حمدان - رحمها الله تعالى - .
وله من الإخوة اثنان عبدالعزيز - رحمه الله - ، و أحمد - حفظه الله - ،
والشيخ سليمان أكبرهم ، وأخواته خمس مات منهن أربع - رحمهم الله
جميعاً - وواحدة على قيد الحياة .

٣- شيوخه ،

أخذ العلم عن طائفة من المشايخ منهم :

- ١- الشيخ العلامة عبدالله بن عبداللطيف آل الشيخ (ت ١٣٣٩هـ) .
- ٢- الشيخ العلامة المؤرخ إبراهيم بن صالح بن عيسى (ت ١٣٤٣هـ) .
- ٣- الشيخ الفقيه حمد بن فارس (ت ١٣٤٥هـ) .
- ٤- الشيخ العلامة الفقيه سعد بن حمد بن عتيق (ت ١٣٤٩هـ) .
- ٥- الشيخ العلامة سليمان بن سحمان (ت ١٣٤٩هـ) .
- ٦- الشيخ العلامة الفقيه عبدالله بن عبدالعزيز العنقري ، قاضي سدير (ت ١٣٧٣هـ) .

٧- الشيخ العلامة عبدالستار الدهلوي ثم المكي ، أجازة برواية «كتاب التوحيد» عنه ، كما أجازة بسائر مؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب - رحمه الله - .

٤- ثناء العلماء عليه .

قال سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز (ت ١٤٢٠هـ) - رحمه الله - :
«أخونا العلامة الشيخ سليمان بن حمدان رحمه الله القاضي سابقاً في المدينة المنورة»^(١) .

قال الشيخ العلامة بكر أبو زيد : « العلامة الفقيه الشيخ سليمان بن عبدالرحمن بن محمد بن حمدان »^(٢) .

٥- أعماله .

- ١- ولي قضاء المحكمة المستعجلة في الطائف .
- ٢- عُيِّنَ إماماً وخطيباً لمسجد ابن عباس رضي الله عنهما في الطائف .
- ٣- وَلِيَ القِضَاءَ فِي المَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ .
- ٤- عُيِّنَ إماماً وخطيباً ومدرساً في المسجد النبوي ، ومدرساً فيه .
- ٥- نقل إلى مكة حيث عُيِّنَ قاضياً في المحكمة المستعجلة ، و عضواً في رئاسة القضاء .

٦- تولى القضاء بالمجموعة عام ١٣٦٤هـ حتى أحيل إلى التقاعد عام ١٣٦٩هـ ثم أقام باقي حياته في مكة شرفها الله .

٧- تولى التدريس في المسجد الحرام .

٦- صفاته الخلقية^(٣) :

كان رُبْعَةً من الرِّجَالِ ، حَسَنَ الطَّلَعَةِ ، يَعْتَنِي بلباسه وهندامه .

(١) مجموع فتاوى الشيخ ابن باز (جمع الطيار (٣ / ١٣٠٣) .

(٢) هداية الأريب الأجد (ص / ج) .

(٣) هداية الأريب الأجد (ص / ج) .

٧. صفاته وأخلاقه .

تحلَّى الشيخ سليمان - رحمه الله - بالعديد من الصفات منها :
* غيرته الشديده على حرمان الله ، وصراحته في قول الحق والصدع به ، فهو لا يخشى في الله لومة لائم .

* دفاعه عن العقيدة المبنية على الكتاب والسنة والنهج الذي سار عليه السلف الصالح من هذه الأمة

* التقلل من الدنيا ومتاعها وفضولها ، والتفرغ لطاعة الله عزوجل ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى الله ، والقيام بالتدريس ونشر العلم الشرعي ، وتأليف الكتب النافعة ونسخها ، وجمعها .

٨. طلابه ، منهم :

- ١ - الشيخ صالح بن محمد الزغبى .
- ٢ - الشيخ إبراهيم الحمد البسام .
- ٣ - الشيخ حمد بن إبراهيم البسام .
- ٤ - الشيخ عبدالمحسن بن محمد بن عبدالله المانع .
- ٥ - الشيخ محمد الحصان .
- ٦ - الشيخ علي بن عامر الأسدي .
- ٧ - الشيخ عبدالله بن عبدالغني خياط - رحمه الله - .
- ٨ - الشيخ حمود عبدالله التويجري (ت ١٤١٣هـ) ، قرأ على الشيخ سليمان بن حمدان^(١) ، وأجازته ، ولدي نسخه مصوره من هذه الإجازة .

(١) معجم مصنفات الحنابلة (٧ / ٢٧٨) .

٩- الشيخ العلامة بكر بن عبدالله أبوزيد - حفظه الله - قرأ على الشيخ سليمان وأجازته ، قال الشيخ بكر : « حصلت - بحمد الله - الإجازة مشافهة ومحبرة ، بجميع كتب الإمام أحمد ، وبجميع كتب مسائل الرواية عنه من رواية ابنه عبدالله وغيره ، وبجميع كتب مسائل الرواية عنه من رواية ابنه عبدالله وغيره ، وبجميع كتب المذهب بدءاً من مختصر الخرقى إلى الآخر ، المسندة بفقهاء الحنابلة ، : عراقاً ، وشاماً ، ومصرأ ، ونجداً ، شرقاً ، وغرباً ، في أثبات جماعة منهم : التغلي ، وعبدالرحمن البعلي ، والمواهي ، والسفاري ، والرحياني ، وابن حميد النجدي ، وابن حميدان النجدي ، المذكورة أثباتهم سابقاً ، وما لحقها من إجازات ، وأثبات ، حصلت لي بالإجازة عن بعض شيوخنا ، منهم الشيخ سليمان بن عبدالرحمن بن حمدان النجدي ثم المكي ... »^(١) .

١٠- الشيخ يحيى بن الشيخ عثمان بن الحسين عظيم آبادي المكي المدرس . وقد أجازته الشيخ سليمان بن حمدان بالرواية عنه بثبته « إتحاف العدول الثقات بإجازة كتب الحديث والأثبات » ، وذلك في يوم الإثنين ٧ / ٦ / ١٣٩٥ هـ^(٢) .

١١- شيخنا العلامة المحدث الشيخ محمد بن عبدالله بن أحمد بن حسن الأوغاديني الصومالي (ولد سنة ١٣٣٥ هـ تقريباً - وتوفي ١٤٢٠ هـ) - رحمه الله - أجازته الشيخ سليمان بالرواية .

(١) المدخل المفصل (٢/١٠٨٩) .

(٢) النجم البادي في ترجمة العلامة المحدث السلفي يحيى بن عثمان المدرس عظيم آبادي

(ص/١٢) ، حاشية ١

- ١٢- الشيخ عبدالله بن ناجي بن محمد بن سيف بن أحمد بن صالح الحصري المخلافي (ولد سنة ١٣٤٣هـ - وتوفي سنة ١٤١٥هـ) رحمه الله^(١) .
- ١٣- الشيخ حماد الأنصاري (ت ١٤١٨هـ) - رحمه الله - أجازة الشيخ سليمان^(٢) .

١٤- الشيخ محمد الشدي - حفظه الله - لازمه أكثر من تسع سنوات.

٩- نسخه للكتب،

تميز الشيخ سليمان - رحمه الله - بمجودة الخط وحسنه ، وكان عنده عناية بنسخ الكتب، وجمع المخطوطات وقد نسخ الكثير منها ، وكان له الفضل بعد الله عز وجل في حفظ كثيراً من الكتب منها :

- ١- جواب شبهة المعتزلة في نفي الصفات : لشيخ الإسلام ابن تيمية (ت ٧٢٨هـ) - رحمه الله - ، ٧ ورقات بخط الشيخ سليمان ، نسخها في عام ١٣٤١هـ ، ومحفوظة مع مكتبته بجامعة الإمام رقم ٢٢٣٩ خ^(٣) .
- ٢- ذيل طبقات الحنابلة : لابن رجب (ت ٧٩٥هـ) ، نسخه الشيخ سليمان في جزئين ، ٢٢١ ورقة بتاريخ ١٠/٩/١٣٤٠هـ^(٤) .
- ٣- تقرير وتحرير الفوائد : لابن رجب (ت ٧٩٥هـ) ، نسخة بخط

(١) المرجع السابق (ص / ١٧ - ١٨) ، ومعجم المعاجم (٣/ ٢٢٦) .

(٢) المجموع في ترجمة الشيخ حماد الأنصاري (٢ / ٨٥٩) .

(٣) الأثبات (ص / ٨٣) .

(٤) المرجع السابق (ص / ٣٢٩ - ٣٣٠) .

الشيخ سليمان بتاريخ ١٣٣٩ ، في ٢١٢ ورقة ^(١) .

٣- المغني : للإمام موفق الدين ابن قدامة ، والشرح الكبير للإمام ابن أبي عمر ، حيث كلفه شيخه الشيخ عبدالله العنقري بجمع نسخ هذين الكتابين مع بعض تلاميذ الشيخ عبدالله ، فقاموا بجمع أجزاء نسخ الكتابين من بلدان نجد وقراها ، حتى اجتمع لدى الشيخ عبدالله العنقري نسخة كاملة من كل من هذين الكتابين ، فأمر تلاميذه بإخراج نسخة من كل من هذين الكتابين ، وكان للشيخ سليمان بن حمدان النصيب الأوفر من هذا العمل ، وذلك لجمال خطه ولاطلاعاه على الأحكام الشرعية ، ولجلده في النسخ والمقابلة .

فلما كمل نسخ الكتابين بعثهما الشيخ عبدالله العنقري إلى الملك عبدالعزيز بن سعود ، فأمر محمد رشيد رضا بطباعتها باثني عشر مجلداً ^(٢) .
وقد نسخ الشيخ سليمان كتاب «المغني» مراراً . وغير ذلك من الكتب .
١٠- مؤلفاته ^(٣) ،

١- الأجوبة الحسان على أسئلة مرشد باكستان : مطبوع ، اعتنى بنشره
وقدم له الشيخ عبدالله بن جارالله الجارالله - رحمه الله - ، دار التوحيد ،
الرياض ، الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ ، في ٢٤ صفحة من القطع الصغير .

(١) المرجع السابق (ص / ٣٤٧) .

(٢) علماء نجد (٢ / ٢٩٦) .

(٣) وأكثرها محفوظ في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض ، حيث بيعت مكتبة
الشيخ سليمان على الجامعة بعد وفاته ، وكتبه المخطوطة أكثرها في المكتبة المذكورة .

- ٢- أدلة النصوص المصدقة في رد الأكاذيب الملققة من أهل الإلحاد
والزندقة : رقمها (٢٣٠٠) ، ٦٣ صفحة .
- ٣- بيان الحجج والأدلة ، بحث في عدم الوصول إلى القمر : مخطوط .
- ٤- تقريب المقاصد بترتيب الفوائد من تقرير القواعد وتحرير الفوائد :
ترتيب لقواعد ابن رجب على أبواب الفقه . مخطوط ، رقمه (٢٢٤٥) ٨٢
ورقة . رأيته ناقصاً وبه آثار أرضه . قال عنه مؤلفه : «إنه ابتداء في ترتيبه
غرة جماد الآخر من سنة ١٣٥٢ هـ» ، ثم قال : « أسأل الله أن يمُنَّ بإكماله
على أحسن الوجوه وأتمها ، إنه ولي ذلك » . كما في طرة المخطوطة .
قلت : رأيت آخر ما وصل له المؤلف إلى باب الفدية حسب ترتيبه .
- ٥- دلالة النصوص والاجماع على فرض القتال للكفر والدفاع :
رسالة في أن الجهاد للقتال على الإسلام لا للدفاع . مطبوع ، في مطابع دار
الطباعة والنشر ، عمان ، في ١١٥ صفحة ، والكتاب مخطوط في جامعة
الإمام برقم (٢٣٠١) في ٨٥ صفحة .
- ٦- الدر النضيد على أبواب كتاب التوحيد: للشيخ محمد بن
عبدالوهاب - رحمه الله - ، وهو كتابنا هذا .
- ٧- الرسالة البيروتية : إجابة على أسئلة وردت إليه من بيروت .
مطبوعة ، وعندني نسخه خطيه مصورة من هذا الكتاب في ٨ صفحات .
- ٨- الدر الثمينة في الفرائض : منظومة له في الفرائض على المذهب .
مطبوعة . مؤسسة النور ، الرياض ، في ١٦ صفحة .

٩- تسهيل المطالب من الدررة الثمينة للطالب : وهو شرح للمنظومة المتقدمة، ويوجد لهذا الشرح نسختين خطيتين، رقم الأولى ٢٣٠٣ في ١٩ صفحة، والثانية برقم ٢٣١٩ في ٤٩ صفحة .

١٠- بحث في بيان حكم شرب البيسي والكاكولا وغيرها من المشروبات الغازية والكحولية. مخطوط. وأظنه عند بعض تلاميذه في الطائف.

١١- مجموع يضم فتاوى وأشعار ورسائل عدة ، يقيد فيه ما يراه أو يسمعه أو يقرأه من الفوائد وغرائب المسائل ، وأغلب نقله في الفوائد الحديثية ، والألغاز الفقهية ، والأسرار اللغوية ، والتكات النحوية ، والروائع البلاغية ، والحكم الشعرية ، وغيرها من عيون العلوم والفنون ، وهو يدل على وفرة في العلم وسعة في الاطلاع ، إلا أن مواد هذا المجموع مفرقة في كراريس متنوعة ، ومتناثرة في أوراق مختلفة ، لو جمعت ولخصت وبوبت ورتبت ، لجاءت في مجلد كبير ، ولحصل منها علم غزير .

١٢- ملاحظاتي حال مطالعاتي : وهو كما يظهر من اسمه مجموعة نفيسة ، يقيد فيها ما يراه من التحقيقات والتصحيحات والتصويبات ... حيال عدد من الكتب التي يطالعها ، وهو متضمنة لفوائد متخبة متنوعة . مخطوطة . لدي نسخه مصوره منها .

١٣- رسالة في مناسك الحج ، وهي نبذة لطيفة مختصرة .

١٤- نظم دليل الطالب في الفقه الحنبلي ، مخطوط .

١٥- نقض المباني من فتوى اليماني ، وتحقيق المرام فيما يتعلق بالمقام :

مطبوع . مطبعة المدني، القاهرة ١٣٨٣هـ رقمها (٢٣٠٢) في ١١٦ صفحة .

- وهذا الكتاب رد على الشيخ يحيى المعلمي اليماني - رحمه الله تعالى - .
- ١٦ - هداية الأريب الأجد في معرفة أصحاب الرواية عن الإمام أحمد :
طبع بتحقيق الشيخ بكر أبو زيد ، ورقم مخطوطته (٢٣٠٥) .
- ١٧ - طبقات الحنابلة : (تراجم لتأخري الحنابلة) ، مطبوع بتحقيق
الشيخ بكر أبو زيد ، وهو مخطوط في مكتبة جامعة الإمام محمد بن سعود
الإسلامية بالرياض تحت رقم (٢٢٦١) في ١٥٩ صفحة .
- ١٨ - ثبت في رواية كتب السنة : مطبوع .
- ١٩ - ترجمة الشيخ سليمان بن سحمان : مخطوطه في مكتبة جامعة
الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض تحت رقم (٢٣٢٩) في ورقتين .
عندي نسختين منه ، وقد طبع في مقدمة كتاب الشيخ سليمان بن سحمان
(ص / أ - و) « الهدية السنوية التحفة الوهاية النجدية » مجموع خمس
رسائل لكبار أئمة نجد وعلمائها ، طبع مكتبة التوفيق ، ١٣٨٩هـ .
- ٢٠ - البراهين والأدلة الكافية في القناعة برفع المسيح وأن نزوله من
أشراط الساعة : مطبوع في مصر مطبعة الإمام ، في ٣٥ صفحة^(١)
ومخطوطته برقم (٢٢٩٩) .
- ٢١ - الدررة الثمينة فيما يشرع و يمنع في حق قاصد المدينة: في ٧
صفحات، رقمها (٢٢٨٨)، وعندني مصورة منها وقد انتهت من تحقيقها .

(١) ذكره محمد خير رمضان في تنمة الأعلام (١/ ٢١٤) ، وفي تكملة معجم المؤلفين
(ص/ ٢١٦) .

٢٢- ما رأيت وما سمعت من الفوائد في القضايا الفقهية : مخطوط رقم (٢٣٢٦) في ٩٩ صفحة .

٢٣- تجريد رؤوس مسائل التمهيد : مخطوط رقمه (٢٣٦٥) ، وأظن أن نسخته عند الدكتور عبدالله التركي .

٢٤- كشف النقاب عن مؤلفات الأصحاب : عندي صورة من مخطوطته وهو قيد التحقيق ، ولم يكمله مؤلفه رحمه الله ، وهذا الكتاب لم يذكره أحد ممن ترجم له .

٢٥- مختصر التحرير في أصول الفقه : مخطوط ناقص في ورقتين رقمه ٢٣١٢ .

١١- وفاته .

توفي الشيخ سليمان - رحمه الله - في مدينة الطائف ، في الثاني عشر من شهر شعبان عام ١٣٩٧هـ حيث كان له مسكن يصطاف فيه أيام الصيف .

وصُلِّيَ عليه في مسجد ابن عباس ، ودفن في الطائف . ولم يخلف ذرية - رحمه الله تعالى -

* * *

**الكلام على كتاب
« الدر المنضيد »**

- * ميزات هذا الكتاب.
- * ثناء الشيخ بكر أبو زيد على الكتاب.
- * موارد الشارح.

* * *

مميزات كتاب الدر النضيد

- تميز هذا الشرح لكتاب التوحيد بميزات عديدة منها :
- ١- أن هذا الشرح يُعد شرحاً متوسطاً ليس بالطويل الممل ولا بالقصير المخل .
 - ٢- عنايته بمسائل كتاب التوحيد ووضعها في مواضعها المناسبة والتعليق عليها .
 - ٣- أكثر الشارح - رحمه الله - من الاستشهاد بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي زادت على ثلاثمائة حديثاً .
 - ٤- أكثر الشارح - رحمه الله - من النقل من كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم - وهما من هما في سعة العلم - .
 - ٥- تعرضه لبعض المسائل المعاصرة المهمة .
 - ٦- عنايته بترجمة الأعلام بشكل مختصر .
 - ٧- عنايته بذكر ما استنبطه المصنف من الفوائد بعد كل آية قرآنية وحديث نبوي

ثناء الشيخ بكر أبو زيد على الكتاب

قال الشيخ بكر : « وكان تأليفه لكتاب « الدر النضيد في شرح كتاب التوحيد » و « نظم الفرائض » من حصيلة تدريسه سنين طويلة ، لهذا كان شرحه « الدر النضيد » من أنفس شروح كتاب التوحيد » .

وقال أيضاً : « الدر النضيد، حاشية على كتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى ، وهي من أحسن مؤلفاته ، بل هي من أنفس شروح هذا الكتاب ، مطبوعة »^(١) .

موارد الشارح رحمه الله تعالى

تنوعت مصادر المؤلف - رحمه الله - في مختلف الفنون ، فهو ينقل من كتب العقائد ، وكتب الحديث، وشروحها ، وكتب التفسير ، وكتب الفقه المتنوعة المذاهب ، وكتب التاريخ والسير والتراجم .

وقد يصرح أحياناً وقد لا يصرح ، وقد قسمت هذه الموارد إلى قسمين :

القسم الأول : شروح كتاب التوحيد :

وهي :

- « تيسير العزيز الحميد » للشيخ سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبد الوهاب (ت ١٢٣٣هـ) .

- « فتح المجيد » للشيخ عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب (ت ١٢٨٥) .

- « قرّة عيون الموحدين » له أيضاً .

- « إبطال التنديد باختصار شرح التوحيد » للشيخ حمد بن عتيق (ت ١٣٠١هـ) .

(١) مقدمة الشيخ بكر أبو زيد لـ « هداية الأريب الأجد » (ص/ هـ ، و ، ك) .

القسم الثاني : المصادر العامة :

وقد أكثر من النقل من كتب شيخ الإسلام ابن تيمية (ت ٧٢٨هـ) ،
وتلميذه ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ) - رحمهما الله تعالى - .

وإليك ما صرح الشارح بالنقل منه :

- * صحيح البخاري .
- * شعب الإيمان للبيهقي .
- * مسند الفردوس للدلمي .
- * سنن البيهقي .
- * الحلية لأبي نعيم .
- * شرح السنة للبغوي .
- * النهاية في غريب الحديث لابن الأثير .
- * المفهم على صحيح مسلم للقرطبي .
- * الأسماء والصفات للبيهقي .
- * البدع والحوادث .
- * الرد على من ادعى أن للأولياء تصرفات لصنع الله الحنفي .
- * الاستغاثة في الرد على البكري لابن تيمية .
- * تطهير الاعتقاد للصنعاني .
- * الكافية الشافية (النونية) لابن القيم .
- * الرد على الزنادقة والجهمية للإمام أحمد .
- * منهاج السنة لابن تيمية .
- * أعلام الموقعين لابن القيم .
- * الأموال لأبي عبيد .
- * بدائع الفوائد لابن القيم .
- * شرح المنهاج للرافعي .
- * شرح در البحار لقاسم الحنفي .
- * المبسوط في الفقه المالكي .
- * الكافي لأبي محمد المقدسي .
- * الفروع لابن مفلح .
- * الإنصاف للمرداوي .
- * الكبائر للذهبي .
- * الروض الأنف للسهيلى .
- * مغازي ابن إسحاق .
- * وغيرها من الموارد .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هائده (١)

عن محمد بن النظر الحارثي قال : كان يُقال أول العلم الإنصات له ، ثم الاستماع له ، ثم حفظه ، ثم العمل به ، ثم لله .

من « كتاب الزهد » : في زهد عمر حدثنا عبدالله قال : حدثني أبي ، حدثنا عفان ، حدثنا جرير بن حازم قال : سمعت الحسن قال : حضر بابَ عمرَ بن الخطاب سُهَيْل بن عمر والحارث بن هشام وأبوسفيان بن حرب ونفر من قريش من تلك الرؤوس ، وصهيب وبلال وتلك الموالي الذين شهدوا بدرًا ، فخرج ابن عمر فأذِنَ لهم وترك هؤلاء . فقال أبوسفيان : لم أرَ كالْيَوْمِ قط ! يأذن هؤلاء العبيد ويتركونا على بابهِ ولا يلتفت إلينا ! قال : فقال سُهَيْل بن عمرو - وكان رجلاً عاقلاً - : أيها القوم ، إني - والله - لقد أرى الذي في وجوهكم ، إن كنتم غَضاباً فاغضبوا على أنفسكم ؛ دُعِيَ القومُ ودُعِيْتُمْ فأسرعوا وتباطأتم ، فكيف بكم إذا دُعُوا ليوم القيامة وثركتم ، أما والله لما سبقوكم إليه من الفضل مما ترون أشدَّ عليكم فوتاً من بابكم هذا الذي تنافسْتُم عليه . قال : ونفض ثوبه وانطلق .



(١) من « كتاب الزهد » للإمام أحمد (ص ٣٦٨) .

مقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

رَبُّ يَسْرُ وَأَعِزُّ يَا كَرِيم

الحمد لله الذي جلَّ عن الانتداد ، ورتوة عن التمايمون ك حكيوم من العباد، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة من عرف المعنى منها والمراد، واعتقد ما دلَّت عليه حقيقة الاعتقاد ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، الهادي إلى سبيل الرشاد ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد : فإن « كتاب التوحيد » الذي ألفه الإمام المجدد شيخ الإسلام محمد ابن عبدالوهاب رحمه الله ورضي عنه ، كتاب بديع الوضع ، عظيم النفع ، لم أرَ من سبقه إلى مثاله أو نسج في تأليفه على منواله ، فكل باب منه قاعدة من القواعد ينبنى عليها كثير من الفوائد ، وأكثر أهل زمانه قد وقعوا في الشرك الأكبر والأصغر ، واعتقدوه ديناً فلا يُتاب منه ولا يُستغفر ، فألفه عن خبرة منه ومشاهدة للواقع، فكان لذلك الداء كالدواء النافع، فرحمه الله ورضي عنه .

وقد شرحه بعض أحفاده وغيرهم ، ووضعوا عليه بعض الحواشي المفيدة، إلا أنه لم يتعرض أحدٌ منهم لذكر المسائل التي استنبطها المصنف في آخر كل باب إلا نادراً ، وهي تضمن علوماً جمّة وفوائد مهمة ، فرأيتُ من الضروري استخراج خلاصة مما ذكره تكون وافية بتوضيح مقاصده وتقريب شوارده مع ما منَّ الله به من الفوائد وتوضيح الشواهد، واتبعت

كل آية أو حديث بما استنبطه المصنف من الفوائد ، ومرادي بشيخ الإسلام
أحمد بن تيمية رحمه الله ورضي عنه ، وسميته :

« الدُّرُّ النَّضِيدُ عَلَى أَبْوَابِ التَّوْحِيدِ »

واللهَ أسألُ أن ينفع به كما نفع بأصله ، وأن يجعله خالصاً لوجهه ، ومن
العمل المبرور ، والسعي المشكور المقرب لديه ، إنه وليُّ ذلك والقادر عليه ،
وهو حسبنا ونعم الوكيل .

وإني أروي كتاب التوحيد وسائر مؤلفات الشيخ في اليوم العاشر من
شهر محرم الحرام عام ألفٍ وثلاثمائة وخمسين ، بالإجازة عن الشيخ العلامة
محدث الحجاز في وقته أبي الفيض وأبي الإسعاد عبدالستار بن عبدالوهاب
الصدريقي الحنفي الدهلوي ثم المكِّي ، عن الشيخ العلامة السلفي أحمد بن
إبراهيم بن عيسى النجدي الحنبلي، عن الشيخ العلامة حفيد المؤلف
عبدالرحمن بن حسن ، عن المؤلف الشيخ محمد بن عبدالوهاب أجزل له الله
الأجر والثواب .



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (١)

(١) قال المؤلف رحمه الله « بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ » : ابتداء المصنف كتابه بالبسملة اقتداءً بالكتاب العزيز ، وعملاً بحديث : « كل أمر ذي بال لا يفتح بذكر الله فهو أبتى - أو - أقطع »* واقتصر المصنف في بعض نسخه على البسملة لأنها من أبلغ الثناء والذكر . قال في « فتح المجيد »** : « وقع لي نسخة بخطه - رحمه الله - بدأ فيها بالبسملة ، وثنى بالحمد والصلاة على النبي ﷺ ، وعلى هذا فالابتداء بالبسملة حقيقي ، وبالحمدلة نسبي إضافي ».

والباء في « بسم الله » للمصاحبة ، وقيل للاستعانة ، وهي طلب العون ، والاسم الشريف مستعان مجرور ، والجار والمجرور متعلق بمحذوف تقديره قرأت باسم الله ، أو اقرأ باسم الله ، ومن الناس من يضم في مثل هذا ابتدائي باسم الله . قال شيخ الإسلام [الفتاوى ١٠/٢٣١] : « والأول أحسن ؛ لأن الفعل كله مفعول باسم الله ليس مجرد ابتدائه ». والله عَلَّمَ على ذات الرب تبارك وتعالى. قال الكسائي والقراء : أصله الإله حذفوا الهمزة وأدغموا اللام في اللام فصارت لاماً واحدة مشددة مفخمة. قال ابن عباس : الله ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعي ، ويقال إنه الاسم الأعظم؛ لأنه يوصف بجميع الصفات، وقد ذكر في القرآن في ألفين وثلاثمائة وستين موضعاً. وقال سيويه : إنه أعرف المعارف .

وقوله : « الرحمن الرحيم » قال ابن عباس : اسمان رقيقان ، أحدهما أرق من الآخر ، أي أوسع رحمة ، وهما مشتقان من الرحمة على وجه المبالغة ، فالرحمن أشد مبالغة من رحيم ، والرحمن رحمان الآخرة والدنيا ، والرحيم رحيم الآخرة ، والرحمن دال على الصفة القائمة به سبحانه ، وأن الرحمة صفته ، والرحيم دال على تعلقها بالمرحوم وأنه يرحم خلقه برحمته ، وأسمائه تعالى هي أسماء ونعوت ، فإنها دالة على صفات كماله فلا تنافي فيها بين العَلَمِيَّة والوصفِيَّة ، فالرحمن اسمه تعالى

* أخرجه أحمد (٢/٣٥٩)، والنسائي في عمل اليوم والليلة (٤٩٧)، وهو ضعيف .

** (١/٧٠) .

كتاب التوحيد^(١)

وصفته ، فمن حيث هو صفة جرى تابعا لاسم الله ، ومن حيث هو اسم ورد في القرآن غير تابع بل ورود الاسم العَلَم ، قال تعالى : ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْكَرْسِيِّ اسْتَوَى﴾ [طه : ٥] ، ﴿الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾ [الرحمن : ١-٢] .
 (١) وقوله : « كتاب التوحيد » كتاب : مصدر كتب يكتب كتاباً وكتابة وكتباً ، وهو بمعنى الجمع لغة ، واصطلاحاً : مكتوب جامع لمسائل أنواع التوحيد .

والتوحيد : مصدر وحَّد يوحد توحيداً ، وسُمي دين الإسلام توحيداً لأن مبناه على أن الله واحد في ذاته وأسمائه وصفاته لا نظير له ، وواحد في ملكه وأفعاله لا شريك له ، وواحد في إلهيته وعبادته لا ندُّ له ، وإلى هذه الأنواع الثلاثة ينقسم توحيد الأنبياء والمرسلين . قال العلامة ابن القيم رحمه الله :

والعلم أنواع ثلاث ما لها من رابع والحق ذو تبيان
 علم بأوصاف الإله وفعله وكذلك الأسماء للرحمن
 والأمر والنهي الذي هو دينه وجزاؤه يوم المعاد الثاني

فالعلم بأوصاف الإله : توحيد الصفات . والعلم بالفعل : توحيد الربوبية كالخلق والرزق والإحياء والإماتة . والعلم بالأسماء : توحيد فهو توحيد المعرفة والإثبات ، بإثبات ذات الرب وأسمائه وصفاته وأفعاله .

وقوله : والأمر والنهي الذي هو دينه : فهذا توحيد الإلهية والعبادة ، وهو توحيد الطلب والقصد ، وهو حق الله على عباده الذي يخلقهم من أجله ، وهو أول واجب على المكلف ، وهو مدلول شهادة أن لا إله إلا الله ، ومن أجله أرسلت الرسل ، وأنزلت الكتب ، ونُصبت القبلة ، وأسست الملة ، وجُردت سيوف الجهاد ، وخلق الجنة والنار ، فهو سر الخلق والأمر ، وهو الذي وضع المصنف كتابه من أجله لوقوع الشرك فيه ، وإليه أشار العلامة ابن القيم بقوله [الكافية الشافية (٢٥٦)] :

هذا وثاني نوعي التوحيد تو حيد العبادة منك للرحمن
 أن لا تكون لغيره عبداً ولا تعبد بغير شريعة الإيمان

وقول الله تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات : ٥٦] (١) .

فتقوم بالإسلام والإيمان و وال
والصدق والإخلاص ركنا
إحسان في سر وفي إعلان
ذلك التوحيد كالركنين للبنيان

وليس المراد بالتوحيد مجرد توحيد الربوبية وهو : اعتقاد أن الله وحده خلق العالم كما يظن ذلك من يظنه من أهل الكلام والتصوف ، فإن الرجل لو أقر بما يستحقه الرب تعالى من الصفات ، ونزّهه عن كل ما يُنزّه عنه ، وأقرّ بأنه وحده خالق كل شيء ، لم يكن موحداً حتى يشهد : أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، فيقرّ أن الله وحده هو الإله المستحق للعبادة ويلتزم بعبادة الله وحده لا شريك له .

وقوله : فتقوم بالإسلام والإيمان والإحسان : كما في حديث جبريل .

وقوله : والصدق والإخلاص ركنا ذلك التوحيد : أي توحيد العبادة ، فمن لم يكن صادقاً فهو منافق ، ومن لم يكن مخلصاً فهو مشرك ، فلا بد في قول لا إله إلا الله من الصدق والإخلاص .

(١) قوله : « وقوله تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ بالجر عطف على

التوحيد، ويجوز الرفع على الابتداء. قال القرطبي [الجامع لأحكام القرآن ١/ ٢٢٥، ١٧/ ٥٦] : أصل العبادة التذلل والخضوع. وسُميت وظائف الشرع على المكلفين عبادات لأنهم يلتزمون بها ويفعلونها خاضعين لله تعالى . انتهى . فهي عبارة عما يجمع كمال المحبة مع غاية الخضوع فلا تكون المحبة بدون خضوع عباده ، ولا الخضوع بدون محبة عباده .

قال العلامة ابن القيم [الكافية الشافية (٦٤)] :

وعبادة الرحمن غاية حبه
وعليهما فلك العبادة دائر
ومداره بالأمر أمر رسوله
لا بالهوى والنفس والشيطان

شبه دوران العبادة على المحبة والذل للمحبيب جل وعلا بدوران الفلك على قطبيه، وذكر أن دورانه بأمر الرسول وما شرعه لا بالهوى وما تأمر به النفس

والشيطان فليس ذلك من العبادة . وقال الفقهاء : العبادة ما أمر به شرعاً من غير اطراد عرقي ولا اقتضاء عقلي . وقال شيخ الإسلام : العبادة اسمٌ جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه ، من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة .

قلت : الظاهرة : أعمال الجوارح، والباطنة : أعمال القلب . قال : والعبودية خاصة وعامة ، فالعامة عبودية أهل السموات والأرض كلهم، برُّهم وفاجرهم ، مؤمنهم وكافرهم ، فهذه عبودية الملك والقهر ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ كُفْرًا مِّنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا مَا تَرَى الرَّحْمَنُ عَبْدًا ﴾ [مريم: ٩٣]، وأما الخاصة فعبودية الطاعة والمحبة واتباع الأوامر، قال تعالى : ﴿ قَبَشِرَ عِبَادِ ﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ﴿ [الزمر: ١٧-١٨] . وأما قوله : ﴿ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴾ [غافر: ٣١]، وقوله : ﴿ إِنَّكَ اللَّهُ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ ﴾ [غافر: ٤٠] فهذا يتناول العبوديتين . انتهى .

قال ابن القيم : ومدار العبادة على خمس عشرة قاعدة ، من كملها فقد كمل مراتب العبودية ؛ لأنها منقسمة على القلب واللسان والجوارح ، والأحكام التي للعبودية خمسة : واجب ومستحب وحرام ومكروه ومباح ، وهي لكل واحد من القلب واللسان والجوارح ، فقول القلب هو اعتقاد ما أخبر الله سبحانه عن نفسه وأسمائه وصفاته وأفعاله وملائكته ولقائه ، وقول اللسان الإخبار عنه بذلك والدعوة إليه والذب عنه وتبيين البدع المخالفة له والقيام بذكره وتبليغ أوامره ، وعمل القلب كالمحبة له والتوكل عليه والإنابة إليه والخوف منه والرجاء له وإخلاص الدين له والصبر له على أوامره وعن نواهيه وعلى أقداره والرضى به وعنه والموالاتة فيه والمعادة ، والذل له والخضوع والإخبات إليه ، والطمأنينة به وغير ذلك، وأعمال الجوارح كالصلاة والجهاد ونقل الأقدام إلى الجمع والجماعات ومساعدة العاجز والإحسان إلى الخلق ونحو ذلك .

واللام في قوله : ﴿ لِيَعْبُدُونِ ﴾ لام التعليل المعروفة عند النحاة بلام كي ، كاللام في

وقوله : ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل : ٣٦] (١) .

قوله : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [النساء : ٦٤] ، ثم قد يُطاع وقد لا يُطاع ، وكذلك ما خلق الجن والإنس إلا للعبادة ، ثم قد يعبدون وقد لا يعبدون ، وليست لام الصيرورة والعاقبة . قال شيخ الإسلام : « لام الصيرورة والعاقبة لا تقع إلا في فعل من يجهل عاقبة فعله ، كما قال تعالى عن موسى : ﴿فَالنَّفِطَةُ نَالٌ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ [القصص : ٨] فلو كانوا عالمين بعاقبة ما اتخذوه ، ومعنى الآية : أن الله خلق الخلق ليعبدوه وحده لا شريك له ، ويوحده وهذا هو الشاهد من الآية للترجمة ، وأخبر أنه غير محتاج إليهم بل هم الفقراء إليه وهو خالقهم ورازقهم ، قال علي بن أبي طالب : وما خلقت الجن والإنس إلا لأمهم أن يعبدون وأدعوهم إلى عبادتي . وقال مجاهد : إلا لأمهم وأنهم ، واختاره الزجاج وشيخ الإسلام لقوله : ﴿أَجْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾ [القيامة : ٣٦] . قال الشاذلي : لا يؤمر ولا ينهى ، وقال غيره : لا يُثاب ولا يعاقب ، والصحيح الأمران ، فإن الثواب والعقاب مترتب على الأمر والنهي ، وحقيقة العبادة امتثالهما . وفي الآية بيان الحكمة في خلق الجن والإنس ، وأن العبادة هي التوحيد لأن الخصومة فيه ، وأن من لم يأت به لم يعبد الله ففيه معنى قوله : ﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ [الكافرون : ٥٠٣] .

(١) قاله المصنف رحمه الله : « قوله : وقول الله تعالى : ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ أخبر تعالى أنه بعث في كل أمة - أي كل طائفة وقرن من الناس - رسولاً قائلاً لهم الرسول الذي بعث فيهم : اعبدوا الله أي وحدوه ، وهذا هو الشاهد من الآية للترجمة ، وقوله : ﴿وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ أبلغ من قوله : اتركوا الطاغوت ؛ لأن يتضمن الشرك والتباعد عنه فتضمنت الآية النفي والإثبات كما تضمنته لا إله إلا الله ، فالإثبات قوله : ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ ، والنفي قوله : ﴿وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ ، وهذا هو حقيقة التوحيد وهو معنى لا

وقوله : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَيَالْوَالِدِينَ إِحْسَانًا ﴾ ^(١) الآيات .

إله إلا الله ، فالنفي المجرد ليس بتوحيد وكذلك الإثبات المجرد .
قال ابن القيم رحمه الله : « والطاغوت مشتق من الطغيان ، وهو مجاوزة الحد، وهو ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع ، فطاغوت كل قوم من يتحاكمون إليه غير الله ورسوله أو يعبدونه من دونه الله، أو يتبعونه على غير بصيرة من الله ، أو يطيعونه فيما لا يعلمون أنه طاعة لله . انتهى .
وفي الآية بيان الحكمة في إرسال الرسل ، وأن الرسالة عمّت كل أمة ، وأن دين الأنبياء واحد ، وأن عبادة الله لا تحصل إلا بالكفر بالطاغوت ففيه معنى : ﴿ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِرْ بِاللَّهِ ﴾ الآية [البقرة: ٢٥٦] ، وأن الطاغوت عام في كل ما عُبد من دون الله .

(١) قاله المصنف رحمه الله : « قوله : وقول الله تعالى : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَيَالْوَالِدِينَ إِحْسَانًا ﴾ الآيات [الإسراء: ٢٣] . قال مجاهد : يعني وصي ، وكذا قرأ أبي بن كعب ، وابن مسعود ، وابن عباس ، وغيرهم . وقال ابن عباس أيضاً : ﴿ وَقَضَىٰ ﴾ يعني : أمر ، رواه ابن جرير . وقوله : ﴿ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ﴾ أي : أن تعبدوه وحده ولا تعبدوا غيره ، وهذا هو الشاهد في الآية للترجمة وهو معنى لا إله إلا الله ، فتضمنت الآية النفي والإثبات ، كما تضمنته لا إله إلا الله . وقوله : ﴿ وَيَالْوَالِدِينَ إِحْسَانًا ﴾ أي وقضى أن تحسنوا بالوالدين إحساناً ، كما أمر بعبادته وحده لا شريك له ، وعطفُ حقهما على حقه تعالى دليلٌ على تأكيد حقهما وأنه أوجب الحقوق بعد حق الله تعالى وهذا كقوله : ﴿ أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلِوَالِدَيْكَ ﴾ [لقمان: ١٤] ولم يخص نوعاً من أنواع الإحسان ليعم جميع أنواع الإحسان، وقوله : ﴿ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا آفِي ﴾ أي لا تسمعهما قولاً سيئاً حتى ولا التأفيف الذي هو أدنى مراتب القول السيء : ﴿ وَلَا نَهْرُهُمَا ﴾ أي لا يصدر منك إليهما فعل قبيح ، قال عطاء بن أبي رباح : لا تنفض يدك عليهما ، ولما نهاه عن الفعل القبيح والقول السيء أمره بالفعل الحسن

والقول الحسن فقال : ﴿ وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾ أي ليناً لطيفاً بأدب وتوقير .
وقوله : ﴿ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ ﴾ أي تواضع لهما ، ﴿ وَقُلْ رَبِّ
أَرْحَمُهُمَا ﴾ في كبرهما وعند وفاتهما ﴿ كَمَا رَبَّيْتَنِي صَغِيرًا ﴾ .

وفي هذه الآيات المحكمات من سورة الإسراء ثمان عشرة مسألة، بدأها الله بقوله :
﴿ لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقَعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴾ وختمها بقوله : ﴿ وَلَا تَجْعَلْ
مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا ﴾ ونبهنا الله سبحانه على عظم شأن هذه
المسائل بقوله : ﴿ ذَلِكَ يَمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ ﴾ . قاله المصنف رحمه
الله تعالى .

« والمسائل التي أشار إليها الشيخ :

- ١- النهي عن الشرك .
- ٢- الأمر بعبادة الله وحده .
- ٣- الإحسان إلى الوالدين .
- ٤- إيتاء ذا القربى حقه .
- ٥- إيتاء المسكين حقه .
- ٦- إيتاء ابن السبيل حقه .
- ٧- النهي عن التبذير .
- ٨- النهي عن الإمساك بدون إسراف .
- ٩- النهي عن قتل الأولاد .
- ١٠- النهي عن الزنى .
- ١١- النهي عن قتل النفس التي حرم الله إلا بالحق .
- ١٢- النهي عن قربان مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن .
- ١٣- الأمر بالوفاء بالعهد .
- ١٤- الأمر بالوفاء بالكيل .
- ١٥- الأمر بالوفاء بالوزن .
- ١٦- النهي عن القول بغير علم .
- ١٧- النهي عن المشي في الأرض مرحاً .

وقد تواترت الأحاديث عن النبي ﷺ في الأمر ببر الوالدين وتحريم عقوقهما، وفي
صحيح البخاري عن ابن مسعود ؓ عن النبي ﷺ قلت : يا رسول الله، أي
الأعمال أفضل قال : « الصلاة على وقتها » . قلت : ثم أي؟ قال : « بر الوالدين » .

وقوله : ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ﴾ ^(١) [النساء : ٣٦] .

قلت : ثم أي ؟ قال : « الجهاد في سبيل الله » .

وفي الصحيحين عن أبي بكرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ : « ألا أتبعكم بأكبر الكبائر؟ » . قلنا : بلى يا رسول الله . قال : « الإِشْرَاقُ بِاللَّهِ ، وَعَقُوقُ الْوَالِدِينَ » . وكان متكئاً فجلس فقال : « ألا وقول الزور، ألا وشهادة الزور » فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت .
وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رجل : يا رسول الله ، من أحق الناس بحسن صحابتي ؟ قال : « أمك » . قال : ثم من ؟ قال : « أمك » . قال : ثم من ؟ قال : « أمك » . قال : ثم من ؟ قال : « ثم أباك » . أخرجه *** .

وعن أبي أسيد الساعدي رضي الله عنه قال : بينما نحن جلوس عند النبي ﷺ إذ جاءه رجل من بني سلمة فقال : يا رسول الله ، هل بقي من برِّ أبي شيء أبرهما به بعد موتهما؟ قال : « نعم ، الصلاة عليهما » يعني الدعاء لهما والاستغفار لهما « وإنفاذ عهدهما من بعدهما ، وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما ، وإكرام صديقهما » . رواه أبو داود وابن ماجه وابن حبان في صحيحه **** .

قال شيخ الإسلام : « تجب طاعتها فيما فيه نفع لهما ولو شقَّ على الولد » .

(١) « وقوله : ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ﴾ الآية . قال ابن كثير [التفسير ٢/٢٦٠] : يأمر تعالى عباده بعبادته وحده لا شريك له ، فإنه الخالق الرازق المنعم المتفضل على خلقه في جميع الحالات ، فهو المستحق منهم أن يوحدوه ولا يشركوا به شيئاً من مخلوقاته . وهذا هو الشاهد من الآية للترجمة ، فقرن الأمر بعبادته بالنهي عن الشرك فيها ، فدلَّ على أن اجتناب الشرك شرط في صحة العبادة وشيئاً نكرة في سياق النهي تعم كل شيء مما يعبد من دون الله ، سواء كان ملكاً أو نبياً أو

* أخرجه البخاري (٥٩٧٠) ، ومسلم (٨٥) .

** أخرجه البخاري (٢٦٥٤) ، ومسلم (٨٧) .

*** أخرجه البخاري تعليقاً (٥٩٧١) ، ومسلم (٢٥٤٨) ، وأحمد (٨٦/١٤) .

**** أخرجه أحمد (٤٥٧/٢٥) ، وأبو داود (٥١٤٢) ، وابن ماجه (٣٦٦٤) ، وابن حبان (٤١٨) .

وقال الألباني : ضعيف . انظر : ضعيف الأدب المفرد (ص/٢٢-٢٣) .

وقوله : ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْكُمْ مِمَّا آتَتْكُمْ آيَاتِهِ شَيْئًا ﴾ (١)
[الأنعام : ١٥١] الآيات .

- ولياً أو غير ذلك . وهذه الآية تسمى آية الحقوق العشرة . قال المصنف رحمه الله تعالى ؛ لأنها تضمنت عشرة حقوق :
- (١) الأمر بعبادته وحده والنهي عن الشرك به . (٢) الأمر بالإحسان إلى الوالدين .
 - (٣) الإحسان إلى ذي القربى . (٤) الإحسان إلى اليتامى .
 - (٥) الإحسان إلى المساكين . (٦) الإحسان إلى الجار القريب .
 - (٧) الإحسان إلى الجار الجانب .
 - (٨) الإحسان إلى الصاحب بالجنب، وهو الرفيق في السفر، وقيل المرأة، وقيل غير ذلك .
 - (٩) الإحسان إلى ابن السبيل .
 - (١٠) الإحسان إلى ما ملكت اليمين .

(١) ﴿ وَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْكُمْ مِمَّا آتَتْكُمْ آيَاتِهِ شَيْئًا وَيَا لِلَّذِينَ إِحْسَنًا وَلَا تَقُولُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنٌ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكَُمْ وَصَّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْكَيْلِ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكَُمْ وَصَّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [الأنعام : ١٥١-١٥٣] .

قال ابن كثير [التفسير ٣/٣٥٤] : « يقول تعالى لنبيه ورسوله محمد ﷺ : قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين عبدوا غير الله وحرّموا ما رزقهم الله ، وقتلوا أولادهم ، وكل ذلك فعلوه بأرائهم الفاسدة ، وتسويل الشيطان لهم ، تعالوا : أي هلموا واقبلوا، أتل : أي أقص عليكم وأخبركم بما حرم ربكم عليكم حقاً ، لا تحرّصاً ولا ظناً بل وحيّ منه وأمر من عنده وأن لا تشركوا به شيئاً ، وكان في الكلام محذوفاً

دلّ عليه السياق تقديره وصاكم أن لا تشركوا به شيئاً ، ولهذا قال في آخر الآية : ﴿ذَلِكُمْ وَصَّيْنَاكُمْ بِهِ﴾ . انتهى . وشيئاً نكرة تعم كل ما عبّد من دون الله ، والنهي عن الشرك يستدعي التوحيد بالافتضاء وهو الشاهد من الآية للترجمة ؛ قال في «قرة العيون» * : «وقد وقع الأكثر من متأخري هذه الأمة في هذا الشرك الذي هو أعظم المحرمات كما وقع في الجاهلية قبل المبعث، عبدوا القبور والمشاهد والأشجار والأحجار والطواغيت والجن ، كما عبد أولئك اللات والعزى ومناة وهبل وغيرها من الأصنام والأوثان ، واتخذوا هذا الشرك ديناً ، ونفروا إذا دُعوا إلى التوحيد أشدّ التفرقة، واشتدّ غضبهم لمعبوداتهم كما قال تعالى : ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [الزمر: ٤٥] ، وقال تعالى : ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ الآية [الصفّات: ٣٥] علموا أن « لا إله إلا الله » تنفي الشرك الذي وقعوا فيه ، فأنكروا التوحيد الذي دلّت عليه؛ فصار أولئك المشركون الأولون أعلم بمعنى « لا إله إلا الله » من أكثر المتأخرين، لا سيما أهل العلم منهم ، الذين لهم دراية في بعض الأحكام وعلم الكلام ، فجهلوا توحيد العبادة فوقعوا في الشرك المنافي له وزينوه للناس ، وجهلوا توحيد الأسماء والصفات وأنكروه أيضاً ، وصنفوا فيه الكتب؛ لاعتقادهم أنه حق وهو باطل ، وقد اشتدّت غربة الإسلام حتى عاد المعروف منكراً، والمنكر معروفاً ، نشأ على هذا الصغير ، وهرم عليه الكبير ، وقد قال ﷺ : «بدأ الإسلام غريباً ، وسيعود غريباً كما بدأ» ** .

وقوله : ﴿وَيَا لَوْلَدَيْنِ إِحْسَنًا﴾ قال القرطبي : الإحسان إلى الوالدين برهما وامثال أمرهما وحفظهما وصيانتهم ، وإزالة الرق عنهما ، وترك السلطنة عليهما . وإحساناً منصوب على المصدرية ، وناصبه فعلٌ من لفظه تقديره « وأحسنوا »

* (ص/١٨-١٩) .

** أخرجه مسلم (١٤٥) ، وأحمد (٣٨٩/٢) من حديث أبي هريرة ؓ .

بوالدين إحساناً .

وقوله : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ ﴾ الإملاق : الفقر ، أي : لا تئدوا بناتكم خشية العيلة والفقر ، فإني رازقكم وإياهم ، وكان منهم من يفعل ذلك بالإناث خشية العار ، وبالذكور خشية الافتقار . وفي الصحيحين عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قلت : يا رسول الله ، أي الذنب أعظم؟ قال : « أن تجعل لله نداً وهو خلقك » . قلت : ثم أي؟ قال : « أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك » . قلت : ثم أي؟ قال : « أن تزاني حليلة جارك » ، ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴾ يُضْعَفُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدُ فِيهِ مُهَانًا ﴿١١﴾ إِلَّا مَنْ تَابَ ﴿ الآية [الفرقان: ٦٨-٧٠]* .

وقوله : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾ قال ابن عطية [المحرر الوجيز ١٧٩/٦] : نهى عام عن جميع الفواحش وهي المعاصي ، وظهر وبطن حالتان تستوفيان أقسام ما جعلتا له من الأشياء . وقيل : الظاهر ما بينك وبين الخلق ، والباطن ما بينك وبين الله .

وقوله : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾ قال ابن كثير : هذا مما نص الله على النهي عنه تأكيداً ، وإلا فهو داخل في النهي عن الفواحش . وفي الصحيحين عن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً : « لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث : الثيب الزاني ، والنفس بالنفس ، والتارك لدينه المفارق للجماعة »** .

وقوله : ﴿ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ قال ابن عطية [المحرر الوجيز ١٨٠/٦] : ذلكم إشارة إلى هذه المحرمات ، والوصية : الأمر المؤكّد المقرر .

* أخرجه البخاري (٤٤٧٧ ، ٦٨٦١) ، ومسلم (٨٦) .

** أخرجه البخاري (٦٨٧٨) ، ومسلم (١٦٧٦) .

وقوله : ﴿ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ أي تفهمون عنه ذكراً ولا تعقلون، ثم تذكرون، ثم تتقون ؛ لأنهم إذا عقلوا تذكروا ، فإذا تذكروا خافوا واتقوا المهالك .

وقوله : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ﴾ قال ابن عطية [المحرر الوجيز ٦ / ١٨٠] : هذا نهي عن القرب الذي يعم وجوه التصرف ، وفيه سد الذريعة ثم استثنى ما يحسن وهو الشمير والسعي في نمائه . قال مجاهد : التي هي أحسن التجارة فيه ، فمن كان من الناظرين له ما يعيش به فالأحسن إذا ثمر مال اليتيم أن لا يأخذ منه نفقة ولا أجرة ولا غيرهما، ومن كان من الناظرين لا مال له ولا يتفق له نظر إلا بأن ينفق على نفسه من ربح نظره فالأحسن أن ينظر ويأكل بالمعروف .

قال ابن زيد : وقوله : ﴿ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ﴾ قال مالك وغيره : هو الرشد وزوال السفه مع البلوغ . قال ابن عطية : وهو أصح الأقوال واليقها بهذا الموضع ويدل عليه قوله تعالى : ﴿ وَأَبْلُوا إِلَيْنُمُ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ ﴾ [النساء : ٦] فاشترط للدفع إليهم ثلاثة شروط :

الأول : ابتلاؤهم وهو اختبارهم وامتحانهم بما يظهر به معرفتهم لمصالح أنفسهم وتدبير أموالهم . والثاني : البلوغ . والثالث : الرشد .

وقوله : ﴿ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ ﴾ والقسط : العدل ، ﴿ لَا تَكْفُرْ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ أي من اجتهد في أداء الحق وأخذه فأخطأ بعد است فراغ وسعه ويدل جهده فلا حرج عليه .

وقوله : ﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ﴾ هذا أمر بالعدل في القول والفعل على القرب والبعيد ، لا يتغير بالرضى والغضب .

وقوله : ﴿ وَيَهْدِ اللَّهُ أَوْفُوا ﴾ قال ابن جرير وغيره : وبوصية الله التي وصاكم بها فأوفوا . قال في «الشرح»* : والظاهر أن الآية فيما هو أخص كالبيعة والذمة

* (ص/٣٩-٤٠) . و«الشرح» أي «تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد» لمؤلفه الشيخ سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبد الوهاب - رحم الله الجميع - .

والأمان ، فهذا هو المقصود بالآية ، وإن كانت شاملة لما قالوا بطريق العموم .
وقوله : ﴿ ذَلِكُمْ وَصَنَّاكُمْ بِهِ ، لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ أي تتعظون ففتتوها عما
كتم عليه .

وقوله : ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن
سَبِيلِهِ ﴾ لما نهى وأمر حذر عن اتباع غير سبيله ، وأمر باتباع طريقه . فإن
الصراط الطريق الذي هو دين الإسلام مستقيماً ومعناه مستوياً قوياً لا إعوجاج
فيه ، فأمر باتباع طريقه الذي طرقه وشرعه على لسان محمد ﷺ ، ونهايته الجنة ،
ونهى عن اتباع السبل ، وروى الإمام أحمد والنسائي والدارمي وابن أبي حاتم
والحاكم وصححه عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : خط رسول الله ﷺ خطأ بيده ثم قال :
« هذا سبيل الله مستقيماً » ، ثم خط خطوطاً عن يمين ذلك الخط وعن شماله ثم
قال : « وهذه سبل ليس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه » ، ثم قرأ : ﴿ وَأَنَّ
هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ﴾ * .

قال شيخ الإسلام على حديث ابن مسعود هذا [الفتاوى ٤/٥٧] : « وإذا تأمل
العاقل هذا المثال وتأمل سائر الطوائف من الخوارج ، ثم المعتزلة ، ثم الجهمية
والرافضة ومن أقرب منهم إلى السنة من أهل الكلام مثل الكرامية والكلابية
والأشعرية وغيرهم ، وأن كلا منهم له سبيل يخرج به عما عليه الصحابة وأهل
الحديث ، ويدّعي أن سبيله هو الصواب وجد أنهم المراد بهذا المثال الذي ضربه
المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى » . انتهى .

وقال أيضاً : « الصراط المستقيم هو أمور باطنة في القلب من اعتقادات وإرادات
وغير ذلك ، وأمور ظاهرة من أقوال وأفعال قد تكون عبادات وقد تكون أيضاً
عادات في الطعام واللباس والنكاح والمسكن والاجتماع و الافتراق والسفر
والإقامة ، وغير ذلك ، وهذه الأمور الباطنة والظاهرة بينهما - ولا بد - ارتباط

* أخرجه أحمد (٧/٢٠٧، ٤٣٦) ، والحاكم (٢/٣١٨) وصححه وأقره الذهبي .

قال ابن مسعود : « من أراد أن ينظر إلى وصية محمد ﷺ التي عليها خاتمته فليقرأ قوله تعالى : ﴿ قُلْ تَمَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا - إِلَى قَوْلِهِ - وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا .. ﴾ الآية [الأنعام : ١٥١ - ١٥٣] ^(١) .

ومناسبة « . انتهى .

وقال ابن القيم رحمه الله [بدائع الفوائد ٢/٤٠] : « ولنذكر في الصراط قولاً وجيزاً ، فإن الناس قد تنوعت عباراتهم عنه بحسب صفاته ومتعلقاته . وحقيقته شيء واحد ، وهو طريق الله الذي نصبه لعباده موصلاً لهم إليه ، ولا طريق إليه سواه ، وهو إفراده بالعبادة وإفراده برسوله بالطاعة ، فلا يُشرك به أحد في عبادته ، ولا يشرك برسوله أحداً في طاعته ، فيجرّد التوحيد ويجرّد متابعة الرسول ﷺ . وهذا مضمون شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، فأبي شيء فُسِّرَ به الصراط فهو داخل في هذين الأصلين » . انتهى . وعن مجاهد في قوله : ﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا السَّبِيلَ ﴾ قال : البدع والشبهات . رواه ابن جرير . قال سهل بن عبدالله : عليكم بالسنة والأثر ، فإني أخاف أنه سيأتي عن قليل زمان ، إذا ذكر الإنسان النبي ﷺ في جميع أحواله ذموه ونفروا عنه وتبرءوا منه ، أو ذلّوه وأهانوه . وفيه عظم شأن الثلاث الآيات المحكمات من سورة الأنعام عند السلف وفيها عشر مسائل قاله المصنف .

قلت : بل فيها أحد عشر مسألة :

- (١) النهي عن الشرك
- (٢) الإحسان إلى الوالدين .
- (٣) النهي عن قتل الأولاد
- (٤) النهي عن قربان الفواحش .
- (٥) النهي عن قتل النفس التي حرّم الله إلا بالحق . (٦) النهي عن قربان مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن .
- (٧) الأمر بالوفاء بالكيل والوزن .
- (٨) الأمر بالعدل في القول .
- (٩) الأمر بالوفاء بالعهد .
- (١٠) الأمر باتباع الصراط المستقيم .
- (١١) النهي عن اتباع السبل .

(١) قوله : « قال ابن مسعود » وهو عبدالله بن مسعود بن غافل - بمعجمة وفاء - بن حبيب الهذلي ، أبو عبدالرحمن ، صحابي جليل ، من السابقين الأولين وأهل بدر وأخذ وبيعة الرضوان ، ومن كبار علماء الصحابة ، أمره عمر على الكوفة ، مات سنة اثنتين وثلاثين ﷺ .

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه ^(١) قال : كنتُ رديفَ النبي صلى الله عليه وآله وسلم على حمار ^(٢) ، فقال لي : «يا معاذ، أتدري ما حقُّ الله على العباد، وما حقُّ العباد على الله؟» ^(٣) .

قوله : «من أراد أن ينظر إلى وصية محمد صلى الله عليه وآله وسلم التي عليها خاتمُهُ» * يعني النبي صلى الله عليه وآله وسلم كتبها وختمها فلم يُغيّر ولم يُبدل « فليقرأ قوله تعالى : ﴿ قُلْ نَعَالُوا أَنلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي كُفَّم عَلَيْكُم ۖ ۖ إِلَى آخِرِ الْآيَاتِ الثَّلَاثِ .

وهذا الأثر رواه الترمذي وحسنه ، وابن المنذر وابن أبي حاتم بنحوه ، وليس المراد أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كتبها وختم عليها ، وإنما المراد أنه صلى الله عليه وآله وسلم لو أوصى لما أوصى إلا بما أوصى به ربه في كتابه ، كما قال صلى الله عليه وآله وسلم فيما رواه مسلم : « وإني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا : كتاب الله » ** .

وفيه : التنبية على وصية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عند موته . قاله المصنف رحمه الله .

(١) قوله : «وعن معاذ بن جبل» بن عمرو بن أوس الأنصاري الخزرجي ، أبو عبد الرحمن ، صحابي مشهور من أعيان الصحابة رضي الله عنه ، شهد بدرأ ، وما بعدها . قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : «معاذ أعلم أمي بالحلال والحرام» *** كان إليه المنتهى في العلم والأحكام والقرآن ، بعثه النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى اليمن معلماً ومفهماً ، وقد استخلفه النبي صلى الله عليه وآله وسلم على أهل مكة يوم الفتح يعلمهم دينهم . مات سنة ثمان عشرة بالشام .

(٢) قوله : «كنت رديف النبي صلى الله عليه وآله وسلم على حمار» في رواية : اسمه عفير أهده له المقوقس صاحب مصر ، قاله في «فتح المجيد» **** . وفيه : فضيلة معاذ إرداف النبي صلى الله عليه وآله وسلم له خلفه ، وجواز الإرداف على الدابة إذا كانت تطيق ذلك ، وتواضعه صلى الله عليه وآله وسلم لركوب الحمار مع الإرداف عليه . قاله المصنف رحمه الله .

(٣) قوله : « فقال لي : يا معاذ ، أتدري ما حق الله على العباد ، وما حق العباد على

* أخرجه الترمذي (٣٠٧٠) وقال : حسن غريب . والطبراني في «الكبير» (١٠٠٦٠) ، وفي «الأوسط» (١٢٠٨) . قال الألباني : ضعيف الإسناد .

** أخرجه مسلم (١٢١٨) ، وأحمد (٣٦٦/٤) ، والترمذي (٣٧٩٠) .

*** أخرجه الترمذي (٤٠٤٣) ، وابن ماجه (١٥٤) ، وابن حبان (٢٢١٨) و(٢٢١٩) باختلاف في بعض ألفاظه ، والحديث صححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (١٢٢٤) .

**** (١٠٧/١) .

فقلت : الله ورسوله أعلم^(١) . قال : «حقُّ الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً^(٢)» ، وحقُّ العباد على الله أن لا يعذبَ من لا يُشرك

الله؟» أخرج السؤال بصيغة الاستفهام ليكون أوقع في النفس وأبلغ في الفهم ، فإن الإنسان إذا سُئل عن مسألة لا علم له بها ثم أخبر عنها بعد الامتحان بالسؤال يكون أذعَى لفهمها وحفظها . و« الدراية » : المعرفة .

وفيه : جواز تخصيص بعض الناس بالعلم دون بعض . قاله المصنف رحمه الله تعالى .
(١) قوله : « فقلت : الله ورسوله أعلم » . وفيه : قول المسؤول عما لا يعلم : الله ورسوله أعلم . قاله المصنف رحمه الله . وهذا في حياة الرسول ﷺ ، وفيه : حُسن الأدب من المتعلم ، وأنه ينبغي لمن سُئل عما لا يعلم أن يقول ذلك ، بخلاف أكثر المتكلمين . قاله في « فتح المجيد »* .

(٢) قوله : « قال حق الله على العباد أن يعبدوه » أي : يُوحّدوه « ولا يُشركوا به شيئاً » وهذا هو الشاهد من الحديث للترجمة ، فنفي الشرك أكبره وأصغره شرطاً في صحة العبادة ، و« شيئاً » نكرة في سياق النهي تعم كل شيء مما يُعبد من دون الله ، وفي بعض الآثار الإلهية يقول الله تعالى : « إني والجن والإنس في نأٍ عظيم ، أخلقُ ويُعبدُ غيري ، وأرزقُ ويُشكر سواي ، خيري إلى العباد نازل ، وشرهم إليّ صاعد ، أتُحبب إليهم بالنعم ، وتبغضون إليّ بالمعاصي »** .

وفيه : معرفة حق الله علينا . قاله المصنف رحمه الله تعالى ، هذا الحق أشار [إليه]***
العلامة ابن القيم رحمه الله بقوله :

| | |
|---------------------------|----------------------------|
| حق الإله عبادة بالأمر لا | بهوى النفوس فذاك للشيطان |
| من غير إشراك به شيئاً هما | سبباً النجاة فحبذا السببان |
| لم ينج من غضب الإله وناره | إلا الذي قامت به الأصقان |
| والناس بعد فمشرك بإلاهه | أو ذو ابتداع أو له الوصفان |

* (١٠٨/١) .

** أخرجه البيهقي والحكيم الترمذي كما في الجامع الصغير، وضعفه العلامة الألباني في «السلسلة الضعيفة» رقم (٢٣٧١) .

*** إضافة يقتضيها السياق .

به شيئاً»^(١) . قلت : يا رسول الله ، أفلا أبشر الناس؟ قال : « لا تبشّروهم فيتكلوا»^(٢) .

(١) قوله : « وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً » اقتصر على نفي الشرك ؛ لأنه يستدعي التوحيد بالافتضاء وإثبات الرسالة باللزوم ، إذ من كذب رسول الله فقد كذب الله ، ومن كذب الله فهو مشرك كقول القائل من تَوْضُحاً صَحَّتْ صَلَاتُهُ ، أَي مَعَ سَائِرِ الشَّرُوطِ . قاله الحافظ ابن حجر . وهذا الحق هو الذي أحقه تعالى على نفسه كراماً منه وفضلاً ، ومعناه : أنه متحقق لا محالة ؛ لأنه قد وعدهم ذلك جزاء على توحيدِهِ ، وعد الله ، لا يخلف الله وعده ، وليس على الله حق واجب بالعقل كما تقول المعتزلة ولذا قيل :

مَا لِلْعِبَادِ عَلَيْهِ حَقٌّ وَاجِبٌ كَلًّا وَلَا سَعِيٍّ لَدَيْهِ ضَائِعٌ
إِنْ عَدَّبُوا فَبَعْدَ لَهُ ، أَوْ نُعْمُوا فَبِفَضْلِهِ وَهُوَ الْكَرِيمُ الْوَاسِعُ

قال شيخ الإسلام : « وهذا الحق هو استحقاق إنعام وفضل ليس هو استحقاق مقابلة كما يستحق المخلوق على المخلوق ، فمن الناس من يقول لا معنى للاستحقاق إلا أنه أخبر بذلك ووعد صدق ، ولكن أكثر الناس يبتون استحقاقاً زائداً على هذا كما دلّ عليه الكتاب والسنة ، قال تعالى : ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الروم : ٤٧] وكما في حديث معاذ هذا ، ولكن أهل السنة يقولون : هو الذي كتب على نفسه الرحمة وأوجب هذا الحق على نفسه ولم يُوجبه عليه مخلوق ، والمعتزلة يدعون أنه واجب عليه بالقياس على المخلوق ، وأن العباد هم الذين أطاعوه بدون أن يجعلهم له وأنهم مطيعين يستحقون الجزاء بدون أن يكون هو الموجب وغلطوا في ذلك » .

وفيه : معرفة حق العباد على الله إذا أدوا حقه . قاله المصنف .

(٢) قوله : « قلت : يا رسول الله ، أفلا أبشر الناس؟ قال : « لا تبشّروهم فيتكلوا » . وفي رواية : « إني أخاف أن يتكلوا » - أي يعتمدوا على ذلك - فيتركوا التنافس في الأعمال الصالحة . وفي رواية : « فأخبر بها معاذ عند موته خوفاً من الإثم » . قاله المصنف رحمه الله .

أخرجه في الصحيحين^(١) .



وفيه : أن هذه المسألة لا يعرفها أكثر الصحابة ، وعظم شأن هذه المسألة ، وجواز كتمان العلم للمصلحة ، واستحباب بشارة المسلم بما يسره .
وفيه : ما كان عليه الصحابة من الاستبشار بمثل هذا والخوف من الاتكال على سعة رحمة الله . قاله المصنف رحمه الله .

(١) قوله : « أخرجه »* أي : البخاري ، وهو محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الجعفي مولاهم ، الحافظ ، صاحب : الصحيح والتاريخ والأدب المفرد ، روى عن الإمام أحمد والحميدي وابن المديني وغيرهم ، وعنه مسلم والنسائي والترمذي والفريري راوي الصحيح ، ولد سنة أربع وتسعين ومائة ، ومات سنة ست وخمسين ومائتين .
ومسلم : هو ابن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري صاحب الصحيح والعلل والوحدان ، روى عن أحمد بن حنبل ويحيى بن معين وأبي خيثمة وابن أبي شيبة وطبقتهم وعن البخاري ، وعنه : الترمذي وإبراهيم بن محمد بن سفيان راوي الصحيح ، ولد سنة أربع ومائتين** ومات سنة إحدى وستين ومائتين بنيسابور .
رحمهما الله تعالى .

* أخرجه البخاري (٢٨٥٦) و(٦٢٦٧) و(٦٥٠٠) و(٧٣٧٣) ، ومسلم (٣٠) .

** وفي كثير من المصادر ولد سنة ٢٠٦هـ .

٢-باب

فضل التوحيد^(١) وما يكفر من الذنوب^(٢)

وقول الله تعالى : ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ الآية^(٣) [الأنعام : ٨٢] .

(١) قوله : « باب فضل التوحيد » إنما بُوتِ الكتبُ ليكون أنشط للطالب إذا ختم باباً وشرع في آخر ، وأبعث لهمة ، كالمراحل التي يطلبها المسافر ليرتاح عندها ، ولذا كان القرآن سوراً ؛ ولأنه أسهل في وجدان المسائل وأدعى لحسن الترتيب ، وسُميت الأبواب تراجم ؛ لأنها تترجم عما بعدها أي تبينه بوجه إجمالي ، ومنه الترجمان .

لما ذكر الشيخ رحمه الله التوحيد ناسب أن يذكر فضله ترغيباً فيه ، والمراد بالتوحيد توحيد العبادة . قاله في « قرّة العيون »* .

(٢) قوله : « وما يكفر من الذنوب » يحتمل أن تكون ما موصولة والعائد محذوف ، أي : وبيان الذي يكفره من الذنوب ، وأن تكون مصدرية ، أي : وتكفيره الذنوب ، وهذا أظهر ؛ لأن كونها موصولة يؤهم أن هناك ذنباً لا يكفرها التوحيد ، وهذا ليس بمراد .

(٣) قوله : وقول الله تعالى : ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْآمَنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ ومعنى آمنوا : وحدوا . وقوله : ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ أي : لم يخلطوا توحيدهم بشرك . ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْآمَنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ قال الحسن والكلبي : لهم الأمن في الآخرة ﴿وَهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ في الدنيا . وهذا هو الشاهد من الآية للترجمة .

وروى الإمام أحمد عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : لما نزلت ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ شق ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ فقالوا : يا رسول الله ، وأينا لا يظلم نفسه ؟ . قال النبي ﷺ : « إنه ليس الذي تعنون ، ألم تسمعوا ما قال

العبد الصالح ؟ ﴿ يَبْنَى لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ [لقمان: ١٣] ،
إنما هو الشرك* .

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى [الفتاوى ٧/ ٨٠-٨١] : « والذين شقَّ عليهم ظنوا أن الظلم المشروط هو ظلم العبد لنفسه ، وأنه لا أمن ولا اهتداء إلا لمن لم يظلم نفسه . فبين لهم النبي ﷺ ما دلهم على أن الشرك ظلم في كتاب الله ، فلا يحصل الأمن والاهتداء إلا لمن لم يلبس إيمانه بهذا الظلم . فمن سلم من أجناس الظلم الثلاثة يعني : الظلم الذي هو الشرك ، وظلم العباد ، وظلمه لنفسه بما دون الشرك ، كان له الأمن التام والاهتداء التام ، ومن لم يسلم من ظلم نفسه كان له الأمن والاهتداء مطلقاً ، ويحصل له من نقص الأمن والاهتداء بحسب ما نقص من إيمانه بظلمه لنفسه » . قال : « وليس مراد النبي ﷺ بقوله : «إنما هو الشرك» أن من لم يشرك الشرك الأكبر يكون له الأمن التام والاهتداء التام ، فإن أحاديثه الكثيرة مع نصوص القرآن تبين أن أهل الكبائر معرضون للخوف لم يحصل لهم الأمن التام والاهتداء التام ، فالأمن أمانان : أمن مطلق ، وأمن مقيد .

فالأول : هو الأمن من العذاب ، وهو لمن تاب على التوحيد ولم يصر على الكبائر .
الثاني : لمن مات على التوحيد مع الإصرار على الكبائر ، فله الأمن من الخلود في النار .
ففرق بين الأمن المطلق ومطلق الأمن .

وقوله : «إنما هو الشرك» إن أراد به الأكبر فمقصوده أن من لم يكن من أهله فهو آمن مما وعد به المشركون من عذاب الدنيا والآخرة وهو مهتد إلى ذلك ، وإن كان مراده جنس الشرك فيقال : ظلم العبد لنفسه كبخله لحب المال ببعض الواجب هو شرك أصغر ، وحب ما يبغض الله حتى يقدم هواه على محبة الله شرك أصغر ، ونحو ذلك ، فهذا فاته من الأمن والاهتداء بحسبه ، ولهذا كان السلف يدخلون الذنوب في هذا الظلم بهذا الاعتبار .

* أخرجه البخاري (٣٢، ٣٣٦، ٣٤٢٨) ، ومسلم (١٢٤، ١٩٧) ، وأحمد (٦٨/٦) ،
والترمذي (٣٠٦٩) .

عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه ^(١) قال: قال رسول الله ﷺ:
«من شهد أن لا إله إلا الله ^(٢)

وقال أيضاً [الفتاوى ١/٩٧-٩٨]: «وهذه آية عظيمة تنفع المؤمن الخفيف في مواضع، فإن الإشراك في هذه الأمة أخفى من ديب النمل، وكثير من المتفهمة وأجناد الملوك وأتباع القضاة والعامّة المتبعة لهؤلاء يشركون شرك الطاعة، فيجعل الواجب ما أوجبه متبوعه، والحرام ما حرّمه متبوعه، والحلال ما حلّله متبوعه، والدين ما شرعه إما ديناً وإما دنياً، وإما ديناً ودنيا، ثم يخوف من امتنع من هذا الشرك وهو لا يخاف أنه أشرك بالله شيئاً في طاعته بغير سلطان». انتهى.

وفيه: سعة فضل الله وكثرة ثواب التوحيد عند الله وتكفيره مع ذلك للذنوب، ومعرفة تفسير آية الأنعام. قاله المصنف - رحمه الله تعالى - .

(١) قوله: «عن عبادة بن الصامت» بن قيس الأنصاري الخزرجي أبو الوليد، أحد النقباء، بدري مشهور، مات سنة أربع وثلاثين وله اثنان وسبعون سنة رضي الله عنه. قال: قال رسول الله ﷺ: «من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وأن الجنة حق والنار حق، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل»*. أخرجاه. قال النووي: «هذا حديث عظيم جليل الموقع، وهو من أجمع الأحاديث المشتملة على العقائد، جمع فيه ما يخرج من ملل الكفر على اختلاف عقائدهم، وما يباين به جميعهم». انتهى.

(٢) قوله: «من شهد أن لا إله إلا الله» أي تكلم بهذه الكلمة العظيمة عارفاً لمعناها من أنه لا معبود بحق إلا الله عاملاً بمقتضاها باطناً وظاهراً كما دلّ عليه قوله: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [محمد: ١٩]، وقوله: ﴿إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الشورى: ٨٦] أما النطق بها من غير معرفة لمعناها ولا عمل بمقتضاها فإن ذلك غير نافع، يدل على هذا قوله: من شهد كيف يشهد وهو لا يعلم.

* أخرجه البخاري (٣٤٣٥)، ومسلم (٢٨).

قال القرطبي في « المفهم على صحيح مسلم » باب : لا يكفي التلطف بالشهادتين ؛ بل لابد من استيفاء القلب : « هذه الترجمة تنبيه على فساد مذهب غلاة المرجئة ، القائلين بأن التلطف بالشهادتين كافٍ في الإيمان . وأحاديث هذا الباب يعني التي ذكرها مسلم تدلّ على فساده بل هو مذهب معلوم الفساد من الشريعة لمن وقف عليها ، ولأنه يلزم منه تسويغ النفاق والحكم للمنافق بالإيمان الصحيح وهو باطل قطعاً » . انتهى .

وقال شيخ الإسلام [الفتاوى ١٠/٢٤٩] : « الإله هو المعبود المطاع ، فإن الإله هو المألوه ، والمألوه هو الذي يستحق أن يُعبد ، وكونه يستحق أن يُعبد هو بما اتصف به من الصفات التي تستلزم أن يكون هو المحبوب غاية الحب المخضوع له غاية الخضوع . قال : فإن الإله هو المحبوب المعبود الذي تأله القلوب بحبها وتخضع له وتذل له وتخافه وترجوه وتنب إليه في شدائدها وتدعوه في مهماتها وتتوكل عليه في مصالحها وتلجأ إليه وتطمئن بذكره وتسكن إلى حبه وليس ذلك إلا لله وحده ، ولهذا كانت : لا إله إلا الله أصدق الكلام ، وكان أهلها أهل الله وحزبه ، والمنكرون لها أعداءه وأهل غضبه ونقمته ، فإذا صحّت صحّ بها كل مسألة وحال وذوق ، وإذا لم يصححها العبد فالفساد لازم له في علومه وأعماله » . انتهى .

وقال الزمخشري : « الإله من أسماء الأجناس كالرجل والفرس يقع على كل معبود بحق أو باطل ثم غلب على المعبود بحق » .

وقال ابن القيم في «بدائع الفوائد» [٣/٥٨] ردّاً لقول من قال : إن المستثنى مخرج من المستثنى منه ، قال : «بل هو مخرج من المستثنى منه وحكمه ، فلا يكون داخلاً في المستثنى؛ إذ لو كان كذلك لم يدخل الرجل في الإسلام بقوله : لا إله إلا الله ؛ لأنه لم يثبت الإلهية لله تعالى . وهذه أعظم كلمة تضمنت بالوضع نفي الإلهية عما سوى الله ، وإثباتها له بوصف الاختصاص ، فدلاليتها على إثبات الإلهية أعظم من دلالة قولنا : الله إله ، ولا يستريب أحدٌ في هذا البتة » انتهى بمعناه .

وأما من زعم أن الإله القادر على الاختراع ، أو الغني عما سواه ، الفقير إليه

وحده^(١) لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله^(٢)، وأن عيسى عبد^(٣) الله

كل ما عداه ونحو ذلك ، فهذا من لوازم الإلهية وليس هو المراد بمعنى لا إله إلا الله ؛ لأن معناها لا معبود بحق إلا الله ، فما أجهل عباد القبور وما أعظم ما وقعوا فيه من الشرك المنافي لكلمة الإخلاص : لا إله إلا الله ، فإن مشركي العرب جحدوا لا إله إلا الله لفظاً ومعنى ، وهؤلاء المشركون أقروا بها لفظاً وجحدوها معنى .

(١) وقوله : « وحده » تأكيد للإثبات ، « لا شريك له » تأكيد للنفي .

(٢) وقوله : « وأن محمداً عبده ورسوله » أي : وشهد أن محمداً عبده ورسوله وهو معطوف على ما قبله على نية تكرار العامل ، والعبد هنا المملوك العابد أي مملوك الله تعالى وليس له من الربوبية والإلهية شيء . فقوله : « عبده ورسوله » أعلى مراتب العبد العبودية الخاصة والرسالة ، والنبي ﷺ أكمل الخلق في هاتين الصفتين الشريفتين وجمعهما في حقه ﷺ دفعا للإفراط والتفريط ، فإن كثيراً ممن يدعي أنه من أمته أفرط بالغلو فيه قولاً وفعلاً وفرط بترك متابعته واعتمد على الآراء المخالفة لما جاء به وتعسف في تأويل أخباره بصرفها عن مدلولها والصدف عن الانقياد لها مع انطراحها .

وشهادة أن محمد رسول الله تقتضي طاعته فيما أمر ، وتصديقه فيما أخبر ، واجتناب ما نهى عنه وزجر ، وأن لا يُعبد الله إلا بما شرع ، وأن يُعظم أمره ونهيه ، ولا يُقدّم عليه قول أحدٍ كائناً من كان .

(٣) قوله : « وأن عيسى عبد الله ورسوله » وفي رواية : « وابن أمته » ، فقوله عبد الله ردُّ على النصارى القائلين بأنه الله ، أو ابن الله ، أو ثالث ثلاثة ، تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً : ﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَدَّهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ﴾ ﴿١٥٠﴾ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَلَّى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٥١﴾ ﴿ [المؤمنون : ٩١-٩٢] .

ورسوله^(١)، وكلمته^(٢) ألقاها إلى مريم^(٣) وروح منه^(٤)،

(١) وقوله : « ورسوله » ردُّ على اليهود القائلين بأنه ولد بغوي - لعنهم الله - .
قال القرطبي : « يستفاد من هذا الحديث ما يلقيه النصراني إذا أسلم » .
(٢) قوله : « وكلمته » قال الإمام أحمد رحمه الله : « إنما سُمِّيَ عيسى عليه السلام كلمة الله لصدوره بكلمة «كن» بلا أب، وكان عيسى بـ «كن»، وليس عيسى هو «كن» ، ولكن بـ «كن» كان ، فـ «كن» من الله قولٌ وليس «كن» مخلوقاً ، وكذب النصارى والجهمية على الله في أمر عيسى ، وذلك أن الجهمية قالت : عيسى روح الله وكلمته إلا أن الكلمة مخلوقة ، وقالت النصارى : عيسى روح الله من ذات الله ، وكلمة الله من ذاته .

(٣) وقوله : « ألقاها إلى مريم » أي أرسل بها جبريل عليه السلام إليها فنفخ فيها من روحه بإذن الله ، فجبريل نفخ ، والله خلق بقول : «كن» فكان ، فسبحان من لا يخلق غيره ولا يُعبد سواه .

(٤) قوله : « وروح منه » يقول من أمره كان الروح فيه ، وقال أبي بن كعب : عيسى روح من الأرواح التي خلقها الله واستنطقها بقوله : ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ ﴾ [الأعراف: ١٧٢] قال الحافظ ابن حجر [الفتح ٦/ ٤٧٥] : « ووصفه بأنه منه ، فالمعنى : أنه كائن منه ، كما في قوله : ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ﴾ [الجاثية: ١٣] ، كما أن معنى الآية الأخرى أنه سخر هذه الأشياء كائنةً منه أي أنه مكون ذلك وموجده، بقدرته وحكمته » .

قال شيخ الإسلام [الفتاوى ٦/ ١٤٥، ٩/ ٢٩٠] : « المضاف إلى الله تعالى إذا كان معنى لا يقوم بنفسه ، ولا بغيره من المخلوقات وجب أن يكون صفة لله تعالى قائمة به ، وامتنع أن تكون إضافتها إضافة مخلوق مربوب، وإذا كان المضاف عيناً قائمة بنفسها كعيسى وجبريل عليهما السلام وأرواح بني آدم امتنع أن تكون صفةً لله تعالى؛ لأن ما قام بنفسه لا يكون صفة لغيره، لكن الأعيان المضافة إلى الله تعالى على وجهين :

وَأَنَّ الْجَنَّةَ حَقٌّ وَالنَّارَ حَقٌّ^(١) ، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل^(٢) .

أحدهما : أن تُضاف إليه لكونه خلقها وأبدعها ، فهذا شاملٌ لجميع المخلوقات ، كقولهم : سماء الله ، وأرض الله ، فجميع المخلوقين عبيدٌ لله ، وجميع المال مالُ الله .
الوجه الثاني : أن تُضاف إليه لما خصّها به من معنىٍ يحبه ويأمر به ويرضاه ، كما خصّ البيت العتيق بعبادةٍ فيه لا تكون في غيره ، وكما يقال في مال الخمس والفيء مالُ الله ورسوله ، ومن هذا الوجه فعباد الله هم الذين عبدوه وأطاعوا أمره ، فهذه إضافةٌ تتضمن ألوهيته وشرعه ودينه ، وتلك إضافةٌ تتضمن ربوبيته وخلقه . انتهى ملخصاً .

وفيه : الإيمان بالمعاد .

(١) وقوله : « وَأَنَّ الْجَنَّةَ حَقٌّ وَالنَّارَ حَقٌّ » أي : وشهد أن الجنة حق لا شك فيها ، وأنها موجودة الآن ؛ لأن الله أخبر في كتابه بأنه أعدّها لمن آمن به ورسوله ، قال تعالى : ﴿ سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ [الحديد : ٢١] ، وشهد أن النار حق وأنها موجودة الآن أعدّها للكافرين كما قال تعالى : ﴿ وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ [آل عمران : ١٣١] ، ولحديث حاجة الجنة والنار وغير ذلك من النصوص الدالة على وجودهما .

(٢) قوله : « أدخله الله الجنة على ما كان من العمل » هذه الجملة جواب الشرط في قوله : « من شهد أن لا إله إلا الله » الخ ، وفي رواية : « أدخله الله من أي أبواب الجنة الثمانية شاء » .

قال الحافظ ابن حجر [الفتح ٦/ ٤٧٥] : « معنى قوله « على ما كان من العمل » من صلاح أو فساد ؛ لأن أهل التوحيد لا بد لهم من دخول الجنة ، ويحتمل أن يكون معنى قوله « على ما كان من العمل » أن يدخل الجنة أهل الجنة على حسب أعمالهم في الدرجات » .

أخرجه^(١) .

ولهما في حديث عتبان^(٢) : « فَإِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَيْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ »^(٣) .

قال المصنف : « تأمل الخمس اللواتي في حديث عبادة ، وإذا جمعت بينه وبين حديث عتبان تبين لك معنى قول : لا إله إلا الله ، وتبين لك خطأ المغرورين ، وتأمل الجمع بين كون عيسى ومحمد عبدي الله ورسوله ، ومعرفة اختصاص عيسى بكونه كلمة الله، ومعرفة كونه روحاً منه، ومعرفة فضل الإيمان بالجنة والنار، ومعرفة قوله على ما كان من العمل » .

(١) قوله : « أخرجه » أي البخاري ومسلم .

(٢) قوله : « ولهما » أي البخاري ومسلم، « في حديث عتبان » - بكسر العين بعدها مثناة فوقية ثم موحدة - ابن مالك بن عمرو بن العجلان الأنصاري، من بني سالم بن عوف ، صحابي مشهور ، مات في خلافة معاوية ؓ .

(٣) قوله : « فَإِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَيْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ »* وهذا طرف من حديث طويل أخرجه البخاري ومسلم ، ورواه أيضاً أحمد والنسائي وابن ماجه والبيهقي في « الأسماء والصفات » ، اختصره المصنف وذكر منه ما يناسب الترجمة .

وفيه : التنبيه للشرط الذي في حديث عتبان ومعرفة ذكر الوجه . قاله المصنف رحمه الله .

واعلم أنه قد وردت أحاديث ظاهرها أن من أتى بالشهادتين حرمه الله على النار كحديث عتبان هذا ، وحديث أنس قال كان النبي ﷺ ومعاذ رديفه على الرُّحْلِ فقال : « يا معاذ » قال : لبيك وسعديك . قال : « يا معاذ » قال : لبيك وسعديك . قال : « يا معاذ » قال : لبيك وسعديك ، ثلاثاً . قال : « ما من عبد يشهد أن لا إله

* أخرجه البخاري (٤٢٥) و(١١٨٦)، ٥٤٠١، ٦٤٢٣، ٦٩٣٨، ومسلم (٢٦٣) .

إلا الله وأن محمداً رسول الله صدقاً من قلبه إلا حرمه الله على النار » الحديث أخرجه ، ومسلم عن عبادة مرفوعاً : « من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله حرمه الله على النار »* .

ووردت أحاديث فيها أن من أتى بالشهادتين دخل الجنة ، وليس فيها أنه يحرم على النار ؛ منها حديث عبادة الذي تقدم قبل هذا ، وحديث أبي هريرة أنهم كانوا مع النبي ﷺ في غزوة تبوك ، وفيه : فقال رسول الله ﷺ : « أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ، لا يلقى الله عبداً بهما غير شاك فيهما فيحجب عن الجنة » الحديث رواه مسلم** . وحديث أبي ذر في الصحيحين مرفوعاً : « ما من عبد قال لا إله إلا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة »*** الحديث .

وأحسن ما قيل في ذلك ما قاله شيخ الإسلام وغيره أن هذه الأحاديث إنما هي فيمن قالها ومات عليها كما جاءت مقيدة بقوله ، وقالها خالصاً من قلبه مستيقناً بها قلبه غير شاك فيها بصدق ويقين فإن حقيقة التوحيد المجذاب الروح إلى الله تعالى جملة ، فمن شهد أن لا إله إلا الله خالصاً من قلبه دخل الجنة ؛ لأن الإخلاص هو المجذاب القلب إلى الله تعالى بأن يتوب من الذنوب توبة نصوحاً ، فإذا مات على تلك الحال قال ذلك ، فإنه قد تواتر الأحاديث بأنه يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة ، وما يزن خردلة ، وما يزن ذرة ، وتواترت بأن كثيراً ممن يقول لا إله إلا الله يدخل النار ثم يخرج منها ، وتواترت بأن الله حرم على النار أن تأكل أثر السجود من ابن آدم ؛ فهؤلاء كانوا يصلون ويسجدون لله ، وتواترت بأن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله ومن شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله لكن جاءت مقيدة بالقيود الثقيل

* أخرجه البخاري (٣٤٣٥) ، ومسلم (٢٨) .

** برقم (٢٧) .

*** أخرجه البخاري (٥٨٢٧) ، ومسلم (١٥٤) .

وأكثر من يقولها لا يعرف الإخلاص ، وأكثر من يقولها إنما يقولها تقليداً أو عادة ولم تحالط حلاوة الإيمان بشاشة قلبه، وغالب من يفتن عند الموت وفي القبور أمثال هؤلاء كما في الحديث : « سمعت الناس يقولون بشيء فقلته »* ، وغالب أعمال هؤلاء إنما تقليد واقتداء بأمثالهم وهم من أقرب الناس من قوله تعالى : ﴿ إِنَّا وَجَدْنَا ءَابَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ ءَأَثَرِهِم مَّقْتَدُونَ ﴾ [الزخرف: ٢٣] .

وحينئذٍ فلا منافاة بين الأحاديث ؛ لأنه إذا قالها بإخلاص ويقين تام لم يكن في هذه الحال مصراً على ذنب أصلاً ، فإن كمال إخلاصه ويقينه يوجب أن يكون الله أحب إليه من كل شيء ، فإذا لا يبقى في قلبه إرادة لما حرم الله ولا كراهة لما أمر الله وهذا هو الذي يحرم على النار .

وإن كانت له ذنوب قبل ذلك فإن هذا الإيمان والإخلاص والتوبة والمحبة واليقين لا يترك له ذنباً إلا مُحَيٍّ كما يمحو الليل النهار ، فإذا قالها على وجه الكمال المانع من الشرك الأكبر والأصغر فهذا غير مصراً على ذنب أصلاً فيغفر له ويحرم على النار، وإن قالها على وجه خلص به من الشرك الأكبر دون الأصغر ولم يأت بعدها بما ينقاص ذلك فهذه الحسنة لا يقاومها شيء من السيئات فيرجح بها ميزان حسناته كما في حديث البطاقة، فيحرم على النار أيضاً لكن تنقص درجته في الجنة بقدر ذنوبه ، وهذا بخلاف من رجحت سيئاته بحسناته ومات مصراً على ذلك فإنه يستوجب النار .

وإن قال : « لا إله إلا الله » وخلص بها من الشرك الأكبر لكنه لم يمت على ذلك بل أتى بعد ذلك بسيئات رجحت على حسنة توحيديه فأوهنت ذلك التوحيد والإخلاص فأضعفته ، وقويت نار الذنوب حتى أحرقت ذلك ، بخلاف المخلص المستيقن ؛ فإن حسناته لا تكون إلا راجحة على سيئاته ، ولا يكون مصراً على

* جزء من حديث أخرجه الإمام أحمد (١٣/٤٢) قال محقق طبعة الرسالة : إسناده صحيح على شرط الشيخين .

« قال موسى : يا رب ، علمني شيئاً أذكرك وأدعوك به . قال : قل :
وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ^(١) عن رسول الله ﷺ قال :

سيئاته ، فإن مات على تلك دخل الجنة ، فمن قال لا إله إلا الله ولم يقم بموجبها بل اكتسب مع ذلك ذنوباً وسيئات وكان صادقاً في قولها موقناً بها لكن ذنوبه أضعفت صدقه وبقينه وانضاف إلى ذلك الشرك الأصغر العملي رجحت هذه الأشياء على هذه الحسنة ويات مصراً على الذنوب .

والذين يدخلون النار ممن يقولها فإنهم أحد هذين الشرطين : إما إنهم لم يقولوها بالصدق واليقين التامين المنافيين للسيئات أو لرجحان السيئات ، أو قالوها واكتسبوا بعد ذلك سيئات رجحت على حسناتهم .

(١) وقوله : « وعن أبي سعيد » سعد بن مالك بن سنان الأنصاري الخزرجي ، صحابي جليل ، وأبوه كذلك ، استصغر بأحد وشهد ما بعدها ، مات بالمدينة سنة ثلاث أو أربع أو خمس وستين ، وقيل سنة أربع وسبعين رضي الله عنه .

« عن رسول الله ﷺ قال : « قال موسى : يا رب علمني شيئاً أذكرك » * أي اثني عليك وأحمدك به ، « وأدعوك » أي أتوسل « به » إليك إذا دعوتك » قال : قل يا موسى : لا إله إلا الله » فدلّ على أن هذه الكلمة العظيمة مشتملة على الذكر والدعاء ، وأن الذاكر يقولها كلها ، ولا يقتصر على ما تضمنته من الإثبات دون النفي ، ولا على لفظ الجلالة كما يفعله جهال المتصوفة ، ولا على الضمير كما يفعله غلاتهم في قولهم : « هو هو » فإن ذلك بدعة وضلالة بل لا بد في الذكر بها من الإتيان بما اشتملت عليه من النفي والإثبات فلا يكون النفي وحده ذكراً ولا توحيداً ، وكذلك الإثبات وحده لا يكون ذكراً ولا توحيداً حتى يجمع في قولها بني النفي والإثبات من متكلم واحد ، فلو قال بعضهم : « لا إله » ، وقال الآخر : « إلا الله » لم يكن ذلك ذكراً ولا توحيداً .

* أخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة (٨٣٤ ، ١١٤١) ، وابن حبان (٢٣٢٤) ، والحاكم (٥٢٨/١) وصححه ، وقال ابن حجر : أخرجه النسائي بسند صحيح . انظر : الفتح (٢١٠/١) .

يا موسى : لا إله إلا الله. قال : كلُّ عبادك يقولون هذا^(١) . قال :
يا موسى ، لو أن السموات السبع وعامرهن^(٢) - غيري -

(١) قوله : « قال : كل عبادك يقولون هذا » بالجمع مراعاة لمعنى « كل » ، والذي في الأصول : « يقول » بالإفراد مراعاة لفظها دون معناها ، لكن قد روى الإمام أحمد* عن عبدالله بن عمرو هذا الحديث بهذا اللفظ الذي ذكره المصنف أطول منه . قاله في « الشرح »** ، وفي رواية النسائي والحاكم : « إنما أريد شيئاً تخصني به » .

(٢) قوله : « قال يا موسى ، لو أن السموات السبع وعامرهن » بالنصب عطفاً على السموات أي من فيهن من العمار يعني السكان « غيري » أي غير الله تبارك وتعالى « والأرضين السبع » ومن فيهن من السكان « وُضِعُوا فِي كِفَّةٍ » بكسر الكاف وتشديد الفاء يعني من كفتي الميزان « ولا إله إلا الله في الكفة الأخرى مالت بهن لا إله إلا الله » أي رجحت عليهم ، لما اشتملت عليه من التوحيد الذي هو أفضل الأعمال وأساس الملة ورأس الأمر ، وهذا هو الشاهد من الحديث للترجمة .

وروى الإمام أحمد عن عبدالله بن عمرو عن النبي ﷺ : « أن نوحاً عليه السلام قال لابنه عند موته : أمرك بلا إله إلا الله ، فإن السموات السبع والأرضين السبع لو وُضِعَتْ فِي كِفَّةٍ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فِي كِفَّةٍ رَجَحَتْ بِهِنَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَلَوْ أَنَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعَ وَالْأَرْضِينَ السَّبْعَ كُنَّ حَلْقَةً مَبْهَمَةً فَضَمْتَهُنَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، *** » .

فمن قالها بإخلاص ويقين وعمل بمقتضاها واستقام على ذلك فهو من الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون .

ودل الحديث على أن « لا إله إلا الله » أفضل الذكر ، كحديث عبدالله بن عمر مرفوعاً : « خير الدعاء دعاء يوم عرفة ، وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلي لا إله

* برقم (٦٥٨٠) .

** (ص ٦٨) .

*** أخرجه أحمد (١٦٩/٢-١٧٠، ٢٢٥)، والبخاري في الأدب المفرد (٥٤٨)، والحاكم (١/٤٨-٤٩) .

(٤٩) . وصححه الألباني في الصحيحة (٥٤٣) .

والأرضين السبع في كِفَّةٍ ، ولا إله إلا الله في كِفَّةٍ ، مالت بهن لا إله إلا الله .

إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير * . رواه أحمد والترمذي .

وعنه أيضاً : « يُصاح برجل من أمي على رؤوس الخلائق يوم القيامة ، فيُنشر له تسعة وتسعين سجلاً ، كل سجل منها مد البصر ، ثم يُقال له : أتتكر من هذا شيئاً؟ أظلمك كتيبتي الحافظون ؟ فيقول : لا يا رب ، فيقال : أفلكَ عذرٌ أو حسنة؟ فيهاب الرجل فيقول : لا . فيقال : بلى ، إن ذلك عندنا حسنة ، وإنه لا ظلم عليك اليوم ، فيخرج له بطاقة فيها : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله . فيقول : يا رب ، ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فيقال : إنك لا تظلم ، فتوضع السجلات في كِفَّةٍ والبطاقة في كِفَّةٍ ، فطاشت السجلات ، وثقلت البطاقة * . رواه الترمذي وحسنه ، والنسائي وابن حبان والحاكم وقال : صحيح على شرط مسلم ، وقال الذهبي في تلخيصه : صحيح .

قال ابن القيم رحمه الله [مدارج السالكين ١/ ٣٣١] : « فالأعمال لا تتفاضل بصورها وعددها ، وإنما تتفاضل بتفاضل ما في القلوب ، فتكون صورة العملين واحدة ، وبينهما من التفاضل كما بين السماء والأرض ، ومعلوم أن كل واحد له هذه البطاقة ، وكثيرٌ منهم يدخل النار بذنوبه » .

وفيه : كون الأنبياء يحتاجون إلى التنبيه على فضل « لا إله إلا الله » ، والتنبيه لرجحانها بجميع المخلوقات مع أن كثيراً ممن يقولها يخف ميزانه ، والنص على أن الأرضين سبع كالسموات ، وأنَّ لهنَّ عُمَراً . وفيه : إثبات الصفات خلافاً للمعطلة ، ومعرفة أن الميزان له كفتان . قاله المصنف رحمه الله تعالى .

* أخرجه الترمذي (٣٥٧٩) ، وأحمد (٢/ ٢١٠) ، ومالك في الموطأ (١/ ٢١٤ ، ٢١٥ ، ٤٢٢ ، ٤٢٣) .
وصححه الألباني في الصحيحة (١٥٠٣) .

** أخرجه الترمذي (٢٦٤١) ، والحاكم (١/ ٥ ، ٦) ، وابن ماجه (٤٣٠٠) ، وأحمد (٢/ ٢١٣ ، ٢٢١) ،
وصححه الألباني في الصحيحة رقم (١٣٥) .

رواه ابن حبان والحاكم وصححه^(١) .

وللترمذي^(٢) - وحسنه^(٣) - عن أنس^(٤) : سمعت رسول الله ﷺ يقول :
« قال الله تعالى : يا ابن آدم ، لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ، ثم لقيتني لا تشرك
بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة »^(٥) .

(١) قوله : « رواه ابن حبان » وهو محمد بن حبان - بكسر المهملة وتشديد الموحدة -
أبو حاتم التميمي البستي، الحافظ، صاحب التصانيف: كالصحيح، والتاريخ
والضعفاء والثقات .

قال الحاكم : كان من أوعية العلم ، مات سنة أربع وخمسين وثلاثمائة بمدينة
«بُست» بضم الموحدة وسكون المهملة .

و« الحاكم » هو محمد بن عبدالله النيسابوري ، أبو عبدالله ، الحافظ ، ويُعرف بابن
البيع ، ولد سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة ، وصنف : المستدرک وتاريخ نيسابور
وغيرهما ، ومات سنة خمس وأربعمائة ، رحمه الله تعالى .

(٢) قوله : « وللترمذي » وهو محمد بن عيسى بن سورة - بفتح السين - ، السلمي،
أبو عيسى، صاحب الجامع وأحد الأئمة الحفاظ ، كان ضرير البصر، روى عن قتيبة
وهناد والبخاري وخلق ، مات سنة تسع وسبعين ومائتين .

(٣) قوله : « وحسنه » أي قال إنه حسن ، والحسن عند الترمذي ما تعددت طرقه
وليس فيها متهم ولا خالفه أحد من الثقات . قاله شيخ الإسلام رحمه الله .

(٤) قوله : « عن أنس بن مالك » بن النضر الأنصاري الخزرجي ، خادم رسول الله
ﷺ ، خدمه عشر سنين ودعا له النبي ﷺ فقال : « اللهم أكثر ماله وولده وأدخله
الجنة »* ، مات سنة اثنتين ، وقيل ثلاث وتسعين ، وقد جاوز المائة ﷺ ، ولم يمض
حتى رأى من ولده وولد ولده زيادة عن المائة .

(٥) قوله : « قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : قال الله تعالى : يا ابن آدم إنك لو أتيتني

* أخرجه البخاري (٤٢٤، ٤٢٥)، ومسلم (٣٣) و (٦٥٧) .

بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة» وهذا الذي ذكره المصنف قطعة من حديث رواه الترمذي عن أنس قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « قال الله تعالى : يا ابن آدم ، إنك ما دعوتني ورجوتني غفرتُ لك على ما كان منك ولا أبالي ، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرتُ لك ، يا ابن آدم لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة»^٥ ، وهذا هو الشاهد من الحديث للترجمة .

وقرأب الأرض - بضم القاف ، وقيل بكسرهما والضم أشهر - : ملؤها أو ما يقارب ملؤها .

وقوله : « ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً » شرط ثقيل في الوعد بحصول المغفرة وهو السلامة من الشرك ، كثيره وقليله ، صغيره وكبيره ، ولا يسلم من ذلك إلا من سلمه الله تعالى .

قال شيخ الإسلام : «الشرك نوعان : أكبر وأصغر ، فمن خلص منهما وجبت له الجنة ، ومن مات على الأكبر وجبت له النار ، ومن خلص من الأكبر وحصل له بعض الأصغر مع حسنات راجحة على ذنوبه دخل الجنة ، فإن تلك الحسنات توحيد كثير مع يسير من الشرك الأصغر ، ومن خلص من الأكبر ولكن كثر الأصغر حتى رجحت به سيئاته دخل النار ، فالشرك يؤاخذ به العبد إذا كان أكبر أو كان كثيراً أصغر ، والأصغر القليل في جانب الإخلاص الكثير لا يؤخذ به» . انتهى .

فإذا عرفت حديث أنس ؛ عرفت أن قوله في حديث عتبان : « فإن الله حرم على النار من قال : لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله »^(٥) أن ترك الشرك ليس قولها باللسان . قاله المصنف رحمه الله .

وفيه : سعة كرم الله وجوده حيث لو أتاه العبد بمل الأرض خطايا وقد مات على التوحيد أنه يقابله بالمغفرة لذنوبه .



وفيه : الردّ على الخوارج الذين يكفرون المسلم بالذنوب ، وعلى المعتزلة الذين يقولون : بالمتزلة بين المنزلتين ، وهي : أنه ليس بمؤمن ولا كافر ويُخلد في النار ؛ فيوافقون الخوارج في التخليد في النار ويخالفونهم في الاسم .
والصواب ما عليه أهل السنة أن لا يسلب عنه اسم الإيمان على الإطلاق ولا يُعطاه على الإطلاق بل يُقال هو مؤمن ناقص الإيمان ، أو مؤمن عاص ، أو مؤمنٌ بإيمانه ، فاسقٌ بكبيرته ، وعلى هذا يدل الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة .

٢-باب

من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب^(١)

(١) قوله : « باب من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب » أي ولا عذاب؛ لأن العذاب نتيجة الحساب ، فإذا لم يُحاسب لا يُعذب .

وتحقيق التوحيد تخليصه وتصفيته من شوائب الشرك والبدع والمعاصي ، فلا يعمل شركاً يجبطه ، ولا بدعة تقدر فيه ، ولا معصية تنقصه ، وتحقيق التوحيد عزيز في الأمة لا يُوجد إلا في أهل الإيمان الخالص الذين أخلصهم الله واصطفاهم من خلقه . وما أحسن ما قال العلامة ابن القيم رحمه الله [الكافية الشافية (٢٥٦)] :

| | |
|------------------------------|---------------------------|
| و حقيقة الإخلاص توحيد المراد | د فلا يزاحمه مراد ثان |
| لكن مراد العبد يبقى واحداً | ما فيه تفريق لدى الإنسان |
| إن كان ربك واحداً سبحانه | فاخصصه بالتوحيد مع إحسان |
| أو كان ربك واحداً أنشاك لم | يشركه إذ أنشاك رب ثان |
| فكذلك أيضاً وحده فاعبده لا | تعبد سواه يا أخا العرفان |
| والصدق توحيد الإرادة وهو بذل | الجهد لا كسلاً ولا متوان |
| والسنة المثلى لسالكها فتو | حيد الطريق الأعظم السلطان |
| فلواحد كن واحداً في واحد | أعني سبيل الحق والإيمان |
| هذي ثلاث مسعدات للذي | قد نالها والفضل للمنان |

ومعنى قوله : « فلواحد » أراد توحيد المراد بالإخلاص ، « كن واحداً » والمراد توحيد الإرادة بالصدق ، « في واحد » وهو توحيد الطريق باتباع الحق . وقوله : « هذي ثلاث مسعدات » يعني أن هذه الثلاث هي أسباب السعادة لمن نالها ، والفضل للمنان جل وعلا الذي يَمُنُّ على من يشاء من عباده .

قال شيخ الإسلام [الفتاوى ١/ ٣١٠-٣١١] : « دين الإسلام مبني على أصلين وهما : تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، أن لا تجعل مع الله إلهاً آخر ، فلا تحب مخلوقاً كما تحب الله ، ولا ترجوه كما ترجو الله ، ولا تخشاه كما تخشى

وقول الله تعالى : ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (١) [النحل: ١٢٠].

الله، فمن سوى بين المخلوق والمخالق في شيء من ذلك فقد عدل بالله ، وهو من الذين هم بريهم يعدلون .

والأصل الثاني : أن يعبد به ما شرع على السنة رُسِيْلِهِ ، لا تعبد به إلا بواجب أو مستحب ، والمباح إذا قصد به الطاعة دخل في ذلك .

(١) قوله : « وقول الله تعالى : ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ » أثنى تعالى على خليله إبراهيم عليه السلام بهذه الصفات التي هي الغاية في تحقيق التوحيد :

الأولى : أنه كان « أمة » أي قدوة وإماماً يقتدى به ومعلماً للخير .

روي معناه عن ابن مسعود ، وقال مجاهد : كان إبراهيم أمة أي مؤمناً وحده والناس كلهم كفار إذ ذاك .

الثانية : أنه كان « قانتاً لله » أي خاشعاً مطيعاً لربه دائماً على طاعته وعبادته . قال شيخ الإسلام : « القنوت في اللغة دوم الطاعة ، والمصلّي إذا أطال قيامه وركوعه وسجوده فهو قانت قال تعالى : ﴿ آمَنَ هُوَ قَانِتٌ ءَانَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ﴾ [الزمر: ٩] .

الثالثة : كونه « حنيفاً » أي مائلاً منحرفاً عن الشرك قاصداً إلى التوحيد .

قال ابن القيم رحمه الله [مفتاح دار السعادة ١/ ١٧٤] : « الحنيف المقبل على الله المعرض عما سواه » . قال تعالى : ﴿ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [الأنعام: ٧٩] .

وقال المصنف على قوله : « ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً ﴾ » لثلاث استوحش سالك الطريق من قلة السالكين ، ﴿ قَانِتًا لِلَّهِ ﴾ لا للملوك ولا للتجار المترفين ﴿ حَنِيفًا ﴾ لا يميل يمينا ولا شمالاً كفعل العلماء المفتونين ﴿ وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ خلافاً لمن كثر سوادهم وزعم أنه من المسلمين . انتهى .

وقال : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴾ ^(١) [المؤمنون: ٥٩].

قال في «قرة العيون»* : « فقد فارق المشركين بالقلب واللسان والأركان ، وأنكر ما كانوا عليه من الشرك بالله في عبادته ، وكسر الأصنام ، وصبر على ما أصابه في ذات الله وهذا هو تحقيق التوحيد » . انتهى .

قال في «الشرح»** : « ومناسبة الآية للترجمة أن الله تعالى وصف إبراهيم عليه السلام بهذه الصفات الجليلة ترغيباً في اتباعه في التوحيد وتحقيق العبودية باتباع الأوامر واجتناب النواهي » .

(١) وقوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴾ هذا من جملة صفات المؤمنين

المذكورين في قوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ﴾ [المؤمنون: ٥٧] أي مع إحسانهم وعملهم مصالح مشفقون من الله وجيلون خائفون من مكره بهم كما قال الحسن البصري : المؤمن من جمع إحساناً وشفقاً، والمنافق من جمع إساءة وأمنأ، ثم قال : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴾ [المؤمنون: ٥٧] أي يؤمنون بآيات الكونية والشرعية .

قال شيخ الإسلام [الفتاوى ١١/٣٢٢] : « فالآيات الكونية : هي التي استعاذ بها النبي ﷺ في قوله : «أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر»*** والكون كله داخل تحت هذه الكلمات .

والكلمات الشرعية : هي القرآن وشرع الله الذي بعث به رسوله وهي أمره ونهيه» ، ثم قال : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴾ أي لا يعبدون مع الله غيره ، فأثنى عليهم بتلك الصفات التي أعظمها سلامتهم من الشرك أكبره وأصغره . قاله المصنف رحمه الله تعالى . وهذا هو الشاهد من الآية للترجمة .

* (ص/٣٦) .

** (ص/٧٤) .

*** أخرجه أبو داود (٣٨٩٣) بنحوه ، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣٢٩٤) .

عن حصين بن عبدالرحمن^(١) قال : كنت عند سعيد بن جبير^(٢) فقال : أيكم رأى الكوكب الذي انقضَّ البارحة؟ فقلت : أنا. ثم قلت : أما إنني لم أكن في صلاة ولكني لدغت^(٣). قال : فما صنعت؟ قلت : ارتقيت. قال : فما حملك على ذلك؟ قلت : حديث حدثناه الشعبي. قال : وما حدثكم؟ قلت : حدثنا عن بُريدة بن الحصيب^(٤) أنه قال : لا رُقية إلا من عين أو حُمة . قال : قد أحسن من انتهى إلى

(١) قوله : « عن حصين بن عبدالرحمن » السلمي أبو الهزبل الكوفي، ثقة من تابعي التابعين، مات سنة ستٍ وثلاثين ومائة وله ثلاث وتسعون سنة .

(٢) قال : « كنت عند سعيد بن جبير » الوالي الإمام الفقيه، من جلة أصحاب ابن عباس، كوفي مولى لبني أسد، قُتل بين يدي الحجاج سنة خمس وتسعين ولم يكمل الخمسين، فما أمهله الله بعده « فقال » أي : سعيد بن جبير « أيكم رأى الكوكب » أي الشهاب ، « الذي انقضَّ البارحة » أي رمى به ، والبارحة يُقال لليلة الماضية إذا زالت الشمس ، مشتقة من برح إذا زال ، وأما قبل الزوال فيقال الليلة « فقلت : أنا » أي أنا رأيته « ثم قلت : أما إنني لم أكن في صلاة » قال ذلك لئلا يُظن أنه قائم يصلي في ذلك الوقت ، فما أشدُّ حذر السلف من الشرك .

وفيه : بُعد السلف عن مدح الإنسان بما ليس فيه . قاله المصنف رحمه الله .

(٣) قوله : « ولكني لدغت » أي لدغته عقرب أو نحوها « قال فما صنعت؟ قلت : ارتقيت » لفظ مسلم استرقيت أي : طلبت من يرقيني « قال : فما حملك على ذلك » فيه طلب الحجّة على صحة المذهب، وأن من فعل شيئاً سُئل عن مستنده في فعله ومن لم يكن معه حجة فرعية فلا عذر له فيما فعله « قلت : حديثٌ حدثناه الشعبي » وهو عامر بن شراحيل الهمداني بسكون الميم ، الحميري ، ولد في خلافة عمر وهو من ثقات التابعين وحفاظهم وفقهائهم ، مات سنة ثلاث ومائة .

(٤) قوله : « وما حدثكم؟ قلت : حدثنا عن بُريدة » بضم أوله وفتح ثانيه تصغير برودة « بن الحصيب » بضم الحاء وفتح الصاد المهلمتين بن الحارث الأسلمي ، صحابي شهير ،

ما سمع^(١) ، ولكن حدثنا ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال : «عُرِضت عليّ الأمم، فرأيتُ النبيّ ومعه الرهط^(٢) ، والنبيّ ومع الرجل والرجلان ، والنبيّ وليس

مات سنة ثلاث وستين، قاله ابن سعد . « أنه قال : لا رقية إلا من عين أو حمة » هكذا روى موقوفاً ، وقد رواه أحمد وابن ماجه عنه مرفوعاً ورواه أحمد وأبو داود والترمذي عن عمران بن حصين به موقوفاً . قال الهيثمي : رجال أحمد ثقات . والعين هي إصابة العائن غيره بعينه، والحمة بضم الميم وتخفيف الميم سُم العقرب وشبهها، ومعنى الحديث : لا رقية أشفى وأولى من رقية العين والحمة . قال الخطابي : وفيه الرخصة في الرقية من العين والحمة . قاله المصنف رحمه الله تعالى .

(١) قوله : « قال : قد أحسن من انتهى إلى ما سمع » أي من أخذ بما بلغه من العلم وعمل به فقد أحسن ، بخلاف من يعمل بجهل أو لا يعمل بما علم فإنه مسيء آثم . وفيه : عمق علم السلف لقوله : « قد أحسن من انتهى إلى ما سمع ، ولكن حدثنا ابن عباس » فعلم أن الحديث الأول لا يخالف الثاني . قاله المصنف رحمه الله . وفيه : فضيلة علم السلف وحسن أدبهم في تبليغ العلم وإرشاد من أخذ بشيء من العلم إلى الأفضل .

وابن عباس هو عبدالله بن عباس بن عبدالمطلب الهاشمي ابن عم النبي ﷺ حَبْر الأمة وترجمان القرآن، دعا له النبي ﷺ فقال: «اللهم فقّهه في الدين ، وعلمه التأويل»* . فكان آية في ذلك ، مات بالطائف سنة ثمان وستين .

« عن النبي ﷺ قال : عُرِضت عليّ الأمم » في رواية الترمذي والنسائي من رواية عبثر ابن القاسم عن حصين بن عبدالرحمن أن ذلك كان ليلة الإسراء ولفظه : لما أسري بالنبي ﷺ جعل يمر بالنبي ومعه الرهط .

(٢) قوله : « فرأيتُ النبي ومعه الرهط » قال النووي : الرهط الجماعة دون العشرة .

* أخرجه البخاري (١٤٣) .

معه أحد^(١)، إذ رُفِعَ لِي سِوَادٌ عَظِيمٌ^(٢) فَظَلَمْتُ أَنَّهُمْ أُمَّيٌّ ، فَقِيلَ لِي : هَذَا مُوسَى وَقَوْمُهُ^(٣) ، فَظَنَرْتُ فَإِذَا سِوَادٌ عَظِيمٌ ، فَقِيلَ لِي : هَذِهِ أُمَّتُكَ وَمَعَهُمْ سَبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عِلَابٍ^(٤) .

(١) قوله : « والنبي ومعه الرجل والرجلان ، والنبي وليس معه أحد » فيه الرد على من احتج بالكثرة .

وفيه : عرض الأمم عليه - عليه السلام - وأن كل أمة تُحشَرُ وحدها مع نبيها وقلة من استجاب للأنبياء وأن من لم يجبه أحد يأتي وحده ، وثمره هذا العلم وهو عدم الاغترار بالكثرة وعدم الزهد في القلة . قاله المصنف رحمه الله تعالى .

(٢) قوله : « إذ رفع لي سواد عظيم » والمراد الأشخاص التي تُرى في الأفق لا يدرك منها إلا الصورة .

(٣) قوله : « ظلمت أنهم أمي ، قيل لي : هذا موسى وقومه » وفيه : فضيلة أصحاب موسى عليه السلام . قاله المصنف رحمه الله .

قوله : « ثم نظرت » وفي صحيح مسلم « ولكن انظر إلى الأفق » ولم يذكره المصنف فلعله سقط من الأصل الذي نقل الحديث منه . والله أعلم .

(٤) قوله : « فنظرت فإذا سواد عظيم » وفي رواية : « قد سد الأفق » « قيل لي هذه أمتك ومعهم - أي من جملتهم - سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب » لتحقيقهم التوحيد . وهذا هو الشاهد من الحديث للترجمة .

وفي حديث أبي هريرة في الصحيحين وصفه السبعين ألفاً بأنهم تضيء وجوههم إضاءة القمر ليلة البدر ، وفيهما عنه مرفوعاً : « أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر والذين على آثارهم كأحسن كوكب دري في السماء إضاءة »* وفي رواية أحمد والبيهقي في البعث « فاستزدت ربي فزادني مع كل ألف سبعون ألفاً** » قال الحافظ ابن حجر وسنده جيد .

* أخرجه البخاري (٣٢٥٤)، ومسلم (٢١٧٩) .

** أخرجه (٦/١)، وأبو يعلى (١٠٤/١) حديث (١١٢)، وانظر فتح الباري (١١/٤١٨-٤١٩) .

ثم نهض فدخل منزله ، فخاض الناس في أولئك^(١) فقال بعضهم :
فلعلمهم الذين صحبوا رسول الله ﷺ ، وقال بعضهم : فلعلهم الذين
وُلدوا في الإسلام فلم يُشركوا بالله شيئاً ، وذكروا أشياء . فخرج عليهم
رسول الله ﷺ فأخبروه ، فقال : «هم الذين لا يَسْتَرْقُونَ»^(٢) ،

وفيه : فضيلة هذه الأمة بالكمية والكيفية ، قال المصنف رحمه الله تعالى : فالكمية
العدد ، والكيفية فضيلتهم هم .

قوله : « ثم نهض » أي قام النبي ﷺ « فدخل منزله » .

(١) قوله : « فخاض الناس في أولئك » بالخاء والضاد المعجمتين أي في الأعمال التي
اقتضت دخولهم الجنة بلا حساب ولا عذاب « فقال بعضهم لعلمهم الذين صحبوا
رسول الله ﷺ » لمزية الصحبة وفضلها « وقال بعضهم : فلعلمهم الذين وُلدوا في
الإسلام فلم يشركوا بالله شيئاً ، وذكروا أشياء » .

وفيه : عمق علم الصحابة بمعرفتهم أنهم لم ينالوا ذلك إلا بعمل وحرصهم على
الخير . قاله المصنف رحمه الله تعالى .

وفيه : إباحة المناظرة في العلم والمباحثة في نصوص الشرع على جهة الاستفادة
وإظهار الحق . قاله النووي .

وفيه : جواز الاجتهاد فيما لم يعلم فيه دليل ؛ لأنهم قالوا ما قالوا اجتهاداً منهم ، ولم
ينكر ﷺ ذلك عليهم ، لكن المجتهد لا يجوز له أن يجزم بصواب قوله بل يقول لعل
الحكم كذا وكذا ، كقول الصحابة . قاله في «قرة العيون» * .

(٢) قوله : « فخرج عليهم رسول الله ﷺ فأخبروه . فقال : «هم الذين لا يَسْتَرْقُونَ» هكذا
أثبت في الصحيحين ، وكذا هو في حديث ابن مسعود ، وفي مسند أحمد ، وفي رواية
مسلم : « ولا يرقون » .

قال شيخ الإسلام [الفتاوى ١/١٨٢ ، ٣٢٨] : « هذه الزيادة وهم من الراوي ، لم يقل
النبي ﷺ « لا يرقون » ؛ لأن الراقي محسنٌ إلى أخيه ، وقد رقى النبي ﷺ أصحابه ورقاه

ولا يكتون^(١)، ولا يططيرون^(٢)، وعلى ربهم يتوكلون^(٣) .

جبريل، والفرق بين الراقي والمسترقي أن المسترقي سائلٌ مستعطف ملتفت إلى غير الله بقلبه ، والراقي محسن ، وإنما المراد وصف السبعين الألف بتمام التوكل فلا يسألون غيرهم أن يرقهم ولا يكويهم استسلاماً للقضاء وتلذذاً بالبلاء .
(١) قوله : « ولا يكتون » أعم من أن يسألوا ذلك ، ويُفعل ذلك باختيارهم . قاله في « فتح المجيد »* .

وأما الكيُّ في نفسه فجائز لما في الصحيح عن جابر بن عبدالله أن النبي ﷺ بعث إلى أبي بن كعب طبيباً فقطع له عرقاً وكواه .
وفي صحيح البخاري عن أنس ؓ أنه كوى من فات الجنب، والنبي ﷺ حي، وروى الترمذي وغيره عن أنس أن النبي ﷺ كوى أسعد بن زرارة من الشوكة .
وفي صحيح البخاري عن ابن عباس مرفوعاً : « الشفاء في ثلاث : شربة حسل ، وشرطة معجم ، وكية نار ، وأنا أنهى عن الكي »** وفي لفظ : « ما أحب أن أكتوي » .
قال ابن القيم رحمه الله تعالى : « تضمنت أحاديث الكي أربعة أنواع :
أحدها : فعله .
الثاني : عدم محبته له .
الثالث : الثناء على من تركه .
الرابع : النهي عنه .

ولا تعارض بينها بحمد الله ، فإن فعله يدل على جوازه وعدم محبته لا يدل على المنع منه ، وأما الثناء على من تركه فيدل على أن تركه أفضل ، وأما النهي عنه فعلى سبيل الاختيار والكراهة . انتهى .

(٢) قوله : « ولا يططيرون » أي : لا يتشاءمون بالطيور ونحوها ، وسيأتي الكلام على الطيرة في بابها إن شاء الله تعالى .

(٣) قوله : « وعلى ربهم يتوكلون » أي يعتمدون في أمورهم .
وفيه : معرفة مراتب الناس في التوحيد وما معنى تحقيقه ، وأن ترك الرقية والكي من

* (١٦٦/١) .

** أخرجه البخاري (٥٦٨٠) .

تحقيق التوحيد، وأن الجامع لتلك الخصال هو التوكل. قاله المصنف رحمه الله تعالى. ولا يدل الحديث على ترك مباشرة الأسباب فإن مباشرة الأسباب في الجملة أمر فطري ضروري لا انفكاك لأحد عنه، بل نفس التوكل مباشرة لأعظم الأسباب، فإنه سبب لوقاية الله وكفايته كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣] أي كافيه، وإنما يدل على أنهم يتركون الأسباب المكروهة مع حاجتهم إليها توكلًا على الله، وأما مباشرة الأسباب والتداوي على وجه لا كراهة فيه فغير قادح في التوكل لما في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: «ما أنزل الله من داء إلا أنزل له شفاء، علمه من علمه، وجهله من جهله»*.

وعن أسامة بن شريك قال: كنت عند النبي ﷺ وجاءت الأعراب فقالوا: يا رسول الله أنتداوي؟ قال: «نعم يا عباد الله، تداووا، فإن الله عز وجل لم يضع داءً إلا وضع له شفاء غير داء واحد»**. قالوا: وما هو؟ قال: «الهرم». رواه أحمد.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى [زاد المعاد ٤/١٤-١٥]: «وقد تضمنت هذه الأحاديث إثبات الأسباب والمسببات وإبطال قول من أنكرها والأمر بالتداوي، وأنه لا ينافي التوكل، كما لا ينافي دفع ألم الجوع والعطش، والحر والبرد بأضدادها، بل لا تتم حقيقة التوكل إلا بمباشرة الأسباب التي نصبها الله مقتضية لمسبباتها قدرًا وشرعًا، وأن تعطيلها يقدر في نفس التوكل، كما يقدر في الأمر والحكمة، ويضعفه من حيث يظن معطلها أن تركها أقوى في التوكل. فإن تركها عجز ينافي التوكل، الذي هو اعتماد القلب على الله في حصول ما ينفع العبد في دينه ودنياه، ودفع ما يضره في دينه ودنياه، ولا بد مع هذا الاعتماد من مباشرة الأسباب، وإلا كان معطلًا للحكمة والشرع، فلا يجعل العبد عجزه توكلًا، ولا توكله عجزًا.

وقد اختلف العلماء في التداوي هل هو مباح، وتركه أفضل، أو مستحب، أو واجب؟ فالمشهور عن أحمد الأول لهذا الحديث وما في معناه، والمشهور عن

* أخرجه البخاري (٥٦٧٨).

** أخرجه أحمد (٢٧٨/٤)، وابن ماجه (٣٤٣٦)، وأبوداود (٣٨٥٥)، والترمذي (٢٠٣٩) وقال:

حسن صحيح. وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢/٢٠٢) برقم (١٦٦٠).

فقام عكاشة^(١) بن محصن فقال : ادع الله أن يجعلني منهم^(٢) .

الشافعي الثاني حتى ذكر النووي في « شرح مسلم » أنه مذهبهم، ومذهب جمهور السلف وعامة الخلف . واختاره الوزير أبوالمظفر بن هبيرة قال : « ومذهب أبي حنيفة أنه مؤكّد حتى يداني به الوجوب . قال : ومذهب مالك أنه يستوي فعله وتركه فإنه قال : لا بأس بالتداوي ولا بأس بتركه » .

وقال شيخ الإسلام [الفتاوى ٢٤/٢٦٩] : « ليس بواجب عند جماهير العلماء ، وإنما أوجبه طائفة قليلة من أصحاب الشافعي وأحمد » .

(١) قوله : « فقام عكاشة » بضم العين وتشديد الكاف ويجوز تخفيفها « ابن محصن » بكسر الميم وسكون الحاء وفتح الصاد المهملتين، الأسدي من بني أسد بن خزيمه، كان من السابقين إلى الإسلام، هاجر وشهد بدرأ وقاتل فيها .

قال ابن القيم : « انقطع يوم بدر سيف عكاشة بن محصن فأعطاه النبي ﷺ جذلاً من حطب فقال : دونك هذا ، فلما أخذه عكاشة وهزه عاد في يده سيفاً طويلاً شديداً أبيض ، فلم يزل عنده يقاتل به حتى قتل في الردة أيام أبي بكر » .

قال ابن إسحاق : وبلغني أن النبي ﷺ قال : « خير فارس في العرب عكاشة بن محصن »* استشهد في قتال الردة مع خالد بن الوليد بيد طليحة الأسدي سنة اثنتي عشرة ثم أسلم طليحة بعد ذلك ، جاهد الفرس يوم القادسية مع سعد بن أبي وقاص، واستشهد في وقعة الجسر المشهورة .

(٢) قوله : « فقال : يا رسول الله ، ادع الله أن يجعلني منهم » أي من السبعين الألف .

وفيه : طلب الدعاء من أهل الصلاح ، وأن النبي ﷺ لا يملك لأحد نفعاً ولا ضرراً إلا بالدعاء « فقال : أنت منهم » وفي رواية البخاري فقال : « اللهم اجعله منهم »** ، وكذلك في حديث أبي هريرة عند البخاري مثله، وفي بعض الروايات : أمنهم أنا يا رسول الله ؟ قال : « نعم » . قال الحافظ ابن حجر : « ويجمع بين الأحاديث بأنه

* ضعيف : ذكره صاحب الفردوس .

** أخرجه البخاري (٦٥٤١) (٦٥٤٢) .

فقال : « أنت منهم »^(١) . ثم قام رجلٌ آخر فقال : ادع الله أن يجعلني منهم . فقال :
« سبقك بها عكاشة »^(٢) .

-
- سأل الدعاء أولاً فدعا له، ثم استفهم هل أجيب فأخبره ، .
- (١) وقوله : « أنت منهم » علم من أعلام النبوة . وفيه فضيلة عكاشة ، قاله المصنف رحمه الله .
- (٢) قوله : « ثم قام رجل آخر فقال : ادع الله أن يجعلني منهم ؟ فقال : سبقك بها عكاشة » . قال بعضهم : أي سبقك إلى إحراز هذه الصفات ، أي التوكل وما ذكر معه . وقال القرطبي : « لم يكن عند الثاني من الأحوال ما كان عند عكاشة فلذا لم يجبه ؛ إذ لو أجابه لجاز أن يطلب ذلك من كان حاضراً فيتسلسل الأمر فسدَّ الباب بذلك » . وفيه : استعمال المعاريض ، وحسن خلقه ﷺ . قاله المصنف رحمه الله تعالى .
- أورد المصنف هذا الحديث غير معزوم ، وقد رواه البخاري مختصراً ومطولاً ، ومسلم واللفظ له وللترمذي والنسائي .

٤-باب

الخوف من الشرك^(١)

(١) قوله : «باب الخوف من الشرك» لما كان الشرك أعظم الذنوب عند الله لأنه هضمَ لجناب الربوبية وتنقص للإلهية وسوء ظن برب العالمين سبحانه، رُتِبَ عليه من عقوبات الدنيا والآخرة ما لم يرتب على ذنب سواه من إباحة دماء أهله ، وأموالهم، وسبي نساءهم وأولادهم، وعدم مغفرته من بين الذنوب إلا بالتوبة منه والإقلاع عنه .
 فنية المؤلف رحمه الله بهذه الترجمة على أنه ينبغي للموحد أن يخاف منه ويحذره ويعرف أسبابه ووسائله وأنواعه لئلا يقع فيه وهو لا يشعر ، ولذا قال حذيفة بن اليمان : كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن أقع فيه* . رواه البخاري .

لأن من لا يعرف الشر إما أن يقع فيه ، وإما أن لا ينكره ، ولهذا قال عمر ابن الخطاب ؓ : إنما تُنقَضُ عُرَى الإسلام عروة عروة إذا نشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية .

قال شيخ الإسلام : « وهو كما قال عمر ، فإن كمال الإسلام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وتام ذلك الجهاد في سبيل الله ، ومن نشأ في المعروف فلم يعرف غيره فقد لا يكون عنده من العلم بالمنكر وضرره ما عند من علمه ، ولا يكون عنده من الجهاد لأهله ما عند الخبير بهم ، ولهذا كان الصحابة أعظم إيماناً وجهاداً ممن بعدهم ؛ لكمال معرفتهم بالخير والشر ، وكمال محبتهم للخير وبغضهم للشر » . انتهى ملخصاً .

وقال أيضاً : « والمشركون الذين وصفهم الله بالشرك أصلهم صنفان : قوم نوح وقوم إبراهيم .

فقوم نوح : أصل شركهم العكوف على قبور الصالحين ثم صوروا تماثيلهم ثم عبدوهم .

وقوم إبراهيم : كان أصل شركهم عبادة الكواكب والشمس والقمر ، وكل من

* أخرجه البخاري (٣٦٠٦، ٧٠٨٤) .

وقول الله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ (١)
[النساء: ٤٨] .

وقول الخليل عليه السلام : ﴿وَأَجْنِبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ (٢)
[إبراهيم: ٣٥] .

هؤلاء إنما يعبدون الجن وقد يعتقدون أنهم يعبدون الملائكة ، كما قال تعالى : ﴿وَيَوْمَ
يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهْتُولَاءُ بِإِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ
وَلِيْنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ ﴿ [سبا: ٤٠-٤١] ، والملائكة لا تعينهم على
الشرك ولا يرضون بذلك ولكن الشياطين قد تعينهم وتتصور لهم في صور الأدميين
فيرونهم بأعينهم ويقول أحدهم : أنا إبراهيم ، أنا المسيح ، أن الخضر . والجن
كالإنس منهم الكافر، ومنهم الفاسق ومنهم العاصي وفيهم العابد الجاهل . انتهى .

(١) قوله : « وقول الله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ
يَشَاءُ﴾ » أخبر تعالى أنه لا يغفر لعبد لقيه وهو مشرك به ، وهذا هو الشاهد من الآية
للترجمة ، ويغفر ما دون ذلك، أي : ما دون الشرك من الذنوب لمن يشاء من عباده .
وفي الآية : ردُّ على الخوارج المكفرين بالذنوب ، وعلى المعتزلة أصحاب المنزلة بين
المنزلتين ، فإن الله جعل مغفرة ما دون الشرك من الذنوب معلقة بالمشيئة .

قال شيخ الإسلام [الفتاوى ٧/ ٤٨٤-٤٨٥] : «ولا يجوز أن يُحمل هذا على التائب، فإن
التائب لا فرق في حقه بين الشرك وغيره، كما قال تعالى : ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ
أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٥٣] فهذا
عمم وأطلق لأن المراد به التائب، وهناك خص وعلق؛ لأن المراد من لم يتب . انتهى .

(٢) قوله : « وقول الخليل عليه السلام : ﴿وَأَجْنِبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾
والصنم ما كان منحوتاً على صورة، والوثن ما كان موضوعاً على غير ذلك، ذكره
الطبري عن مجاهد ، وقد يسمى الصنم وثناً لقوله : ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ
أَوْثَانًا﴾ [العنكبوت: ١٧] فالوثن أعم من الصنم، والأصنام تسمى أوثاناً كما أن
القبور التي تُعبد من دون الله تُسمى أوثاناً، قال النبي ﷺ : « اللهم لا تجعل قبري وثناً

وفي الحديث : « أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر » . فسئل عنه .
فقال : « الرياء »^(١) .

يُعبَدُ* . ومعنى قوله : ﴿ وَأَجْتَنِبِي وَبَيْتِي أَنْ تَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴾ أي اجعلني وبيتي في جانب عن عبادة الأصنام ، وباعد بيننا وبينها . فاشتد خوفه على نفسه وعلى بنيه لما رأى كثيراً من الناس قد افتنوا بها، ولذا قال : ﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضَلَّلَنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ ﴾ [إبراهيم : ٣٥] وفيه المسألة العظيمة سؤال الخليل له ولبنيه وقاية عبادة الأصنام ، واعتباره مجال الأكثر لقوله : ﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضَلَّلَنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ ﴾ . قاله المصنف رحمه الله .

وهذا مما يوجب الخوف من الشرك يكسر الصنم بيده ويسأل الله أن يجنبه عبادتها ، وهذا هو الشاهد من الآية للترجمة ، وقد استجاب الله دعاءه ، وجعل بنيه أنبياء وجنّبهم عبادة الأصنام .

قال إبراهيم التيمي : ومن يأمن البلاء بعد إبراهيم ؟ .

والذي خافه إبراهيم عليه السلام قد وقع فيه أكثر الأمة بعد القرون المفضلة، فبنيت المساجد والمشاهد على القبور، [وقدمت]** لها العبادات والنذور واتخذوا ذلك ديناً وهي أوثان كأصنام قوم نوح وأصنام العرب، فمن تدبّر القرآن ورزقه الله فهماً ونوراً وعرف أحوال الخلق وما وقعوا به من الشرك الذي بعث الله رسله بالنهاي عنه .

(١) قوله : « وفي الحديث : أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر » قالوا : وما الشرك الأصغر؟ قال : « الرياء »***. هذا الحديث ذكره المصنف غير معزو ، وقد رواه الإمام أحمد والطبراني والبيهقي عن محمود بن لبيد أن رسول الله ﷺ قال : « أخوف

* أخرجه الإمام أحمد (٢/٢٤٦)، وأبو يعلى (٦٦٨١)، وأبونعيم في الحلية (٧/٣١٧) بإسناد

صحيح، والحديث صحيح لشواهده . انظر : أحكام الجنائز (ص/٢٧٦-٢٧٧) .

** بياض في الأصل ، وأضفت هذه الكلمة لأنها موافقة للسياق .

*** أخرجه أحمد (٥/٤٢٨، ٤٢٩) ، والبخاري في شرح السنة (١٤/٣٢٣، ٣٢٤) . وقال الهيثمي في

مجمع الزوائد (١/١٠٢) : ورجاله رجال الصحيح، وحسن ابن حجر إسناده في بلوغ المرام (٣٠٢) .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « مَنْ مات وهو يدعو لله نداءً دخل النار » . رواه البخاري ^(١) .

ما أخاف عليكم الشرك الأصغر ، قالوا : وما الشرك الأصغر؟ قال : «الرياء ، يقول الله تعالى يوم القيامة إذا جزي الناس بأعمالهم : «انهبوا إلى الذين كنتم تراؤون في الدنيا فانظروا هل تجحدون عندكم جزاء ؟ » قال المنذري : ومحمود بن لبيد رأى النبي ﷺ ولم يصح له سماع فيما أرى . وذكر ابن أبي حاتم أن البخاري قال : له صحبة . ورجحه ابن عبد البر والحافظ ابن حجر ، وقد رواه الطبراني بأسانيد جيدة عن محمود بن لبيد عن رافع بن خديج ، مات محمود سنة ست وتسعين . وقيل : سنة سبع وتسعين وله تسع وتسعون سنة ، فإذا خاف النبي ﷺ الشرك على أصحابه الذين وحدوا الله وهاجروا وجاهدوا من كفر به وعرفوا ما أنزل الله في كتابه من الإخلاص والبراءة من الشرك .. فكيف لا يخافه من لا نسبة له إليهم في علم ولا عمل ؟ وهذا هو الشاهد من الحديث للترجمة .

وفيه : الخوف من الشرك وأن الرياء من الشرك ، وأنه من الشرك الأصغر، وأنه أخوف ما يخاف منه على الصالحين . قاله المصنف رحمه الله تعالى .
وإذا كان الشرك الأصغر مخوفاً على الصحابة - مع كمال إيمانهم - فينبغي لك أن تخاف من الأكبر مع ضعف الإيمان . قاله في «إبطال التنديد» * .
وقد أخبر النبي ﷺ عن وقوع الشرك الأكبر في أمته بقوله في حديث ثوبان : « ولا تقوم الساعة حتى يلحق حيي من أمي بالمشركين ، وحتى تعبد فتام من أمي الأوثان » ، وقد وقع ما أخبر به ﷺ وعمت به البلوى في أكثر الامصار حتى اتخذوه ديناً ، فلا حول ولا قوة إلا بالله .

(١) قوله : « وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « من مات وهو يدعو من دون الله نداءً دخل النار » . رواه البخاري ** .

* (ص/٤٦)

** أخرجه البخاري (١٢٣٨) و(٤٤٩٧) و(٦٦٨٣) .

قال ابن القيم رحمه الله تعالى [إغاثة اللهفان ٢/ ٣٢٥]: « الند : الشبيه . يُقال : فلانٌ ند فلان أي مثله وشبيهه » ، قال تعالى : ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ٢٢] أنه لا ند له . واعلم أن اتخاذ الند على قسمين : أكبر وأصغر .

فالشرك الأكبر : يوجب الخلود في النار ولا يغفر إلا بالتوبة منه ، فمن دعا ميتاً أو غائباً وأقبل إليه بوجهه وقلبه ورغبة إليه ورهبة منه سواء سأل أو لم يسأله فهذا هو الشرك الأكبر الذي لا يغفره الله .

والأصغر : كيسير الرياء ، وقول الرجل لصاحبه : ما شاء الله وشئت . وقوله : ما لي إلا الله وأنت ، ونحو ذلك . ولهذا لما قال رجل للنبي ﷺ : ما شاء الله وشئت . قال : « أجعلتني لله نداً ؟ بل : ما شاء الله وحده » . رواه أحمد وابن أبي شيبة والبخاري في الأدب المفرد والنسائي وابن ماجه ، فهذا لا يكفر إلا بارجحان السيئات بالحسنات . انتهى .

وقال ابن القيم في « الكافية الشافية » [ص ١٥٧] :

| | |
|-------------------------------|----------------------------|
| والشرك فاحذره فشرک ظاهر | ذا القسم ليس بقابل الغفران |
| وهو اتخاذ الند للرحمن آيا كان | من حجر وممن إنسان |
| يدعوه أو يرجوه ثم يخافه | ويحبه كمحبة الديان |
| والله ما ساووهم بالله في | خلق ولا رزق ولا إحسان |
| لكنهم ساووهم بالله في | حب وتعظيم وفي إيمان |
| جعلوا محبتهم مع الرحمن ما | جعلوا المحبة قط للرحمن |
| لو كان حبهم لأجل الله ما | عادوا أحبته على الإيمان |
| ولما أحبوا سخطه وتجنبوا | عقبه ومواقع الرضوان |
| شرط المحبة أن توافق من تحب | على محبته بلا عصيان |
| فإذا ادعيت له المحبة مع | خلافك ما يجب فانت ذو بهتان |

* أخرجه أحمد (٣/ ٣٣٩) من حديث ابن عباس، وابن أبي شيبة (١٠/ ٣٤٦)، والنسائي في عمل اليوم والليلة (٩٨٨)، وابن ماجه (٢١١٧)، وصححه الألباني في الصحيحة برقم (١٣٩) .

ولمسلم عن جابر^(١) أن رسول الله ﷺ قال : « مَنْ لقي الله لا يُشرك به شيئاً دخل الجنة ، ومن لقيه يُشرك به شيئاً دخل النار » .

أتحب أعداء الحبيب وتدعي حباله ما ذاك في إمكان
وكذا تعادي جاهداً أحبابه أين المحبة يا أخوا الشيطان

(١) قوله : «ولمسلم عن جابر» بن عبدالله بن حرام الأنصاري ثم السلمي - بفتحتين - صحابي ابن صحابي مكثر له ، ولأبيه مناقب مشهورة رضي الله عنهما ، مات بالمدينة بعد السبعين ، وقد كُفَّ بصره وله أربع وتسعون سنة « أن رسول الله ﷺ قال : من لقي الله لا يشرك به شيئاً دخل ، ومن لقيه يشرك به شيئاً دخل النار » وهذا هو الشاهد من الحديث للترجمة .

قال القرطبي على قوله « من لقي الله » : « أي : من لم يتخذ مع الله شريكاً في الإلهية ، ولا في الخلق ، ولا في العبادة ، ومن المعلوم المجمع عليه عند أهل السنة أن من مات على ذلك فلا بد له من دخول الجنة ، وإن جرت عليه قبل ذلك أنواع من العذاب والمحنة ، وأن من مات على الشرك لا يدخل الجنة ، ولا يناله من الله رحمة ، ويُخلد في النار أبد الأبد ، من غير انقطاع عذاب ، ولا تصرم آماد ، وهذا معلوم ضرورة من الدين ، مجمع عليه بين المسلمين » . انتهى .

وقال النووي [شرح مسلم ٢/٢٩٧] : « أما دخول المشرك النار فهو على عمومته ، فيدخلها ويخلد فيها ولا فرق بين الكتابي اليهودي والنصراني وبين عبدة الأوثان وسائر الكفار ، ولا فرق عند أهل الحق بين الكافر عناداً وغيره ، ولا بين من خالف ملة الإسلام وبين من انتسب إليها ثم حكم بكفره ، بجحده وغير ذلك ، وأما دخول من مات غير مشرك الجنة فهو مقطوع به ، لكن إن لم يكن صاحب كبيرة مات مصراً عليها فهو تحت المشيئة ، فإن عُفي عنه دخل الجنة أولاً وإلا عُدب ثم أخرج فيدخل الجنة » .

وقال غيره* : قوله : « من لقي الله لا يشرك به شيئاً » « اقتصر على نفي الشرك ،

* الشيخ سليمان بن عبدالله في تفسير العزيز الحميد (ص/١٢٢) .



لاستدعائه التوحيد بالافتضاء والرسالة باللزوم ، إذ من كذب رسل الله فقد كذب الله ، ومن كذب الله فهو مشرك . وهو كقولك : من توضحاً صحَّتْ صلواته أي مع سائر الشروط ، فالمراد من مات حال كونه مؤمناً بجميع ما يجب الإيمان به، إجمالاً في الإجمالي ، وتفصيلاً في التفصيلي . انتهى .

وفيه : قرب الجنة والنار ، والجمع بين قريهما في حديث واحد، وأنه من لقيه لا يشرك به شيئاً دخل الجنة ، ومن لقيه يشرك به شيئاً دخل النار ولو كان من أعبد الناس .

وفيه : تفسير لا إله إلا الله كما ذكره البخاري ، وفضيلة من سلم من الشرك . قاله المصنف رحمه الله تعالى .

٥. باب

الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله^(١)

وقول الله تعالى : ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ ﴾^(٢) الآية [يوسف : ١٠٨] .

(١) قوله : « باب الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله » لما ذكر المصنف التوحيد وفضله وثواب من حققه، وما يوجب الخوف من ضده وهو الشرك ، ذكر في هذه الترجمة أنه لا ينبغي لمن عرف ذلك أن يقتصر على نفسه، بل يجب عليه أن يدعو إلى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة، كما هو سبيل المرسلين وأتباعهم، كما قال الحسن البصري لما تلا قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [فصلت : ٣٣] فقال : هذا حبيب الله ، هذا ولي الله ، هذا صفوة الله ، هذا خيرة الله ، هذا أحب أهل الأرض إلى الله ، أجاز الله في دعوته ، ودعا الناس إلى ما أجاز الله فيه من دعوته وعمل صالحاً في إجابته ﴿ وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ ، هذا خليفة الله .

(٢) قوله : « وقول الله تعالى : ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [يوسف : ١٠٨] » .

قال ابن جرير [التفسير ١٦/٢٩١] : « يقول تعالى ذكره لنبى محمد ﷺ : ﴿ قُلْ يَا مُحَمَّدُ هَذِهِ ﴾ الدعوة التي أدعو إليها والطريقة التي أنا عليها من الدعاء إلى توحيد الله وإخلاص العبادة له دون الآلهة والأوثان ، والانتهاة إلى طاعته وترك معصيته : سبيلي وطريقي ودعوتي، ﴿ أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ ﴾ وحده لا شريك له ، ﴿ عَلَى بَصِيرَةٍ ﴾ بذلك ويقين وعلم منى به أنا ، ويدعو إليه على بصيرة أيضاً من اتبعني وصدقني وآمن بي . قلت : وهذا هو الشاهد من الآية للترجمة ، وسبحان الله .

قال ابن جرير : يقول تعالى ذكره : ﴿ قُلْ ﴾ تنزيهاً لله تعالى وتعظيماً له من أن يكون له شريك في ملكه أو معبود سواه في سلطانه ﴿ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ يقول : أنا برئ من أهل الشرك به لست منهم ولا هم منى . انتهى .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ لما بعث معاذاً إلى اليمن (١)

قال ابن القيم رحمه الله تعالى [مدارج السالكين ٢/٤٨١]: «البصيرة التي تكون نسبة المعلوم فيها إلى القلب كنسبة المرئي إلى البصر . هي الخصيصة التي اختص بها الصحابة عن سائر الأمة، وهي أعلى درجات العلماء ، قال الله تعالى : ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾ أي أنا وأتباعي على بصيرة . وقيل: «من اتبعني» عطف على المرفوع في ﴿ أَدْعُوا ﴾، أي أنا أدعو إلى الله على بصيرة ، ومن اتبعني كذلك يدعو إلى الله على بصيرة، وعلى القولين فالآية تدل على أن أتباعه هم أهل البصائر الداعين إلى الله تعالى على بصيرة، ومن ليس منهم فليس من أتباعه على الحقيقة والموافقة وإن كان من أتباعه على الانتساب والدعوة . وفيه : أن الدعوة إلى الله طريق من اتبع رسول الله ﷺ . والتنبية على الإخلاص ؛ لأن كثيراً لو دعا إلى الحق فهو يدعو إلى نفسه ، وأن البصيرة من الفرائض ، وأن من دلائل حسن التوحيد أنه تنزيهه لله عن المسببة، وإن من قبح الشرك كونه مسببة لله . وفيه : - وهي أهمها - إبعاد المسلم عن المشركين لا يصير منهم ولو لم يشرك . قاله المصنف رحمه الله .

وقال ابن القيم [مفتاح دار السعادة ١/١٩٣] على قوله ﴿ أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ﴾ الآية [النحل: ١٢٥]: « ذكر سبحانه مراتب الدعوة، وجعلها ثلاثة أقسام بحسب حال المدعو فإنه :

إما أن يكون طالباً للحق محباً له، مؤثراً له على غيره إذا عرفه ، فهذا يُدعى بالحكمة، ولا يحتاج إلى موعظة وجدال .

وإما أن يكون مشتغلاً بضد الحق، لكن لو عرفه أثره واتبعه. فهذا يحتاج إلى الموعظة بالترغيب والترهيب .

وإما أن يكون معانداً معارضاً فهذا يُجادل بالتي هي أحسن ، فإن رجع وإلا انتقل معه إلى الجلال إن أمكن . انتهى .

(١) قوله : « وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ لما بعث معاذاً إلى اليمن »

قال الحافظ ابن حجر : « كان بعث معاذ إلى اليمن سنة عشر قبل حج النبي ﷺ كما

قال : « إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب^(١) فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله^(٢) .

ذكره البخاري في آخر المغازي . وقيل : كان في آخر سنة تسع عند منصرفه من تبوك، وحكى ابن سعد أنه كان في ربيع الآخر سنة عشر ، واتفقوا على أنه لم يزل على اليمن إلى أن قدم في عهد أبي بكر الصديق، ثم توجه إلى الشام فمات بها . واختلف : هل كان والياً أو قاضياً ؟ فجزم ابن عبد البر بالثاني ، والغساني بالأول . والظاهر أنه كان والياً قاضياً . قاله في « الشرح »* .

وقال شيخ الإسلام الفتاوى ١٠/٦٥٤ : « ومن فضائل معاذ رضي الله عنه أنه رضي الله عنه بعثه إلى اليمن مبلغاً عنه ومفقهاً ومعلماً وحاكماً » .

(١) قوله : « قال : « إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب » قال القرطبي : يعني من اليهود والنصارى ؛ لأنهم كانوا باليمن أكثر من مشركي العرب أو أغلب ، وإنما نبهه على هذا ليتنبهاً لمناظرتهم .

قال الحافظ ابن حجر : هو كالتوطئة للوصية ليجمع همته عليها .

وفيه : كشف العالم الشبهة عن المتعلم . قاله المصنف رحمه الله .

وفيه : أن مخاطبة العالم ليست كمخاطبة الجاهل ، والتنبيه على الاحتراز من الشبهة والحرص على طلب العلم . قاله في « الشرح »* .

(٢) قوله : « فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله » بنصب « أول » على أنه خبر يكن مقدماً و « شهادة » اسمها مؤخراً ويجوز العكس . وهذا هو الشاهد من الحديث للترجمة .

قال في « قرة العيون »** : « وكانوا يقولونها لكنهم جهلوا معناها الذي دلت عليه من إخلاص العبادة لله وحده وترك عبادة ما سواه ، فكان قولهم « لا إله إلا الله » لا ينفعهم لجهلهم بمعنى هذه الكلمة العظيمة كحال أكثر المتأخرين من هذه الأمة

* (ص/٩٦) .

** (ص/٤٨-٤٩) .

(وفي رواية: «إلى أن يوحدوا الله»^(١)) فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوكَ لِلذَّكَ فَاعْلَمَهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ

فإنهم كانوا يقولونها مع ما كانوا يفعلونه من الشرك بعبادة الأموات والغائبين والطواغيت والمشاهد، فيثبتون ما نفته من الشرك باعتقادهم وقولهم وفعلهم ، وينفون ما أثبتته من الإخلاص كذلك، وظنوا أن معناها القدرة على الاختراع تقليداً للمتكلمين من الأشاعرة وغيرهم ، وأما قول المتكلمين إن أول واجب معرفة الله بالنظر والاستدلال ، فذلك أمرٌ فطري فطر الله عليه عباده ولهذا كان مفتوح دعوة الرسل أممهم إلى أفراد الله تعالى بالعبادة . ولما قالوا : ﴿ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ . وَإِنَّا لَفِي شَكِّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴾ [إبراهيم: ٩] قالت الرسل : ﴿ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ [إبراهيم: ١٠] قال ابن كثير : « وهو يحتمل وجهين :

أحدهما : أفي وجوده شك ؟ فإن الفطر شاهدة بوجوده ومحبولة على الإقرار به .
والثاني : أفي إلهيته وتفرد بوجوب العبادة له شك ؟ وهو الخالق لجميع الموجودات فلا يستحق العبادة إلا هو وحده لا شريك له . انتهى ملخصاً .
وهذا الاحتمال الثاني يتضمن الأول . قاله في « قرّة العيون »* .

(١) قوله : « وفي رواية : إلى أن يوحدوا الله » ذكر هذه الرواية البخاري في التوحيد فأوردها المصنف ليبين أن معنى شهادة أن لا إله إلا الله أن يوحدوا الله بالعبادة وترك عبادة ما سواه . وفي رواية : « فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله » وذلك هو الكفر بالطاغوت والإيمان بالله . وفي رواية للبخاري فقال : « ادعهم على شهادة أن لا إله إلا الله ، وأني رسول الله »** .

قال في « فتح المجيد »*** : « لا بد في شهادة أن لا إله إلا الله من سبعة شروط ، لا تنفع قائلها إلا باجتماعها :

الثاني : اليقين، المنافي للشك .

أحدها : العلم ، المنافي للجهل .

الرابع : الانقياد، المنافي للترك .

الثالث : القبول، المنافي للردّ .

* (ص/٤٩) .

** أخرجه البخاري (٤٩٦) .

*** (١/١٩٠) .

عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة^(١) ، فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فتردّ على فقرائهم^(٢) ، فإن هم

الخامس : الإخلاص، المنافي للشرك . السادس : الصدق، المنافي للكذب . السابع : المحبة، المنافية لضدها .

قال شيخ الإسلام : « وقد علّم بالاضطرار من دين الرسول ﷺ، وانفتحت عليه الأمة أن أصل الإسلام، وأول ما يؤمن به الخلق شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله ، فبذلك يصير الكافر مسلماً ، والعدو ولياً ، والمباح دمه معصوم الدم والمال . ثم إن كان ذلك من قلبه ، فقد دخل في الإيمان، وإن قاله بلسانه دون قلبه فهو في ظاهر الإسلام دون باطن الإيمان . قال : «وأما إذا لم يتكلم بها مع القدرة فهو كافر باتفاق المسلمين باطنًا وظاهرًا، عند سلف الأمة وأئمتها وجماهير العلماء». انتهى . وفيه : كون التوحيد أول واجب، وأنه يبدأ به قبل كل شيء حتى الصلاة، وأن معنى يوحدوا الله معنى شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن الإنسان قد يكون من أهل الكتاب ، يعني عالماً وهو لا يعرفها أو يعرفها ولا يعمل بها . والتنبية على التعليم بالتدرّج والبدء بالأهم فالأهم . قاله المصنف رحمه الله تعالى .

(١) قوله : « فإن هم أطاعوك لذلك » أي شهدوا وانقادوا لذلك « فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة » فيه : أن الصلاة أعظم واجب بعد الشهادتين . وفيه : دليل على أن المشرك لا يطالب بفعل الصلاة إلا بعد الإسلام ، ولا يلزم من ذلك أن لا يكونوا مخاطبين بفروع الشريعة المأمور به والمنهي عنه ، ويزاد في عذابهم بسببها في الآخرة ، وهذا قول الأكثرين . قاله النووي . وفيه : أن الوتر غير واجب ؛ لأن هذا كان آخر الأمر .

(٢) قوله : « فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فتردّ على فقرائهم » فيه : دليل على أن الزكاة أوجب الأركان بعد الصلاة، وأن الإمام هو الذي يتولى قبضها وصرفها إما بنفسه أو نائبه ، وأنها تؤخذ من الأغنياء وتُصرف إلى الفقراء ، وإنما خصّ النبي ﷺ الفقراء لأن حقهم أكد من حقوق بقية الأصناف الثمانية ، وأنه يكفي إخراج الزكاة في صنف واحد كما هو

أطاعوك لذلك فإياك وكرائم أموالهم^(١) ، واتفق دعوة المظلوم ؛ فإنه ليس بينها وبين الله حجاب^(٢) « أخرجاه^(٣) .

مذهب مالك وأحمد . وأنه لا يجوز دفعها إلى غني ولا إلى كافر غير المؤلف ، وأن الزكاة واجبة في مال الصبي والمجنون كما هو قول الجمهور لعموم الحديث ، وأن الفقير إذا أفرد في اللفظ تناول المسكين وبالعكس، كتنظيره كما قرره شيخ الإسلام . وأن الفقير لا الزكاة عليه، وأن من ملك نصاباً لا يُعطى من الزكاة من حيث أنه جعل المأخوذ منه غنياً وقابله بالفقير، ومن ملك نصاباً فالزكاة مأخوذة منه فهو غني .

(١) قوله : « فإن هم أطاعوك لذلك فإياك وكرائم أموالهم » بنصب كرائم على التحذير جمع كريمة . قاله « صاحب المطالع » .

وهي الجامعة للكمال الممكن في حقها من غزارة لبن وجمال صورة وكثرة لحم وصوف . ذكره النووي . وفيه : النهي عن كرائم الأموال . قاله المصنف رحمه الله تعالى .

(٢) قوله : « واتفق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب » أي : احذر دعوة المظلوم واجعل بينك وبينها وقاية بالعدل وترك الظلم . وفيه : التحذير من الظلم مطلقاً واتفق دعوة المظلوم والإخبار بأنها لا تحجب .

قال المصنف رحمه الله : فعلى العامل أن لا يأخذ زيادة على الحق ولا يجابي بترك شيء منه .

(٣) قوله : « أخرجاه » أي : البخاري ومسلم* . واعلم أنه لم يذكر في الحديث الصوم والحج فأشكل ذلك على كثير من العلماء .

قال شيخ الإسلام : « أجاب بعضهم أن بعض الرواة اختصر الحديث، وليس كذلك، فإن هذا طعن في الرواة ؛ لأن ذلك إنما يقع في الحديث الواحد، مثل حديث وفد عبد القيس ، حيث ذكر بعضهم الصيام ، وبعضهم لم يذكره . فأما الحديثان

* أخرجه البخاري (١٣٩٥) و (١٤٥٨) وكرره ، ومسلم (١٩) .

ولهما عن سهل بن سعد^(١) رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر :

المنفصلان فليس الأمر فيهما كذلك، ولكن عن هذا جوابان :
أحدهما : أن ذلك بحسب نزول الفرائض، وأول ما فرض الشهادتين ثم الصلاة فإنه أمر بالصلاة في أول أوقات الوحي ، ولهذا لم يذكر وجوب الحج كعمامة الأحاديث إنما جاء في الأحاديث المتأخرة .

الجواب الثاني : أنه كان يذكر في كل مقام ما يناسبه ، فيذكر تارة الفرائض التي يقاتل عليها كالصلاة والزكاة ، ويذكر تارة الصلاة لمن لم يكن عليه زكاة ، ويذكر تارة الصلاة والزكاة والصوم فإما أن يكون قبل فرض الحج ، وإما أن يكون المخاطب بذلك لا حج عليه، وأما الصلاة والزكاة فلهما شأن ليس لسائر الفرائض، ولهذا ذكر الله تعالى في كتابه القتال عليهما لأنهما عبادتان ظاهرتان بخلاف الصوم فإنه أمر باطن من جنس الوضوء والاعتسال من الجنابة ونحو ذلك مما يؤمن عليه العبد ، فإن الإنسان يمكنه أن لا ينوي الصوم وأن يأكل سراً كما يمكنه أن يكتم حدثه وجنابته ، وهو ﷺ يذكر في الأعمال الظاهرة التي يقاتل الناس عليها ويصيرون مسلمين بفعلها فلهذا علق ذلك بالصلاة والزكاة دون الصوم وإنه كان واجباً ، كما في آيتي براءة نزلت بعد فرض الصيام باتفاق الناس ، وكذلك لما بعث معاذاً إلى اليمن لم يذكر في حديث الصوم لأنه تبع وهو باطن ولا ذكر الحج لأن وجوبه خاص ليس بعام ولا يجب في العمر إلا مرة . انتهى بمعناه . قاله في «فتح المجيد»* .

(١) قوله : « ولهما - أي البخاري ومسلم - عن سهل بن سعد » بن مالك بن خالد الأنصاري الخزرجي الساعدي أبي العباس ، صحابي شهير ، وأبوه صحابي أيضاً ، مات سنة ثمان وثمانين وقد جاوز المائة « أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر : «لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، يفتح الله على يديه، فبات الناس يدوكون ليلتهم أيهم يعطاها ، فلما أصبحوا غدوا على رسول الله ﷺ كلهم يرجو أن يعطاها ، فقال : أين علي بن أبي طالب ؟ فقيل : هو يشتكي عينيه ، فأرسلوا إليه فأتني

«لَاعْطِينَ الرَّايَةَ خِذَا رَجُلًا يَحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ»^(١)، وَيَحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولَهُ يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيَّ

فَبَصِقَ فِي عَيْنَيْهِ وَدَعَا لَهُ، فَبَرَأَ، كَأَن لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ، فَأَعْطَاهُ الرَّايَةَ، وَقَالَ: «انْفِذْ عَلَيَّ رِسْلَكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ عَلَى الْإِسْلَامِ وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَحِبُّ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللَّهِ فِيهِ، فَوَاللَّهِ لَأَن يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ» يَدُوكُونَ: يَخُوضُونَ. وَفِي الصَّحِيحِينَ عَنْ سَلْمَةَ بِنِ الْأَكْرَعِ قَالَ: كَانَ عَلِيٌّ ع قَدْ تَخَلَّفَ عَنْ النَّبِيِّ ص يَوْمَ خَيْبَرَ فَقَالَ: أَنَا اتَّخَلَفْتُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ص فَخَرَجْتُ فَلَحِقْتُ بِالنَّبِيِّ ص فَلَمَّا كَانَ مَسَاءَ اللَّيْلَةِ الَّتِي فَتَحَهَا اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - فِي صَبَاحِهَا قَالَ النَّبِيُّ ص: «لَاعْطِينَ الرَّايَةَ - أَوْ لِيَأْخُذِ الرَّايَةَ - خِذَا رَجُلًا يَحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ - أَوْ قَالَ - يَحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولَهُ، يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيَّ يَدَيْهِ» فَإِذَا لَحْنُ بَعْلِي وَمَا نَرَجُوهُ. فَقَالُوا: هَذَا عَلِيٌّ فَأَعْطَاهُ رَسُولُ اللَّهِ ص الرَّايَةَ فَفَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ. وَالرَّايَةَ: بِمَعْنَى اللَّوَاءِ، وَهُوَ الْعَلَمُ الَّذِي يَحْمَلُ فِي الْحَرْبِ يُعْرَفُ بِهِ مَوْضِعُ صَاحِبِ الْجَيْشِ وَقَدْ يَحْمَلُهُ أَمِيرُ الْجَيْشِ، وَقَدْ يَدْفَعُهُ لِمَقْدَمِ الْعَسْكَرِ. وَقَدْ صَرَّحَ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ اللَّغَةِ بِتَرَادُفِهِمَا لَكِن رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ: كَانَتْ رَايَةَ رَسُولِ اللَّهِ ص سُودَاءَ وَلِوَاؤُهُ أَيْضًا. وَمِثْلُهُ عِنْدَ الطَّبْرَانِيِّ عَنْ بَرِيدَةَ وَعِنْدَ ابْنِ عَدِيٍّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ع، وَزَادَ: مَكْتُوبٌ فِيهِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ*^١. «وَهُوَ ظَاهِرٌ فِي التَّغَايِيرِ وَلَعَلَّ التَّفَرُّقَةَ بَيْنَهُمَا عَرَفِيَّةٌ». قَالَهُ فِي «الشَّرْحِ»**.

(١) قَوْلُهُ: «يَحِبُّ اللَّهُ وَرَسُولَهُ، وَيَحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولَهُ» فِيهِ: فَضِيلَةُ عَلِيٍّ ع. قَالَهُ الْمُصَنِّفُ. وَقَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ [مَنْهَاجُ السَّنَةِ ٣٦٦/٧]: «لَيْسَ هَذَا الْوَصْفُ مَخْتَصًّا بِعَلِيٍّ وَلَا بِالْأَنْمَةِ؛ فَإِنَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يَحِبُّ كُلَّ مُؤْمِنٍ تَقِيٍّ يَحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَلَكِن هَذَا الْحَدِيثُ مِنْ أَحْسَنِ مَا يُحْتَجُّ بِهِ عَلَى النَّوَاصِبِ، الَّذِينَ لَا يَتَوَلَّوْنَهُ، أَوْ يَكْفُرُونَهُ أَوْ يَفْسُقُونَهُ كَالْخَوَارِجِ، لَكِن هَذَا الْاِحْتِجَاجُ لَا يَتِمُّ عَلَى قَوْلِ الرَّافِضَةِ، الَّذِينَ يَجْعَلُونَ النَّصُوصَ الدَّلَالَةَ عَلَى فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ كَانَتْ قَبْلَ رَدِّهِمْ، فَإِنَّ الْخَوَارِجَ تَقُولُ فِي

* أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (٥٨٩/٣٠)، وَأَبُو دَاوُدَ (٢٥٩١)، وَالتِّرْمِذِيُّ (١٦٨٠)، وَالتَّبْرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ (٧٣٠). وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي صَحِيحِهِ سَنَنَ أَبِي دَاوُدَ بِرَقْمِ (٢٢٥٨) (٢/٤٩١).

** التَّيْسِيرُ (ص/١٠٣).

يديه»^(١) فبات الناس يدوكون ليلتهم^(٢) أيهم يُعطاها^(٣)، فلما أصبحوا غدوا^(٤) على رسول الله ﷺ كلهم يرجو أن يُعطاها . فقال : «أين عليّ بن أبي طالب؟»^(٥) . فقيل : هو يشتكي عينيه^(٦)، فأرسلوا إليه فأتى به فبصق

علي مثل ذلك، لكن هذا باطل ؛ فإن الله ورسوله لا يطلق مثل هذا المدح على من يعلم الله أنه يموت كافراً .

فإن قيل: إذا كان هذا ليس من خصائص علي فلم تمنى بعض الصحابة أن يكون له ذلك؟ .

أجاب شيخ الإسلام بأنه : « إذا شهد النبي ﷺ لمعين بشهادة أو دعا له بدعاء أحب كثير من الناس أن يكون له مثل تلك الشهادة، ومثل ذلك الدعاء وإن كان النبي ﷺ يشهد بذلك لخلق كثير ويدعو لخلق كثير وهذا كالشهادة بالجنة لثابت بن قيس وعبدالله بن سلام ، وإن كان قد شهد بالجنة لآخرين ، والشهادة بمحبة الله ورسوله الذي ضرب في الخمر ، وكان تعيينه لذلك المعين من أعظم فضائله ومناقبه » . وفيه : إثبات المحبة خلافاً للجهمية ومن أخذ عنهم .

(١) قوله : «يفتح الله على يديه» صريح في البشارة بمحصول الفتح فهو علم من أعلام النبوة .

(٢) قوله : « فبات الناس يدوكون ليلتهم » بنصب ليلة، ويدوكون : قال المصنف : يخوضون . أي فيمن يدفعها إليه . وفيه : حرص الصحابة على الخير واهتمامهم به وعلو مرتبتهم في العلم والإيمان . وفيه : فضل الصحابة في دوكهم تلك الليلة وشغلهم عن بشارة الفتح . قاله المصنف رحمه الله .

(٣) قوله : « أيهم يُعطاها » هو برفع أي على البناء لإضافتها وحذف صدر صلتها .

(٤) قوله : « فلما أصبحوا غدوا على رسول الله ﷺ كلهم يرجوا أن يُعطاها » وفي رواية

أبي هريرة عند مسلم أن عمر ﷺ قال : « ما أحببتُ الإمارة إلا يومئذ » .

(٥) قوله : « فقال أين علي بن أبي طالب ؟ » فيه سؤال الإمام عن رعيته وتفقد

أحوالهم وشهادة النبي ﷺ لعلي بإيمانه باطناً وظاهراً وإثبات موالاته لله تعالى ورسوله ووجوب موالاته المؤمنين له .

(٦) قوله : « فقيل : هو يشتكي عينيه » أي من الرمد « فأرسل إليه » مبني للفاعل أي

في عينيه^(١) ودعاه له^(٢) ، فبرأ^(٣) ، كأن لم يكن به وجع ، فأعطاه الراية^(٤) فقال : « انفذ على رسلك^(٥) حتى تنزل

النبي ﷺ ، ويحتمل أن يكون مبنياً لما لم يُسم فاعله ، وفي صحيح مسلم : أن الذي جاء به سعد بن أبي وقاص ، ولمسلم من طريق إياس بن سلمة بن الأكوع عن أبيه قال : فأرسلني إلي علي فجئتُ به أقوده أرمده .

(١) قوله : « فقيل : هو يشتكي عينيه » أي من الرمد « فأرسل إليه » مبني للفاعل أي النبي ﷺ ، ويحتمل أن يكون مبنياً لما لم يُسم فاعله ، وفي صحيح مسلم : أن الذي جاء به سعد بن أبي وقاص ، ولمسلم من طريق إياس بن سلمة بن الأكوع عن أبيه قال : فأرسلني إلى علي فجئتُ به أقوده أرمده .

(٢) قوله : « فبصق » بفتح الصاد أي تفل « في عينيه ودعاه له » .

(٣) قوله : « فبرأ » - هو بفتح الراء والهمزة - أي : عوفي في الحال عافية كاملة كان لم يكن به وجع من رمد ولا ضعف بصر ، وعند الطبراني من حديث علي : فما رمدت ولا صدعت منذ دفع النبي ﷺ إلي الراية .

وفيه : أن من أدلة التوحيد ما جرى على سيد المرسلين وسادات الأولياء من المشقة والجوع والوباء .

وقوله : « لأعطين الراية غداً » علم من أعلام النبوة ، وتفله في عينيه علم من أعلامها أيضاً . قاله المصنف .

(٤) قوله : « فأعطاه الراية » وفيه الإيمان بالقدر لحصولها ، لمن لم يسع لها ومنعها عمّن سعى ، قاله المصنف رحمه الله تعالى . وفيه : أن فعل الأسباب المباحة أو الواجبة أو المستحبة لا ينافي التوكل . قاله في « فتح المجيد »* .

(٥) قوله : « وقال : انفذ على رسلك » بضم الفاء ، أي امض ، ورسلك بكسر الراء وسكون السين أي على رفقك ، أمره أن يسير إليهم على رفق من غير عجلة . وفيه : الأدب في قوله : « على رسلك » . قاله المصنف رحمه الله .

بساحتهم^(١) ، ثم ادعهم إلى الإسلام^(٢) ، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه^(٣) ، فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خيراً لك من

- (١) قوله : « حتى تنزل يساحتهم » ساحتهم : ما قرب من حصونهم .
- (٢) قوله : « ثم ادعهم إلى الإسلام » بزيادة ثم كما وقع في حديث بريدة في صحيح مسلم ، وذكرها يوهم الابتداء بغير الدعوة إلى الإسلام ، والصواب إسقاطها كما روى أبو داود وأبو عبيد في كتاب الأموال ، وكما جاء مصرحاً بذلك في حديث ابن عباس الذي في الصحيحين المذكور أول الباب أن النبي ﷺ لَمَّا بعث معاذاً إلى اليمن قال : « إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله » ، وهنا أمره أن يدعوهم إلى الإسلام الذي دلَّت عليه شهادة أن لا إله إلا الله ، وهذا هو الشاهد من الحديث للترجمة . وهكذا ينبغي لأهل الإسلام أن يكون قصدهم بالجهاد هداية الخلق إلى الإسلام والدخول فيه ، وينبغي لولاة الأمر أن يكون هذا معتمدتهم ومرادهم ونيتهم .
- وفيه : الدعوة إلى الإسلام قبل القتال ، وأنه مشروع لمن دُعوا قبل ذلك وقُوتلوا . قاله المصنف رحمه الله . لكن إن كانوا قد بلغتهم الدعوة جاز قتالهم ابتداءً ؛ لأن النبي ﷺ أغار على بني المصطلق وهم غارون . قاله في « فتح المجيد »* .
- قال شيخ الإسلام [الفتاوى ٧/٢٦٣] : « والإسلام هو الاستسلام لله وهو الخضوع له والعبودية له ، كذا قال أهل اللغة » ، وقال [الفتاوى ٧/٢٨٦] : « دين الإسلام الذي ارتضاه الله ، ويبعث به رسله هو الاستسلام لله وحده فأصله في القلب والخضوع لله وحده بعبادته دون ما سواه ، فمن عبده وعبد معه إلهاً آخر لم يكن مسلماً ، ومن استكبر عن عبادته لم يكن مسلماً ، وأما الإيمان فأصله تصديق القلب وإقراره ومعرفته ، فهو من باب قول القلب المتضمن عمل القلب » . انتهى .
- (٣) قوله : « وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه » ، أي في الإسلام كالصلاة والزكاة وغيرهما مما أمر الله به وشرعه من حقوق لا إله إلا الله .

حُمْرُ النَّعْمِ»^(١) . يدوكون : أي يخوضون .

وفيه الدعوة بالحكمة لقوله « أخبرهم بما يجب عليهم » ومعرفة حق الله في الإسلام .
قاله المصنف رحمه الله .

وهذا مما يدل على أن الأعمال من الإيمان خلافاً للأشاعرة والمرجئة في قولهم أنه القول ، وزعموا أن الإيمان مجرد التصديق . وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه : « فإذا فعلوا ذلك فقد عصموا منك دماءهم وأموالهم إلا بحقها » ولما قاتل أبو بكر الصديق مانعي الزكاة وهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله، قال له عمر : كيف تقاتلهم وقد قال رسول الله ﷺ : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها ؟ »* . قال أبو بكر : إن الزكاة حق المال ، والله لو منعوني عناقاً كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعها . فدلّ على أن النطق بكلمتي الشهادة دليل العصمة لا أنه عصمة، أو يقال هو العصمة لكن بشرط العمل .

(١) قوله : « فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خيراً لك من حُمْرِ النَّعْمِ »** بضم الحاء وسكون الميم ، والنَّعْمُ بفتح النون والعين المهملة وهي أنفس الأموال عند العرب .

وفيه : الحلف على الفتيا وثواب من اهتدى على يديه رجل واحد . قاله المصنف رحمه الله تعالى .

وفيه : تشبيه أمور الآخرة بأمور الدنيا للتقريب إلى الأفهام وإلا فذرة من الآخرة خير من الدنيا وأمثالها . قاله النووي .

* أخرجه البخاري (٧٢٤٨) (٧٢٨٥) ، ومسلم (٢٢) .

** أخرجه البخاري (٢٩٤٢) و(٣٠٩) و(٣٧٠١) و(٤٢١٠) و(٤٢١٠) و(٤٢١٠) و(٢٤٠٦) ومسلم (٤) /

(١٨٧٢ ، ١٨٧١) .

٦- باب

تفسير التوحيد، وشهادة أن لا إله إلا الله (١)

وقول الله تعالى : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ ^(٢) أَيُّهُمْ أَقْرَبُ ﴾ الآية [الإسراء : ٥٧] .

(١) قوله : « باب : تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله » عطف الشهادة على التوحيد من عطف الدالّ على المدلول ؛ لأن التوحيد هو مقتضى هذه الكلمة العظيمة الذي دلّت عليه .

(٢) قوله : « وقول الله تعالى : ﴿ قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِن دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضَّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ - وفي قراءة ابن زيد : تدعون - يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ﴾ الآية » أخبر تعالى في هذه الآيات أن الذين يدعونهم من الملائكة والأنبياء والصالحين لا يملكون كشف الضر عمّن دعاهم - أي إزالته - بالكلية ولا تحويله من مكان إلى مكان ولا من صفة إلى صفة ، وتحويلاً : نكرة تعم جميع أنواع التحويل ، وأنهم : ﴿ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ﴾ والذي يدعوهم قد عكس الأمر وطلب منهم ما لا قدرة لهم عليه . وهذا هو الشاهد من الآية للترجمة . وروى البخاري عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : كان ناسٌ من الإنس يعبدون ناساً من الجن ، فأسلم الجن وتمسك هؤلاء بدينهم * . وقال السدي عن أبي صالح عن ابن عباس قال : عيسى وأمه وعزير والشمس والقمر . وقال مجاهد : عيسى وعزير والملائكة .

قال شيخ الإسلام [قاعدة التوسل ٧٩]: « وهذه الأقوال كلها حق ، فإن الآية تعم كل من كان معبوده عابداً لله ، سواء كان من الملائكة أو من الجن أو البشر، والسلف يذكرون في تفسيرهم جنس المراد بالآية على نوع التمثيل كما يقول الترجمان لمن سأله : عن معنى الخبز؟ فإشارة إلى نوعه لا

* أخرجه البخاري (٤٧١٤) ، ومسلم (٣٠٣٠) .

وقوله : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي ﴾ ^(١) الآية [الزخرف : ٢٦-٢٧] .

وقوله : ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ﴾ ^(٢) الآية [التوبة : ٣١] .

إلى عينه ، وليس مرادهم بذلك تخصيص نوع دون نوع مع شمول الآية للنوعين ، فالآية خطاب لكل من دعا من دون الله مدعواً وذلك المدعو يتغيى إلى الله الوسيلة ويرجو رحمته ويخاف عذابه . انتهى .
وفي هذه الآية الرد على من يدعو صالحاً ويقول أنا لا أشرك بالله شيئاً ، الشرك عبادة الأصنام .

(١) قوله : « وقول الله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُمْ سَيَّئِدِينَ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ » يخبر تعالى عن عبده ورسوله وخليته إبراهيم إمام الخنفاء أنه تبرأ من أبيه وقومه في عبادتهم الأوثان . فقال : إنني براء مما تعبدون إلا الذي فطرنى ، فعبر عن هذه الكلمة العظيمة لا إله إلا الله بمعناها الذي دلّت عليه ووضعت له من البراءة من كل ما يُعبد من دون الله كاللكواكب والأصنام والأوثان والأنداد التي يعبدها المشركون ، فعبر عن المنفي بها بقوله إنني براء مما تعبدون ، وعبر عما أثبتته بقوله إلا الذي فطرنى ، فلم يستثن في المعبودات إلا الذي فطره . وهذا هو الشاهد من الآية للترجمة .
وقوله : ﴿ فَإِنَّهُمْ سَيَّئِدِينَ ﴾ لدينه .

قوله : ﴿ وَجَعَلَهَا ﴾ يعني كلمة التوحيد لا إله إلا الله كلمة باقية في عقبه أي في ذريته . قال قتادة : لا يزال في ذريته من يعبد الله ويوحده لعلهم يرجعون إليها . وقال السدي : لعلهم يتوبون ويرجعون إلى طاعة الله عز وجل .

(٢) وقوله : ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ﴾ الآية الأحبار : هم العلماء ، والرهبان : هم العباد ، أي اتخذوا علماءهم وعبادهم أرباباً من دون الله في اتباعهم في تحريم ما أحل الله ، وتحليل ما حرم . وهذه الآية قد

فسرهما رسول الله ﷺ لعدي بن حاتم ، وكان عدي من متنصرة العرب .
فإن العرب قبل مبعث النبي ﷺ منهم من تنصّر ، ومنهم من تهوّد ، ومنهم من
تمجّس ، ومنهم من بقي على وثنيته ، فكان عدي من متنصرة العرب ، ولما جاء
مسلياً دخل على رسول الله ﷺ فقرأ عليه هذه الآية ، قال : فقلت : إنهم لم
يعبدوهم . قال : « بلى ، إنهم حرّموا عليهم الحلال ، وحلّلوا لهم الحرام ، فاتبعوهم ،
فذلك عبادتهم إياهم »* . رواه أحمد والترمذي وحسنه . قال السدي : استنصحو
الرجال ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم .

قال شيخ الإسلام [الفتاوى ٧/ ٧٠] : «وهؤلاء الذين اتخذوا أحوارهم ورهبانهم أرباباً
حيث أطاعوهم في تحليل ما حرّم الله ، وتحريم ما أحل الله ، يكونون على وجهين :
أحدهما : أن يعلموا أنهم بدلوا دين الله فيتبعونهم على هذا التبديل ، فيعتقدون
تحليل ما حرّم الله أو تحريم ما أحل الله ، اتباعاً لرؤسائهم ، مع علمهم أنهم خالفوا
دين الرسل فهذا كفر ، وقد جعله الله ورسوله شركاً وإن لم يكونوا يصلون لهم
ويسجدون لهم ، فكان من اتبع غيره في خلاف الدين مع علمه أنه خلاف الدين
واعتقد ما قاله ذلك دون ما قاله الله ورسوله مشركاً مثل هؤلاء .

الثاني : أن يكون اعتقادهم وإيمانهم بتحريم الحرام وتحليل الحلال ثابتاً ، لكنهم
أطاعوهم في معصية الله ، كما يفعل المسلم ما يفعله من المعاصي التي يعتقد أنها
معاصي ، فهؤلاء لهم حكم أمثالهم من أهل الذنوب ، كما قد ثبت عن النبي ﷺ أنه
قال : « إنما الطاعة في المعروف »** . انتهى .

قوله : « والمسيح بن مريم » أي اتخذوه رباً بعبادتهم له من دون الله ، ولهذا قال
تعالى : ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ
عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة : ٣١] ، فيسمى الله طاعتهم في معصيته عبادة لهم

* أخرجه أحمد (٣٧٨/٤) ، والترمذي (٣٠٩٥) ، وحسنه ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٦٧/٧)

والألباني في غاية المرام برقم (٦) .

** أخرجه البخاري (٤٣٤٠ ، ٧١٤٥ ، ٧٢٥٧) ، ومسلم (١٨٤) .

وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ (١)
الآية [البقرة: ١٦٥].

وسمّاهم أرباباً . وهذا هو الشاهد من الآية للترجمة ، قال تعالى : ﴿ وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ
تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكَفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران : ٨٠]
وقد عظمت الفتنة بالشرك المنافي للتوحيد لما حدث الغلو في الأموات وتعظيمهم
بالعبادة حتى عاد المعروف منكراً والمنكر معروفاً ، والبدعة سنة والسنة بدعة ، نشأ
على هذا الصغير وهرم عليه الكبير، كما جاء في الحديث : «بدأ الإسلام غريباً،
وسيعود غريباً كما بدأ ، فطوبى للغرباء ، الذين يصلحون إذا فسد الناس - وفي
رواية - : يصلحون ما أفسد الناس »* .

(١) قوله : « وقوله تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ
كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ﴾ الآية [البقرة: ١٦٥] الأنداد : الأمثال
والنظراء . قاله غير واحد من المفسرين .

قال العماد ابن كثير رحمه الله [التفسير ١/ ١٣٥٢]: « يذكر تعالى حال المشركين به في
الدنيا ومآلهم في الدار الآخرة، حيث جعلوا لله أنداداً، أي أمثالاً ونظراء يعبدونهم
معه، ويجبونهم كحبه وهو الله لا إله إلا هو، ولا صنوه ولا ند له ولا شريك له» .
وفي الصحيحين عن ابن مسعود ؓ: قلت : يا رسول الله ، أي الذنب أعظم؟ قال :
« أن تجعل لله نداً وهو خلقك » . قلت : ثم أي؟ قال : « أن تقتل ولدك خشية أن
يطعم معك »** الحديث .

وقوله : ﴿ يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ﴾ قال شيخ الإسلام : في قوله : ﴿ يُحِبُّونَهُمْ
كَحُبِّ اللَّهِ ﴾ قولان :
أحدهما : أنهم يحبونهم كما يحبون الله فيكون قد أثبت لهم محبة الله ، ولكنها محبة

* تقدم تخريجه (ص/١٢) .

** تقدم تخريجه (ص/١٣) .

أشركوا فيها مع الله أندادهم .

والثاني : أن المعنى يجبون أندادهم كما يجب المؤمنون الله ، وهذا متناقض وهو باطل ؛ فإن المشركين لا يجبون الأنداد مثل محبة المؤمنين الله ، ثم بين تعالى أن محبة المؤمنين لله أشد من محبة أصحاب الأنداد لأنادادهم وإنما ذُموا بأن شركوا بين الله وبين أندادهم في المحبة ولم يخلصوا لله كمحبة المؤمنين له ، كما أخبر الله عنهم وهم في النار ، أنهم يقولون لأهنتهم وأنداداً وهي محضرة معهم في العذاب : ﴿ تَأْتِيهِمْ مِنْ أَسْفَلٍ مِنْكُمْ آتَانَةٌ مِنَ اللَّهِ فَسَبَّحُوا بِحَمْدِ اللَّهِ فِي سَبْعِينَ آيَةً مِنْ كُلِّ نَجْمٍ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ ﴾ [الشعراء : ٩٧-٩٨] ومعلوم أنهم ما سووهم به في الخلق والربوبية وإنما سووهم به في المحبة والتعظيم . وهذا هو الشاهد من الآية للترجمة . قال ابن القيم في « الكافية الشافية » [٢٥٧] :

| | |
|--------------------------|------------------------|
| والله ما ساووهم بالله في | خلق ولا رزق ولا إحسان |
| لكنهم ساووهم بالله في | حب وتعظيم وفي إيمان |
| جعلوا محبته مع الرحمن ما | جعلوا المحبة قط للرحمن |

قوله : ﴿ وَلَوْ رَى الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾ والمراد بالظلم هنا الشرك كقوله : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ ﴾ [الأنعام : ٨٢] .

وقوله : ﴿ إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾ قال بعضهم : تقدير الكلام : لو عاينوا العذاب لعلموا حيثئذ أن القوة لله جميعاً ، أي أن الحكم له وحده لا شريك له فإن جميع الأشياء تحت قهره وغلبته وسلطانه، وإن الله شديد العذاب، كما قال تعالى : ﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابُهُ أَحَدًا ﴾ وَلَا يُؤْتِقُ وِقَاتُهُ أَحَدًا ﴿ [الفجر : ٢٥-٢٦] .

وقوله : ﴿ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا ﴾ كما قال تعالى : ﴿ قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ - يعني الشياطين والمردة والدعاة إلى الكفر - رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴾ [القصص : ٦٣] فشهدوا عليهم أنهم أغووههم ثم تبرأوا من عبادتهم .

في الصحيح^(١) عن النبي ﷺ أنه قال : « من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله^(٢) حَرَّمَ ماله ودمه وحسابه على الله عز وجل » .

(١) قوله « في الصحيح » أي صحيح مسلم عن أبي مالك الأشجعي واسمه سعد بن طارق كوفي ، فقد مات في حدود الأربعين ، عن أبيه طارق بن أشيم بالمعجمة والمثناة التحتية وزن أحر ، ابن مسعود الأشجعي صحابي له أحاديث . قال مسلم : لم يرو عنه غير ابنه « عن النبي ﷺ » أنه قال : « من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله عز وجل »* ورواه الإمام أحمد من طريق يزيد بن هارون ، قال : أخبرنا أبو مالك الأشجعي عن أبيه ، ورواه أحمد عن عبدالله بن إدريس قال : سمعت أبا مالك قال : قلت لأبي الحديث . ورواية الحديث بهذا اللفظ تفسر لا إله إلا الله .

(٢) قوله : « من قال لا إله إلا الله وكفر بما يُعبد من دون الله » اعلم أن النبي ﷺ علّق عصمة المال والدم في هذا الحديث بأمرين :

الأول : قول لا إله إلا الله عن علم ويقين ، كما هو قيد في قولها في غير ما حديث كما تقدم .

الثاني : الكفر بما يُعبد من دون الله ، فلم يكتف باللفظ المجرد عن المعنى بل لا بد من قولها والعمل بها .

وفيه : معنى : ﴿ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِرْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا ﴾ . قاله « في فتح المجيد »** .

وفيه : أكبر المسائل وأهمها وهو تفسير التوحيد وتفسير الشهادتين وبيئتها بأمر واضح . منها : آية الأسرى ، بيّن فيها الرد على المشركين الذي يدعون الصالحين ، ففيها بيان أن هذا هو الشرك الأكبر .

ومنها : آية براءة ، بيّن فيها أن أهل الكتاب اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من

* أخرجه مسلم (٢٣) .

** (١/٢٢٠-٢٢١) .

دون الله، ويئن أنهم لم يؤمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً مع أن تفسيرها الذي لا إشكال فيه طاعة العلماء والعباد في المعصية لا دعائهم إياهم .

ومنها : قول الخليل عليه السلام للكفار : ﴿ إِنِّي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ ﴾ [١٦٦] إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي ﴿ فاستثنى من المعبودين ربه، وذكر سبحانه أن هذه البراءة وهذه الموالاتة هي تفسير شهادة أن لا إله إلا الله، فقال : ﴿ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ .
ومنها : آية الكفار الذين قال الله فيهم : ﴿ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴾ [البقرة : ١٦٧] ذكر أنهم يحبون أندادهم كحب الله ، فدل على أنهم يحبون الله حباً عظيماً ولم يدخلهم في الإسلام فكيف بمن أحب الند أكبر من حب الله ؟ فكيف بمن لم يحب إلا الند وحده ولم يحب الله ؟؟ .

ومنها : قوله ﷺ : « من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله ». وهذا من أعظم ما يبين معنى لا إله إلا الله ، فإنه لم يجعل التلفظ بها عاصماً للدم والمال؛ بل ولا معرفة معناها مع لفظها ، بل ولا الإقرار بذلك ، بل ولا كونه لا يدعو إلا الله وحده لا شريك له ، بل لا يحرم ماله ودمه حتى يضيف إلى ذلك : الكفر بما يُعبد من دون الله ، فإن شك أو توقف لم يحرم ماله ودمه ، فيا لها من مسألة ما أعظمها وأجلها! ويا له من بيان ما أوضحه وحنة ما أقطعها للمنازع! قاله المصنف رحمه الله تعالى .

قال شيخ الإسلام [الفتاوى ٥٠٢/٢٨] : « كل طائفة امتنعت عن بعض الصلوات المفروضات أو الزكاة، أو الصيام ، أو الحج ، أو عن تحريم الدماء والأموال ، أو الخمر ، أو الميسر، أو نكاح ذوات المحارم ، أو عن التزام جهاد الكفار ، أو غير ذلك من واجبات الدين أو محرماته التي يكفر الواحد بمجدها ثقاتل وإن كانت مقرة بها، هذا مما لا أعلم فيه خلافاً بين العلماء ، وهؤلاء عند المحققين ليسوا بمنزلة البغاة، بل هم خارجون عن الإسلام ». انتهى ملخصاً .

وقد أجمع العلماء على أن من قال لا إله إلا الله ولم يعتقد معناها ولم يعمل

وشرح هذه الترجمة ما بعدها من الأبواب^(١) .



بمقتضاها أنه يُقاتل حتى يعمل بما دلت عليه من النفي والإثبات .
قال أبو سليمان الخطابي [معالم السنن ١١/٢] في قوله : « أمرتُ أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله » * معلوم أن المراد بهذا أهل عبادة الأوثان دون أهل الكتاب ؛ لأنهم يقولون لا إله إلا الله ثم يقاتلون ، ولا يرفع عنهم السيف .

وقال القاضي عياض : « اختصاص عصمة المال والنفس بمن قال لا إله إلا الله تعبير عن الإجابة إلى الإيمان ، وأن المراد بذلك مشركو العرب من أهل الأوثان ، فأما غيرهم ممن يقر بالتوحيد فلا يكتفى في عصمته بقول لا إله إلا الله إذا كان يقولها في كفره » . انتهى ملخصاً .

قوله : « وحسابه على الله عز وجل » أي الله تعالى هو الذي يتولى حسابه فإن كان صادقاً جازاه بجنات النعيم ، وإن كان منافقاً عذبته العذاب الأليم . وأما في الدنيا فالحكم على الظاهر .

(١) قوله : « وشرح هذه الترجمة ما بعدها من الأبواب » وذلك أن ما بعدها من الأبواب فيه بيان التوحيد وما يوضح معنى لا إله إلا الله ، وبيان أشياء كثيرة من الشرك الأكبر والأصغر وما يوصل إلى ذلك من الغلو والبدع مما تركه من مضمون لا إله إلا الله ، فمن عرف ذلك وتحققه تبين له معنى لا إله إلا الله وما دلت عليه من الإخلاص ونفي الشرك . انتهى .

٧. باب

من الشرك لبس الحلقة والخيط ونحوهما لرفع البلاء أو دفعه^(١)

وقول الله تعالى : ﴿ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّيهِ ﴾^(٢) الآية [الزمر : ٣٨] .

(١) قوله : « باب من الشرك لبس الحلقة والخيط ونحوهما » كالخرز والودع « لرفع البلاء » بعد نزوله « أو دفعه » قبل أن ينزل به ، فمن تعلق قلبه بشيء من هذه الأمور فهذا شرك بالله ؛ لأنه سبحانه هو الذي يجب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ، لا إله غيره ، ومن هنا بدأ المصنف رحمه الله في بيان ما وعد به في قوله « وشرح هذه الترجمة ما بعدها من الأبواب » فذكر شيئاً فما يضاد التوحيد من أنواع الشرك الأكبر وما ينافي كماله من الشرك الأصغر وما يوصل إلى ذلك من الغلو والبدع مما تركه من مضمون لا إله إلا الله فبدأ بالشرك الأصغر الاعتقادي فقال :

(٢) « وقول الله تعالى : ﴿ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ ﴾ [الزمر : ٣٨] أي مرض أو فقر أو بلاء أو شدة ﴿ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّيهِ ﴾ أي لا يستطيعون ذلك ﴿ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ ﴾ أي الله كافي ﴿ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ قال مقاتل : فسألهم النبي ﷺ فسكتوا؛ لأنهم لا يعتقدون ذلك فيها بل يعلمون أن القادر على ذلك هو الله وحده كما قال تعالى : ﴿ مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ ﴾ [فاطر : ٢] ، وهذا شأن كل من يدعي من دون الله من الملائكة والأنبياء والصالحين لا يملك أحد منهم كشف ضر ولا إمساك رحمة؛ فبطلت دعوتهم ، ودعوة غيرهم في الأصنام والآلهة أبطل؛ لأنها جماد ولا تعقل شيئاً ، ومن هذا القبيل لبس الحلقة والخيط ونحوهما ، لا تستطيع دفع البلاء ولا رفعه، فاستدل المصنف رحمه الله تعالى بالآية التي نزلت في الشرك الأكبر على الأصغر ، كما فعل حذيفة لما رأى رجلاً في يده خيطاً من الحمى فقطعه ، وتلا

وعن عمران بن حصين أن النبي ﷺ رأى رجلاً في يده حلقة من صُفْرٍ . فقال : « ما هذه ؟ » قال : من الواهنة . فقال النبي ﷺ : « انزعها ، فإنها لا تزيدك إلا وهناً ؛ فإنك لو ميت وهي عليك ما أفلحت أبداً » (١) .

قوله تعالى : ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِإِلَهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴾ [يوسف : ١٠٦] وهذا هو الشاهد من الآية للترجمة .

(١) قوله : « وعن عمران بن حصين » بن عبيد بن خلف الخزاعي أبو نجيح ، بنون وجيم مصغر ، صحابي ابن صحابي ، أسلم عام خيبر ومات سنة اثنين وخمسين بالبصرة « أن النبي ﷺ رأى رجلاً في يده حلقة من صفر » هو عمران بن حصين راوي الحديث ، كما رواه الحاكم قال : دخلت على رسول الله ﷺ وفي يدي حلقة من صفر . « فقال : « ما هذه ؟ » . يحتمل أن يكون الاستفهام للاستفصال عن سبب لبسها ، ويحتمل أن يكون للإنكار وهو أظهر « قال من الواهنة » وهي عرق يأخذ بالمتكب وفي اليد كلها فيرقى منها ، وقيل : هو مرض يأخذ في العضد وربما علق عليها جنس من الخرز يقال له خرز الواهنة وهي تأخذ الرجال دون النساء « فقال النبي ﷺ : « انزعها » فأمره بنزعها . والنزع الجذب بقوة « فإنها لا تزيدك إلا وهناً » لأن المشرك يعامل بنقيض قصده « فإنك لو ميت وهي عليك ما أفلحت أبداً » والفلاح والفوز والظفر والسعادة ، أي ما فزت ولا ظفرت ولا سعدت .

وفيه : التعليل في لبس الحلقة والخيط ونحوهما لمثل ذلك ، وأن الصحابي لو مات وهي عليه ما أفلح أبداً .

وفيه : شاهد لكلام بعض الصحابة أن الشرك الأصغر أكبر من الكبائر ، وأنه لم يعذر بالجهالة ، وأنها لا تنفع في العاجل بل تضر ، لقوله « لا تزيدك إلا وهناً » والإنكار بالتعليل على من فعل مثل ذلك والتصريح بأن من تعلق شيئاً وكل إليه . قاله المصنف رحمه الله .

قلت : ومن هذا القبيل ما يسمى بالمعضد الذي يوتى به من الخارج ويلبس في الشمال عن الروماتيزم . ومنه أيضاً الحلق الذي يتخذ من الذهب أو الفضة ويلبسه

رواه الإمام أحمد بسند لا بأس به^(١).

أحد الزوجين الآخر ليلة الزفاف لثلاث تقع بينهم فرقة ويسمونه بالشبكة أو الدبلة . ومنه التطعيم الذي يستعمل لبعض الأمراض كالجدري والكوليرا وغيرهما لدفعهما [كي] لا تقع* ، فيجب النهي عن ذلك كله ؛ لأنه من أنواع الشرك الأصغر الاعتقادي وهو أكبر من الكبائر .

(١) وقوله : «رواه الإمام أحمد بسند لا بأس به»** الإمام أحمد : وهو أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل ، إمام أهل عصره ، وأعلمهم بالفقه وأشدهم ورعاً ومتابعة للسنة ، يقول في حقه بعض أهل السنة : عن الدنيا ما كان أصبره ، وبالماضين ما كان أشبهه ، أتته الدنيا فأبأها ، والشبه فنفاها . ولد ببغداد سنة أربع وستين ومائة في شهر ربيع الأول ، وطلب العلم سنة وفاة مالك وهي سنة تسع وسبعين ، فسمع من هشم وجريز بن عبد الحميد وسفيان بن عيينة ويحيى بن سعيد القطان ومحمد بن إدريس الشافعي ويزيد بن هارون وعبد الرزاق وعبد الرحمن بن مهدي وخلق لا يحصون بمكة والبصرة والكوفة وبغداد واليمن وغيرها من البلاد ، وروى عنه ابنه صالح وعبد الله ، والبخاري ومسلم وأبو داود وإبراهيم الحربي وأبو زرعة الرازي وأبو زرعة الدمشقي وابن أبي الدنيا وأبو بكر الأثرم وعثمان بن سعيد الدارمي وأبو القاسم البغوي وهو آخر من حدث عنه . وروى عنه من شيوخه عبد الرحمن بن مهدي والأسود بن عامر ، ومن أقرانه علي بن المديني ويحيى بن معين . قال البخاري : مرض أحمد ليلتين خلثتا من ربيع الأول ومات يوم الجمعة لاثنتي عشرة خلثت منه . وقال حنبل : مات يوم الجمعة في ربيع الأول سنة إحدى وأربعين ومائتين وله سبع وسبعون سنة . وقال ابن عبد الله بن الفضل بن زياد : مات ثاني عشر ربيع الآخر ، رحمه الله ورضي عنه .

قوله : « وله - أي الإمام أحمد - عن عقبة بن عامر » وهو صحابي مشهور فقيه فاضل ، ولي إمارة مصر لمعاوية ثلاث سنين ومات قريباً في الستين .

* إذا ثبت نفعه فهو من الأسباب المشروعة للوقاية من الأمراض .

** أخرجه أحمد (٤/٤٤٥) ، وابن ماجه (٣٥٣١) ، وابن حبان (١٤١٠) ، قال الألباني : ضعيف .

انظر : ضعيف سنن ابن ماجه (ص ٢٨٧) برقم (٧٠٩) .

وله عن عقبة بن عامر رضي الله عنه مرفوعاً : « من تعلق تميمة فلا أتم الله له ، ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له » ^(١) .

وفي رواية : « من تعلق تميمة فقد أشرك » ^(٢) .

ولابن أبي حاتم عن حذيفة رضي الله عنه : أنه رأى رجلاً في يده خيط من الحمى

(١) قوله : « مرفوعاً - أي إلى النبي صلى الله عليه وسلم - « من تعلق تميمة فلا أتم الله له ، ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له »* . رواه أيضاً أبو يعلى ، والحاكم وقال : صحيح الإسناد ، وأقره الذهبي .

والتميمة : جمعها تائم ، وهي خرزات كانت العرب تعلقها على أولادها يتقون بها العين على زعمهم .

وقوله : « فلا أتم الله له » مقصوده : ومن تعلق ودعة - بفتح الواو وسكون الدال المهملة - قال في مسند الفردوس : شيء يخرج من البحر يشبه الصدف يتقون به العين . قوله : « فلا ودع الله له » أي لا جعله في دعة ولا سكون . وقيل : لا خفف الله عنه ما يجده ولا آمنه مما يخافه ، وهذا دعاء عليه .

(٢) قوله : « وفي رواية : من تعلق تميمة فقد أشرك » رواه أحمد أيضاً فقال : حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث ، حدثنا عبدالعزيز بن مسلم ، حدثنا يزيد بن أبي منصور عن دجين الحجري عن عقبة بن عامر الجهني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبل إليه رهط فبايع تسعة وأمسك عن واحد ، فقالوا : يا رسول الله ، بايعت تسعة وأمسكت عن هذا ، فقال : « إن عليه تميمة » فأدخل يده فقطعها فبايعه . وقال : « من تعلق تميمة فقد أشرك »* ورواه الحاكم بنحوه ، ورواته ثقات .

«ولابن أبي حاتم» وهو الإمام أبو محمد عبدالرحمن بن أبي حاتم الرازي التميمي

* أخرجه أحمد (٤/١٥٤) ، و ابن حبان (١٤١٣) ، والحاكم (٤/٢١٦) وقال صحيح الإسناد ، وأقره الذهبي ، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٥٧٠٣) .

** أخرجه الحاكم (٤/٢١٩) ، وأحمد (٢٨/٦٣٧) - الرسالة - رقم (١٧٤٢٢) ، وقال المحقق : إسناده قوي . وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٣٩٤) .

فقطعه وتلى قوله تعالى : ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴾ (١)

[يوسف : ١٠٦] .

الحنظلي صاحب «الجرح والتعديل» و «التفسير» وغيرهما، مات سنة سبع وعشرين وثلاثمائة «عن حذيفة» بن اليمان واسمه حُسيل - بمهملتين مصغراً ، ويقال حِسل بكسر ثم سكون - العيسي بالموحدة ، حليف الأنصار صحابي جليل من السابقين، ويقال له صاحب السر ، وأبوه أيضاً صحابي ، مات حذيفة في أول خلافة علي رضي الله عنه سنة ست وثلاثين .

(١) قوله : « أنه رأى رجلاً في يده خيط من الحمى » أي من أجل الحمى ، وكان الجهال يعلقون التمام والخيط ونحوها لدفع الحمى ، فروى وكيع عن حذيفة أنه دخل على مريض يعوده فلمس عضده فإذا فيه خيط ، فقال : ما هذا؟ قال : شيء رُقي لي فيه . « فقطعه » حذيفه وقال : لو مت وهو عليك ما صليت عليك . وفيه : إنكار مثل هذا وإن كان يعتقد أنه سبب ، فالأسباب لا يجوز منها إلا ما أباحه الله ورسوله مع عدم الاعتماد عليها ، وأما التمام والخيط والحروز والطلاسم ونحو ذلك مما يعلقه الجهال فهو شرك يجب إنكاره وإزالته بالقول والفعل وإن لم يأذن فيه صاحبه « وتلى - حذيفة - قوله تعالى : ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴾ ففيه : الاستدلال على الشرك الأصغر بما أنزل الله في الشرك الأكبر لشمول الآية له ودخوله في مسمى الشرك .

وفيه : التصريح بأن من تعلق تميمة فقد أشرك ، وأن تعليق الخيط عن الحمى من ذلك . وتلاوة حذيفة الآية دليل على أن الصحابة يستدلون بالآيات التي في الشرك الأكبر على الأصغر ، كما ذكر ابن عباس في آية البقرة ، و أن تعليق الودع عن العين من ذلك ، والدعاء على من تعلق تميمة أن الله لا يتم له ، ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له ، أي : ترك له . قاله المصنف رحمه الله تعالى .

٨. باب

(١) ما جاء في الرقى والتمائم

في الصحيح عن أبي بشير الأنصاري (٢) رضي الله عنه أنه كان مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره فأرسل رسولاً : أن لا ييقن (٣) في رقبة بعير قلادة من وتر أو قلادة إلا قطعت (٤) .

(١) قوله : « باب ما جاء في الرقى والتمائم » أي من النهي عن التمام وما لا يجوز من الرقى .

(٢) قوله : « في الصحيح عن أبي بشير » - بفتح الموحدة وكسر المعجمة - « الأنصاري » واسمه قيس بن عبيد . قاله ابن سعد . وقال ابن عبد البر : « لا يوقف له على اسم صحيح ، وهو صحابي شهد الخندق ومات بعد الستين ، ويقال : إنه جاوز المائة ﷺ » أنه كان مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره » قال الحافظ ابن حجر : لم أقف على تعيينه « فأرسل رسولاً » هو زيد بن حارثة ، روى ذلك الحارث بن أبي أسامة في مسنده . قاله الحافظ ابن حجر [الفتح ١٤١/٦] .

(٣) قوله : « أن لا ييقن » بفتح الياء والقاف ، ويحتمل أن يكون بضم الياء المثناة وكسر القاف « في رقبة بعير قلادة من وتر » بفتحين واحد أوتار القوس . وكان أهل الجاهلية إذا اخلوق الوتر أبدلوه بغيره وقلدوا به الدواب اعتقاداً منهم أنه يدفع عن الدابة العين ، فأمر النبي ﷺ بقطع الأوتار التي علقت على الإبل لما كان أهل الجاهلية يعتقدونه فيها .

(٤) قوله : « أو قلادة إلا قطعت »* يحتمل أن ذلك شك من الراوي ، ولأبي داود « ولا قلادة » بغير شك ، فعلى هذه الرواية تكون « أو » بمعنى الواو ، قال البغوي في « شرح السنة » [شرح السنة ٢٧/١١] : تأول مالك أمره عليه السلام بقطع القلائد على أنه من أجل العين؛ وذلك أنهم كانوا يشدون تلك الأوتار والتمائم والقلائد

* أخرجه البخاري (٣٠٠٥) ، ومسلم (٢١١٥) .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن الرقى والتمايم والتولة شرك » . رواه أحمد وأبو داود ^(١) .

ويعلقون عليها العوذ يظنون أنها تعصمهم من الآفات فنهاهم النبي صلى الله عليه وسلم عنها وأعلمهم أن الأوتار لا ترد من أمر الله شيئاً .

قلت : ومن هذا ما يفعله بعض الجهال من وضع رأس حمار ميت على باب بستانه أو شجرة صبار أو نعل قديمة على باب بيته للدفع العين ، وما يفعله بعض النساء من وضع رسم صليب على جبهة ولدها ، وهذا كله من الشرك الأصغر الاعتقادي المحرم ، ولا يرد من قدر الله شيئاً .

(١) قوله : « وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن الرقى والتمايم والتولة شرك » . رواه أحمد وأبو داود * وفيه قصة ، ولفظ أبي داود : عن زينب امرأة عبدالله بن مسعود أن عبدالله رأى في عنقي خيطاً فقال : ما هذا؟ قلت : خيط رُقي لي فيه . قالت : فأخذه فقطعه . ثم قال : أنتم آل عبدالله الأغنياء عن الشرك! سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن الرقى والتمايم والتولة شرك » فقلت : لقد كانت عيني تقذف ، وكنت أختلف إلى فلان اليهودي فإذا رقاها سكنت . فقال عبدالله : إنما ذلك الشيطان كان ينخسها بيده فإذا رقى كف عنها ، إنما يكفيك أن تقول كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « أذهب الباس رب الناس ، أشف أنت الشافي ، لا شفاء إلا شفاؤك ، شفاء لا يغادر سقماً » ** ورواه ابن ماجه وابن حبان والحاكم وقال صحيح ، وأقره الذهبي .

فالرقى الموصوفة بكونها شركاً هي الرقى التي فيها شرك من دعاء غير الله أو الاستغاثة أو الاستعاذة به وكالرقى بأسماء الملائكة والأنبياء والأولياء والجن ونحو ذلك .

* أخرجه أبو داود (٣٨٨٣)، وأحمد (١/٣٨١)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢/٧٣٥-٧٣٦) رقم (٣٢٨٨) .

** أخرجه مسلم (٢١٩١) من حديث عائشة رضي الله عنها .

وقال شيخ الإسلام [الفتاوى ١/٢٦٤-٢٦٥]: « حصول الغرض ببعض الأمور لا يدل على إباحته، وإن كان الغرض مباحاً ، فإن ذلك الفعل قد يكون فيه مفسدة راجحة على مصلحته والشرعية جاءت بتحصيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفسد وتقليلها، وإلا فجميع المحرمات من الشرك والخمر والميسر والفواحش والظلم قد يحصل لصاحبه به منافع ومقاصد ، لكن لما كانت مفسدها راجحة على مصلحتها نهى الله ورسوله عنها كما أن كثيراً من الأمور كالعبادات والجهاد وإنفاق الأموال قد تكون مضرة، لكن لما كانت مصلحته راجحة على مفسدته أمر به الشارع . انتهى . قوله : « والرقي » هي التي تسمى العزائم ، وخص منه الدليل ما خلا من الشرك ، فقد رخص فيه رسول الله ﷺ من العين والحمة ، كالرقي بالقرآن وأسماء الله وصفاته ودعائه والاستغاثة به وحده لا شريك له فليست ممنوعة بل جائزة أو مستحبة ، كما في صحيح مسلم عن عوف بن مالك قال : كنا نرقي في الجاهلية ، فقلنا : يا رسول الله ، كيف ترى في ذلك ؟ فقال : « أعرضوا علي رقاكم ، لا بأس بالرقي ما لم يكن فيها شرك »* وفيه : عن أنس ؓ قال : رخص رسول الله ﷺ في الرقية من العين والحمة والنملة** ، وقد رقى جبريل النبي ﷺ ، ورقى النبي أصحابه . قال الخطابي [معالم السنن ٤/٢٢٦] : « وكان عليه السلام قد رقى ورقى ، وأمر بها وأجازها . فإذا كانت بالقرآن أو بأسماء الله تعالى فهي مباحة أو مأمور بها . وإنما جاءت الكراهة والمنع، فيما كان منها بغير لسان العرب، فإنه ربما كان كفراً أو قولاً يدخله الشرك . قال: ويحتمل أن يكون الذي يكره منها ما كان على مذاهب الجاهلية التي يتعاطونها وأنها تدفع عنهم الآفات ، ويعتقدون ذلك من قبل الجن ومعونتهم» . انتهى . ولذا قال علي ؓ : إن كثيراً من هذه الرقي والتمايم شرك فاجتنبوه . رواه وكيع .

* أخرجه مسلم (٢٢٠٠) .

** أخرجه البخاري (٥٧٤١)، ومسلم (٢١٩٦) .

وقال ابن التين : « الرقى بالمعوذات وغيرها من أسماء الله تعالى هو الطب الرباني، فإذا كان على لسان الأبرار من الخلق، حصل الشفاء بإذن الله تعالى . فلما عَزَّ هذا النوع فزع الناس إلى الطب الجسماني وتلك الرقى المنهي عنها التي يستعملها المُعَزَّم وغيره ممن يدَّعي تسخير الجن له، فيأتي بأمرٍ مشتبهة مركبة من حق وباطل؛ يجمع إلى ذكر الله تعالى وأسمائه ما يشوبه من ذكر الشياطين والاستعانة بهم والتعوذ بمردتهم ، ويقال : إن الحية لعداوتها للإنسان بالطبع تصادق الشياطين لكونهم أعداء بني آدم ، فإذا عزم على الحية بأسماء الشياطين أجابت وخرجت من مكانها ، وكذلك اللديغ إذا رُقِيَ بتلك الأسماء سالت سمومها من بدن الإنسان ، ولذلك تكره الرقى ما لم تكن بآيات الله وأسمائه خاصة، وباللسان العربي الذي يعرف معناه، ليكون بريئاً من شوب الشرك » . انتهى .

وقال شيخ الإسلام : « كل اسم مجهول فليس لأحد أن يرقى به، فضلاً عن أن يدعو به ولو عُرف معناه ؛ لأنه يكره الدعاء بغير العربية ، وإنما يُرَخَّص لمن لا يعرف العربية ، فأما جعل الألفاظ الأعجمية شعاراً فليس من دين الإسلام » انتهى . وسئل ابن عبدالسلام عن الحروف المقطعة فمنع منها ما لا يعرف لثلاث يكون فيه كفر .

وقال السيوطي: « أجمع العلماء على جواز الرقى، عند اجتماع ثلاثة شروط:

* أن تكون بكلام الله أو بأسمائه وصفاته .

* وباللسان العربي وبما يعرف معناه .

* وأن يعتقد أن الرقية لا تؤثر بذاتها بل بتقدير الله تعالى » .

قوله : « والثَّوَلَة » بكسر المثناة وفتح الواو مخففة ، شيء يصنعونه يزعمون أنه يجب المرأة إلى زوجها والرجل إلى امرأته ، بهذا فسرها ابن مسعود راوي الحديث وهو ضرب من السحر .

وعن عبدالله بن عكيم مرفوعاً : « من تعلق شيئاً وكل إليه » . رواه أحمد والترمذي^(١) .

وقوله : « شرك » هنا خبر إن ، وإنما كانت هذه الأمور شركاً لأنهم أرادوا بها دفع المقادير المكتوبة ودفع الضر وجلب النفع من غير الله تعالى ، وهذا شرك أصغر ينافي كمال التوحيد وهو أكبر من الكبائر .

قوله : « رواه أحمد » وتقدّمت ترجمته ، « وأبو داود » : وهو سليمان بن الأشعث ابن إسحاق الأزدي السجستاني صاحب الإمام أحمد ومصنف « السنن » و« المراسيل » وغيرهما ، ثقة إمام حافظ من كبار العلماء ، مات سنة خمس وسبعين ومائتين رحمه الله تعالى ورضي عنه .

(١) قوله : « وعن عبدالله بن عكيم » بضم العين المهملة وفتح الكاف مصغراً ، يكنى أبا سعيد الجهني ، قال البخاري : أدرك النبي ﷺ ولم يعرف له سماع صحيح ، وكذا قال أبو حاتم . قال الخطيب : سكن الكوفة وقدم المدائن في حياة حذيفة وكان ثقة ، وذكر ابن سعد عن غيره أنه مات في ولاية الحجاج .

قوله : « مرفوعاً - أي إلى النبي ﷺ - « من تعلق شيئاً وكل إليه » رواه أحمد والترمذي * ، أي وكله الله إلى ذلك الشيء الذي تعلقه ، والتعلق يكون بالقلب وينشأ عنه القول والفعل وهو التفات القلب عن الله إلى شيء يعتقد أنه ينفعه أو يدفع عنه . قاله في « قرة العيون » ** . فمن تعلق بالله وأنزل حوائه به والتجأ إليه وفرض أمره إليه كفاه ويسر له كل عسير ، ومن تعلق بغيره أو سكن إلى رأيه وعقله وتمائمه وكله الله إلى ذلك وخذله . وروى الإمام أحمد عن سمع عطاء الخراساني قال : لقيت وهب بن منبه وهو يطوف بالبيت فقلت : حدثني حديثاً أحفظه عنك في مقامي هذا وأوجز .

* أخرجه أحمد (٤/٣١٠، ٣١١)، والترمذي (٢٠٧٢)، والحاكم (٤/٢١٦)، وحسنه الألباني في غاية المرام (٢٩٧) .

** (ص/٧٠) .

التمايم : شيء يُعلّق على الأولاد يتقون به العين^(١)، لكن إذا كان المعلق من القرآن فرخص فيه بعض السلف^(٢)، وبعضهم لم يرخص فيه،

قال : نعم ، أوحى الله تبارك وتعالى إلى داود : « يا داود أما وعزتي وعظمتي لا يعتصم بي عبدٌ من عبادي دون خلقي أعرف ذلك من نيته فتكيد السّموات السبع ومن فيهن ، والأرضون السبع ومن فيهن إلا جعلت له من بينهن مخرجاً ، أما وعزتي وعظمتي لا يعتصم عبد من عبادي بمخلوق دوني أعرف ذلك من نيته إلا قطعت أسباب السماء من يديه وأسخت الأرض من تحت قدميه ، ثم لا أبالي بأي أوديتها هلك . »

(١) قوله : « والتمايم شيء يُعلّق على الأولاد عن العين » وهذا في الغالب وإلا فلا فرق بين تعليقها على الأولاد أو الرجال أو النساء أو الدواب أو البيوت أو البساتين ، ولا فرق في الشيء المعلق بين أن يكون حلقاً أو خيوطاً أو ودعاً أو خرزاً أو غير ذلك مما اعتيد تعليقه عن العين ، وكل هذا ونحوه من التمايم محرم لا يجوز؛ لأنه من الشرك الأصغر الاعتقادي ، وهو أكبر من الكبائر .

(٢) قوله : « لكن إذا كان المعلق من القرآن فرخص فيه بعض السلف » وهو قول عبدالله ابن عمرو بن العاص ، وظاهر ما روى عن عائشة رضي الله عنها، وبه قال أبو جعفر الباقر ، وأحمد في رواية ، وحملوا الحديث على التمايم الشركية وهو ظاهر اختيار ابن القيم . « وبعضهم لم يرخص فيه ويجعله من المنهي عنه منهم ابن مسعود » وابن عباس وهو ظاهر قول حذيفة وعقبة بن عامر وابن عكيم رضي الله عنهم ، وبه قال جماعة من التابعين منهم أصحاب عبدالله بن مسعود وأحمد في رواية اختارها كثير من أصحابه ، وجزم به المتأخرون واحتجوا بالحديث وما في معناه ، فإن ظاهره العموم لم يفرق النبي ﷺ بين التي من القرآن وغيرها ، بخلاف الرقى فقد فرق فيها . قال في « فتح المجيد »* : « هذا هو الصحيح لوجوه ثلاثة تظهر للمتأمل :

ويجعله من المنهي عنه، منهم ابن مسعود رضي الله عنه .
والرُّقى : هي التي تسمى العزائم ، وخصَّ منها الدليل ما خلا من
الشرك، فقد رخص فيه رسول الله صلى الله عليه وآله من العين والحمة .
والتَّوَلَّى: هي شيء يصنعونه، يزعمون أنه يجب المرأة إلى زوجها والرجل
إلى امرأته .

وروى أحمد عن رويغ^(١) قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله : « يا رُوَيْغَ لعلَّ
الحياة مستطول بك فأخبر الناس^(٢) أن من عقد لحيته، أو تقلد وترأ، أو استنجى

الأول : عموم النهي ، ولا تُخصَّص للعموم .

الثاني : سدُّ الذريعة ، فإنه يفضي إلى تعليق ما ليس كذلك .

الثالث : أنه إذا علَّق فلا بد أن يمتنه المعلق بحمله معه في حال قضاء الحاجة
والاستنجاء ونحو ذلك . انتهى .

وإذا كان هذا اختلاف العلماء في تعليق القرآن وأسماء الله وصفاته ، فما
ظنك بما حدث من تعليق أسماء الشياطين والتعلق عليهم والاستعاذة بهم
والذبح لهم وسؤالهم كشف الضر وجلب النفع مما هو شرك أكبر محض . فالله
المستعان .

(١) قوله : « وروى الإمام أحمد عن رويغ » بن ثابت بن السكن بن عدي بن الحارث
الأنصاري نزل مصر وولي بركة، قال عبدالغني : ولي طرابلس وافتتح أفريقية سنة
سبع وأربعين ، وقال يونس : توفي ببرقة سنة ست وخمسين وله ثمانية أحاديث .
« قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله : يا رُوَيْغَ لعلَّ الحياة مستطول بك » فيه علم من أعلام
النبوة، فإن رويغاً طالت حياته إلى سنة ست وخمسين فمات ببرقة من أعمال مصر
أميراً عليها وهو من الأنصار . وقيل مات سنة ثلاث وخمسين .

(٢) قوله : « فأخبر الناس » دليلٌ على وجوب إخبار الناس وليس هذا مختصاً برويغ
بل كل من كان عنده علم ليس عند غيره مما يحتاج إلى الناس وجب إعلامهم به فإن

برجيج دابة أو عَظْم ، فإن محمداً بريءٌ منه .

اشترك هو وغيره في علم ذلك فالتبليغ فرض كفاية . قاله أبو زرعة .
 قوله : « أن من عقد لحيته » بكسر اللام لا غير . قال الخطابي : « وأما نهيه عن عقد
 اللحية فإن ذلك يفسر على وجهين :
 أحدهما : ما كانوا يفعلونه في الحرب ، كانوا يعقدون لحاهم ، وذلك من زي بعض
 الأعاجم يفتلونها ويعقدونها تكبراً وعجباً .
 ثانيهما : أن معناه معالجة الشعر ليتعقد ويتجدد ، وذلك من فعل أهل التأنيث .
 وقال أبو زرعة العراقي : « الأولى حمله على عقد اللحية في الصلاة كما دل عليه
 رواية محمد بن الربيع » .
 وفيه : أن من عقد لحيته في الصلاة أو تقلد وترأ يريد تميمة فيه أنه شرك لما كانوا
 يقصدونه بتقليده .
 قوله : « أو استنجى برجيج دابة أو عظم فإن محمداً بريءٌ منه »* أي من فعله . قاله
 النووي . وهذا خلاف الظاهر ، والنووي كثيراً ما يتأول الأحاديث بصرفها عن
 ظاهرها فيغفر الله له . قاله في « فتح المجيد »** .
 وقد ورد النهي عن الاستنجاء بالروث والعظام في أحاديث صحيحة ، منها :
 ما رواه مسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً « لا تستنجوا بالروث والعظام ، فإنه زاد
 إخوانكم من الجن »*** .
 ولما روى ابن خزيمة والدارقطني عن أبي هريرة رضي الله عنه : « نهى أن يُستنجى بعظم أو
 روث » وقال « إنهما لا يطهران »**** .

* أخرجه أحمد (١٠٩/٤) ، وأبو داود (٣٦) ، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (١/

١٠) رقم (٢٧) .

** (٢٤٩/١ - ٢٥٠) .

*** أخرجه مسلم (٤٥٠) بنحوه .

**** أخرجه ابن خزيمة (٨١ ، ٨٢ ، ٨٣) ، والدارقطني (١/٥٦) ، وفيه ابن الفرات منكر

الحديث . انظر : تيسير العزيز (ص / ١٣٩) تحقيق : زهير الشاويش .

وعن سعيد بن جبير^(١) : قال : « من قطع تميمة من إنسان كان كعدل رقبة ». رواه وكيع^(٢) .

(١) قوله « وعن سعيد بن جبير قال : « من قطع تميمة من إنسان كان كعدل رقبة ، رواه وكيع »* . هذا عند أهل العلم له حكم الرفع ؛ لأن مثل هذا لا يُقال بالرأي . فيكون هذا مرسلأ ؛ لأن سعيداً تابعي . قاله في « فتح المجيد »** . وتعبه في « إبطال التنديد »*** بأن هذا الحكم عندهم لما أتى عن الصحابة على أن فيه خلافاً ، أما ما جاء عن التابعين من هذا فلم يقل بذلك إلا قليل ، ولا نقول على رسول الله ﷺ ما لم نعلم أنه قاله ؛ ولهذا لم يذكره السخاوي إلا عن ابن العربي ، قال في « شرح الألفية » : « وقد ألحق ابن العربي بالصحابة في ذلك ما يبيح عن التابعين مما لا مجال للاجتهاد فيه ، فنصر على أنه يكون في حكم المرفوع ، وادعى أنه مذهب مالك » . انتهى .

(٢) وقوله : « رواه وكيع » وهو ابن الجراح الكوفي ثقة إمام صاحب تصانيف منها « الجامع » وغيره ، روى عنه الإمام أحمد وطبقته ، مات سنة سبع وتسعين ومائة . قوله : « وله » أي لو كيع « عن إبراهيم » بن يزيد النخعي الكوفي ، يُكنى أبا عمران، ثقة من كبار الفقهاء، قال المزي : دخل على عائشة ولم يثبت له سماع منها، مات سنة ست وتسعين وله خمسون سنة أو نحوها .

قوله : « كانوا » يعني أصحاب عبدالله بن مسعود كعلقمة والأسود وأبي وائل والحارث بن سويد وعبيدة السلماني ومسروق والربيع بن خيثم وسويد بن غفلة وغيرهم من سادات التابعين في زمانهم « يكرهون التمايم كلها من القرآن وغير القرآن » وهذه الصيغة يستعملها إبراهيم في حكاية أقوالهم .

قلت : والكراهة عند السلف كراهة التحريم كما هو المعروف في نصوص الكتاب والسنة لا كراهة التنزيه المصطلح عليها عند متأخري الفقهاء .

* أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٥٢٤) .

** (٢٥٠/١) .

*** (٧٠-٧١) .

وله عن إبراهيم قال : كانوا يكرهون التمايم كلها ، من القرآن وغير القرآن .



وفيه : معرفة تفسير الرقى والتمايم وتفسير التولة وأن هذه الثلاث كلها من الشرك من غير استثناء ، وأن الرقية بالكلام الحق من العين والحمه ليس من ذلك، وأن التميمة إذا كانت من القرآن فقد اختلف فيها العلماء هل هي من ذلك أم لا ، وأن تعليق الأوتار على الدواب عن العين من ذلك والوعيد الشديد على من تعلق وترأ وفضل ثواب من قطع تميمة من إنسان ، وأن كلام إبراهيم لا يخالف ما تقدم من الاختلاف ؛ لأن مراده أصحاب عبدالله بن مسعود . قاله المصنف رحمه الله .

٩-باب

من تبرك بشجرة أو حجر ونحوهما^(١)

وقول الله تعالى : ﴿ أَفَرَأَيْتُمْ أَكَلْتَ وَالْعُرَىٰ ﴾ [النجم : ١٩] .

(١١) قوله : « باب من تبرك بشجرة أو حجر ونحوهما » كبقعة وقبر ومشهد ونحو ذلك و « من » اسم شرط والجواب محذوف تقديره فقد أشرك . يقال : تبرك يتبرك تبركاً إذا طلب البركة أو رجاها أو اعتقدها .

والبركة : نوحان :

أحدهما : بركة هي وصف الرب تعالى تضاف إليه إضافة الرحمة والعزة والفعل ، منها تبارك قال تعالى : ﴿ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الأعراف : ٥٤] ، ﴿ تَبَرَّكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ ﴾ [الملك : ١] .

والثاني : بركة هي فعل الرب تعالى وتقدس ، والفعل منها بارك ويتعدى بنفسه تارة وبإداة (على) تارة وبإداة (في) تارة ، والمفعول منها مبارك وهو ما جعل منها كذلك ، وكان مباركاً يجعله تعالى ، يقال : بارك يبارك بركة ، قال تعالى : ﴿ وَيَبْرُكُ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّالِبِينَ ﴾ [فصلت : ١٠] وقال : ﴿ سُبْحٰنَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَنَيْنَا حَوْلَهُ ﴾ [الإسراء : ١] وقال الشاعر :

ولست أبالي حين أقتل مسلماً على أي شق كان في الله مصرعي
وذلك في ذات الإله وإن يشأ يبارك على أوصال شيلو ممزع

(٢) قوله : « وقول الله تعالى : ﴿ أَفَرَأَيْتُمْ أَكَلْتَ وَالْعُرَىٰ ﴾ وَمَنَوَةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ ﴾

[النجم : ١٩-٢٠] قال القرطبي : « إن فيها حذفاً تقديره : أفأريتم هذه الآلهة هل نفعت أو ضرت حتى تكون شركاء لله » . والشاهد من الآيات للترجمة أن أهل الجاهلية إنما عبدوا هذه الأوثان وعظموها لما يعتقدونه ويرجونه ويؤملونه من بركتها وشفاعتها ، وهذا هو الذي يقصده مشركو أزماننا ممن عبدوه سواء بسواء . فالتبرك بالمشايخ وقبور الصالحين كالتبرك باللات ، والتبرك بالأشجار كالتبرك بالعزى ،

والتبرك بالأحجار كالتبرك بمناة ، وهذه الأوثان الثلاثة من أعظم أوثان أهل الجاهلية من أهل الحجاز، فـ « اللآت » كانت لأهل الطائف ومن حولهم من العرب، و«العزى» كانت لقريش وبني كنانة ، و« مناة » لبني هلال . وقال ابن هشام : كانت لهذيل وخزاعة . و « اللات » بتخفيف التاء في قراءة الجمهور وقرأ ابن عباس وابن الزبير ومجاهد وغيرهم بتشديد التاء ، فعلى الأول قال الأعمش : سمو اللات من الإله ، والعزى من العزيز ، ومناة من المنان . واللات كانت صخرة بيضاء منقوشة عليها بيت بالطائف له استار وسدنة وهم بنو مغيث . قاله ابن كثير ، وحوله فناء معظم عند أهل الطائف وهم ثقيف يفتخرون بها على من عداهم من أحياء العرب بعد قريش . قال ابن هشام : وعلى قراءة التشديد كان رجلاً يلتُ السويق للحجاج ، فمات ، فعكفوا على قبره . ذكره البخاري .

وروى الفاكهي عن ابن عباس أن اللات لما مات قال لهم عمرو بن لحي: إنه لم يمّت ولكنه دخل في الصخرة فعبدوها وبنو عليها بيتاً وكانت في موضع مسجد الطائف ، فلما أسلمت ثقيف بعث رسول الله ﷺ المغيرة بن شعبة فهدمها وحرقها بالنار . وفيه : أن أهل الجاهلية كانوا يعبدون الصالحين مع عبادتهم الأصنام . قاله في « فتح المجيد »* .

وأما العزى فقال ابن جرير : كانت شجرة عليها بناء وأستار بنخلة بين مكة والطائف كانت قرش يعظمونها .

وعن أبي الطفيل قال : لما فتح رسول الله ﷺ مكة بعث خالد بن الوليد إلى نخلة وكانت بها العزى، فاتاها خالد وكانت على ثلاث سمرات فقطع السمرات وهدم البيت الذي كان عليها، ثم أتى النبي ﷺ فأخبره فقال : « ارجع فإنك لم تصنع شيئاً » فرجع خالد ، فلما أبصرته السدنة وهم حجبتها أمعنوا في الجبل وهم يقولون : يا عزى! يا عزى! فاتاها خالد فإذا امرأة ناشرة شعرها تحفن التراب على رأسها

عن أبي واقد الليثي^(١) قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حُنين ونحن حُدثاء عهد بكفر^(٢) ، وللمشركين سدرة يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم^(٣) ،

فعلها خالد بالسيف حتى قتلها، ثم رجع إلى رسول الله ﷺ فأخبره فقال : « تلك العزى »* .

قال ابن هشام : وكانوا يسمعون منها الصوت . « وكل هذا وما هو أعظم منه يقع في هذه الأزمنة عند ضرائح الأموات والمشاهد » . قاله في « فتح المجيد »** . وأما مناة فكانت بالمشلل عند قديد بين مكة والمدينة وكانت خزاعة والأوس والخزرج يعظمونها ويهلون منها للحج إلى الكعبة . وأصل اشتقاقها من اسم الله المنان ، وقيل سميت مناة لكثرة ما يبنى أي يراق عندها من الدماء للتبرك بها . قال البخاري في حديث عروة عن عائشة رضي الله عنها أنها صنم بين مكة والمدينة، قال ابن هشام : فبعث رسول الله ﷺ علياً فهدمها عام الفتح . قال ابن إسحاق : وكانت العرب اتخذت مع الكعبة طواغيت وهي بيوت تعظمها كتعظيم الكعبة ، لها سدنة وحجاب ويُهدى لها كما يُهدى للكعبة وتطوف بها وتنحر عندها . وفيه : معرفة تفسير آية النجم . قاله المصنف .

(١) قوله : « عن أبي واقد الليثي » - وهو الحارث بن عوف - صحابي مشهور، مات سنة ثمان وستين وله خمس وثمانون سنة ﷺ . قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حُنين ، اسم واد شرقي مكة معروف قاتل فيه رسول الله ﷺ هوازن .

(٢) قوله : « ونحن حُدثاء عهد بكفر » يشير إلى الذين خرجوا مع رسول الله ﷺ ممن قرب عهدهم بالإسلام من مسلمة الفتح وكانوا ألفاً ونيفاً .
قوله : « ونحن حُدثاء عهد بكفر » قيد أن غيرهم لا يجهل ذلك . قاله المصنف رحمه الله تعالى .

(٣) قوله : « وللمشركين سدرة يعكفون عندها » والعكوف هو الإقامة على الشيء

* أخرجه النسائي في الكبرى (٣٩٤٤)، وأبو يعلى في المسند (٩٠٢) .

يقال لها ذات أنواط^(١)، فمررنا بسدره فقلنا : يا رسول الله، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط فقال رسول الله ﷺ : « الله أكبر ، إنها

بالمكان ولزومه ، ومنه ﴿ مَا هَذِهِ التَّمَائِيلُ الَّتِي أَنْتَ لَهَا عَكْفُونَ ﴾ [الأنبياء: ٥٢] وعكوفهم عندها تبركاً وتعظيماً لها لما يعتقدونه فيها من البركة.

قوله : « وينوطون بها أسلحتهم » أي يعلقونها عليها للبركة ، وفي هذا بيان أن عبادتهم لها بالتعظيم والعكوف والتبرك ، وبهذه الأمور الثلاثة عبدت الأشجار ونحوها . قاله في « فتح المجيد »* .

(١) قوله : « يقال لها ذات أنواط » جمع نوط ، وهو مصدر سمي به المنوط .

قوله : « فمررنا بسدره فقلنا يا رسول الله ، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط » فلما رآها رسول الله ﷺ عدل عنها في يوم صائف الظل هو أدنى منها ، وقال : « الله أكبر » ، وفي رواية الترمذي : « سبحان الله » كبر ربه وعظمه ونزهه عن أن يتقرب إليه بمثل هذا .

وفيه : أن المستقل من الباطل الذي اعتاده قلبه لا يأمن أن يكون في قلبه بقية من تلك العادة لقوله : « ونحن حدثاء عهد بكفر » .

وأنه متقرر عندهم : أن العبادات مبناه على الأمر فصار فيه التنبيه على مسائل القبر ، أما من ربك فواضح ، وأما من نبيك فمن إخباره بأبناء الغيب ، وأما ما دينك فمن قولهم : « اجعل لنا .. إلى آخره » .

وفيه : التكبير عند التعجب خلافاً لمن كرهه وسد الذرائع والنهي عن التشبه بأهل الجاهلية والغضب عند التعليم . وفيه : معرفة صورة الأمر الذي طلبوا ، وكونهم لم يفعلوا وكونهم قصدوا التقرب إلى الله بذلك لظنهم أنه يحبه وأنهم إذا جهلوا هذا فغيرهم أولى بالجهل ، وأن لهم من الحسنات والوعد بالمغفرة ما ليس لغيرهم ، وأن النبي ﷺ لم يعذرهم بل ردّ عليها بقوله : « الله أكبر، إنها السنن، لتبعن سنن من كان قبلكم » فغلظ الأمر بهذه الثلاث. قاله المصنف رحمه الله .

السُّنن^(١) قَلْتُمْ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى : ﴿ أَجْعَلْ لَنَا
إِلَهًا كَمَا لَهُمْ إِلَهَةٌ ۗ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾ [الأعراف : ١٣٨] لَتَرْكِبُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ

(١) قوله : « إنها السنن » بضم السين أي الطرق أي ستفعل هذه الأمة ما فعلت الأمم قبلها من الشرك فما دونه كما في حديث أبي سعيد « لتبعن سنن من كان قبلكم حلوا القلعة بالقلعة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه » * قالوا : يا رسول الله، اليهود والنصارى ؟ قال : « فمن ؟ » وفيه القاعدة الكلية لقوله « إنها السنن » وأن هذا علم من أعلام النبوة لكونه وقع كما أخبر ، وأن ما ذم الله به اليهود والنصارى في القرآن أنه لنا ، يعني إذا عملنا كعملهم ، وأن سنة أهل الكتاب مذمومة كسنة المشركين . قاله المصنف رحمه الله تعالى .

قال شيخ الإسلام : « هذا خرج منه مخرج الخبر عن وقوع ذلك والذم لمن يفعله كما يخبر عما يفعله الناس بين يدي الساعة من الأشرار والأمور المحرمة ولا يقال إن كان الكتاب والسنة قد دلّا على وقوع ذلك فما فائدة النهي عنه ؛ لأن الكتاب والسنة أيضاً قد دلّا على أنه لا يزال في هذه الأمة طائفة متمسكة بالحق الذي بعث الله به محمداً ﷺ إلى قيام الساعة ، وأنها لا تجتمع على ضلالة ، ففي النهي عن ذلك تكثير لهذه الطائفة المنصورة وتثبيتها ، وزيادة إيمانها ، فنسأل الجيب أن يجعلنا منها ، وأيضاً لو فرض أن الناس لا يترك أحد منهم هذه المشابهة المنكرة لكان في العلم بها معرفة القبيح والإيمان بذلك فإن نفس العلم والإيمان بما كرهه الله خير وإن لم يعمل به ، بل فائدة العلم والإيمان أعظم من فائدة مجرد العمل الذي لم يقترن به علم ، ثم لو فرض أننا علمنا أن الناس لا يتركون المنكر ولا يعترفون بأنه منكر لم يكن ذلك مانعاً من إبلاغ الرسالة وبيان العلم بل ذلك لا يسقط وجوب الإبلاغ ولا وجوب الأمر والنهي في إحدى الروايتين عن أحمد ، وهو قول كثير من أهل العلم . انتهى ملخصاً .

* أخرجه البخاري (٧٣٢٠)، ومسلم (٢٦٦٩) عن أبي سعيد الخدري ؓ .

قبلكم». رواه الترمذي وصححه^(١).

(١) قوله: «قلت - والذي نفسي بيده - كما قالت بنو إسرائيل لموسى: اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة، قال: إنكم قوم تجهلون، لتركبن سنن من كان قبلكم». رواه الترمذي وصححه* وفيه: الأمر الكبير أنه أخبر أن طلبتهم كطلبة بني إسرائيل لما قالوا لموسى: ﴿أَجْعَلْ لَنَا إِلَهًا﴾. وأن نفي هذا من معنى لا إله إلا الله مع دقته وخفائه على أولئك، وأنه حلف على الفتيا وهو لا يحلف إلا للمصلحة، وأن الشرك فيه أكبر وأصغر لأنهم لم يرددوا بهذا قاله المصنف.

فإذا كان اتخاذ شجرة لتعليق الأسلحة والعكوف عندها كاتخاذ إله مع الله مع أنهم لا يدعونها ولا يسألونها ماذا يكون حكم ما حدث من عباد القبور من دعاء الأموات، والاستغاثة بهم، والذبح والنذر لهم، والطواف بقبورهم وتقبيلها، وتقبيل أعتابها وجدرائها، والتمسح بها، والعكوف عندها وجعل السدنة والحجاب لها؟! وأي نسبة بين هذا، وبين تعليق الأسلحة على شجرة تبركاً. انتهى من «الشرح»* بتصرف.

وفيه: أن العبرة بالمعاني لا بالأسماء، ولهذا جعل طلبتهم كطلبة بني إسرائيل، ولم يلتفت إلى كونهم سموها ذات أنواط، فالمشرك مشرك وإن سُمي شركه ما سماه. قاله في «فتح المجيد»***.

قلت: وهذا كتسمية مشركي زماننا دعاء الأموات والغائبين توسلاً. قال الحافظ أبو محمد عبدالرحمن بن إسماعيل الشافعي المعروف بأبي شامة في كتاب «البدع والحوادث» [ص ٢٣]: «ومن هذا؛ ما عمّ الابتلاء به من تزيين الشيطان للعامّة تخليق بعض الحيطان وإسراج مواضع مخصوصة في كل بلد يحكي لهم حاك أنه رأى في منامه بها أحداً ممن شهد بالصلاح والولاية فيفعلون ذلك يحافظون عليه مع تضييعهم الفرائض الله تعالى وسننه ويظنون أنهم متقربون بذلك، ثم يتجاوزون هذا

* أخرجه أحمد (٢٢٥/٣٦) - الرسالة - وقال المحقق: إسناده صحيح على شرط الشيخين،

والترمذي (٢١٨٠)، وابن أبي عاصم في السنة رقم (٧٦).

** (ص/١٤٧).

*** (٢٦٣/١).

إلى أن يعظم وقع تلك الأماكن في قلوبهم فيعظمونها ويرجون الشفاء لمرضاهم وقضاء حوائجهم بالنذر لها وهي من عيون وشجر وحائط وحجر، وفي مدينة دمشق من ذلك مواضع متعددة كعويئة الحمى خارج باب توما والعمود المخلوق داخل الباب الصغير والشجرة الملعونة خارج باب النصر في نفس قارعة الطريق، سهل الله قطها واجتائها من أصلها، فما أشبهها بذات أنواط الواردة في الحديث. انتهى.

قلت : ومن هذا ؛ افتتان بعض العوام بعين نجم التي في الأحساء فيقصدونها للاستشفاء لمرضاهم فما أشبهها بعويئة الحمى ، وكل هذا شرك وضلال فيجب النهي عنه . وفيه : الخوف من الشرك . وأن الإنسان قد يستحسن شيئاً يظن أنه يقربه إلى الله وهو مما يبعده من رحمته ويقربه من سخطه ، ولا يعرف هذا على الحقيقة إلا من عرف ما وقع في هذه الأزمان من كثير من العلماء والعباد مع أرباب القبور من الغلو فيها وصرف حيل العبادة لها ومحسبون أنهم على شيء وهو الذنب الذي لا يغفره الله .

تنبيه : ذكر بعض المتأخرين أن التبرك بأثار الصالحين مستحب كشرب سؤرهم ، والتمسح بهم أو بشبابهم ، وحمل المولود إلى أحدهم ليحنكه بتمرة حتى يكون أول ما يدخل جوفه ريق الصالحين ، والتبرك بعرقهم ، وقد أكثر من ذلك النووي في «شرح مسلم» في الكلام على الأحاديث التي فيها أن الصحابة فعلوا ذلك مع النبي ﷺ ، وظن أن غير النبي ﷺ ممن يدعي صلاحه مثله ، وهذا خطأ صريح لوجوه :

* منها : عدم المقاربة فضلاً عن المساواة للنبي ﷺ في الفضل .

* ومنها : عدم تحقق الصلاح ، ولا يتحقق ذلك إلا بصلاح القلب ، وهو أمر لا يمكن الاطلاع عليه إلا بنص .

* ومنها : أن الصحابة لم يكونوا يفعلون ذلك مع غيره ﷺ ، لا في حياته ، ولا بعد موته ، ولو كان خيراً لسبقونا إليه فيكون هذا من خصائص النبي ﷺ . انتهى ملخصاً من «الشرح» .*

١٠-باب

ما جاء في الذبح لغير الله^(١)

وقول الله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَّهُ ﴾ الآية^(٢) [الأنعام: ١٦٢-١٦٣] .

(١) قوله : « باب ما جاء في الذبح لغير الله » أي من النهي الأكيد والوعيد الشديد ، وأنه شرك ينافي التوحيد .

(٢) قوله : « وقول الله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَّهُ ﴾ أي : قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين يعبدون غير الله ويذبحون لغيره : إن صلاتي يشمل الفرائض والنوافل والصلوات كلها عبادة ، وقد اشتملت الصلاة على نوعي الدعاء : دعاء المسألة ودعاء العبادة ، فما كان فيها من السؤال والطلب فهو دعاء مسألة، وما كان فيها من الحمد والثناء والتسبيح والركوع والسجود وغير ذلك من الأركان والواجبات فهو دعاء عبادة ، وهذا هو التحقيق في تسميتها صلاة ؛ لأنها اشتملت على نوعي الدعاء الذي هو صلاة لغة وشرعاً . قاله شيخ الإسلام رحمه الله تعالى .

قوله : ﴿ وَنُسُكِي ﴾ قال سعيد بن جبير : أي ذبحي . وقال مجاهد : النسك الذبح في الحج والعمرة .

قوله : ﴿ وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي ﴾ أي ما أتيت في حياتي وما أموت عليه من الإيمان والعمل الصالح ﴿ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ خالصاً لوجهه لا شريك له في شيء من ذلك ولا في غيره من أنواع العبادة ، فالصلاة أجلّ العبادات البدنية ، والنسك أجلّ العبادات المالية .

قوله : ﴿ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ قال قتادة : من هذه الأمة ؛ لأن إسلام كل نبي متقدم على إسلام أمته . ووجه مطابقة الآية للترجمة أن الله تعالى تعبد عباده بأن يتقربوا إليه بالنسك كما تعبدهم بالصلاة وغيرها من أنواع العبادات وأمرهم أن يخلصوا

وقوله : ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ ﴾ ^(١) [الكوثر : ٢] .

عن علي ^(٢) ؓ قال : حدثني رسول الله ﷺ بأربع كلمات : « لعن الله من ذبح لغير الله ، »

جميع ذلك له دون ما سواه ، فإذا تقرّبوا إلى غير الله بالذبح أو غيره من أنواع العبادة فقد جعلوا لله شريكاً في عبادته وهو ظاهر في قوله : ﴿ لَا شَرِيكَ لَهٗ ﴾ ، نفى أن يكون لله شريك في هذه العبادات ، وهو بحمد الله واضح . قاله في « فتح المجيد » .
وفيه : معرفة تفسير ﴿ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي ﴾ . قاله المصنف رحمه الله .

(١) وقوله : ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ ﴾ قال شيخ الإسلام [الفتاوى ١٦ / ٥٣١] : « أمره الله أن يجمع بين هاتين العبادتين ، وهما : الصلاة والنسك الدالتان على القرب والتواضع ، والافتقار وحسن الظن ، وقوة اليقين ، وطمانينة القلب إلى الله وإلى عدته ، عكس حال أهل الكبر والنفرة ، وأهل الغنى عن الله الذين لا حاجة لهم في صلاتهم إلى ربهم ، يسألونه إياها ، والذين لا ينحرون له خوفاً من الفقر ، ولهذا جمع بينهما في قوله : ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ ﴾ فإنهما أجل ما يُتَقَرَّبُ به إلى الله ، ولهذا أتى فيهما بالفاء الدالة على السبب ؛ لأن فعل ذلك سبب للقيام بشكر ما أعطاه الله من الكوثر . وما يجتمع للعبد في الصلاة لا يجتمع له في غيرها ، كما عرفه أرباب القلوب الحية ، وما يجتمع له عند النحر إذا قارنه الإيمان والإخلاص من قوة اليقين وحسن الظن أمرٌ عجيب ، وكان ﷺ كثير الصلاة كثير النحر . انتهى .
وفيه : معرفة تفسير ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ ﴾ . قاله المصنف رحمه الله تعالى .

(٢) قوله : « عن علي » وهو الإمام أبو الحسن علي بن أبي طالب الهاشمي ابن عم النبي ﷺ وزوج فاطمة الزهراء رضي الله عنهما ، كان من السابقين الأولين ومن أهل بدر وبيعة الرضوان ، وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة ، ورابع الخلفاء

الراشدين، ومناقبه مشهورة ، قتله ابن ملجم الخارجي في رمضان سنة أربعين .
 « قال حدثني رسول الله ﷺ بأربع كلمات : لعن الله من ذبح لغير الله » أصل اللعن الطرد والإبعاد من الله ، ومن الخلق السبّ والدعاء . قاله أبو السعادات . وهذا هو الشاهد من الحديث للترجمة .

قال شيخ الإسلام على قوله تعالى ﴿ وَمَا أَهْلَ بِهِ لَعْنِ اللَّهِ ﴾ [البقرة: ١٧٣] :
 « ظاهره أنه ما ذبح لغير الله، مثل أن يقال : هذا ذبيحة لكذا. وإذا كان هذا هو المقصود فسواء لفظ به أو لم يلفظ. وتحريم هذا ظهر من تحريم ما ذبح النصراني للحم، وقال فيه : باسم المسيح ونحوه كما أن ما ذبحناه متقربين به إلى الله تعالى أذكى وأعظم مما ذبحناه للحم، وقلنا عليه : باسم الله ، فإذا حرم ما قيل فيه باسم المسيح أو الزهرة، فلأن يحرم ما قيل فيه لأجل المسيح والزهرة أو قصد به ذلك أولى ، فإن العبادة لغير الله أعظم كفراً من الاستعانة بغير الله ، فعلى هذا لو ذبح لغير الله متقرباً إليه يحرم ، وإن قال فيه باسم الله كما قد يفعله طائفة من منافقي هذه الأمة، الذين يتقربون إلى الكواكب بالذبح والبخور ونحو ذلك ، وإن كان هؤلاء مرتدين لا تباح ذبيحتهم بحال ، لكن يجتمع في الذبيحة مانعان :

الأول : أنها مما أهل به لغير الله .

والثاني : أنها ذبيحة مرتد .

ومن هذا ما يفعله الجاهلون بمكة من الذبح للجن ولهذا يروى عن النبي ﷺ أنه نهى عن ذبائح الجن .

قال الزمخشري : « كانوا إذا اشتروا داراً أو بنوها أو استخرجوا عيناً ذبحوا ذبيحة خوفاً من أن تصيبهم الجن فأضيفت إليهم الذبائح لذلك » .

قال في « الشرح » * : « قال النووي : وذكر الشيخ إبراهيم المروزي من

لعنَ اللهُ من لعن والدیه^(١)، لعن اللهُ من آوى محدثاً^(٢)،

أصحابنا أن ما ذبح عند استقبال السلطان تقريباً إليه أفتى أهل بخارى بتحريمه ؛ لأنه مما أهل به لغير الله .

قال الرافعي: « إنما يذبحونه استبشاراً بقدومه فهو كذبح العقيقة لولادة المولود . » قال في « الشرح »* : « إن كان إنما يذبحونه استبشاراً كما ذكر الرافعي، فلا يدخل في ذلك، وإن كانوا يذبحونه تقريباً إليه فهو داخل في الحديث . » انتهى .

وإني لأعجب من كلام الرافعي وقياسه الذبح للسلطان تقريباً إليه وتعظيماً له عند قدومه الذي هو شرك أكبر على العقيقة التي هي سنة نبوية ، وأعجب منه موافقة الشارح له على ذلك وهذا القياس إنما يصح لو كانت العقيقة مشروعاً عند وضع المولود وهي إنما تشرع في اليوم السابع من الولادة فما بعده، اللهم إنا نعوذ بك من سوء الفهم وانقلاب الحقائق .

(١) قوله : « لعن اللهُ من لعن والدیه » يعني : أباه وأمه وإن علوا ، وفي الصحيح أن رسول الله ﷺ قال : « من الكبائر شتم الرجل والديه . » قالوا : وهل يشتم الرجل والديه . قال : « نعم ، يسب أبا الرجل فيسب أباه ، ويسب أمه فيسب أمه »* .

(٢) قوله : « لعن اللهُ من آوى محدثاً » وهو بفتح الهمزة ممدودة إلى ضمة إليه ، وحماء . وأما محدثاً فقال أبو السعادات [النهاية ٨٢/١ ، ٣٥١] : يُروى بكسر الدال وفتحها على الفاعل والمفعول، فمعنى الكسر : من نصر جانياً وآواه وأجاره من خصمه، وحال بينه وبين أن يُقتَصَّ منه ، والفتح : هو الأمر المُبتَدَع نفسه، ويكون معنى الإيواء فيه الرضى به والنصر فإنه إذا ارتضى بالبدعة وأقر فاعلها ولم ينكر عليه فقد آواه . قال ابن القيم : « هذه الكبيرة تختلف مراتبها باختلاف مراتب الحدث في نفسه ، فكلما كان الحدث في نفسه أكبر كانت الكبيرة أعظم » .

* (ص/١٥٥) .

** أخرجه البخاري (٥٩٧٣) ، ومسلم (٨٩) .

لعن الله من غير منار الأرض^(١) . رواه مسلم .

وعن طارق بن شهاب^(٢) أن رسول الله ﷺ قال : « دخل الجنة رجل في ذباب ، ودخل النار رجل في ذباب . قالوا : وكيف ذلك يا رسول الله ؟ . قال :

(١) قوله : « لعن الله من غير منار الأرض »* بفتح الميم ، علامات حدودها ، وهي التي توضع لتمييز حق الشركاء إذا اقتسموا ما بينهم في الأرض والدور . قال المصنف : وهي المراسيم التي تفرق بين حقلك وحق جارك فتغيرها بتقديم أو تأخير . قال في « النهاية » [١٨٣/١] : « منار الأرض معالمها وحدودها » . وفي الحديث : « من ظلم شبراً من الأرض طوقه من سبع أرضين يوم القيامة »* . ومن تغيير منار الأرض ما يفعله بعض فسقة الكتّاب والمحامين من التلاعب في الحجج والسجلات وتغيير حدودها بزيادة أو نقص فيها ، أو إخفاء الحجج وعمل استحكامات بخلافها حتى يعود الوقف ملكاً أو إخفاء شرط الواقف لإخراج مستحق وإدخال غيره ، كما هو جار كثيراً ، نسأل الله العافية .

وفيه : البداءة بلعنة من ذبح لغير الله ولعن من لعن والديه . ومنه : أن تلعن والدي الرجل فيلعن والديك ، ولعن من آوى محدثاً وهو الرجل يحدث شيئاً يجب فيه حق لله فيلتجئ إلى من يجيره من ذلك ، والفرق بين لعن المعين ولعن أصحاب المعاصي على سبيل العموم . قاله المصنف رحمه الله تعالى . وأما لعن الفاسق المعين ففيه قولان : أحدهما : أنه جائز ، اختاره ابن الجوزي وغيره .

والثاني : لا يجوز ، اختاره أبو بكر عبدالعزيز ، وشيخ الإسلام .

(٢) قوله : « وعن طارق بن شهاب » البجلي الأحمسي أبو عبدالله رضي الله عنه ، قال أبو داود : رأى النبي ﷺ ولم يسمع منه شيئاً .

قال الحافظ : إذا ثبت أنه لقي النبي ﷺ فهو صحابي ، وإذا ثبت أنه لم يسمع منه

* أخرجه مسلم (١٩١٨) .

** أخرجه أحمد (٤١٢/٤٠) (٥١/٤١) ، وأصله في الصحيحين .

« مرَّ رجلان على قوم لهم صنمٌ لا يَجُوزُهُ أحدٌ حتى يَقْرُبَ له شيئاً . فقالوا لأحدهما : قُرْب . قال : ليس عندي شيء أقرب . قالوا : قُرْب ولو ذبأباً ، فقرب ذبأباً فخلوا سبيله فدخل النار . وقالوا للآخر : قُرْب . فقال : ما كنت لأقرب لأحدٍ شيئاً دون الله - عز وجل - فضربوا عنقه ، فدخل الجنة »^(١) رواه أحمد .

فروايته عنه مرسل صحابي وهو مقبول على الراجح ، وكانت وفاته على ما جزم به ابن حبان سنة ثلاث وثمانين « أن رسول الله ﷺ » قال : « دخل الجنة رجل في ذباب ، ودخل النار رجل في ذباب » أي من أجله وبسببه ، قالوا : وكيف ذلك يا رسول الله ؟ كأنهم تقولوا ذلك ؛ لأن الجنة لا يدخلها أحدٌ إلا بالأعمال الصالحة ، والنار لا يدخلها أحدٌ إلا بالأعمال السيئة ، واحتقروا الذباب ، فتعجبوا من ذلك فبين لهم النبي ﷺ ما صيّر هذا الأمر الحقير عظيماً يستحق هذا عليه الجنة ، ويستحق هذا عليه النار . « فقال : مرَّ رجلان على قوم لهم صنمٌ والصنم ما كان منحوتاً على صورة ويعلق عليه الوثن .

(١) قوله : « لا يجاوزه - أي لا يمر - به أحدٌ حتى يَقْرُبَ له شيئاً . فقالوا لأحدهما : قُرْب . قال : ليس عندي شيء أقرب . قالوا : قُرْب ولو ذبأباً ، فقرب ذبأباً فخلوا سبيله فدخل النار . وقالوا للآخر : قُرْب . فقال : ما كنت لأقرب لأحدٍ شيئاً دون الله - عز وجل - فضربوا عنقه ، فدخل الجنة »* . وفي هذه القصة العظيمة وهي قصة الذباب أنه دخل النار بسبب الذباب الذي لم يقصده بل فعله تخلفاً من شرهم وأنه مسلم قبل تقرب الذباب ؛ لأنه لو كان كافراً لم يقل دخل النار في ذباب . وفيه : أن عمل القلب هو المقصود الأعظم حتى عند عبدة الأوثان . قال المصنف رحمه الله : وفيه بيان عظم الشرك ولو في شيء يسير حقير ، فكيف بمن يستسمن الإبل والبقر والغنم ويقربها لغير الله من ميت أو غائب أو طاغوت

* أخرجه أحمد في الزهد (ص/٢٥) عن طارق بن شهاب عن سلمان الفارسي موقوفاً بسند صحيح ، وأبو نعيم في الحلية (١/٢٠٣) .



أو مشهد أو غير ذلك ، وقد عمّت البلوى بهذا في الأمصار وما هو أعظم منه ،
فلا حول ولا قوة إلا بالله .
وفيه : معرفة قدر الشرك في قلوب المؤمنين كيف صبر على القتل ولم يوافقهم
على طلبتهم مع كونهم لم يطلبوا إلا العمل الظاهر .
وفيه : شاهد للحديث الصحيح « الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعليه ، والنار
مثل ذلك »* . قاله المصنف رحمه الله تعالى .

* أخرجه البخاري (٤٦٨٨) .

١١-باب

لا يُذبح لله بمكان يُذبح فيه لغير الله^(١)

وقول الله تعالى : ﴿ لَا تَقْعَ فِيهِ أَبَدًا ﴾^(٢) الآية [التوبة : ١٠٨] .

(١) قوله : « باب لا يُذبح لله في مكان يُذبح فيه لغير الله » لا : نافية ، ويحتمل أنها للنهي وهو أظهر . قاله في « فتح المجيد »* .

ذكر المصنف رحمه الله هذه الترجمة في النهي عن الذبح لله في المكان الذي يُذبح فيه لغير الله لثلاث تقع مشابهة أهل الشرك في ذبحهم لطواغيتهم .

(٢) قوله : « وقول الله تعالى : ﴿ لَا تَقْعَ فِيهِ أَبَدًا ﴾ الآية » هذا نهى من الله تعالى

لنبيه أن يقوم في مسجد الضرار الذي بناه المنافقون ضراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين وإرصاد لمن حارب الله ورسوله والأمة تبع له في ذلك . والشاهد من الآية للترجمة أن الله نهى رسوله أن يقوم في مسجد الضرار ؛ لأنه أسس على معصية الله ، مع أنه لا يقوم فيه إلا الله فكذلك المواضع التي أعدت للذبح لغير الله لا يجوز أن يُذبح فيها الموحد لله ؛ لأنها قد أسست على معصية الله والشرك به .

وقد كان سبب نزول هذه الآيات الكريمة أنه كان بالمدينة قبل مقدم رسول الله ﷺ رجل من الخزرج يقال له أبو عامر الراهب وكان قد تنصّر في الجاهلية وكان له شرف في الخزرج كبير فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة واجتمع المسلمون عليه وأظهروا الله يوم بدر شرق اللعين بريقه وخرج إلى مكة ، فألبهم على حرب رسول الله ﷺ فاجتمعوا بمن وافقهم من أحياء العرب وقدموا عام أحد ، وكان من أمر المسلمين ما كان ، وامتنحهم الله عز وجل ، وكانت العاقبة للمتقين ، وكان هذا الفاسق قد حفر حُفراً فيما بين الصفين فوق في إحداهن رسول الله ﷺ وأصيب ذلك اليوم وجهه وكُسرت ربايعته اليمنى السفلى ، وشج رأسه صلوات الله وسلامه عليه ، وتقدّم أبو عامر في أول المبارزة إلى قوم من الأنصار فخطبهم

فاستماهم إلى نصره ، فقالوا : لا أنعم الله بك علينا يا فاسق . فرجع وهو يقول :
والله لقد أصاب قومي بعدي شر . وكان رسول الله ﷺ قد دعاه قبل فراره وقرأ
عليه القرآن فابى أن يسلم وتمرد ، فدعا عليه رسول الله ﷺ أن يموت بعيداً طريداً
فنالت هذه الدعوة ، وذلك أنه لما فرغ الناس من أخذ ورأى أمر رسول الله ﷺ في
ارتفاع ذهب إلى هرقل ملك الروم يستنصره على النبي ﷺ فوعده ومناه وأقام
عنده وكتب إلى جماعة من قومه من أهل النفاق يعدهم أنه سيقدم بجيش يقاتل به
رسول الله ﷺ ، وأمرهم أن يتخذوا له معقلاً لمن يقدم عليهم من عنده ، فشرعوا
في بناء المسجد الضرار ، وذكروا أنهم بنوه للضعفة وأهل العلة في الليلة الشاتية
وطلبوا من النبي ﷺ أن يصلي فيه ، وكان قد تأهب للخروج إلى غزوة تبوك ،
فقال : « إذا رجعنا إن شاء الله تعالى » فلما قفل راجعاً إلى المدينة ولم يبقَ بينه وبينها
إلا يوم أو بعض يوم ، نزل عليه الوحي بخبر المسجد ، فبعث إليه مالك بن الدخشم
أخا بني سالم بن عوف ومعن بن عدي أو أخاه عامر بن عدي فهدهما وحرقاه ،
وانزل الله فيه : ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ
وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ
إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ لَا نَقُصُّ فِيهِ أَبَدًا لِمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ
تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَّطَّهَرُوا ﴿١٠٨﴾ [التوبة : ١٠٧-١٠٨] روى الإمام
أحمد وابن خزيمة وغيرهما عن عويم بن ساعدة الأنصاري أن النبي ﷺ أتاهم في
مسجد قباء فقال : « إن الله أحسن عليكم الثناء بالطهور في قصة مسجدكم ، فما هذا
الطهور ؟ » فقالوا : والله يا رسول الله ما نعلم شيئاً إلا أنه كان لنا جيران من
اليهود فكانوا يغسلون أديبارهم من الغائط فغسلنا كما غسلوا . وفي رواية عن جابر

* أخرجه أحمد (١٥٤٦٣) ، وابن خزيمة (٨٣) ، والطبراني (٣٤٨/١٧) ، والحاكم (١٥٥/١) .

قال الدكتور محمد مصطفى الأعظمي : إسناده ضعيف .

وأنس : « هو ذاك فعليكموه » . رواه ابن ماجه وابن أبي حاتم والدارقطني والحاكم* .
قوله : ﴿ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ ﴾ قال أبو العالية : إن الطهور بالماء لحسن ،
ولكنهم المتطهرون من الذنوب . فنهى الله رسوله ﷺ عن الصلاة فيه وحثه على
الصلاة في مسجد قباء الذي أسس من أول يوم بُني على التقوى وهي طاعة الله
ورسوله وجمعاً لكلمة المسلمين ، ومعقلاً للإسلام وأهله .

قال ابن كثير [التفسير ٤/٢١٦] : « وفيه دليل على استحباب الصلاة مع الجماعة
الصالحين المتزهين عن ملابسة القاذورات ، المحافظين على إسباغ الوضوء » . وفيه
: إثبات المحبة . قاله في « الشرح »** .

وقد جاء في الصحيح أن رسول الله ﷺ كان يزور قباء راكباً وماشياً ، وجاء فيه
أيضاً أن رسول الله ﷺ قال : صلاة في مسجد قباء كعمرة .

وقد ذهب جماعة من السلف منهم : ابن عباس ، وعروة ، وعطية ، والشعبي ،
وغيرهم إلى أن المسجد المذكور في الآية هو مسجد قباء ويؤيده قوله تعالى : ﴿ فِيهِ
رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا ﴾ . قاله في «فتح المجيد»*** . وقيل : هو مسجد رسول
الله ﷺ لحديث أبي سعيد الذي رواه مسلم قال : تمارى رجلان في المسجد الذي
أسس على التقوى من أول يوم ، فقال أحدهما : هو مسجد قباء . وقال الآخر :
هو مسجد رسول الله ﷺ . فقال رسول الله ﷺ : « هو مسجدي هذا »*** ، وهو
قول عمر وابنه وزيد بن ثابت وغيرهم .

قال ابن كثير [التفسير ٤/٢١٤] : « وهذا صحيح ولا منافاة بين الآية والحديث ؛

* أخرجه ابن ماجه (٣٥٥) ، والدارقطني (٦٢/١) ، والحاكم (٥٥/١) و(٣٣٤/٢) .

وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (١٢٨/١) رقم (٢٩٠) .

** (ص/١٦١) .

*** (٢٨٠/١) .

**** أخرجه مسلم (١٣٩٨) بنحوه .

عن ثابت بن الضحَّاك^(١) رضي الله عنه قال : نَدَرَ رجلٌ أن ينحر إبلاً بيوآنة، فسأل النبي ﷺ فقال : « هل كان فيها وثنٌ من أوثان الجاهلية يُعبد؟ ». قالوا : لا .

لأنه إذا كان مسجد قباء قد أُسِّسَ على التقوى من أول يوم فمسجدُ رسول الله ﷺ بطريق الأولى . انتهى .

وقال شيخ الإسلام على قوله : « لَا نَقُتْ فِيهِ أَبَدًا » : « فإنه من أمكنة العذاب . قال سبحانه : « أَفَمَنْ أَتَسَسَ بُنْيَكُنْهُ عَلَى تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَتَسَسَ بُنْيَكُنْهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَاتَّهَارَ بِهِ فِي نَارٍ جَهَنَّمَ » [التوبة: ١٠٩] ، وقد روي أنه لم هُدم خرج منه دخان ، وهذا كما أنه ندب إلى الصلاة في أمكنة الرحمة كالمساجد الثلاثة ومسجد قباء ، فكذلك نهى عن الصلاة في أماكن العذاب ، وأما أماكن الكفر التي لم يكن فيها عذاب ، إذا جعلت مكاناً للإيمان والطاعة فهذا حسن ، كما أمر النبي ﷺ أهل الطائف أن يجعلوا المسجد مكان طاعتهم ، وأمر أهل اليمامة أن يتخذوا المسجد مكان بيعة كانت عندهم . انتهى .

وفيه : معرفة تفسير : « لَا نَقُتْ فِيهِ أَبَدًا » ، وأن المعصية قد تؤثر في الأرض وكذلك الطاعة . قاله المصنف رحمه الله .

(١) قوله : « عن ثابت بن الضحَّاك » بن خليفة الأشهلي صحابي مشهور روى عنه أبو قلابة وغيره ، مات سنة أربع وستين « قال ندر رجل أن ينحر إبلاً بيوآنة » بضم الموحدة وقيل بفتحها .

قال البغوي : « موضع في أسفل مكة دون يلملم » .

وقال أبو السعادات : « هضبة من وراء ينبع » .

« فسأل النبي ﷺ فقال : هل كان فيها وثنٌ من أوثان الجاهلية يُعبد ؟ . قالوا : لا » والوثن ما ليس منحوتاً على صورة ، والصنم ما كان منحوتاً على صورة ، ويطلق عليه أيضاً الوثن .

« فقال : هل كان فيها عيد من أعيادهم ؟ قالوا : لا » قال شيخ الإسلام [الاتضاء ١/٤٤١] : « العيد اسم لما يعود من الاجتماع العام على وجه معتاد عائداً إما بعود

قال : « فهل كان فيها عيدٌ من أعيادهم؟ » . قالوا : لا . فقال رسول الله ﷺ : « أوفٍ بنذرِك^(١) ، فإنه لا وفاء لنذرٍ في معصية الله ، ولا فيما لا يملك ابنُ آدم » .

السنة، أو بعود الأسبوع أو الشهر ونحو ذلك، والمراد هنا الاجتماع المعتاد من اجتماع أهل الجاهلية، فالعيد يجمع أموراً منها: يوم عائد كيوم الفطر، ويوم الجمعة، ومنها اجتماع فيه ، ومنها أعمال تتبع ذلك من العبادات والعادات ، وقد يختص العيد بمكان وقد يكون مطلقاً ، وكل من هذه الأمور يُسمى عيداً ، والزمان كقول النبي ﷺ في يوم الجمعة « إن هنا يوم جعله الله للمسلمين عيداً* » ، والاجتماع والأعمال كقول ابن عباس رضي الله عنهما : شهدت العيد مع رسول الله ﷺ ، والمكان كقول النبي ﷺ : « لا تخلوا قبوري عيداً** » وقد يكون لفظ العيد اسماً لمجموع اليوم والعمل وهو الغالب كقول النبي ﷺ للجاريين اللتين تغنيان عند النبي ﷺ بما تناشدته الأنصار يوم بُعث « دعهما يا أبا بكر، فإن لكل قوم عيداً*** » . وفيه : رد المسألة المشككة إلى المسألة البيّنة ليزول الإشكال ، والاستفصال للمفتي إذا احتاج إلى ذلك .

(١) قوله : « فقال أوفٍ بنذرِك » حيث تحقق عدم المانع من الوفاء به « فإنه لا وفاء لنذرٍ في معصية الله » . وفيه : أنه لا وفاء لنذرٍ في معصية الله . قاله المصنف رحمه الله ؛ وهذا يدل على تحريم الوفاء بنذر المعصية ، وهل تجب فيه كفارة يمين ؟ على قولين هما روايتان عن أحمد :

إحداهما : تجب ، وهي المذهب ، روي عن ابن عباس وابن مسعود ، وبه قال أبو حنيفة وأصحابه لحديث عائشة رضي الله عنها مرفوعاً « لا نذر في معصية ،

* أخرجه ابن ماجه (١٠٩٨) ، وأحمد (٣٠٣/٢) ، (٥٣٢) ، وحسنه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (٣٢٦/١) رقم (٩٠٨) .

** أخرجه أحمد (٣٦٧/٢) . قال الألباني : إسناده حسن ، وهو على شرط مسلم ، وهو صحيح ، لئلا له من طرق وشواهد . انظر أحكام الجنائز (ص/ ٢٨٠) .

*** أخرجه البخاري (٩٥٢) ، ومسلم (٨٩٢) .

وكفّارته كفارة يمين* . رواه أحمد وأهل السنن ، واحتج به أحمد وإسحاق .
والثاني : لا تجب فيه كفارة يمين ، روي ذلك عن مسروق والشعبي والشافعي
لحديث الباب .

قال شيخ الإسلام : « وأما نذره لغيره الله فهو بمنزلة أن يحلف بغير الله ،
والحالف بالمخلوقات لا وفاء عليه ولا الكفارة ، وكذلك الناذر للمخلوقات ، فإن
كليهما شرك ، والشرك ليس له حرمة بل عليه أن يستغفر الله من هذا العقد ،
ويقول ما قال النبي ﷺ : « من حلف باللات والعزى فليقل : لا إله إلا الله »** .
وفيه : أن تخصيص البقعة بالنذر لا بأس به إذا خلا من الموانع ، والمنع منه إذا كان
فيه وثن من أوثان الجاهلية ولو بعد زواله ، والمنع منه إذا كان فيه عيد من أعيادهم
ولو بعد زواله ، وأنه لا يجوز الوفاء بما نذر في تلك البقعة لأنه نذر معصية ،
والحذر من مشابهة المشركين في أعيادهم ولو لم يقصده» . قاله المصنف رحمه الله .
قال في « قرة العيون »*** : « وفيه : المنع من اتخاذ آثار المشركين محلاً للعبادة
لكونها صارت محلاً لما حرم الله من الشرك والمعاصي ، والحديث وإن كان في
النذر فيشمل كل ما كان عبادة ، فلا تفعل في هذه الأماكن الخبيثة التي اتخذت محلاً
لما يسخط الله تعالى ، فبهذا صار الحديث شاهداً للترجمة ، والمصنف لم يرد
التخصيص بالذبح وإنما ذكر الذبح كالمثال ، وقد استشكل جعل محل اللات
بالطائف مسجداً » . انتهى .

قلت : لا إشكال مع ما ذكرناه عن شيخ الإسلام فيما تقدم أول الباب .

* أخرجه أحمد (٢٤٧/٦)، وأبو داود (٣٢٩٠، ٣٢٩١)، والترمذي (١٥٢٤) وقال : هذا
حديث لا يصح، وابن ماجه (٢١٢٥)، والنسائي (٢٦/٧). وضعفه النووي في شرحه
صحيح مسلم (١٠١/١١) قال : « حديث ضعيف باتفاق المحدّثين » .
** أخرجه البخاري (٦٦٥٠)، ومسلم (١٦٤٧) .
*** (ص/٨٣-٨٤) .

رواه أبوداود^(١) ، وإسناده على شرطهما^(٢) .

(١) قوله : « ولا فيما لا يملك ابن آدم » . رواه أبوداود . يعني : إذا أضاف النذر إلى معين لا يملكه بأن قال : إن شفى الله مريضى فله على أن أعتق عبد فلان ، فأما إذا التزم في الذمة شيئاً لا يملكه كأن يقول : إن شفى الله مريضى فله على أن أعتق رقبة ، وهو في تلك الحال لا يملكها ولا قيمتها فيصح نذره ، وإذا شفى مريضه ثبت النذر في ذمته .

وفيه : أنه لا نذر فيما لا يملك . قاله المصنف رحمه الله .

(٢) قوله : « وإسناده على شرطهما » أي البخاري ومسلم ، وشرط البخاري في صحة المعنعن اللقى مع المعاصرة ، وأما غير المعنعن فيكتفى فيه المعاصرة وبدونها مثل حدثنا لأنها صريحة في المشافهة ، وأما مسلم فاكتفى بالمعاصرة مع إمكان اللقى .

١٢- باب

(١) من الشرك النذر لغير الله

وقول الله تعالى : ﴿ يُؤْفُونَ بِالَّذِرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ﴾ [الإنسان : ٧] .

وقوله : ﴿ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ ﴾ (٢)

[البقرة : ٢٧٠] .

(١) قوله : « باب من الشرك النذر لغير الله » تعالى أي لكونه عبادة يجب الوفاء به إذا

نذره لله تعالى .

« وقول الله تعالى ﴿ يُؤْفُونَ بِالَّذِرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ﴾ » قال ابن كثير [التفسير

٢٨٧/٨] : « أي يتعبدون لله تعالى فيما أوجبه عليهم من فعل الطاعات الواجبة

بأصل الشرع ، وما أوجبه على أنفسهم بطريق النذر . والشاهد من الآية

للترجمة أن الله مدح الموفين بالنذر ، والله لا يمدح إلا على فعل واجب أو

مستحب أو ترك محرم ، وذلك هو العبادة ، فمن فعل شيئاً من ذلك لغير الله

متقرباً به إليه فقد أشرك ، فالنذر لغير الله شرك أصغر كالحلف بغيره » .

وقال شيخ الإسلام [الفتاوى ١/ ٨١] : « النذر أعظم من الحلف » .

وقال ابن القيم رحمه الله : « النذر عبادة يتقرب بها الناذر إلى المنذور له » .

(٢) قوله : « وقول الله تعالى : ﴿ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ

فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ ﴾ » قال ابن كثير [التفسير ١/ ٧٠٥] : « يخبر تعالى بأنه عالم بجميع

ما يعمله العاملون من [الخيرات من] النفقات والمنذورات وتضمن ذلك

مجازاته على ذلك أوفر الجزاء للعاملين به ابتغاء وجهه » . انتهى .

وقال شيخ الإسلام : « النذر لغير الله كالنذر للأصنام والشمس والقمر والقبور

ونحو ذلك، بمنزلة أن يحلف بغير الله من المخلوقات ، والحالف بالمخلوقات لا وفاء

عليه ولا كفارة ، وكذلك الناذر للمخلوقات فإن كليهما شرك ، والشرك ليس له

حرمة بل عليه أن يستغفر الله من هذا ويقول ما قال النبي ﷺ « من حلف وقال في حلفه : واللوات والعزى ، فليقل لا إله إلا الله »* . رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه عن أبي هريرة ؓ .

وقال فيمن نذر للقبور ونحوها دهنًا لثَنُورٌ بها به ويقول إنها تقبل النذر كما يفعله بعض المشركين فهذا النذر معصية باتفاق المسلمين لا يجوز الوفاء به، وكذلك إذا نذر مالا للسدنة أو المجاورين العاكفين بتلك البقعة فإن فيهم شبهاً من السدنة التي كانت عند اللوات والعزى ومناة ، يأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله ، والمجاورون هناك فيهم شبهة من الذين قال فيهم الخليل عليه السلام : ﴿ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتَ لَهَا عَاكِفُونَ ﴾ [الأنبياء: ٥٢]، وفيهم شبه من النذر لسدنة الصلبان والمجاورين عندها ، أو لسدنة الأبداد في الهند والمجاورين عندها .

قال الرافعي في «شرح المنهاج» : « وأما النذر المشاهد التي على قبر ولي أو شيخ أو على اسم من حلها من الأولياء أو تردد في تلك البقعة أو المشهد أو الزاوية ، أو تعظيم من دفن بها أو نسبت إليه أو بنيت على اسمه، فهذا النذر باطلٌ غير منعقد ، فإن معتقدهم أن لهذه الأماكن خصوصيات ، ويرون أنها مما يدفع به البلاء ، أو يستجلب به النعماء ، أو يُستشفى بالنذر لها من الأدواء ، حتى إنهم لينذرون لبعض الأحجار لما قيل لهم إنه استند إليه عبد صالح ، وينذرون لبعض القبور السرج والشمع والزيت ويقولون : القبر الفلاني يقبل النذر، ويعنون بذلك أنه يحصل به الغرض المأمول من شفاء مريض ، و قدوم غائب ، وسلامة مال ، وغير ذلك من أنواع نذر المجازات ، فهذا النذر على هذا الوجه باطلٌ لا شك فيه ، بل نذر الزيت و الشمع ونحوهما للقبور باطل ، ومن ذلك نذر الشموع الكثيرة العظيمة وغيرها لقبر إبراهيم الخليل عليه السلام ، ولقبر غيره تبركاً وتعظيماً ظاناً أن ذلك قربة، فهذا مما لا ريب في بطلانه، والإيقاد المذكور محرم سواء انتفع به متفجع أم لا » .

وفي الصحيح^(١) عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال :

وقال الشيخ قاسم الحنفي في شرح « درر البحار » : « النذر الذي ينذره أكثر العوام على ما هو مشاهد كأن يكون للإنسان غائب أو مريض أو له حاجة فيأتي إلى بعض الصلحاء ويجعل على رأسه سترة ، ويقول : يا سيدي فلان ، إن ردَّ الله غائبي أو قضيت حاجتي فلنك من الذهب كذا ، أو من الفضة كذا ، أو من الطعام كذا ، أو من الماء كذا ، أو من الشمع والزيت كذا ، فهذا النذر باطل بالإجماع ، لوجوه :

منها : أنه نذر لمخلوق ، والنذر لمخلوق لا يجوز ؛ لأنه عبادة ، والعبادة لا تكون لمخلوق .

ومنها : أن المنذور له ميت ، والميت لا يملك شيئاً .

ومنها : أنه ظن أن الميت يتصرف في الأمور دون الله - عز وجل - ، واعتقاد ذلك كفر... إلى أن قال : إذا علمتَ هذا ؛ فما يؤخذ من الدراهم والشمع والزيت وينقل إلى ضرايح الأولياء تقريباً إليهم فحرام بإجماع المسلمين. نقله عنه ابن نجيم في « البحر الرائق » ، ونقله المرشدي في « تذكرته » وغيرهما عنه ، وزاد : وقد ابتلي الناس بهذا ، لا سيما في مولد البدوي . انتهى .

(١) قوله : « وفي الصحيح » أي صحيح البخاري* « عن عائشة » زوج النبي ﷺ وابنة الصديق رضي الله عنهما ، تزوجها النبي ﷺ وهي ابنة سبع ودخل بها وهي ابنة تسع ، وكان الصحابة رضي الله عنهم بعد وفاة النبي ﷺ يرجعون إليها فيما أشكل عليهم من أحوال النبي ﷺ وحديثه صلوات الله وسلامه عليه ، توفيت عائشة رضي الله عنها سنة سبع وخمسين . « أن رسول الله ﷺ قال : « من نذر أن يطيع الله فليطعه » أي : يجب عليه الوفاء بنذر الطاعة ؛ لأنه نذره الله خالصاً فوجب عليه الوفاء به . وقد أجمع العلماء على أن من نذر طاعة لشرط يرجوه كأن شفى

* أخرجه البخاري (٦٦٩٦) و(٦٧٠٠) .

«من نذر أن يُطِيعَ اللهَ فليُطِعهُ، ومن نذر أن يعصي اللهَ ، فلا يعصه» (١).



الله مريضٍ فعَلِيٌّ أن أتصدق بكذا ونحوه ؛ وجب عليه إن حصل ما علق نذره على حصوله ، إلا أن أبا حنيفة قال : لا يلزمه الوفاء إلا بما جنسه واجب بأصل الشرع كالصوم ، وأما ما ليس كذلك فلا يوجب الوفاء به كالاغتكاف .

(١) قوله : « ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه » : زاد الطحاوي : وليكفر عن يمينه . وقد أجمع العلماء على أنه لا يجوز الوفاء بنذر المعصية .

وفيه : وجوب الوفاء بالنذر ، وإذا ثبت كونه عبادة فصرفه لغير الله شرك ، وإن نذر المعصية لا يجوز الوفاء به . قاله المصنف رحمه الله تعالى .

١٣- باب

من الشرك الاستعاذة بغير الله (١)

وقول الله تعالى : ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾^(٢) [الجن : ٦] .

(١) قوله : « باب من الشرك الاستعاذة بغير الله » الاستعاذة : الالتجاء والاعتصام ، ولهذا يُسمى المستعاذ به معاذاً وملجأً ووزراً، وقد أمر الله عباده في كتابه بالاستعاذة به في عدة آيات فقال: ﴿وَأَمَّا يَنْزِعَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾ [الأعراف : ٢٠٠] ، وقال : ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [النحل : ٩٨] ، وفي المعوذتين وغيرهما . فالاستعاذة عبادة يجب إخلاصها لله ، وأن لا يُستعاذ بغيره ، والعياذ يكون لدفع الشر ، واللياذ لطلب الخير ، قال بعض الشعراء في بعض الملوك :

يا مَنْ أَلُوذُ بِهِ فِيمَا أُوْمَلُّهُ وَمَنْ أَعُوذُ بِهِ مِمَّا أَحَاذِرُهُ
لا يَجْبِرُ النَّاسُ عِظْمًا أَنْتَ كَاسِرُهُ وَلا يَهِيضُونَ عِظْمًا أَنْتَ جَابِرُهُ

وهذا لا ينبغي أن يُقال إلا لله - عز وجل - ؛ ولهذا ذُكر عن شيخ الإسلام رحمه الله تعالى أنه كان يجعل هذين البيتين في دعائه لربه .

(٢) قوله : «وقول الله تعالى : ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾»

ذكر ابن جرير في تفسير هذه الآية عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : «كان رجال من الإنس يبيت أحدهم بالوادي في الجاهلية فيقول أعوذُ بعزير هذا الوادي من سفهاء قومه ، فزادهم ذلك إثماً ، وقال بعضهم : فزاد الإنس الجن باستعاذتهم بعزيرهم جراءة عليهم ، وزادوهم بذلك إثماً . وقال مجاهد : فزاد الكفار طغياناً . وقال ابن زيد : وزادهم الجن خوفاً » . انتهى .

وفيه : معرفة تفسير سورة الجن وكون الاستعاذة بالجن من الشرك . قاله المصنف رحمه الله تعالى . وقد قال تعالى : ﴿يَمَعَشَرِ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْرَمْتُمْ مِّنَ الْإِنْسِ﴾

عن خولة بنت حكيم^(١) رضي الله عنها قالت : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « مَنْ نَزَلَ مِنْزَلاً فَقَالَ : أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ

[الأنعام : ١٢٨] أَي مِنْ إِغْوَانِهِمْ ﴿ وَقَالَ أَوْلِيَائُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَّغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثُونَكُمْ ﴿ فاستمتع الإنسي بالجني في قضاء حوائجه وامثال أوامره وإخباره بشيء من المغيبات ، واستمتع الجني بالإنسي تعظيمه إياه واستعاذته به وخضوعه له . وفيه : كون الشيء يحصل به منفعة دنيوية من كف شر ، أو جلب نفع ؛ لا يدل على أنه ليس من الشرك . قاله المصنف رحمه الله تعالى .

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى [بدائع الفوائد ٢/٢٣٥] : « ومن ذبح للشيطان ودعا، واستعاذ به وتقرَّب إليه بما يجب فقد عبده، وإن لم يسم ذلك عبادة ويسميه استخداماً ، وصدق هو استخدام من الشيطان له ، فيصير من خدم الشيطان وعابديه ، وبذلك يخدمه الشيطان، لكن خدمة الشيطان له ليست خدمة عبادة ؛ فإن الشيطان لا يخضع له ولا يعبد كما يفعل هو » . انتهى .

(١) قوله : « عن خولة بنت حكيم » بن أمية السلمية ، يقال لها أم شريك ويقال إنها الواهبة ، وكانت قبل تحت عثمان بن مظعون . قال ابن عبد البر : كانت صالحة فاضلة . « قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من نزل منزلاً - أي حضراً أو سفراً ، برأ أو بجرأ - فقال : أعوذ بكلمات الله التامات » قال القرطبي : قيل معناها : الكاملات التي لا يلحقها نقص ولا عيب كما يلحق كلام البشر . وقيل : الشافية الكافية ، والكلمات هنا هي القرآن ، فإن الله أخبر عنه أنه هدى وشفاء ، وهذا الأمر على جهة الإرشاد إلى ما يدفع به الأذى ، فهذا الذي شرعه الله لأهل الإسلام أن يستعيذوا به لا كما يفعله أهل الجاهلية من الاستعاذة بالجن .

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى : « كلمات الله نوعان : كلمات كونية ، وكلمات دينية ، فكلماته الكونية هي التي استعاذ بها النبي ﷺ في قوله : « أعوذ

مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ^(١)، لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ حَتَّى يَرْحَلَ مِنْ مَتْرَلِهِ ذَلِكَ». رواه مسلم .

بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر . وقال سبحانه : ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [يس : ٨٢] ، وقال تعالى : ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ ﴾ [الأنعام : ١١٥] والكون كله داخل تحت هذه الكلمات .

والنوع الثاني : الكلمات الدينية : وهي القرآن وشرع الله الذي بعث به رسوله ، وهي أمره ونهيه ، وخبره وحظ العبد منها العلم بها والعمل ، والأمر بما أمر الله به كما أن حظ العبد عموماً وخصوصاً من الأولى العلم بالكونيات والتأثير فيها أي بموجبها ، فالأولى قدرية كونية ، والثانية شرعية دينية ، وكشف الأولى العلم بالحوادث الكونية ، وكشف الثانية العلم بالمأمورات الشرعية ، وقدرة الأولى التأثير في الكونيات ، وقدرة الثانية التأثير في الشرعيات . انتهى ملخصاً .

وقد نص الأئمة كأحمد وغيره على أنه لا تجوز الاستعاذة بمخلوق ، وردوا على الجهمية والمعتزلة في قولهم بخلق القرآن ، فلو كانت كلمات الله مخلوقة لم يأمر النبي ﷺ بالاستعاذة بها ؛ لأن الاستعاذة بالمخلوق شرك .

(١) قوله : « من شر ما خلق » أي من شر كل ذي شر في أي مخلوق قام به الشر من حيوان أو غيره إنسياً أو جنياً أو هامة أو دابة أو ريحاً أو صاعقة ، أي نوع كان من أنواع البلاء في الدنيا والآخرة . قاله ابن القيم .

قال : « و « ما » هاهنا موصولة وليس المراد بها العموم الإطلاقي ، بل المراد التقييد الوصفي والمعنى : من شر كل مخلوق فيه شر ، لا من شر ما خلقه الله ؛ فإن الجنة والملائكة والأنبياء ليس فيهم شر ، والشر يقال على شيئين : على الألف ، وعلى ما يفضي إليه .



وقوله : « لم يضره شيء حتى يرتحل من منزله ذلك » . رواه مسلم* . وفيه جواز الاستعاذة بكلمات الله والاستدلال على ذلك بالحديث ؛ لأن العلماء استدلوا به على أن كلمات الله غير مخلوقة ، قالوا : لأن الاستعاذة بالمخلوق شرك . وفيه : فضيلة هذا الدعاء مع اختصاره . قاله المصنف رحمه الله تعالى .

* برقم (٢٧٠٨) .

١٤-باب

(١) من الشرك أن يستغيث بغير الله أو يدعُو غيره

(١) قوله : « باب من الشرك أن يستغيث بغير الله أو يدعُو غيره » عطف الدعاء على الاستغاثة من عطف العام على الخاص . قاله المصنف رحمه الله تعالى ، والمراد بالدعاء هنا دعاء المسألة . قاله في « الشرح »* .

والاستغاثة : طلب الغوث وهو إزالة الشدة كالاستنصار طلب النصر ، والاستعانة طلب العون ، ومن أسمائه سبحانه : المغيث بمعنى المجيب ، ومعناه المدرك عباده في الشدائد إذا دعوه ومجيئهم ومخلصهم ، لكن الإغاثة أخص بالأفعال ، والإجابة أخص بالأقوال ، والاستغاثة دعاء المكروب ، والدعاء أعم منها ؛ لأنه يكون من المكروب وغيره .

قال شيخ الإسلام : « والدعاء نوعان : دعاء مسألة ، ودعاء عبادة ، فدعاء المسألة : هو طلب ما ينفع الداعي من جلب نفع أو دفع ضرر ، فالمعبود لا بد أن يكون مالكا للنفع والضرر ولهذا أنكر الله على من عبد من دونه ما لا يملك نفعاً ولا ضرراً ، وأما دعاء العبادة فهو عبادة الله بأنواع العبادات من الصلاة والزكاة والذبح وغيرها خوفاً وطمعاً يرجو رحمته ويخاف عذابه وإن لم يكن في ذلك صيغة سؤال وطلب ، وهما متلازمان ، فكل دعاء عبادة فهو مستلزم لدعاء المسألة ، وكل دعاء مسألة فهو متضمن لدعاء العبادة، ويُراد به في القرآن هذا تارة وهذا تارة ، ويراد به مجموعهما، وقد فُسر قوله تعالى : ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر : ٦٠] بالنوعين ، قيل : اعبدوني وامثلوا أمري أستجب لكم ، وقيل : سلوني أعطكم . وقد أجمع العلماء على أن من صرف شيئاً من نوعي الدعاء لغير الله فقد أشرك ولو قال لا إله إلا الله محمد رسول الله وصلى وصام وزعم أنه مسلم » . انتهى ملخصاً .

وقال الشيخ صنع الله الحنفي في كتابه في الرد على من ادعى أن للأولياء تصرفات :

« قد ظهر الآن فيما بين المسلمين جماعاتٌ يدعون أن للأولياء تصرفات في حياتهم وبعد مماتهم ويستغاث بهم في الشدائد والبلبات ، وبهممهم تُكشف الملمات ، فيأتون قبورهم وينادونهم في قضاء الحاجات مستدلين أن ذلك منهم كرامات ، وجوزوا لهم الذبائح والنذور وأثبتوا فيهما الأجور ، وهذا كلام فيه تفریط وإفراط ، بل فيه الهلاك الأبدي والعذاب السرمدي لما فيه من روائح الشرك المحقق ومصادمة الكتاب العزيز المصدِّق ومخالفته لعقائد الأئمة وما أجمعت عليه الأمة .

فأما قولهم إن للأولياء تصرفات في حياتهم وبعد الممات فيرده قوله تعالى : ﴿ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ ﴿ [النمل : ٦٢] ، ﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ﴿ [الأعراف : ٥٤] ونحوها من الآيات الدالة على أنه المنفرد بالخلق والتدبير والتصرف والتقدير ؛ لا شيء لغيره في شيء ما بوجه من الوجوه .

وأما القول بالتصرف بعد الممات فهو أشنع من القول بالتصرف في الحياة ، قال جل ذكره : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴿ [الزمر : ٣٠] ، ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ ﴿ [الزمر : ٤٢] ، ﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿ [الدنر : ٣٨] ، وفي الحديث : « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث .. »* الحديث ، فجميع ذلك وما هو نحوه دالٌّ على انقطاع الحس والحركة من الميت ، وأن أرواحهم ممسكة وأن أعمالهم منقطعة عن زيادة ونقصان ، فدلَّ على أنه ليس للميت تصرف في ذاته فضلاً عن غيره .

وأما اعتقادهم أن هذه التصرفات من الكرامة فهو من المغالطات ؛ لأن الكرامة شيء من عند الله يكرم به أوليائه لا قصد لهم فيه ولا تحدي ولا قدرة ولا علم ، كما في قصة مريم بنت عمران ، وأسيد بن حضير ، وأبي مسلم الخولاني ، يعني قوله

* أخرجه مسلم (١٦٣١) ، وأبوداود (٢٨٨٠) ، والترمذي (١٣٧٦).

تعالى : ﴿ كَلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَمْرَأَتُ إِنِّي لَلرِّبِّ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴾ [آل عمران : ٣٧] ، وروى البخاري تعليقاً عن أنس بن مالك أن عباد بن بشر وأسيد بن حضير خرجا من عند النبي ﷺ فأضاءت عصاه أحدهما لهما حتى مشيا في ضوئها ، فلما افترت بهما الطريق أضاءت للآخر عصاه حتى بلغ أهله .

وأما أبو مسلم الخولاني واسمه عبدالله بن ثوب فروى البيهقي عن سليمان بن المغيرة أن أبا مسلم الخولاني جاء إلى دجلة وهي ترمى بالخشب من مدها ، فمشى على الماء ، والتفت إلى أصحابه وقال : هل تفقدون من متاعكم شيئاً فدعو الله - عز وجل - ؟ . قال البيهقي : هذا إسناد صحيح ، ذكر ذلك ابن كثير في « البداية والنهاية » .

وأما قولهم فيستغاث بهم في الشدائد فهذا أقبح مما قبله لمصادمته قوله جل ذكره : ﴿ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُ لَكُم مَخْرَجًا وَاللَّهُ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْهُ وَاللَّهُ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْهُ وَاللَّهُ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْهُ وَاللَّهُ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْهُ ﴾ [النمل : ٦٢] ، وقوله : ﴿ قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ﴾ إلى قوله : ﴿ ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ ﴾ [الأنعام : ٦٣-٦٤] ، فإنه جل ذكره الكاشف للضرر والمنفرد بإجابة المضطر والمستغاث لذلك كله ، فإذا تعين هو جل ذكره خرج غيره من مَلَكٍ وَنَبِيٍّ وَوَلِيٍّ .

والاستغاثة تجوز في الأسباب الظاهرة والعادية من الأمور الحسية في قتال عدو ، أو إدراك عدو ، أو سبع ، أو نحوه ، وأما الاستغاثة بالقوة والتأثير أو في الأمور المعنوية كالمرض وخوف الغرق والضيق والفقر وطلب الرزق ونحو ذلك فمن خصائص الله لا يطلب فيها غيره ، فمن اعتقد أن لغير الله من نبي أو ولي أو روح أو غير ذلك في كشف كربة أو قضاء حاجة تأثيراً فقد وقع في وادي جهل خطير فهو على شفا حفرة من السعير . انتهى ملخصاً .

وقول الله تعالى : ﴿ وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ﴾ (١) فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنَ الظَّالِمِينَ (٢) ﴿ وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ ﴾ الآية (٣) [يونس : ١٠٦-١٠٧] .

وقوله : ﴿ فَأَبْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ ﴾ (٤) وَأَعْبُدُوهُ ﴾ الآية (٥) [العنكبوت : ١٧] .

(١) وقوله : ﴿ وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ﴾ وهذا أمر مشترك بين جميع المخلوقين سواء كانوا ملائكة أو أنبياء أو أولياء أو غيرهم مما يدعى من دون الله لا يقدر أحد منهم على نفع ولا ضرر .

(٢) وقوله : ﴿ فَإِنْ فَعَلْتَ ﴾ أي دعوت غير ربك ﴿ فَإِنَّكَ إِذَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ أي المشركين ، فالظلم هنا الشرك كما قال لقمان ﴿ يَبْنِي لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ [لقمان : ١٣] .

(٣) وقوله : ﴿ وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ ﴾ أي هو القادر على ذلك دون ما سواه وإن يردك بخير فلا راد لفضله فإنه المنفرد بالملك والعتاء والمنع والضرر والنفع فيجب أن يكون هو المدعو المعبود وحده دون من لا يملك ضراً ولا نفعاً . وفيه : معرفة تفسير ﴿ وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ﴾ وأن هذا هو الشرك الأكبر ، وإن أصلح الناس لو يفعله إرضاء لغيره صار من الظالمين ، وتفسير الآية التي بعدها وكون ذلك لا ينفع في الدنيا مع كونه كفر . قاله المصنف رحمه الله .

(٤) وقوله تعالى عن خليله إبراهيم مخاطباً قومه : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ ﴾ أي اطلبوا الرزق عنده لا عند غيره ولم يقل فابتغوا الرزق عند الله ؛ لأن تقديم الظرف يشعر بالاختصاص والحصر ، كانه قال : لا تبتغوا الرزق إلا عند الله . قاله شيخ الإسلام [الفتاوى ١٠ / ١٨٣] .

(٥) وقوله : ﴿ وَأَعْبُدُوهُ ﴾ أي اخلصوا له العبادة من عطف العام على الخاص فإن ابتغاء الرزق عنده من العبادة التي أمر بها ، واشكروا له على ما أنعم

وقوله : ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾
الآيتين^(١) [الأحقاف : ٥] .

وقوله : ﴿ أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ ﴾^(٢) الآية [النمل : ٦٢] .

عليكم ، إليه ترجعون فيجازي كل عامل بعمله .
وفيه : معرفة تفسير ﴿ فَأَبْنِعُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ ﴾ وأن الرزق لا يُتغى إلا من الله ،
كما أن الجنة لا تُطلب إلا منه . قاله المصنف رحمه الله .
(١) وقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ
الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنِ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ﴾ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ
كُفْرِينَ ﴾ [الأحقاف : ٥-٦] أخبر تعالى أن المدعو لا يستجيب لداعية في الدنيا كما
قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ ﴾ [الرعد : ١٤] الآية ،
ولا يستجيب له أيضاً في الآخرة كما قال تعالى : ﴿ وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ
يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ ﴾ [القصص : ٦٤] ، وقال : ﴿ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَاءِيَ الَّذِينَ
رَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ ﴾ [الكهف : ٥٢] فتناولت الآية كل داع وكل مدعو
من دون الله . قاله في « فتح المجيد » * .

ففي الآية أنه لا أضل ممن دعا غير الله ، وأنه غافل عن دعاء الداعي لا يدري عنه ،
وأن تلك الدعوة سبب لبغض المدعو الداعي وعداوته له وتسمية تلك الدعوة عبادة
للمدعو وكفر المدعو بتلك العبادة ، وأن هذه الأمور هي سبب كونه أضل الناس .
قال المصنف رحمه الله تعالى .

(٢) وقوله تعالى : ﴿ أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ
خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ۗ إِنَّهُ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا لَذِكْرُوكَ ﴾ يحتج تعالى على المشركين
بما أقروا به من توحيد الربوبية على ما أشركوا فيه من توحيد الألهية ، يقول إذا كنتم

وروى الطبراني بإسناده^(١) أنه كان في زمن النبي ﷺ منافقٌ يؤذي المؤمنين فقال بعضهم^(٢) : قوموا بنا نستغيثُ برسول الله ﷺ من هذا المنافق . فقال

تقرون أنه لا إله مع الله يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء النازل بكم ويجعلكم خلفاء الأرض أي يستخلف في الأرض منكم بعد أمواتكم خلفاء أحياء يخلفونهم . فلماذا عبدتم غيره ممن لا يستطيع شيئاً من ذلك ﴿ قَلِيلًا مَّا نَذْكُرُونَ ﴾ أي قليلاً اتعاظكم ، فلذلك أشركتم بالله غيره في عبادته . وفيه معرفة تفسير ﴿ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ ﴾ ، والأمر العجيب وهو إقرار عبدة الأوثان أنه لا يجيب المضطر إلا الله ؛ ولأجل هذا يدعونه في الشدائد مخلصين له الدين . قاله المصنف رحمه الله .

(١) قوله : « وروى الطبراني بإسناده »* وهو الإمام الحافظ سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي الطبراني صاحب المعاجم الثلاثة وغيرها ، روى عن النسائي وإسحاق بن إبراهيم الديري وخلق ، مات سنة ست وثلاثمائة ، عن عبادة ، هو ابن الصامت ؓ « أنه كان في زمن النبي ﷺ منافق يؤذي المؤمنين » وهذا المنافق هو عبدالله بن أبي كما جاء مصرحاً به في رواية ابن أبي حاتم ، وهذا شأن المنافقين في كل زمان ومكان طبعهم السعي في أذية المؤمنين بالقول والفعل ورميهم بالعظائم لا سيما في هذا الزمن الذي ضعف فيه أمر الدين في قلوب الذين يُرجى منهم نصرته وتأييده فلذا رفع المنافقون رؤوسهم وأظهروا نفاقهم ، قال حذيفة ؓ : المنافقون الذين فيكم اليوم شرُّ من المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله ﷺ . قالوا : وكيف ذلك ؟ قال : أولئك يُخفون نفاقهم وهؤلاء أعلنوه . وإذا كان هذا قول حذيفة عن المنافقين الذين كانوا في آخر عصر الصحابة فكيف بمنافقي الرابع عشر قرناً؟! فالله المستعان .

(٢) قوله : « فقال بعضهم » : أي الصحابة ، وهو أبو بكر الصديق ؓ « قوموا بنا

* أخرجه الطبراني في المعجم الكبير كما في مجمع الزوائد (١٥٩/١٠) وقال : رجاله رجال الصحيح غير ابن لهيعة وهو حسن الحديث، وأحمد في المسند (٣١٧/٥) قال ابن كثير في تفسيره (٣٣٣/٥) وهذا الحديث غريب جداً .

النبي ﷺ : « إنه لا يُستغاث بي ، وإنما يُستغاثُ بالله »^(١) .

نستغيب برسول الله ﷺ من هذا المناق « في كف أذاه .

(١) قوله : « فقال النبي ﷺ إنه لا يُستغاث بي وإنما يُستغاثُ بالله عز وجل » أخبرهم النبي ﷺ أنه لا يُستغاث به ، ومن دونه من باب أولى أن لا يُستغاث به ، كره ﷺ أن يستعملوا هذا اللفظ في حقه ، وإن كان مما يقدر عليه في حياته : حمايةً لجناب التوحيد وسداً ، لذرائع الشرك ، وأدباً وتواضعاً لربه ، وتحذيراً للأمة من وسائل الشرك في الأقوال والأفعال . فإذا كان هذا قوله فيما يقدر عليه في حياته ، فكيف تجوز الاستغاثة به بعد وفاته ، ويطلب منه أمور لا يقدر عليها إلا الله - عز وجل - ؟ ! ، كما جرى على السنة كثير من الشعراء كالבוصيري والبرعي وغيرهما من الاستغاثة بمن لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرراً ، والإعراض عن الاستغاثة بالرب العظيم القادر على كل شيء ، لا إله غيره ولا رب سواه . قاله في « فتح المجيد »* .
وفيه : حماية المصطفى ﷺ حمى التوحيد ، والتأدب مع الله - عز وجل - . قاله المصنف رحمه الله تعالى .

وذكر شيخ الإسلام في كتاب « الاستغاثة » عن بعض أهل زمانه أنه جوز الاستغاثة بالرسول ﷺ في كل ما يُستغاث فيه بالله ، وصنف في ذلك مصنفاً وكان يقول إن النبي ﷺ يعلم ما يعلمه الله ويقدر على ما يقدر عليه الله ، وأن بعضهم قال في قوله ﴿ وَتَسْبِحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ﴾ [الفتح : ٩] أن الرسول هو الذي يُسبح ، ومنهم من قال : نحن نعبد الله ورسوله إلى غير ذلك من الكفر الصريح ، والله يقول : ﴿ قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ [النمل : ٦٥] ، ويقول : ﴿ قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ ﴾ [الأنعام : ٥٠] . انتهى .

١٥-باب

قول الله تعالى : ﴿ أَيَشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا ﴿١﴾ الآية [الأعراف : ١٩١-١٩٢] .

وقوله : ﴿ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ ﴾ ﴿٢﴾ الآية [فاطر : ١٣] .

(١) قوله : « باب قول الله تعالى : ﴿ أَيَشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ ﴾ ﴿١﴾ وهذا توبيخ وتعنيف للمشركين في عبادتهم مع الله تعالى ما لا يخلق شيئاً وهو مخلوق والمخلوق لا يكون شريكاً للخالق في العبادة التي خلقهم لها، و « شيئاً » نكرة في سياق النفي تعم كل شيء وإن قل ، كما قال تعالى : ﴿ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرْبٌ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ ﴾ ﴿٢﴾ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴿٣﴾ [الحج : ٧٣-٧٤] الآية . فذكر أنهم لا يستطيعون لمن عبدتهم نصراً ولا أنفسهم ينصرون ، نفى عنهم النصر القاصر وهو نصرهم لأنفسهم والمتعدي وهو نصرهم لغيرهم ، فكيف يشركون مع الله في عبادته من لا يستطيع نصر عابديه ولا نصر نفسه ؟ . وهذا وصف كل مخلوق حتى الملائكة والأنبياء والأولياء والصالحين .

(٢) وقوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ ﴾ بعد قوله : ﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ ﴾ يخبر تعالى أن الملك له وحده لا شريك له ، وأن الذين يدعون من دونه من الملائكة والأنبياء والأولياء والأصنام وغيرها ما يملكون لمن دعاهم من قطمير ، وهو اللفافة التي على ظهر نواة التمر . قاله ابن عباس وغيره ، أي : لا يملكون قليلاً ولا كثيراً .

ثم قال تعالى : ﴿ إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دَعَاءَكُمْ ﴾ ﴿٤﴾ ولو فرض أنهم سمعوا ما استجابوا لكم بل قد انتفت عنهم الأسباب التي تكون في المدعو المعبود وهي الملك

وفي الصحيح^(١) عن أنس قال : شجَّ النبي ﷺ يومَ أُحُدٍ وكسرت

وسماع الدعاء وإجابة الداعي، فمن لم توجد فيه هذه الشروط بطلت دعوته وعبادته .
ثم قال : ﴿ وَيَوْمَ أَلْقَيْنَا بِكُفْرُونٍ إِشْرِكُكُمْ ﴾ أي : يمحذون عبادتكم إياهم
وينكرونها ، كما قال تعالى : ﴿ وَقَالَ شُرَكَاءُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِتَانًا تَعْبُدُونَ ﴾ فكفى بالله
شهيذاً بيننا وبينكم إن كنا عن عبادتكم لعافلين ﴿ [يونس : ٢٨-٢٩] . وهذه الآية
نصٌ في أن دعاء غير الله شرك ، ﴿ وَلَا يَنْتُكَ مِثْلُ خَيْرٍ ﴾ أي : لا يخبرك بعواقب
الأمر ومآلها وما تصير إليه مثل خير . قال قتادة : يعني نفسه تبارك وتعالى .
وفيه : معرفة تفسير الآيتين . قاله المصنف رحمه الله تعالى .

(١) قوله : «وفي الصحيح» أي : الصحيحين علَّقه البخاري عن حميد عن أنس،
ووصله أحمد والترمذي والشافعي عن حميد «عن أنس بن مالك» خادم رسول الله ﷺ
- رضي الله عنه - . « قال : شجَّ النبي ﷺ يومَ أُحُدٍ وكسرت رباعيته » * قال
أبو السعادات [النهاية ٢/٣٩٩] : « الشجُّ في الرأس خاصة في الأصل، وهو أن يضربه
بشيء فيجرحه فيه ويشقه ، ثم استعمل في غيره من الأعضاء » ، وذكر ابن هشام
من حديث أبي سعيد الخدري أن عتبة بن أبي وقاص هو الذي كسر رباعية النبي
ﷺ السفلى ، وأن عبدالله بن شهاب الزهري هو الذي شجَّه في جبهته ، وأن
عبدالله بن قمئة جرحه في وجته فدخلت حلقتان من حلق المغفر في وجته ، وأن
مالك بن سنان مصَّ الدم من وجه رسول الله ﷺ ثم ازدرده فقال رسول الله ﷺ له
: « لن تمسك النار » ** .

وروى الطبراني من حديث أبي أمامة قال : رمى عبدالله بن قمئة رسول الله ﷺ
يوم أُحُدٍ فشجَّ وجهه وكسر رباعيته فقال : خذها وأنا ابن قمئة .
فقال رسول الله ﷺ : « ما لك أعماك الله » *** . فسَلَطَ اللهُ عليه تيس الجبل فلم يزل

* علَّقه البخاري في صحيحه (٧/٣٦٥)، ووصله مسلم (١٧٩١) عن أنس ؑ .

** أخرجه البيهقي في «الدلائل» (٣/٢٦٦). وانظر : سيرة ابن هشام (٣/٢٨)، ومغازي الواقدي
(١/٢٤٤) .

*** أخرجه الطبراني في الكبير (٨/١٥٤) رقم (٧٥٩٦) وهو ضعيف .

رُبَاعِيَّتُهُ فَقَالَ : « كَيْفَ يَفْلَحُ قَوْمٌ شَجَّوْا نَبِيَّهُمْ ^(١) ؟ » فنزلت : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنْ الْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ ^(٢) [آل عمران : ١٢٨] .

ينطحه حتى قطعته قطعةً قطعة .

قال القرطبي : « الرُّبَاعِيَّةُ - بفتح الراء وتخفيف الياء - : كل سين بعد ثنية » . قال النووي : « وللإنسان أربع رباعيات » . قال الحافظ ابن حجر : « والمراد أنها كسرت فذهب منها فلقة ولم تقلع من أصلها » . قال النووي : « وفي هذا وقوع الأسقام والابتلاء بالأنبياء - صلوات الله وسلامه عليهم - لينالوا بذلك جزيل الأجر والثواب ، ولتعرف الأمم ما أصابهم ويأتسوا بهم . قال القرطبي « وليعلم أنهم من البشر تصيهم محن الدنيا ويطراً على أجسامهم ما يطرأ على أجسام البشر ليتيقن أنهم مخلوقون مربوبون ولا يفتتن بما ظهر على أيديهم من المعجزات ويلبس الشيطان من أمرهم ما لبسه على النصارى وغيرهم » . انتهى . يعني : من الغلو ، والعبادة . قاله في « فتح المجيد »* .

قوله « يوم أحد » : هو جبل شرقي المدينة ، قال ﷺ : « أخذ جبل يحبنا ونحبه »** . وكانت عنده الوقعة المشهورة فأضيفت إليه .

(١) قوله : « فقال : كيف يفلح قوم شجَّوا نبيهم » زاد مسلم : « وكسروا رباعيته ، وأدموا وجهه » .

(٢) قوله : « فانزل الله ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ » . قال ابن عطية : « كان النبي ﷺ لحقه في تلك الحال يأسٌ من فلاح كفار قريش ، ف قيل له بسبب ذلك ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ أي عواقب الأمور بيد الله ، فامض أنت لشأنك ودُم على طاعة ربك » . قال ابن إسحاق : « أي ليس لك من الحكم شيء في عبادي إلا ما أمرتك به فيهم » .

* (١/٣٣١) .

** أخرجه البخاري (١٤٨٢) ، ومسلم (١٣٩٢) .

وفيه عن ابن عمر رضي الله عنهما^(١) أنه سمع رسول الله ﷺ يقول إذا رفع رأسه من الركوع^(٢) في الركعة الأخيرة من الفجر « اللهم العن

(١) قوله : « وفيه أيضاً » أي الصحيح « عن ابن عمر » بن الخطاب رضي الله عنهما ، صحابي جليل شهد له رسول الله ﷺ بالصلاح ، مات سنة ثلاث وسبعين في آخرها أو في أول التي تليها .

(٢) قوله : « أنه سمع رسول الله ﷺ يقول إذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الأخيرة من الفجر » اللهم العن فلاناً وفلاناً » بعد ما يقول « سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد »* قال أبوالسعادات [النهاية ٤/٢٢٠] : « أصل اللعن الطرد والإبعاد من الله ، ومن الخلق السبُّ والدعاء » .

وقوله : « فلاناً وفلاناً » يعني صفوان بن أمية ، وسهيل بن عمرو ، والحارث بن هشام كما بيّنه في الرواية الآتية .

وفيه : جواز الدعاء على المشركين بأعيانهم في الصلاة، وأن ذلك لا يضر في الصلاة.
قوله : « بعد ما يقول « سمع الله لمن حمده » قال أبوالسعادات [النهاية ٢/٣٦١] : « أي أجاب حمده وتقبّله ». قال السهيلي : « مفعول سمع محذوف ؛ لأن السمع متعلق بالأقوال والأصوات دون غيرها ، فاللام تؤذن بمعنى زائد وهو الاستجابة للسمع فاجتمع في الكلمة الإيجاز والدلالة على الزائد وهو الاستجابة لمن حمده » . وقال ابن القيم ما معناه : « عدى سمع الله لمن حمده باللام المتضمنة معنى استجاب له ولا حذف هناك ، وإنما هو مضمن قوله « ربنا ولك الحمد » في بعض روايات البخاري بإسقاط الواو » . قال ابن دقيق العيد : « كان إثباتها دال على معنى زائد لأنه يكون التقدير : ربنا استجب ولك الحمد ، فيشتمل على معنى الدعاء ومعنى الخير » . قال شيخ الإسلام [الفتاوى ١٤/٣١٢] : « والحمد ضد الذم ، والحمد يكون على محاسن المحمود مع المحبة له ، كما أن الذم يكون على مساوئه مع البغض له » .

* أخرجه البخاري (٤٠٦٩) و (٤٠٧٠) ، (٤٥٥٩) ، (٧٣٤٦) .

فلاناً وفلاناً » بعدما يقول : « سمع الله لمن حمده، ربنا ولك الحمد » ، فأنزل الله ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ .

وفي رواية : يدعو على صفوان^(١) بن أمية وسهيل بن عمرو والحارث بن هشام فنزلت : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ .

وفيه : التصريح بأن الإمام يجمع بين التسميع والتحميد، وهو قول الشافعي وأحمد ، وخالفه في ذلك مالك وأبو حنيفة وقالوا : يقتصر على « سمع الله لمن حمده » .

(١) قوله : « وفي رواية : يدعو على صفوان بن أمية، وسهيل بن عمرو، الحارث بن هشام »

عَيْنِهِمْ ﷺ لأنهم من أشد الناس عداوة له، وهم السبب في غالب ما جرى عليه ﷺ وعلى أصحابه ، هم وأبوسفیان ، ومع ذلك ما أجيب فيهم بل أنزل الله عليه : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴾ [آل عمران :

١٢٨] فتاب عليهم فأمنوا ، فدل هذا على أنه ﷺ لا يملك لأحدِ ضراً ولا نفعاً كما

قال تعالى : ﴿ قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴾ ﴿٦٦﴾ قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ

وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴿٦٧﴾ إِلَّا بَلَاغًا مِنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ ﴿ [الجن : ٢١-٢٣] بل لا

يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً فضلاً عن غيره كما قال تعالى : ﴿ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي

نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَاسْتَكْتَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا

مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأعراف : ١٨٨] .

وفيه : قنوت سيد المرسلين وخلفه سادات الأولياء يؤمنون في الصلاة ، وأن

المدعو عليهم كفار ، وأنهم فعلوا أشياء ما فعلها غالب الكفار منها شجهم

نبيهم وحرصهم على قتله ، ومنها التمثيل بالقتلى مع أنهم بنو عمهم ، فأنزل

الله عليهم في ذلك : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ

ظَالِمُونَ ﴾ فتاب عليهم فأمنوا ، والقنوت في النوازل وتسمية المدعو عليهم في

الصلاة بأسمائهم وأسماء آبائهم ولعنة المعين في القنوت. قاله المصنف رحمه الله.

وفيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قام فينا رسول الله ﷺ حين أنزل عليه ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ ^(١) [الشعراء : ٢١٤] فقال : « يا معشر قريش ^(٢)

وقوله : « وفي الصحيح » أي صحيح البخاري « عن أبي هريرة رضي الله عنه » واختلف في اسمه على أكثر من ثلاثين قولاً ، وصحَّح النووي أن اسمه عبدالرحمن بن صخر كما رواه الحاكم في المستدرک عن أبي هريرة قال : « كان يسمى في الجاهلية عبد شمس بن صخر فسُمِّيَت في الإسلام عبدالرحمن » . وروى الدولابي بإسناده عن أبي هريرة أن النبي ﷺ سمَّاه عبدالله وهو دوسي من فضلاء الصحابة وحفاظهم رضي الله عنه ، حفظ عن النبي ﷺ أكثر مما حفظ غيره ، مات سنة سبع أو ثمان أو تسع وخمسين وهو ابن ثمان وسبعين سنة ، ولما حصل الخلاف بين علي ومعاوية رضي الله عنهما - كان مقيماً في جبل مطل على الفريقين فإذا جاءت الصلاة نزل فصلي مع علي ، وإذا جاء وقت الأكل نزل فأكل مع معاوية ، فقبل له في ذلك فقال : الصلاة وراء علي أتم ، وحفنة معاوية أدمم ، ورأس الجبل لأبي هريرة أسلم .

(١) قوله : « قام فينا رسول الله ﷺ حين أنزل عليه ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ [الشعراء: ٢١٤] ، والإنذار هو الإعلام بأسباب المخافة والتحذير منها ، وهذه نذارة خاصة أمر فيها بإنذار عشيرته الأقربين ، وعشيرة الرجل بنو أبيه الأدنون أو قبيلته ، والأقربون : الأقرب فالأقرب ، فأنذر بطون قريش وأنذر عمه وعمته وابته وهم أقرب الناس إليه فعمٌ وخصٌ ، وأخبرهم أنه لا يغني عنهم من الله شيئاً إذا لم يؤمنوا به ويقبلوا ما جاء به من التوحيد وترك الشرك .

وأما النذارة العامة ففي قوله تعالى : ﴿ وَأَوْحَىٰ إِلَيْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ لِتُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ ﴾ [الأنعام : ١٩] ، وقوله : ﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ ﴾ [يونس : ٢] وغيرها من الآيات .

(٢) قوله : « فقال : يا معشر قريش » المعشر : كمسكن الجماعة ، وفي صحيح البخاري « يا بني عبد مناف » .

- أو كلمة نحوها^(١) - اشترؤا أنفسكم^(٢)، لا أخفي عنكم من الله شيئاً^(٣)، يا عباسُ بنَ عبدالمطلب^(٤) لا أخفي عنك من الله شيئاً، يا صفيّةُ عمّة رسول الله ﷺ لا أخفي عنك من الله شيئاً، ويا فاطمة بنتَ محمد، سليني من مالي ما شئت^(٥) لا أخفي

(١) قوله : « أو كلمة نحوها » هو بنصب كلمة عطفاً على ما قبله .

(٢) وقوله : « اشترؤا أنفسكم » أي بتوحيد الله وإخلاص العبادة له وحده لا شريك له، وطاعته فيما أمر به والانتهاه عما نهى عنه ، فإن ذلك هو الذي ينجي من عذاب الله ، لا الاعتماد على الأنساب والأحساب، فإن ذلك غير نافع عند رب الأرباب .
(٣) وقوله : « لا أخفي عنكم من الله شيئاً » فيه حُجَّةٌ على من تعلق على الأنبياء والصالحين؛ ليشفعوا له وينفعوه، أو يدفعوا عنه ، فإن هذا هو الشرك الذي حرّمه الله ، وأمر نبيه بالإنذار عنه . قاله في « فتح المجيد » * .

(٤) قوله : « يا عباس بن عبدالمطلب » بنصب ابن ، ويجوز في عباس الرفع والنصب ، كذا في قوله « يا صفيّة عمّة رسول الله ، ويا فاطمة بنت محمد » .

(٥) قوله : « سليني من مالي ما شئت » أي الذي أنا أملكه « لا أخفي عنك من الله شيئاً » * بين ﷺ أنه لا ينجي من عذاب الله إلا الإيمان والعمل الصالح ، وهذا نفي لما عسى أن يتوهموه من أنه يغني عنهم من الله شيئاً بشفاعته ، فإذا كان لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرراً كما أخبر الله عنه بقوله : ﴿ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ﴾ [الأعراف : ١٨٨] الآية بل ولا يدفع عن نفسه عذاب الله لو عصاه : ﴿ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ [الأنعام : ١٥] فكيف يملك لغيره نفعاً أو ضرراً ؟ أو يدفع عنه عذاب الله ؟! . وأما شفاعته في بعض العصاة فهو أمرٌ من الله له ابتداءً فضلاً عليه وعليهم لا أنه يشفع من تلقاء نفسه فيمن يشاء .
وفيه : جِئْهُ ﷺ لما أنزل عليه ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ بحيث فعل ما نسب

* (٣٣٧/١) .

** أخرجه البخاري (٢٧٥٣) ، و (٣٥٣٧) و (٤٧٧١) ، ومسلم (٢٠٦) .

عنك من الله شيئاً .



بسببه إلى الجنون وكذلك لو يفعله مسلم الآن ، وقوله : للأبعد والأقرب « لا أخني عنك من الله شيئاً » فإذا صرح وهو سيد المرسلين أنه لا يغني شيئاً عن سيدة نساء العالمين وآمن الإنسان أنه لا يقول إلا الحق ثم نظر فيما وقع في قلوب خواص الناس الآن تبين له التوحيد وغربة الدين . قاله المصنف رحمه الله تعالى .

١٦-باب

قول الله تعالى : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴾ ^(١) [سبا : ٢٣] .

(١) قوله : « باب قول الله تعالى : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴾ أراد المصنف رحمه الله تعالى بالترجمة بهذه الآية بيان حال الملائكة الذين هم أقوى وأعظم من عبد من دون الله وأقربهم منه منزلة ، فإذا كانت هذه هيبتهم وخوفهم من الله عند سماعهم لكلامه فكيف يدعون من دونه وهم لا يملكون شيئاً لمن دعاهم، وإذا كان لا يملكون شيئاً فغيرهم من الأنبياء والأولياء أولى أن لا يدعى، ففيها ردٌّ على جميع فرق المشركين الذين يدعون من لا يداني الملائكة في صفة من صفاتهم، وهذه الآية مرتبطة بما قبلها، وهي قوله تعالى : ﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍَ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مَنِ ظَهِيرٌ ﴿١٠٠﴾ وَلَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَن أَذِنَ لَهُ حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَن قُلُوبِهِمْ ﴾ أي زال عنها الفرع . قاله ابن عباس وغيره - ﴿ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ﴾ الآية .

قال أبوحيان : « تظاهرت الأحاديث عن رسول الله ﷺ أن قوله : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَن قُلُوبِهِمْ ﴾ إنما هي في الملائكة، إذا سمعوا الوحي إلى جبريل وأمر الله تعالى له، سمعت كجر السلسلة الحديد على الصفوان فتفرع عند ذلك تعظيماً وهيبةً .

قال : « وبهذا المعنى من ذكر الملائكة مشار إليهم من أول قوله : ﴿ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ ﴾ لم تتصل له هذه الآية بما قبلها » . انتهى .

قال ابن جرير [التفسير ٩٠/٢٢] : « قال بعضهم : الذين فُزِعَ عن قلوبهم الملائكة ، قالوا : وإنما فُزِعَ عن قلوبهم من غشية تصيبهم عند سماع كلام الله عز وجل » . قال ابن كثير [التفسير ٥٠٣/٦] : « وهو الحق الذي لا مرية فيه لصحة الأحاديث فيه والآثار » . انتهى .

وفي الآية : الرد على من زعم أن كلام الله مخلوق وعلى القائلين بالكلام النفسي ، وقد كان المشركون يعبدون الملائكة ويزعمون أنهم بنات الله تعالى وتقدس ، ويقولون : نعبدهم ليقربونا إليه ويشفعوا لنا عنده كما أخبر الله عنهم في قوله : ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهْتُولَاءُ إِنِّي أَكْرَهُ كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيْنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ ﴾ [سبأ : ٤٠] ، وقال تعالى : ﴿ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبْدُ الرَّحْمَنِ إِنثًا أَشْهَدُوا خَلَقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَسُئِلُونَ ﴾ [الزخرف : ١٩] ، وقال تعالى : ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ ﴾ لَا يَسْئِفُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ أَرْتَضَى وَهُمْ مِنَ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴾ ﴿ وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴾ [الأنبياء : ٢٦-٢٩] ، فلذا يقول تعالى : قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين يدعون الملائكة ﴿ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ﴾ يستقلون به ، والذرة قبل إنها صغار النمل ، وقيل إنها الهباء الذي يرى في الكوة إذا نزلت الشمس معها .

وقوله : ﴿ وَمَا لَهُمْ فِيهَا مِنْ شِرْكٍَ ﴾ أي : لا يملكون مثقال ذرة يستقلون به ولا على طريق المشاركة .

وقوله : ﴿ وَمَا لَهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ ﴾ والظهير : المعين .

وقوله : ﴿ وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أذِنَ لَهُ ﴾ ، وهذه الآية تقطع عروق الشرك بأمر أربعة :

الأول : أنهم لا يملكون مثقال ذرة مع الله ، والذي لا يملك مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض لا ينفع ولا يضر .

الثاني : قوله : ﴿ وَمَا لَهُمْ فِيهَا مِنْ شِرْكٍَ ﴾ أي في السموات والأرض .

في الصحيح^(١) عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة^(٢) بأجنحتها خضعاعاً لقوله ، كأنه سلسلة على صفوان^(٣) ينفلتهم ذلك^(٤) : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَن

الثالث : قوله : ﴿ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِّنَ ظَهِيرٍ ﴾ ، والظهير : المعين ، فليس له معين من خلقه بل هو الذي يعينهم على ما ينفعهم لكمال غناه عنهم وقرهم إليه فيما قل أو كثر من أمور دنياهم وأخراهم .

الرابع : قوله : ﴿ وَلَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلَّا لِمَن أَذِنَ لَهُ ﴾ وفيه معرفة تفسير الآية وما فيها من الحجة على إبطال الشرك خصوصاً ما تعلق على الصالحين وهي الآية التي قيل إنها تقطع عروق شجرة الشرك من القلب . قاله المصنف رحمه الله تعالى .

(١) قوله : « في الصحيح » أي صحيح البخاري ، « عن أبي هريرة » رضي الله عنه « عن النبي صلى الله عليه وسلم » قال : « إذا قضى الله الأمر في السماء »* أي إذا تكلم بأمره الذي قضاه في السماء مما يكون .

(٢) قوله : « ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاعاً » - بفتحتين - من الخضوع ، وفي رواية « خضعاعاً » بضم أوله وسكون ثانيه مصدر أي : خاضعين « لقوله » عز وجل .

(٣) قوله : « كأنه سلسلة على صفوان » وهو الحجر الأملس ، وقد روى ابن مردويه من حديث ابن مسعود رفعه : « إذا تكلم الله بالوحي سمع أهل السموات صلصلة كصلصلة السلسلة على الصفوان .. »** الحديث .

(٤) قوله : « ينفلتهم ذلك » بفتح التحتية وسكون النون وضم الفاء والذال المعجمة ، أي يمضي كلام الله الذي تكلم به وينفذ قلوب الملائكة حتى يفزعوا من ذلك ،

* أخرجه البخاري (٤٧٠١) (٤٨٠٠) (٧٤٨١) ، والترمذي (٣٢٢١) ، وابن ماجه (١٨٢) .

** أخرجه أبوداود (٤٧٣٨) ، والبخاري تعليقاً (٤٥٢/١٣) الفتح) ، وابن خزيمة في كتاب التوحيد رقم (٢٠٧-٢١١) ، والبيهقي (٢٠١) ، والحديث صححه الألباني في الصحيحة (١٢٩٣) .

قُلُوبِهِمْ^(١) قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ^(٢) قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ^(٣) ﴿ فيسمعها مسترق السمع^(٤) ،

وعند ابن مردويه من حديث ابن عباس : « فلا ينزل على أهل سماء إلا صُعقوا »
وعند أبي داود وغيره مرفوعاً : « إذا تكلم الله بالوحي سمع أهل السماء الدنيا صلصلة كجر السلسلة على الصفا فيصعقون » ** .

(١) قوله : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَن قُلُوبِهِمْ ﴾ أي زال عنها الفزع قال ابن عباس وغيره .
(٢) قوله : ﴿ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ﴾ ولم يقولوا : ماذا خلق ربكم ؟ . أي : قال الملائكة بعضهم لبعض : ماذا قال ربكم ؟ ولو كان كلام الله مخلوقاً لقالوا : ماذا خلق ربكم ؟ .

(٣) وقوله : ﴿ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴾ أي قالوا : قال الله الحق ، علموا أن الله لا يقول إلا حقاً .

(٤) قوله : « فيسمعها مسترق السمع » أي يسمع الكلمة التي قضاها الله وسمعتها الملائكة وتحدثوا بها ، ومسترق السمع هم الشياطين . وفي صحيح البخاري عن عائشة رضي الله عنها مرفوعاً : « إن الملائكة تنزل في العنان وهو السحاب فتذكر الأمر قُضي في السماء ، تسترق الشياطين السمع فتسمعه ، فتوحيه إلى الكهان فيكذبون معها مائة كذبة من عند أنفسهم » *** . فظاهر هذا أنهم لا يسمعون كلام الملائكة الذين في السماء الدنيا وإنما يسمعون كلام الملائكة الذين في السحاب . قاله في « الشرح » **** قال في « إبطال التنديد » ***** : وليس كما قال ، فإن هذا الحديث إنما دل على أنهم يسمعون من الذين في السحاب ، وسماعهم منهم لا ينفي سماعهم من الذين

* أخرجه ابن مردويه كما في فتح الباري (٨/٥٣٨) .

** تقدم تحريجه .

*** أخرجه البخاري (٣٢١٠، ٣٢٨٨، ٥٧٦٢) .

**** (ص/٢٢٢) .

***** (ص/١٠٨) .

ومسترق السمع هكذا^(١) بعضه فوق بعض - وصفه سفيان بكفه فحرفها^(٢) وبدد^(٣) بين أصابعه - فيسمع الكلمة فيلقها إلى من تحته^(٤) ، ثم يلقيها الآخر إلى من تحته حتى يلقيها على لسان الساحر أو الكاهن ، فرما أدركه الشهاب قبل أن يلقيها ، وربما ألقاها قبل أن يدركه^(٥) ، فيكذب معها

في السماء الدنيا بل سماعهم منها دل عليه دليل آخر، وقد قال تعالى: ﴿ وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ ﴾ [١٧] إِلَّا مِنْ أَسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ ﴿ [الحجر: ١٧] - [١٨] ، وقال: ﴿ إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَائِبٌ ﴾ [الصفات: ١٠] ، وقال تعالى إخباراً عنهم: ﴿ وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلْتَأَتٍ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهَابًا ﴾ [البجن: ٨] - [٩] ، والشهب إنما يُرمى بها من السماء لا من السحاب ، فالحق أن يقال إنهم كما يسمعون من ملائكة السماء ، فكذلك يسمعون من ملائكة السحاب ، ولا تنافي بين الأمرين . انتهى .

(١) قوله : « مسترق السمع هكذا .. وصفه سفيان بكفه » أي وصف ركوب بعضهم فوق بعض ، وسفيان : هو ابن عيينة الهلالي ، أبو محمد الكوفي ثم المكي ، ثقة حافظ فقيه إمام حجة ، إلا أنه تغير حفظه بآخرة وربما دلّس لكن عن الثقات ، مات سنة ثمان وتسعين ومائة وله إحدى وتسعون سنة .

(٢) قوله : « فحرفها » بجاه مهملة وراء مشددة وفاء .

(٣) قوله : « وبدد » أي فرّق بين أصابعه .

(٤) قوله : « فيسمع الكلمة فيلقها إلى من تحته » أي يلقي الشيطان الفوقاني المستمع الكلمة التي سمعها إلى الشيطان الذي تحته وهكذا « حتى يلقيها آخرهم على لسان الساحر أو الكاهن » .

(٥) قوله : « فرما أدركه الشهاب قبل أن يلقيها، وربما ألقاها قبل أن يدركه » والشهاب النجم الذي يُرمى به مسترق السمع ، وهو لا يقتله لما روى ابن جرير عن

مائة كذبة^(١) فيقال : أليس قد قال لنا يومَ كذا وكذا : كذا وكذا؟^(٢) فيصدق

ابن عباس : فأتبعه شهاب ثاقب . قال : لا يقتلون بشهاب ولا يموتون ولكنها تحرقهم من غير قتل وتخبيل وتخدج من غير قتل ، وهذا يدل على أن الرجم بالنجوم كان قبل المبعث ، لما روى أحمد ومسلم والترمذي والنسائي عن معمر عن الزهري عن علي بن حسين عن ابن عباس قال : كان النبي ﷺ جالساً في نفر من أصحابه فرمى بنجم فاستنار ، فقال : « ما كنتم تقولون إذا كان هذا في الجاهلية ؟ » قالوا : نقول يُولد عظيم ، أو يموت عظيم . فقال : « إنها لا يُرمى بها لموت أحد ولا لحياة ، ولكن ربنا إذا قضى أمراً سُبِحَ حَمَلَةُ الْعَرْشِ ثُمَّ سَبِحَ أَهْلُ السَّمَاءِ الَّذِينَ يَلُونَ حَمَلَةَ الْعَرْشِ فَيَقُولُ الَّذِينَ يَلُونَ حَمَلَةَ الْعَرْشِ لِحَمَلَةِ الْعَرْشِ : مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ؟ فَيُخْبِرُونَهُمْ ، وَيُخْبِرُ أَهْلَ كُلِّ سَمَاءٍ سَمَاءً حَتَّى يَتَهَيَّيَ الْخَبْرُ إِلَى هَذِهِ السَّمَاءِ ، وَتُحْطَفُ الْجَنُّ السَّمْعَ فَيَرْمُونَ ، فَمَا جَاؤُوا بِهِ عَلَى وَجْهِهِ فَهُوَ حَقٌّ لَكِنَّهُمْ يَجْرِفُونَهُ وَيَزِيدُونَ فِيهِ »* . قال معمر : قلت للزهري : كان يُرمى بها في الجاهلية؟ قال : نعم، أرايتَ وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصداً، قال : غلظت وشدت أمرها حين بعث رسول الله ﷺ .

وفيه : الرد على المنجمين الذين ينسبون الحوادث التي تقع في الأرض إلى الكواكب؛ لما في الرمي بها من الدلالة على أنها مسخرة لما خلقت له ، لقوله تعالى : ﴿ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِ رَبِّي ﴾ [الأعراف : ٥٤] .

- (١) قوله : « فيكذب معها مائة كذبة » بفتح الكاف وسكون الذال المعجمة ، أي يكذب الكاهن أو الساحر مع الكلمة التي ألقاها إليه وليه من الشياطين مائة كذبة ، أو يكذب الشيطان مع الكلمة التي استرقها مائة كذبة ويخبر بالجميع وليه من الإنس فيفتن الإنس بالإنسي الساحر أو الكاهن ويفتن بوليها من الشياطين ويقبلون ما جاؤوا به من الصدق والكذب لكونهم قد يصدقون فيما يأتون به من خبر السماء .
- (٢) قوله : « فيقال : أليس قد قال لنا يومَ كذا وكذا : كذا وكذا » فيصدقون بكونهم قد

* أخرجه مسلم (٢٢٩٩)، وأحمد (٢١٨/١)، والترمذي (٣٢٢٢) .

بتلك الكلمة التي سُمعت من السماء .

وعن النُّوَاسِ بْنِ سِمْعَانَ^(١) ؓ قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا أراد الله

يصدقون بعض الأحيان كما في الصحيح عن عائشة رضي الله عنها ، قلت : يا رسول الله ، إن الكهان كانوا يحدثونا بالشيء فنجده حقاً . قال : « تلك الكلمة التي يخطفها الجني فيقذفها في أذن وليه ويزيد فيها مائة كذبة »* .

وفيه : ذكر استراق الشياطين وصفة ركوب بعضهم بعضاً وإرسال الشهب ، وأنه تارة يدركه الشهاب قبل أن يلقيها ، وتارة يلقيها في أذن وليه من الإنس قبل أن يدركه ، وكون الكاهن يصدق في بعض الأحيان وكونه يكذب معها مائة كذبة وأنه لم يصدق كذبه « إلا بتلك الكلمة التي سمعت من السماء » وكونهم يتلقى بعضهم من بعض تلك الكلمة ويحفظونها .

وفيه : قبول النفوس للباطل ؛ كيف يتعلقون بواحدة ولا يعتبرون بمائة كذبة . قاله المصنف رحمه الله تعالى .

وفيه : أن الشيء إذا كان فيه شيء من الحق فلا يدل على أنه كله حق ، فكثيراً ما يلبس أهل الضلال الحق بالباطل ليكون أقبل لباطلهم ، قال تعالى : ﴿ وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ٤٢] ، وفي هذه الأحاديث وما بعدها وما في معناها : إثبات علو الله تعالى على خلقه على ما يليق بجلاله وعظمته ، خلافاً للأشاعرة والجهمية ونفاة المعتزلة . قاله في « فتح المجيد »** .

(١) قوله : « وعن النُّوَاسِ بْنِ سِمْعَانَ » - بكسر السين - بن خالد الكلابي ، ويقال الأنصاري صحابي ، ويقال : إن أباه صحابي أيضاً « قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا أراد الله أن يوحى بالأمر »*** والإرادة صفة من صفاته عز وجل ، وهي نوعان :

* أخرجه البخاري (٥٧٦٢ ، ٧٥٦١) ، ومسلم (٢٢٢٨) .

** (٣٤٧/١) .

*** أخرجه ابن خزيمة في كتاب التوحيد رقم (٢٠٦) ، وابن أبي عاصم في السنة رقم (٥١٥) ، والبيهقي في الأسماء والصفات (٢٦٣) ، وإسناده ضعيف .

تعالى أن يُوحِيَ بِالْأَمْرِ تَكَلِّمَ بِالْوَحْيِ^(١) أَخَذَتِ السَّمَاوَاتُ مِنْهُ رَجْفَةً^(٢) - أو قال رعدةً شديدة^(٣) - ، خوفاً من الله عز وجل ، فإذا سمع ذلك أهلُ السَّمَاوَاتِ صَعِقُوا وَخَرُّوا لِلَّهِ سُجَّدًا^(٤) ، فيكون أول من يرفع رأسه

إرادة شرعية دينية ، فتكون هي المحبة ، وإرادة كونية قدرية فتكون هي المشيئة .

(١) قوله : « تكلم بالوحي » فيه التصريح بأن الله يتكلم بالوحي فيوحيه إلى جبريل عليه السلام . ففيه : الرد على الأشاعرة في إنكارهم كلام الرب تعالى وزعمهم أن القرآن عبارة عن كلام الله .

(٢) قوله : « أخذت السموات منه رجفة » هو برفع رجفة على أنه فاعل ، أي أصاب السموات منه رجفة أي ارتجفت ، كما روى ابن أبي حاتم عن عكرمة قال : إذا قضى الله تبارك وتعالى أمراً رجفت السموات والأرض والجبال وخرت الملائكة كلهم سجداً .

(٣) قوله : « أو قال : رعدة شديدة » شك من الراوي .. هل قال النبي ﷺ رجفة أو قال رعدة ؟ - وهو بفتح الراء - « خوفاً من الله عز وجل » يعني أن ارتجافها وارتعادها ناشئ عن خوفها من الله تعالى ، فالسموات تخاف الله بما جعل فيها من الإحساس ومعرفة من خلقها كما قال تعالى : ﴿ تَسْبِيحٌ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يَسْبِيحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ [الإسراء : ٤٤] ، وفي البخاري عن ابن مسعود ؓ قال : « كنا نسمع تسييح الطعام وهو يؤكل »* .

وفي حديث أبي ذر أن النبي ﷺ أخذ في يده حصيات فسمع لهن تسييحاً كحنين النحل** ، وكذا في يد أبي بكر وعمر وعثمان ، وهو حديث مشهور في المسانيد .

(٤) قوله : « فإذا سمع ذلك أهل السموات صعقوا وخرروا لله سجداً » أي يحصل لهم

* أخرجه البخاري (٣٥٧٩) ، وأحمد (٤٦٠/١) .

** أخرجه البزار في المسند (٣٤١٣ ، ٢٤١٤) ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٩٩/٨) ورجال

أحدهما ثقات ، وفي بعضهم ضعف .

جبريل^(١)، فيكلمه الله من وحيه بما أراد^(٢)، ثم يمرُّ جبريل على الملائكة كلما مرَّ بسماء سألها ملائكتها: ماذا قال ربُّنا يا جبريل؟ فيقول جبريل: قال الحقُّ وهو العليُّ الكبير^(٣)، فيقولون كلهم مثل ما قال جبريل. فينتهي جبريل بالوحي إلى حيث أمره الله عز وجل^(٤).

الأمران: الصعق وهو الغشي، والسجود هيبة وتعظيماً لربهم وخشية لما سمعوا من كلام الله تعالى وتقدس.

(١) قوله: « فيكون أول من يرفع رأسه جبريل » لأنه مَلَك الوحي . وفيه : فضيلة جبريل عليه السلام كما قال تعالى : ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُطَاعٌ ثُمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾ ﴾ [التكوير: ١٩-٢١] ، قال أبو صالح في قوله : ﴿ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴾ قال جبريل : يدخل في سبعين حجاً من نور ، بغير إذن * .

(٢) قوله : « فيكلمه الله من وحيه بما أراد » وفيه : إثبات صفة الكلام والإرادة .

(٣) قوله : « ثم يمرُّ جبريل على الملائكة كلما مرَّ بسماء يسأله ملائكتها ماذا قال ربنا يا جبريل ؟ فيقول : قال الحق وهو العلي الكبير » فله العلو المطلق سبحانه علو القدر وعلو القهر وعلو الذات .

(٤) قوله : « فيقولون كلهم مثل ما قال جبريل فينتهي بالوحي إلى حيث أمره الله عز وجل » وتامه « من السماء والأرض » ، وقد بيَّض المصنف لتمام الحديث ومن رواه . وقد رواه ابن جرير وابن أبي حاتم والطبراني قاله في «الشرح»** .

وفيه : ارتجاف السموات لكلام الله عز وجل وأن تلك الرجفة والغشي خوفاً من الله - عز وجل - ، وأن الغشي يعم أهل السموات كلهم وأنهم يخرون لله سجداً ، وأن أول من يرفع رأسه جبريل، وسبب سؤال الملائكة وتفسير قوله : « قال الحق وهو العلي الكبير » ، وأن جبريل ينتهي بالوحي إلى حيث أمره الله - عز وجل - ،

* أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (٨٠/٣٠) .

** (ص/٢٢٧) .



وأنه يجيب الملائكة بعد ذلك بقوله : قال كذا وكذا ، وأنه يقول لأهل السموات كلهم ، وإثبات الصفات خلافاً للأشعرية المعطلة . قاله المصنف رحمه الله تعالى . والآيات المذكورة في هذا الباب والأحاديث تقرر التوحيد، الذي هو مدلول شهادة أن لا إله إلا الله ، فإن الملك العظيم، الذي تصعق الأملاك من كلامه خوفاً منه ومهابة، وترجف منه المخلوقات ، الكامل في ذاته وصفاته، وعلمه وقدرته، وملكه وعزّه وغناه عن جميع خلقه، وافتقارهم جميعاً إليه ، ونفوذ تصرفه وقدره فيهم لعلمه وحكمته ؛ لا يجوز شرعاً ولا عقلاً أن يُجعل له شريك من خلقه في عبادته التي هي حقه عليهم ، فكيف يُجعل المربوب رباً ، والعبد معبوداً ؟ أين ذهبت عقول المشركين؟! سبحان الله عما يصفون . قاله في « فتح المجيد »* .

١٧- باب الشفاعة^(١)

(١) قوله : « باب الشفاعة » : الشفاعة هي إعانة الطالب والمشفوع إليه في المطلوب حتى يصير كل منهما معه شفعاً بعد أن كان وترأ، فكل من أعان غيره على أمر فقد شفعه فيه، فإن أعنتَ على بر وتقوى كانت شفاعة حسنة، وإن أعنتَ على إثم وعدوان كانت شفاعة سيئة . والبر ما أمرتَ به، والإثم ما نُهيَتَ عنه ، والله تعالى وتر لا يشفعه أحدٌ، فلا يشفع عنده أحد إلا بإذنه، فالأمر كله إليه وحده لا شريك له بوجه .

قال شيخ الإسلام رحمه الله [الفتاوى ١٤/٤١٤] : «الشفاعة سببٌ من الأسباب التي يرحم الله بها من يرحم من عباده، وأحق الناس برحمته أهل التوحيد والإخلاص له، فكل من كان أكمل في تحقيق إخلاص « لا إله إلا الله » علماً وعقيدة وعملاً وبراءة وموالاتة ومعاداة كان أحق بالرحمة» . قال : «وأحاديث الشفاعة كثيرة متواترة في الصحيحين والسنن والمسانيد» . انتهى .

* وشروطها : إذنه تعالى للشافع ، ورضاه عن المشفوع فيه .

* ومانعها : الشرك بالله .

* ومستحقها : الموحد .

* والمالك لها : هو الله عز وجل .

* وأنواعها : ستة . فيما ذكر العلامة ابن القيم رحمه الله :

الأول : الشفاعة الكبرى التي يتأخر عنها أولي العزم من الرسل حتى تنتهي إلى النبي ﷺ وهي الشفاعة لإراحتهم من موقف القيامة، وهذه خاصة بالنبي ﷺ لا يشركه فيها أحد .

الثاني : شفاعته لأهل الجنة في دخولها .

الثالث : شفاعته لقوم من العصاة من أمته قد استوجبوا النار فيشفع لهم أن لا يدخلوها .

وقول الله تعالى : ﴿ وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ ^(١) لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ [الأنعام: ٥١] .
 وقوله : ﴿ قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا ^(٢) ﴾ [الزمر: ٤٤] .

الرابع : شفاعته في العصاة من أهل التوحيد الذين يدخلون النار بذنوبهم أن يخرجوا منها، والأحاديث بها متواترة، وقد أجمع عليها الصحابة وأهل السنة قاطبة، ويدعوا من أنكرها أي نسبواهم إلى البدعة.
 الخامس : شفاعته لقوم من أهل الجنة في زيادة ثوابهم ورفع درجاتهم، وهذه لم ينازع فيها أحدٌ وكلها مختصة بأهل الإخلاص .
 السادس : شفاعته في بعض الكفار من أهل النار حتى يخفف عنهم العذاب، وهذه خاصة بأبي طالب وحده . انتهى .

(١) قوله : « وقول الله تعالى : ﴿ وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ ﴾ يقول تعالى : وأنذر يا محمد به ، أي : بالقرآن . قاله ابن عباس ، ﴿ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ ﴾ وهم أهل الإخلاص الذين لم يتخذوا من دون الله شفيعاً بل أخلصوا قصدهم وطلبهم وجميع أعمالهم لله وحده، ولم يلتفتوا إلى أحدٍ سواه فيما يرجونه أو يخافونه . والإنذار هو الإعلام بأسباب المخافة والتحذير منها، وهذه نذارة خاصة أمره الله تعالى أن ينذر الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم، ﴿ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ ﴾ أي : ليس لهم من دونه ولي يتولاهم ولا شفيع من عذابه يوم القيامة ، ﴿ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ في هذه الدار فيعملون عملاً ينجيهم الله به من عذابه يوم القيامة . والتقوى : أن تجعل بينك وبين النار وقاية بأن تعمل بطاعة الله، على نورٍ من الله، ترجو ثواب الله، وأن تترك معصية الله على نور من الله تخاف عقاب الله . وأما النذارة العامة ففي قوله تعالى : ﴿ وَأَوْحَىٰ إِلَيْنَا هَذَا الْقُرْآنَ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ ﴾ [الأنعام: ١٩] وغيرها .

(٢) قوله : « وقول الله تعالى : ﴿ قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا ﴾ بعد قوله ﴿ أَمِ اتَّخَذُوا

وقوله : ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴾ ^(١) [البقرة : ٢٥٥] .

مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ ﴿ قل يا محمد : أو لو كان الشفعاء الذين اتخذوهم لا يملكون شيئاً ولا يعقلون ؟ وشيئاً : نكرة في سياق النفي تعم كل شيء ، أي لا يملكون شفاعاة ولا غيرها ولا يعقلون ؛ لأنهم إما أموات غير أحياء وما يشعرون أيان يُبعثون ، أو جماد لا تعلم شيئاً ولا تعقل . ثم قال : ﴿ قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا ﴾ أي هو المالك لها ، وهذا إنكار منه تعالى على المشركين في اتخاذهم الشفعاء من دونه مع كونهم لا يملكون شفاعاة ولا غيرها ، فليس لمن يطلبونها منه شيء منها وإنما تطلب ممن يملكها وهو الله جل وعلا دون ما سواه .

(١) وقوله تعالى : ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴾ قال ابن جرير : نزلت لما قال الكفار : ما نعبد أوئاننا هذه إلا ليقربونا إلى الله زلفى ، فقال تعالى ﴿ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴾ .

* والإذن نوعان :

إذن بمعنى المشيئة والخلق . وإذن بمعنى الإباحة والإجازة .

* فمن الأول : قوله في السحر ﴿ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ أي بمشيئته وقدره وإلا فهو لم يبيح السحر ، وكذا قوله ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ ﴾ [آل عمران : ١٦٦] من القتل والجراح والتمثيل والهزيمة فبإذن الله ، فهو خالق أفعال الكفار والمؤمنين .

* والنوع الثاني : قوله ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٥٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ ﴾ [الأحزاب : ٤٥-٤٦] ، وقوله : ﴿ مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْسَةٍ أَوْ نَرَكْتُمْوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ [الحشر : ٥] فإن هذا يتضمن إباحته لذلك وإجازته ورفع الحرج عن فاعله مع كونه بمشيئته وقضائه ، فقوله : ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴾ هو هذا الإذن الكائن بقدره وشرعه ، ولم يرد بمجرد المشيئة والقدر . انتهى ملخصاً من كلام شيخ الإسلام رحمه الله .

وقوله : ﴿ وَكَرَّمْنَا مَلَائِكَةَ فِي السَّمَوَاتِ لَا تَعْبِي شَفَعْنَهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَرَضِيَ ﴾ ^(١) [النجم: ٢٦].

وقوله : ﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ﴾ الآيتين [سبا: ٢٢-٢٣].

قال أبو العباس ^(٢) : « نفى الله عما سواه كل ما يتعلق به المشركون، فنفى أن يكون لغيره مُلكٌ، أو قِسطٌ منه، أو يكون عوناً لله، ولم يبق إلا

(١) وقوله : ﴿ وَكَرَّمْنَا مَلَائِكَةَ فِي السَّمَوَاتِ لَا تَعْبِي شَفَعْنَهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَرَضِيَ ﴾ [النجم: ٢٦] قال أبو حيان : « كم » خبرية، ومعناها التكثير وهي في موضع رفع بالابتداء والخبر « لا تعبي » وإذا كانت الملائكة لا تعبي شفاعتهم إلا بعد إذن الله ورضاه أي يرضاه أهلاً للشفاعة فكيف تشفع الأصنام لمن عبدها ؟ .

قال ابن كثير : « وهذا من عظمته وجلاله وكبريائه عز وجل أنه لا يتجاسر أحدٌ على أن يشفع لأحد عنده إلا بإذنه له في الشفاعة، كما جاء في حديث الشفاعة : « أتيت تحت العرش فأنخرت ساجداً فيدعني ما شاء الله أن يدعني، ثم يقال : ارفع رأسك ، وقل يسمع ، واشفع تشفع » * . الحديث .

وقول الله تعالى : ﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهَا مِنْ شِرْكِ وَمَا لَهُمْ مِنْكُمْ مِنْ ظَهِيرٍ ﴾ وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ ﴿ [سبا: ٢٢-٢٣] ، وقد تقدم الكلام على هذه الآية في الباب الذي قبل هذا .

وفيه : معرفة تفسير الآيات . قاله المصنف رحمه الله تعالى .

(٢) قوله : « قال أبو العباس » : هو شيخ الإسلام وعلم الهداة الأعلام أحمد ابن تيمية

رحمه الله ورضي عنه* : « نفى الله عما سواه كل ما يتعلق به المشركون، فنفى أن يكون لغيره ملك أو قسط منه أو يكون عوناً لله ولم يبق إلا الشفاعة فينبأ أنها لا تنفع إلا لمن أذن له الرب كما قال تعالى : ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ [الأنبياء: ٢٨] فهذه الشفاعة التي يظننها المشركون هي مُتَفِيَةٌ يوم القيامة كما نفاها القرآن ، وأخبر النبي ﷺ أنه يأتي فيسجد لربه ويحمده لا يبدأ بالشفاعة أولاً، ثم يقال له : ارفع رأسك، وقل يسمع، وسل تعط، واشفع تُشفع .

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى : « وقد قطع الله الأسباب التي يتعلق بها المشركون جميعها قطعاً، يعلم من تأمله وعرفه أن من اتخذ من دون الله ولياً فمثله كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً، وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت، فالمشرك إنما يتخذ معبوده لما يحصل لديه من النفع، والنفع لا يكون إلا بمن فيه خصلة من هذه الخصال الأربع : إما مالكاً لما يريد منه، فإن لم يكن مالكاً كان شريكاً للمالك، فإن لم يكن شريكاً كان معيناً له وظهيراً، فإن لم يكن معيناً له وظهيراً كان شقيقاً عنده . فنفى سبحانه المراتب الأربع نفياً مرتباً متقللاً من الأعلى إلى ما دونه، فنفى : الملك والشركة والمظاهرة والشفاعة التي يطلبها المشرك، وأثبت شفاعة لا نصيب فيها لمشرك وهي الشفاعة بإذنه ، فهو الذي يأذن للشافع، وإن لم يأذن له لم يتقدم بالشفاعة بين يديه، وكفى بهذه الآية نوراً وبرهاناً وتجريداً للتوحيد ، وقطعاً لأصول الشرك ومواده لمن عقلها . والقرآن مملوءٌ من أمثالها ونظائرها ولكن أكثر الناس لا يشعر بدخوله تحت الواقع وتضمنه له، ويظنه في قوم قد خلوا ولم يعقبوا وارثاً ، وهذا الذي يحول بين القلب وبين فهم القرآن، ولعمر الله إن كان أولئك قد خلوا فقد ورثهم من هو مثلهم وشر منهم، وتناول القرآن لهم كتناوله لأولئك ولكن

* وهذا المقام لا يتسع لذكر ترجمة هذا الإمام، ومن أراد الوقوف على تاريخ حياته فليراجع «العقود الدرية في مناقب شيخ الإسلام الإمام أحمد بن تيمية» لابن عبدالحادي ، وهي في مجلد ضخيم . [ابن حمدان] .

الأمر كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : « إنما تُنقَضُ عُرَى الإسلام عروة عروة إذا نشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية »؛ لأنه إذا لم يعرف الشرك وما عابه القرآن وذمّه وقع فيه وأقرّه ودعا إليه وصوّبه وحسنه وهو لا يعرف أنه الذي كان عليه أهل الجاهلية فتنقض بذلك عرى الإسلام ويعود المعروف منكراً والمنكر معروفاً، والبدعة سنة والسنة بدعة، ويكفر الرجل بمحض الإيمان وتجريد التوحيد، ويبدع بتجريد متابعة الرسول، ومن له بصيرة وقلب حي يرى ذلك عياناً، فالله المستعان». انتهى ملخصاً .

وقال أيضاً : « ومن أنواع الشرك : طلب الحوائج من الموتى والاستغاثة بهم، وهذا أصل شرك العالم ، فإن الميت قد انقطع عمله وهو لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرراً فضلاً عن من استغاث به وسأله أن يشفع له ، وهذا من جهله بالشافع والمشفوع عنده فإنه لا يقدر أن يشفع له عند الله إلا بإذنه، والله لم يجعل استغاثته وسؤاله سبباً لإذنه وإنما السبب كمال التوحيد، فجاء هذا المشرك بسبب يمنع الإذن وهو بمنزلة من استعان في حاجته بما يمنع حصولها وهذه حالة كل مشرك، فجمعوا بين الشرك بالمعبود وتغيير دينه ومعاداة أهل التوحيد ونسبة أهله إلى التنقص بالأموات، وهم قد تنقصوا الخالق بالشرك وأوليائه الموحدين بدمهم وعيهم ومعاداتهم، وتنقصوا من أشركوا به غاية التنقص إذ ظنوا أنهم راضون منهم بهذا، وأنهم أمروهم به وأنهم يوالونهم عليه ، وهؤلاء هم أعداء الرسل في كل زمان ومكان، وما أكثر المستجيبين لهم، وما نجا من شرك هذا الشرك الأكبر إلا من جرد توحيد الله وعادى المشركين في الله وتقرّب بمقتهم إلى الله واتخذ الله وحده وليه وإلهه ومعبوده، فجرد حبه لله وخوفه لله ورجاءه لله، وذله لله ، وتوكله على الله، واستعانته بالله والتجاءه إلى الله، واستغاثته بالله، وقصده الله متبعاً لأمره متطلباً لمرضاته، إذا سألَ الله ، وإذا استعان استعان بالله، وإذا عمل عمل لله، فهو لله وبالله ومع الله . انتهى كلامه رحمه الله .

الشفاعة فيبين أنها لا تنفع إلا لمن أذن له الرب كما قال تعالى : ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى ﴾ [الأنبياء: ٢٨] فهذه الشفاعة التي يظنها المشركون هي متفية يوم القيامة كما نفاها القرآن ، وأخبر النبي ﷺ أنه يأتي

وقال شيخ الإسلام : « وهذا الموضع افترق الناس فيه ثلاث فرق : طرفان ووسط ، فالمشركون ومن وافقهم من مبتدعة أهل الكتاب كالنصارى ومبتدعة هذه الأمة أثبتوا الشفاعة التي نفاها القرآن ، والخوارج والمعتزلة أنكروا شفاعة نبينا ﷺ في أهل الكباثر من أمته بل أنكروا طائفة من أهل البدع انتفاع الإنسان بشفاعة غيره ودعائه ، كما أنكروا انتفاعه بصدقة غيره وصيامه ، فأنكروا الشفاعة بقوله تعالى : ﴿ مَن قَبْلَ أَن يَأْتِيَ يَوْمَ لَا بَئِعَ فِيهِ وَلَا حُلَّةٌ وَلَا شَفَعَةٌ ﴾ [البقرة: ٢٥٤] ، ويقوله : ﴿ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾ [غافر: ١٨] ، وأما سلف الأمة وأئمتها ومن تبعهم من أهل السنة والجماعة فأثبتوا ما جاءت به السنة عن نبي الله ﷺ من شفاعته لأهل الكباثر من أمته وغير ذلك من أنواع شفاعاته وشفاعة غيره من النبيين والملائكة ، وقالوا : إنه لا يخلد في النار من أهل التوحيد أحد ، وأقروا بما جاءت به السنة من انتفاع الإنسان بدعاء غير وشفاعته والصدقة عنه والصوم عنه في أصح قولي العلماء كما ثبتت به السنة الصحيحة وما كان في معنى الصوم . وأما من علق قلبه بأحد المخلوقين يرجوه ويخافه فهذا من أبعد الناس عن الشفاعة ، فشفاعة المخلوق عند المخلوق تكون بإعانة الشافع للمشفوع له بغير إذن المشفوع عنده ، بل يشفع إما لحاجة المشفوع عنده وإما لخوفه منه ، فيحتاج أن يقبل شفاعته ، والله غني عن العالمين كلهم فما من شفيع إلا من بعد إذنه فله ﷺ شفاعات يختص بها لا يشركه فيها أحد ، وشفاعات يشركه فيها غيره من الأنبياء والصالحين لكن ما له فيها أفضل مما لغيره ، فإنه ﷺ أفضل الخلق وأكرمهم على ربه عز وجل ، وله من الفضائل التي ميّزه بها على سائر النبيين ما يضيق هذا الموضع عن بسطه ومن ذلك المقام الحمود الذي يغبطه به الأولون والآخرون . انتهى .

فيسجد لربه ويحمده - لا يبدأ بالشفاعة أولاً - ثم يُقال له : « ارفع رأسك، وقل يسمع، وسلّ تُعط، واشفع تُشفع » .

وقال له أبوهريرة^(١) : من أسعد الناس بشفاعتك يا رسول الله ؟ قال : « من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه » . فتلك الشفاعة لأهل الإخلاص بإذن الله ولا تكون لمن أشرك بالله^(٢) .

وحقيقتها : أن الله سبحانه هو الذي يتفضل على أهل الإخلاص فيغفر لهم بواسطة دعاء من أذن له أن يشفع ليكرمه وينال المقام المحمود . فالشفاعة التي نفاها القرآن^(٣) ما كان فيها شرك وتلك منفية مطلقاً ؛

(١) قوله : « وقال له أبوهريرة رضي الله عنه : من أسعد الناس بشفاعتك يا رسول الله ؟ قال : « من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه » * . وهذا الحديث رواه البخاري والنسائي عن أبي هريرة، ورواه الإمام أحمد وصححه ابن حبان .

وفيه : « وشفاعتي لمن قال : لا إله إلا الله مخلصاً يصدق قلبه لسانه ، ولسانه قلبه » . وشاهده : ما رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لكل نبي دعوة مستجابة، فتعجل كل نبي دعوته، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة، فهي نائلة - إن شاء الله - من مات لا يشرك بالله شيئاً » ** .

(٢) قوله : « قال شيخ الإسلام : فتلك الشفاعة لأهل الإخلاص بإذن الله ولا تكون لمن أشرك بالله . وحقيقتها : أن الله سبحانه هو الذي يتفضل على أهل الإخلاص فيغفر لهم بواسطة دعاء من أذن له أن يشفع ليكرمه وينال المقام المحمود » .

(٣) قوله : « فالشفاعة التي نفاها القرآن ما كان فيها شرك وتلك منفية مطلقاً، ولهذا أثبت الشفاعة بإذنه في مواضع، وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم أنها لا تكون إلا لأهل التوحيد والإخلاص » . انتهى كلامه رحمه الله . وقال أيضاً : « والإخلاص محبة الله وإرادة وجهه » .

* أخرجه البخاري (٩٩)، وأحمد (٣٠٧/٢)، وابن حبان في صحيحه (١٣١/٨) .

** أخرجه مسلم (١٩٩)، وأحمد (٢٥٧/٢) .

ولهذا أثبت الشفاعة بإذنه في مواضع، وقد بين النبي ﷺ أنها لا تكون إلا لأهل التوحيد والإخلاص « . انتهى كلامه .



وفيه : معرفة صفة الشفاعة المنفية ، والشفاعة المثبتة ، وذكر الشفاعة الكبرى وهي المقام المحمود ، وصفة ما يفعله ﷺ ، وأنه لا يبدأ بالشفاعة أولاً بل يسجد، فإذا أذن له شفع ، ومن أسعد الناس بها ، وأنها لا تكون لمن أشرك بالله ، وبيان حقيقتها . قاله المصنف رحمه الله تعالى .

١٨- باب

قول الله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ الآية^(١) [القصص: ٥٦].

(١) قوله: «باب قول الله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾» أراد المصنف رحمه الله تعالى بهذه الترجمة الرد على عبّاد القبور الذين يعتقدون في الأنبياء والأولياء أنهم ينفعون ويضرون فيسألونهم مغفرة الذنوب وتفريج الكرب وهداية القلوب، ويعتقدون أن لهم التصرف بعد الموت على سبيل الكرامة، فإذا عرف الإنسان معنى هذه الآية المترجم بها ومن نزلت فيه تبين له أن رسول الله ﷺ الذي هو أفضل الخلق عند الله وأعظمهم جاهاً عنده حرص واجتهد في هداية عمه أبي طالب في حال حياته وعند موته فلم يستطع ذلك ولم يقدر عليه، ثم استغفر له بعد موته فلم يغفر له بل نهاه الله عن ذلك. قال الزجاج: «أجمع المسلمون على أن هذه الآية نزلت في أبي طالب، وذلك أن أبا طالب قال عند موته: يا معشر بني عبد مناف، أطيعوا محمداً وصدقوه تفلحوا وترشدوا، فقال عليه السلام: «يا عم، تأمرهم بالنصح لأنفسهم وتدعها لنفسك؟» قال: فما تريد يا ابن أخي؟ قال: «أريد منك كلمة واحدة، فإنك في آخر يوم من أيام الدنيا أن تقول: لا إله إلا الله، أشهد لك بها عند الله تعالى»*. قال: يا ابن أخي، قد علمت أنك صادق، ولكنني أكره أن يُقال جزع عند الموت، ولولا أن يكون عليك وعلى بني أبيك غضاضة ومسبةٌ بعدي لقلتها، ولأقررتُ بها عينك عند الفراق لما أرى من شدة وجدك ونصحك، ولكنني سوف أموت على ملة الأشياخ عبدالمطلب وهاشم وعبدمناف». انتهى.

* لم أجده بهذا اللفظ.

في الصحيح^(١) عن ابن المسيَّب عن أبيه^(٢) قال : لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسولُ الله ﷺ، وعنده عبدُ الله بن أبي أمية وأبوجهل، فقال له : « يا عم^(٣) ، قل : لا إله إلا الله^(٤) ، كلمة أحاجُّ لك بها

(١) قوله : « في الصحيح » أي الصحيحين « عن ابن المسيَّب » وهو سعيد بن المسيَّب المخزومي القرشي ، أحد العلماء الأثبات والفقهاء الكبار الحفاظ العبَّاد ، اتفقوا على أن مراسيله أصح المراسيل . قال ابن المدني : لا أعلم في التابعين أوسع علماً منه ، مات بعد التسعين وقد ناهز الثمانين .

(٢) قوله : « عن أبيه » وأبوه المسيَّب صحابي، وكذا جده خزَن صحابي، استشهد باليمامة . قال : « لما حضرت أبا طالب الوفاة » أي ظهرت عليه علامات الموت « جاءه رسولُ الله ﷺ » وعنده عبدُ الله بن أبي أمية وأبوجهل « يحتمل أن يكون المسيَّب حضر هذه القصة، فإن المذكورين من بني مخزوم، وهو أيضاً مخزومي وكانوا يومئذ كفاراً فمات أبوجهل على الكفر وأسلم الآخرون، وفي هذا جواز عيادة المشرك إذا رُجي إسلامه ، وجواز حمل العلم إذا كان فيه مصلحة راجحة على عدمه .

(٣) قوله : « فقال النبي ﷺ : « يا عم » منادى مضاف يجوز فيه إثبات الياء وحذفها . قاله في « الشرح » * .

(٤) قوله : « قل : لا إله إلا الله كلمة أحاجُّ لك بها عند الله » ** أي قل هذه الكلمة لأنه يعرف معناها وما دلت عليه من البراءة من كل معبود سوى الله، فلو قالها في تلك الحال لنفعته؛ لأنه لا يقولها إلا عن اعتقاد لمعناها وما دلت عليه .

وفيه معرفة تفسير قوله « قل : لا إله إلا الله » بخلاف ما عليه من يدعي العلم، وأن أبا جهل ومن معه يعرفون مراد النبي ﷺ إذا قال الرجل : قل لا إله إلا الله، فقبح الله مَنْ أبوجهل أعلم منه بأصل الإسلام . قاله المصنف رحمه الله .

وقوله « كلمة » بالنصب على أنه بدل من لا إله إلا الله ، ويجوز رفعها على

* (ص/ ٢٥٠)

** أخرجه البخاري (١٣٦٠، ٣٨٨٤)، ومسلم (٢٤) .

عند الله^(١) . فقال له^(٢) : أترغبُ عن ملةِ عبدالمطلب ؟ فأعاد عليه النبي ﷺ ، فأعاد ، فكان آخر ما قال : هو على ملة عبدالمطلب ، وأبى أن يقول لا إله إلا الله . فقال النبي ﷺ : «لأستغفرنُ لك ما لم أُنْهَ عنكَ»^(٣) ، فأنزل الله عز وجل : ﴿ مَا كَانِ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ

احتمال لمبتدأ . قاله القرطبي .

(١) قوله : «أحاجُ لك بها عند الله» هو بتشديد الجيم من الحاجة جواب الأمر، أي أشهد لك بها عند الله . وفيه دليل على أن الأعمال بالخواتيم، فلو قالها نفعته وإن لم يعمل شيئاً غير ذلك .

(٢) قوله : «فقال له» أي أبوجهل وعبدالله بن أبي أمية «أترغب عن ملة عبدالمطلب» ذكره الحجة الملعونة التي يتعلق بها المشركون الأولون والآخرين وهي تقليد الآباء والكبراء ، وأخرجها الكلام مخرج الاستفهام مبالغة في الإنكار لعظمة هذه الحجة عندهم ، ولذا اكتفاء بها في المجادلة مع مبالغته ﷺ وتكراره، فلأجل وضوحها عندهم اقتصرنا عليها . قاله المصنف رحمه الله .

و «ملة عبدالمطلب» هي عبادة الأوثان والشرك بالله في إلهيته «فأعاد عليه النبي ﷺ فأعاد ، فكان آخر ما قال» الأحسن فيه الرفع على أنه اسم «كان» وجملة «هو» وما بعدها الخبر «هو على ملة عبدالمطلب» . وقد رواه الإمام أحمد بلفظ : أنا على ملة عبدالمطلب فغيره الراوي استقباحاً للفظ المذكور؛ لأنه لو حكاها بلفظه لأوهم عود الضمير إلى المتكلم وهو من التصرفات الحسنة . قاله الحافظ ابن حجر .

قوله : «وأبى أن يقول لا إله إلا الله» قال الحافظ ابن حجر : «هذا تأكيد من الراوي في نفي وقوع ذلك من أبي طالب» .

وفيه : الرد على من زعم إسلام عبدالمطلب وأسلافه ، ومضرة أصحاب السوء على الإنسان، ومضرة تعظيم الأسلاف . قاله المصنف رحمه الله تعالى .

(٣) قوله : «فقال النبي ﷺ : لأستغفرنُ لك ما لم أُنْهَ عنكَ» . وفي رواية مسلم : «أما والله لأستغفرنُ لك» . قال النووي : وفيه جواز الحلف من غير استحلاف ، والحلف

يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ^(١) ﴿ [التوبة: ١١٣] .

هنا لتأكيد العزم على الاستغفار .

(١) قوله : «فأنزل الله ﴿ مَا كَانِ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ ﴾ الآية » أي : ما ينبغي لهم ذلك ، وهو خبر بمعنى النهي . والظاهر أن هذه الآية نزلت في أبي طالب ، فإن الإتيان بالفاء المفيدة للترتيب في قوله فأنزل الله بعد قوله : « لأستغفرون لك ما لم أنه عنك » يفيد ذلك ، وقد ذكر العلماء لنزول هذه الآية أسباباً أخر ، فلا منافاة ؛ لأن أسباب النزول قد تعددت ، وقد روى الطبراني عن عمرو بن دينار قال : قال رسول الله ﷺ : « استغفر إبراهيم لأبيه وهو مشرك فلا أزال أستغفر لأبي طالب حتى نهاني عنه ربي »* . فقال أصحابه : نستغفر لأبائنا كما استغفر نبينا لعمه فنزلت : ﴿ مَا كَانِ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أَوْلَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمْ أَنَّهَا مَأْوَىٰ الْجَحِيمِ ﴾ ﴿ وَمَا كَانِ اسْتَغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَّهَا إِتْيَاءَهُ فَلَمَّا بَيَّنَّ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ﴾ [التوبة: ١١٣-١١٤] . قال الحافظ ابن حجر [الفتح ٧ / ١٩٥] : «ويظهر أن الآية المتعلقة بالاستغفار نزلت بعد أبي طالب بمدة ، وهي عامة في حقه وحق غيره ، يوضح ذلك ما يأتي في التفسير ، فأنزل الله بعد ذلك : ﴿ مَا كَانِ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ ﴾ الآية ، ونزل في أبي طالب ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾ كُله ظاهر في أنه مات على غير الإسلام ، ويضعف ما ذكره السهيلي أنه رأى في بعض كتب المسعودي أنه أسلم ؛ لأن مثل ذلك لا يعارض ما في الصحيحين » . انتهى .

وفيه : تحريم الاستغفار للمشركين ومولاتهم ومحبتهم ؛ لأنه إذا حرم الاستغفار لهم فمولاتهم ومحبتهم أولى . قاله الحافظ ابن حجر .

* أخرجه الطبري في تفسيره (٣١ / ١١) ، والسيوطي في الدر المنثور (٣ / ٢٨٣) .

وأنزل في أبي طالب : ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾^(١) [القصص: ٥٦] .

(١) قوله : « وأنزل الله في أبي طالب : ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ . قال ابن كثير [التفسير ٦/ ٢٤٥-٢٤٦] : « يقول تعالى لرسوله محمد ﷺ : إنك يا محمد ﴿لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ ، أي ليس ذلك إليك إنما عليك البلاغ والله يهدي من يشاء . والمنفي هنا هداية التوفيق والقبول ، فإن أمر ذلك إلى الله وحده وهو القادر عليه ، فنفى عنه هذه الهداية وأثبت له هداية الدعوة والبيان في قوله : ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢] .

وفيه : جِدُّهُ ﷺ ومبالغته في إسلام عمِّه وكونه استغفر له فلم يغفر له ، بل نهي عن ذلك . قاله المصنف رحمه الله . وكانت وفاة أبي طالب بمكة قبل الهجرة بقليل . قال ابن فارس : « مات أبوطالب ولرسول الله ﷺ تسع وأربعون سنة وثمانية أشهر وأحد عشر يوماً ، وتوفيت خديجة رضي الله عنها بعد موت أبي طالب بثمانية أيام ، ومن حكمة الرب تبارك وتعالى في عدم هداية أبي طالب إلى الإسلام ليبيِّن لعباده أن ذلك إليه ، وهو القادر عليه دون ما سواه ، فلو كان عند النبي ﷺ الذي هو أفضل خلقه وأكرمهم عليه من هداية القلوب وتفريج الكروب ، ومغفرة الذنوب ، والنجاة من العذاب ونحو ذلك شيء لكان أحق الناس بذلك وأولاهم به عمه الذي كان يحوطه ويحميه ويؤويه ، وناله بسببه من الأذى ما ناله ، وحُصر في الشعب سنوات ، وقاطعته قريش من أجله ، وكان ينشد الأشعار في الذَّبِّ عنه ومدحه والثناء عليه وعلى دينه الذي يدعو إليه ، ومن ذلك قوله في قصيدته اللامية المشهورة :

| | |
|-------------------------------|------------------------------|
| ولما رأيتُ القوم لا ودَّ فيهم | وقد قطعوا كل العرى والوسائل |
| وقد صارحونا بالعداوة والأذى | وقد طاوعوا أمر العدو المزائل |
| صبرت لهم نفسي بسمراء سمحة | وأبيض غضب من تراث المقاتل |
| وأحضرت عند البيت رهطي وإخوتي | وأمسكتُ من أثوابه بالوسائل |

لدى حيث يقضي حلفه كل نافل
ونظعن إلا أمركم في بلابل
ولما نطاعن دونه وتناضل
ونذهل عن أبنائنا والحلائل

وإخوته دأب المحب المواصل
ثمال اليتامى عصمة للأرامل
وزيناً لمن والاه رب المشاكل
إذا قاسه الحكام عند التفاضل
يوالي إلهاً ليس عنه بغافل
تجرُّ على أشياخنا في المحافل
من الدهر جداً غير قول التهازل
تقصر عنه سورة المتطاوول
ودافعت عنه بالذرى والكلاكل
وأظهر ديناً حقاً غير باطل

قياماً معاً مستقبليين رتاجه
كذبتهم وبيت الله نترك مكة
كذبتهم وبيت الله نبزي محمداً
ونسلمه حتى نُصرع حوله
إلى أن قال :

لعمرى لقد كلفت وجداً بأحمد
وأبيض يستسقى الغمام بوجهه
فلا زال في الدنيا جمالاً لأهلها
فمن مثله في الناس أي مؤمّل
حليم رشيد عادل غير طائش
فوالله لولا أن أجيء بسببة
لكنا اتبعناه على أي حالة
فأصبح فينا أحمد في أرومة
حديث بنفسي دونه وحميته
فأيده رب العباد بنصره

وفي قصة وفاة أبي طالب المروية في الصحيحين* وحرص النبي ﷺ على إسلامه
فلم يسلم بل مات على ملة عبدالمطلب التي هي عبادة الأوثان والشرك بالله ونزل
في حقه : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾ واستغفار النبي ﷺ له فلم يغفر له بل نهى
عن ذلك وأنزل الله في النهي عنه قوله تعالى : ﴿ مَا كَانِ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ
يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ

* البخاري (٤٧٧٢) ، ومسلم (٢٤) .



أَصْحَبُ الْجَنَّةِ ﴿ [التوبة: ١١٣] : الرد على الرافضة الذين يزعمون إسلام أبي طالب وعلى الشيخ أحمد زيني دحلان الذي ألف لهم كتاباً في إسلامه سماه « أسنى المطالب في إسلام أبي طالب » مع ما ورد في قصة وفاته وما نزل في ذلك من الآيات، وما تظاهرت به الأحاديث من أن له نعلان من نار يغلي منهما دماغه كما يغلي الرجل، نسأل الله السلامة والعافية بمئه وكرمه ، ونعوذ به من زيغ القلوب ورين الذنوب وعمى البصائر .

١٩- باب

ما جاء أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين^(١)

وقول الله عز وجل: ﴿يَتَّأَهَّلَ الْكُتَّابُ لَا تَنَلُوا فِي دِينِكُمْ﴾^(٢) الآية [النساء : ١٧١] .

(١) قوله : « باب ما جاء أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين » : أراد المصنف رحمه الله تعالى بهذه الترجمة أن يبين أن الغلو في الصالحين يكون سبباً للخروج من الدين، فإن الشيطان يخرج الغلو فيهم في قالب محبتهم وأنه من الدين الذي يقربهم إلى الله تعالى ، ويثابون عليه وهو يجر إلى أعظم الذنوب وهو الشرك بالله وعبادة من غلوا فيه

(٢) قوله : « وقول الله تعالى : ﴿يَتَّأَهَّلَ الْكُتَّابُ لَا تَنَلُوا فِي دِينِكُمْ﴾ » أهل الكتاب هم اليهود والنصارى، والغلو هو الإفراط في التعظيم بالقول والفعل والاعتقاد ، أي لا تجاوزوا الأمر المشروع في الدين ولا ترفعوا المخلوق عن منزلته التي أنزله الله وهي العبودية إلى المنزلة التي لا تنبغي إلا لله ، والخطاب وإن كان لأهل الكتاب فإنه عام يتناول جميع الأمة تحذيراً لهم أن يفعلوا كفعل اليهود والنصارى، وبسبب الغلو وقع الشرك في العبادة في هذه الأمة .

قال شيخ الإسلام رحمه الله : ومن تشبه من هذه الأمة باليهود والنصارى، وغلا في الدين بإفراط فيه أو تفريط فقد شابههم، قال : وعلي^ﷺ حرق الغالية من الرافضة ، فأمر بأخاديد خُدَّتْ لهم عند باب كندة فذفهم فيها وقال :

لما رأيتُ الأمرَ مُنْكَرًا * * أججتُ ناري ودعوتُ قنبرا

يعنى مولى ليساعده على قذفهم في النار .

واتفق الصحابة على قتلهم لكن ابن عباس مذهبه أن يُقتلوا بالسيف من غير تحريق وهو قول أكثر العلماء . قال ابن عباس : كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الإسلام ثم ظهر الشرك بسبب تعظيم قبور صالحهم .

في الصحيح^(١) عن ابن عباس رضي الله عنهما في قول الله تعالى : ﴿وَقَالُوا لَا نَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ وَلَا نَذَرُنَّ وَدًا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ [نوح: ٢٣]

(١) قوله : « وفي الصحيح » أي : صحيح البخاري ، « عن ابن عباس رضي الله عنهما في قول الله تعالى : ﴿ وَقَالُوا لَا نَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ وَلَا نَذَرُنَّ وَدًا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾ قال : « هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصاباً وسموها بأسمائهم ، ففعلوا ، ولم يُعبد ، حتى إذا هلك أولئك ونسي العلم عُبدت * » هذا الأثر اختصره المصنف والذي في البخاري عن ابن عباس صارت الأوثان التي في قوم نوح في العرب بعد ، أما ود فكانت لكلب بدومة الجندل ، وأما سواع فكانت لهذيل ، وأما يغوث فكانت لمراد ثم لبني غطفان بالجرف عند سبأ ، وأما يعوق فكانت لهمدان ، وأما نسر فكانت لحمير لآل ذي الكلاع ، أسماء رجال صالحين في قوم نوح ، وكان لهم أتباع يقتدون بهم ، فلما ماتوا قال أصحابهم الذين كانوا يقتدون بهم : لو صورناهم كان أشوق لنا إلى العبادة إذا ذكرناهم . فصوروهم ، فلما ماتوا وجاء آخرون دبَّ إليهم إبليس فقال : إنما كانوا يعبدونهم وبهم يسقون المطر فعبدوهم ، وكانوا يتبركون بدعائهم ، وكلما مات منهم أحدٌ مثلوا صورته وتمسحوا بها ، فعبدوهم بتدريج الشيطان لهم ثم صارت سنة في العرب في الجاهلية . قال القرطبي [التفسير ٣٠٨/١٨] : « وإنما صور أوائلهم الصور ليستأنسوا بهم ويتذكروا أفعالهم الصالحة فيجتهدوا كاجتهادهم ، ثم خلفهم قوم جهلوا مرادهم فوسوس لهم الشيطان أن أسلافهم كانوا يعبدون هذه الصور ويعظمونها » . انتهى . وروى الفاكهي عن ابن الكلبي قال : « كان لعمر بن ربيعة رثي من الجن فاتاه فقال : أجب أبا ثمامة ، ودخل بلا ملامة ، ثم إت سيف جُدّة تجد بها أصناماً معدة ثم أوردتها تهامة ، ولا تهب ، ثم ادع العرب إلى عبادتها تجب .

قال: هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح ، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصباً وسموها بأسمائهم ، ففعلوا ، ولم تُعبد ، حتى إذا هلك أولئك ونسي العلمُ عُبِدَتْ .

قال : فأتى عمرو ساحل جُدة فوجد بها ودأ وسواعاً ويغوث ويعوق ونسراً وهي الأصنام التي عُبِدت على عهد نوح وإدريس ، ثم إن الطوفان طرحها هناك فسقى عليها الرمل فاستثارها عمرو وخرج بها إلى تهامة وحضر الموسم ودعى إلى عبادتها فأجيب . وعمرو بن ربيعة هو عمرو بن لُحي وكانت العرب قبله على دين إبراهيم عليه السلام حتى نشأ فيهم عمرو فأحدث الشرك، روى ابن جرير عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول لأئمة بن الجون : « يا أئمة ، رأيتُ عمرو بن لُحي بن قمنة بن خندق يجر قُصبه في النار، فما رأيتُ رجلاً أشبه برجل منك به ولا به منك » . فقال أئمة : أتخشى أن يضرنى شبهه يا رسول الله ؟ فقال رسول الله ﷺ : « إنك مؤمن وهو كافر ، إنه أول من غير دين إبراهيم ، وبجر البحيرة ، وسبب السائبة ، وحمل الحامي »* . إسناده حسن . والمراد بها الأصنام المصورة على صورهم المنصوبة في مجالسهم .

وقوله : « حتى إذا هلك أولئك » أي الذين نصبوها ليكون أشوق لهم إلى العبادة وليتذكروا برؤيتها أفعالهم .

قوله : « ونسي العلم » أي المعرفة بحالها وما قصده من صورها وغلب الجهال الذين لا يميزون بين التوحيد والشرك ، وذهب العلماء الذين يعرفون ذلك عُبِدت وقالوا : ما عَظُم أولونا هؤلاء إلا وهم يرجون شفاعتهم عند الله فعبدوهم، فهذا هو السبب في عبادة هؤلاء الصالحين وهو رجاء شفاعتهم عند الله .

* أخرجه ابن أبي عاصم (ق/٢٠١) ، والحاكم (٤/٦٠٥) ، وقال : صحيح على شرط مسلم . ووافقه الذهبي . وقال الألباني : هو حسن فقط . انظر الصحيحة (٤/٢٤٣-٢٤٤) .

وقال ابن القيم : « قال غير واحد من السلف : لما ماتوا عكفوا على قبورهم، ثم صوروا تماثيلهم، ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم »^(١) .

(١) قوله : « وقال ابن القيم » هو العلامة المحقق محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي الدمشقي المعروف بابن قيم الجوزية ، قال السخاوي : « العلامة الحجة المتقدم في سعة العلم ومعرفة الخلاف وقوة الجنان ، المجمع عليه بين الموافق والمخالف، صاحب التصانيف السائرة والمحاسن الجمّة ، مات سنة إحدى وخمسين وسبعمائة » .
« قال غير واحد من السلف : لما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم صوروا تماثيلهم ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم » . فتبيّن أن مبدأ الشرك بالصالحين هو الغلو فيهم وهو أول شرك حدث في الأرض .

قال شيخ الإسلام : « الغلو في الأمة في طائفتين : طائفة من ضلال الشيعة الذي يعتقدون في الأنبياء والأئمة من أهل البيت الألوهية، وطائفة من جهال المتصوفة يعتقدون نحو ذلك في الأنبياء والصالحين » .

وقال العلامة ابن القيم رحمه الله : فالغلو في الصالحين هو الذي أوحاه الشيطان إلى عبّاد القبور في هذه الأزمان، فإنه ألقى إليهم أن البناء على القبور والعكوف عندها من محبة الصالحين وتعظيمهم ، وأن الدعاء عندها أرجى في الإجابة من الدعاء في المسجد الحرام والمساجد فاعتادوها لذلك ، فإذا تقرر ذلك عندهم نقلهم إلى الدعاء به والإقسام على الله به وهذا أعظم من الذي قبله ، فإن شأن الله أعظم من أن يقسم عليه أو يسأل بأحد من خلفه . فإذا تقرر ذلك عندهم نقلهم منه إلى دعاء الناس إلى عبادته واتخاذهم عيداً ومنسكاً، فإذا تقرر ذلك عندهم نقلهم منه إلى أن من نهى عن ذلك فقد تنقص أهل الرتب العالية وحطّهم عن منزلتهم وزعم أنه لا حرمة لهم ولا قدر ، وغضب المشركون وأشمازت قلوبهم كما قال تعالى : ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ [الزمر: ٤٥] ، وسرى ذلك في نفوس كثير من الجهال والطغام وكثير ممن يتسبب إلى العلم والدين حتى عادوا أهل التوحيد، ورموهم

بالعظائم ، ونفروا الناس عنهم ووالوا أهل الشرك وعظموهم وزعموا أنهم أولياء الله وأنصار دينه ورسوله ، ويأبى الله ذلك وما كانوا أولياءه إن أولياؤه إلا المتقون . فكل ما عُبد من دون الله من قبر أو مشهد أو صنم أو طاغوت ، فالأصل في عبادته هو الغلو كما لا يخفى على من له بصيرة في الدين ، فانظر إلى ما يفعل في مصر عند أحمد البدوي وهو لا يعرف له أصل ولا فضل ولا علم ولا عبادة ومع هذا صار أعظم آهتهم مع أنه لا يعرف إلا أنه دخل المسجد يوم الجمعة فبال فيه ثم خرج ولم يصل . ذكره السخاوي عن أبي حيان . فزئ لهم الشيطان عبادته فاعتقدوا أنه يتصرف في الكون ويطفئ الحريق وينجي الغريق ، وصرفوا له أنواع العبادة من الدعاء والذبح والنذور واعتقدوا أنه يعلم الغيب وأنه يسمع من دعاه من الديار البعيدة ويستجيب له ، وكذلك أهل الشام قد فُتِنوا بابن عربي إمام أهل الوحدة الذين هم أكفر من اليهود والنصارى ، وجعلوا على قبره قبة وصاروا يطوفون به ويدبحون له النذور ويدعونه ، وقد ألف السخاوي كتاباً في ترجمته سماه « القول المنبي عن ترجمة ابن عربي » ذكر فيها أشياء من أقواله الشنيعة ، وما قاله أهل العلم فيه وفتاواهم بكفره ، وفيه يقول محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني :

| | |
|---------------------------------|-----------------------------------|
| وأكفر أهل الأرض من قال إنه | إله فإن الله جل عن النَّدِ |
| مسماه كل الكائنات جميعها | من الكلب والخنزير والقرد والفهد |
| وإن عذاب النار عذاب لأهلها | سواء عذاب النار أو جنة الخلد |
| وعباد عجل السامري على هدى | ولاثمهم في اللوم ليس على رُشدِ |
| وتشددنا عنه نصوص فصوصه | تنادى خذوا في النظم مكنون ما عندي |
| وكنت امرءاً من جند إبليس فارتمى | بي الدهر حتى صار إبليس من جندي |
| فلو مات قبلي كنت أدركت بعده | دقائق كفر ليس يدركها بعدي |

وكذا أهل العراق ومن حولهم كأهل عمان يعتقدون في عبدالقادر الجيلاني كاعتقاد

أهل مصر في البدوي، وجرى في نجد والحجاز واليمن وحضرموت وغيرها من عبادة الجن والطواغيت والأشجار والقبور ما عمّت به البلوى ولكن الله أزال ذلك من نجد بسبب الدعوة المباركة التي قام بها الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ورضي عنه وعن أئمة الهدى من آل سعود الذين أيّدوه ونصروه ، وبعد دخول الحكومة السعودية الحجاز زال كثير من الأوثان والطواغيت التي كانت تُعبد من دون الله ، فقد كان لقبر خديجة رضي الله عنها سدة، وفي الليلة الحادية عشرة من كل شهر يذهب الناس إليها ينادونها : يا صاحبة الليلة يا بنت خويلد ، علماؤهم وعامتهم، فله الحمد والمنة على زوال ذلك ، ونسأله أن ينصر دينه ويعلي كلمته ويزيل الشرك وآثاره من سائر البلاد إنه على كل شيء قدير وبالإجابة جدير . ومن فهم هذا الباب وبابين بعده تبيّن له غربة الإسلام ، ورأى من قدرة الله وتقليبه للقلوب العجب .

وفيه : معرفة أول شرك حدث في الأرض أنه بشبهة الصالحين ، وأول شيء غيّر به دين الأنبياء وما سبب ذلك مع معرفة أن الله أرسلهم ، وقبول النفوس للبدع مع كون الشرائع والفطر تردها، وأن سبب ذلك كله مزج الحق بالباطل، فالأول : حجة الصالحين . والثاني : فعل أناس من أهل العلم والدين شيئا أرادوا به خيرا فظن من بعدهم أنهم أرادوا به غيره .

وفيه : معرفة تفسير الآية التي في سورة نوح ومعرفة جبلة الإنسان في كون الحق ينقص في قلبه والباطل يزيد ، وفيه شاهد لما نقل عن السلف أن البدعة سبب الكفر ومعرفة الشيطان بما تؤول إليه البدعة ، ولو حسن قصد الفاعل وأنها أحب إلى الشيطان من المعصية ؛ لأن المعصية يتاب منها والبدعة لا يُتاب منها ، ومضرة العكوف على القبر لأجل عمل صالح ومعرفة النهي عن التماثيل والحكمة في إزالتها ومعرفة عظم شأن هذه القصة وشدة الحاجة إليها مع الغفلة عنها .

وعن عمر^(١) أن رسول الله ﷺ قال : « لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم^(٢) ، إنما أنا عبدٌ ، فقولوا عبدُ الله ورسوله^(٣) » . أخرجاه .

ومنها - وهي أعجب - : قراءتهم إياها في كتب التفسير والحديث ومعرفتهم بمعنى الكلام وكون الله حال بينهم وبين قلوبهم حتى اعتقدوا أن فعل قوم نوح أفضل العبادات، واعتقدوا أن ما نهى الله ورسوله عنه هو الكفر المبيح للدم والمال ، والتصريح بأنهم لم يريدوا إلا الشفاعة ، وظنهم أن العلماء الذين صوروا الصور أرادوا ذلك ، والتصريح بأنها لم تُعبد حتى نُسي العلم ، ففيها بيان معرفة قدر وجود العلم ومضرة فقدته ، وأن سبب فقد العلم موت العلماء. قاله المصنف رحمه الله تعالى .

(١) قوله : « وعن عمر^{رضي الله عنه} » وهو الخليفة الراشد عمر بن الخطاب بن نفيل العدوي أمير المؤمنين وأفضل الصحابة بعد أبي بكر الصديق^{رضي الله عنه} ، ولي الخلفاء عشر سنين ونصفاً فامتلت الدنيا عدلاً وفتحت في أيامه ممالك كسرى وقيصر وأنفقت كنوزهما في سبيل الله ، كما أخبر بذلك الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى . واستشهد في ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين من الهجرة .

(٢) قوله : « أن رسول الله ﷺ قال : « لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم » الإطراء هو مجاوزة الحد في المدح والكذب فيه . قاله أبو السعادات .

(٣) وقوله : « إنما أنا عبدٌ ، فقولوا : عبدُ الله ورسوله » أخرجاه* . أمرهم رسول ﷺ أن لا يتجاوزوا هذا القول ، أي صفوني بما وصفني به ربي في قوله ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ ﴾ [الفرقان : ١] ، وقوله : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ ﴾ [الإسراء : ١] ، وقوله : ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا ﴾ [البقرة : ٢٣] فمنزلة العبودية أخص أوصافه ﷺ .

وفيه : البيان العظيم في قوله : « لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم » ،

* أخرجه البخاري (٣٤٤٥) و (٦٨٣٠) ، ومسلم (١٦٩١) .

وقال : قال رسول الله ﷺ: « إياكم والغلو^(١) ، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو » .

فصلوات الله وسلامه عليه فقد بلغ البلاغ المبين . قاله المصنف رحمه الله تعالى . فأبى المشركون إلا مخالفة أمره، وارتكاب نهيه . وعظموه بما نهاهم عنه وحدثهم منه، وناقضوه أعظم مناقضة، وضاهوا النصارى في غلوهم وشركهم ، ووقعوا في المحذور، وجرى منهم من الغلو والشرك شعراً ونثراً ما يطول عدّه . قاله في « فتح المجيد »* .

قلت : ومن الإطراء قول البوصيري :

دع ما ادّعت النصارى في نبيهم واحكم بما شئت مدحاً فيه واحتكم
لو ناسبت قدره آياته عظماً أحيا اسمه حين يدعى دارس الرمم
يقول : دَع ما ادّعت النصارى في نبيهم فلا تقل : محمد هو الله، ولا ابن الله ، ولا
ثالث ثلاثة، واحكم بما شئت . قل : محمد يخلق ويرزق ويحيى ويميت .

وقوله « لو ناسبت قدره آياته عظماً » فيه نسبة الظلم إلى الله، وأنه لم يعط محمداً آيات تناسب قدره، ولو أعطاه آيات تناسب قدره لأحيا الأموات إذا دعوته باسمه .

(١) قوله : « وعن ابن عباس » رضي الله عنهما « قال : قال رسول الله ﷺ : « إياكم والغلو، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو »** هذا الحديث رواه الإمام أحمد والترمذي وابن ماجه عن ابن عباس قال: قال لي رسول الله ﷺ غداة العقبة وهو على ناقته: « القط لي حصي » فلقطت له سبع حصيات هن حصي الخذف فجعل يفضهن في كفه ويقول : « أمثال هؤلاء فارموا، وإياكم والغلو... » الحديث .
قال شيخ الإسلام : « هذا عام في جميع أنواع الغلو في الاعتقادات والأقوال والأعمال » .

* (٣٨٠/١) .

** أخرجه أحمد (٢١٥/١، ٣٤٧) ، والنسائي (٢٦٨/٥، ٢٦٩) ، وابن ماجه (٣٠٢٩) ، وصححه الألباني في الصحيحة (١٢٨٣) .

ولمسلم عن ابن مسعود^(١) أن رسول الله ﷺ قال : « هلك المتطعون » .
قالها ثلاثاً .



وفيه : القاعدة الكلية وهي النهي عن الغلو ومعرفة ما يؤول إليه . قاله المصنف رحمه الله تعالى .

(١) قوله : « ولمسلم عن ابن مسعود » ﷺ « أن رسول الله ﷺ قال : « هلك المتطعون » . قالها ثلاثاً* قال في « النهاية » [٦٣/٥] : « المتطعون المتعمقون الغالون في الكلام المتكلمون بأقصى حلوقهم ، مأخوذ من النطع وهو الغار الأعلى من الفم ، ثم استعمل في كل تعمق قولاً وفعلاً » . قال النووي : « فيه كراهة التقعر في الكلام بالتشديق وتكلف الفصاحة ، واستعمال وحشي اللغة ودقائق الإعراب في مخاطبة العوام ونحوهم » .

قوله : « قالها ثلاثاً » مبالغة في التعليم والتحذير . قاله المصنف رحمه الله تعالى .

* أخرجه مسلم (٢٦٧٠) .

٢٠- باب

ما جاء من التغليظ فيمن عبد الله
عند قبر رجل صالح فكيف إذا عبده؟^(١)

في الصحيح^(٢) عن عائشة رضي الله عنها أن أم سلمة ذكرت لرسول الله ﷺ^(٣) كنيسة رأتها بأرض الحبشة وما فيها من الصور فقال : « أولئك^(٤) إذا مات فيهم الرجل الصالح - أو العبد الصالح^(٥) - بنوا على قبره مسجداً^(٦) ،

(١) قوله : « باب ما جاء من التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح فكيف إذا عبده » أراد المصنف رحمه الله تعالى بهذه الترجمة أن يبين أنه إذا كانت عبادة الله عند القبور منهاياً عنها ومحرمه فكيف إذا عبد أصحاب القبور ، فإن عبادتها هي الشرك الأكبر ، وعبادة الله عندها وسيلة إلى عبادتها، ووسائل الشرك محرمة لأنها تؤدي إلى الشرك .

(٢) قوله : « وفي الصحيح » أي الصحيحين « عن عائشة رضي الله عنها أن أم سلمة » وهي هند بنت أبي أمية بن المغيرة بن عمرو بن مخزوم القرشية المخزومية تزوجها رسول الله ﷺ بعد أبي سلمة سنة أربع، وقيل ثلاث ، وكانت قد هاجرت مع أبي سلمة إلى أرض الحبشة ، وفي « الصحيحين » أن أم سلمة وأم حبيبة ذكرتا ذلك لرسول الله ﷺ، ثوفيت سنة اثنتين وستين .

(٣) قوله : « ذكرت لرسول الله ﷺ » والكنيسة بفتح الكاف وكسر النون : معبد النصراني وما فيها من الصور .

(٤) قوله : « فقال : أولئك » بكسر الكاف خطاب للمرأة .

(٥) قوله « إذا مات فيهم الرجل الصالح أو العبد الصالح » هذا - والله أعلم - شك من أحد رواة الحديث ، هل قال النبي ﷺ هذا أو هذا؟ وفيه التحري في الرواية والرواية بالمعنى . قاله في « الشرح »* .

(٦) قوله : « بنوا على قبره مسجداً » أي موضعاً للصلاة ، « وصوروا فيه تلك الصور » والإشارة إلى ما ذكرت أم سلمة وأم حبيبة من التصاوير التي في الكنيسة .

وصوِّروا فيه تلك الصُّور، أولئك شرارُ الخلقِ عند الله ^(١) . فهؤلاء جمعوا بين الفتنين : فتنة القبور ، وفتنة التماثيل ^(٢) .

(١) قوله : « أولئك شرار الخلق عند الله »* وفيه : ما ذكر الرسول ﷺ فيمن بنى مسجداً يُعبد الله فيه عند قبر رجل صالح، ولو صحَّت نية الفاعل والنهي عن التماثيل وغلظ الأمر في ذلك . قاله المصنف رحمه الله .

وهذا يقتضي تحريم بناء المساجد على القبور وتصوير الصور لا سيما وقد ثبت اللعن عليه . قال البيضاوي : « ولما كانت اليهود والنصارى يسجدون لقبور الأنبياء تعظيماً لهم ويجعلونها قبلة يتوجهون في الصلاة نحوها واتخذوها أوثاناً ، لعنهم النبي ﷺ ومنع المسلمين عن مثل ذلك، وإنما كانوا شرار الخلق عند الله لبناء المساجد على القبور، والتصوير لكونه ذريعة إلى عبادة من بنوا عليه المسجد وصوروا صورته » .

(٢) قوله : « هؤلاء جمعوا بين الفتنين : فتنة القبور ، وفتنة التماثيل » هذا من كلام شيخ الإسلام أحمد بن تيمية - رحمه الله - ، ذكره المصنف تنبيهاً على ما وقع من شدة الفتنة بالقبور والتماثيل ، فإن الفتنة بالقبور كالفتنة بالأصنام أو أشد . قاله في « فتح المجيد »** .

قال شيخ الإسلام [الافتضاء ٢/٦٧٤] : « وهذه العلة التي لأجلها نهى الشارع ﷺ عن اتخاذ المساجد على القبور هي التي أوقعت كثيراً من الأمم إما في الشرك الأكبر، أو فيما دونه من الشرك، فإن النفوس قد أشركت بتماثيل الصالحين وتماثيل يزعمون أنها طلاس الكواكب ونحو ذلك ، فإن الشرك بقبر الرجل الذي يُعتقد صلاحه أقرب إلى النفوس من الشرك بخشبة أو حجر ، ولهذا تجدد أهل الشرك يتضرعون عندها ويخشعون، ويعبدون بقلوبهم عبادة لا يفعلونها في بيوت الله، ولا وقت السَّحَر، ومنهم من يسجد لها، وأكثرهم يرجون من بركة الصلاة عندها والدعاء ما لا

* أخرجه البخاري (٤٢٧) و(٤٧٤) و(١٣٤١) و(٣٨٧٣) ، ومسلم (٥٢٨) .

** (٣٨٧/١) .

ولهما عنها^(١) قالت : لما نُزِلَ برسول الله ﷺ طَفِقَ يطرحُ خميصة له على وجهه، فإذا اغتمَّ بها كَشَفَهَا، فقال وهو كذلك : «لعنةُ الله على اليهود والنصارى؛ اتخذوا قبورَ أنبيائهم مساجدَ»^(٢) . يُحذَّرُ ما صنعُوا^(٣) ، ولولا ذلك أبرزَ قبره^(٤) ،

يرجونه في المساجد، فلأجل هذه المفسدة حسم النبي ﷺ مادتها حتى نهى عن الصلاة في المقبرة مطلقاً ، وإن لم يقصد المصلي بركة البقعة بصلاته ، وأما إذا قصد الرجل الصلاة عند القبور متبركاً بالصلاة في تلك البقعة فهذا عين المحادة لله ولرسوله، والمخالفة لدينه ، وابتداع دين لم يأذن به الله . انتهى ملخصاً .

(١) قوله : « ولهما » أي البخاري ومسلم « عنها » أي عن عائشة رضي الله عنها « قالت : لما نُزِلَ برسول الله ﷺ » بضم النون وكسر الزاي أي : نزلَ به ملكُ الموت والملائكة الكرام لقبض روحه الشريفة « طَفِقَ » بكسر الفاء أي جعل « يطرح خميصة له على وجهه » والخميصة كساء له أعلام « فإذا اغتمَّ بها كَشَفَهَا عن وجهه » وفيه : ما بليَ به ﷺ من شدة النزاع . قاله المصنف .

(٢) قوله : « فقال وهو كذلك : لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجدَ* » وهذا هو الشاهد من الحديث للترجمة ، وهذا يُبَيِّنُ أن من فعل مثل ذلك حلَّ عليه من اللعنة ما حل على اليهود والنصارى .

(٣) وقوله : « يحذَّرُ ما صنعوا » والظاهر أن هذا مدرجٌ في الحديث من كلام عائشة رضي الله عنها؛ لأنها فهمت من قول النبي ﷺ ذلك تحذير أمته عن أن يفعلوا هذا الصنيع الذي كانت تفعله اليهود والنصارى معه ومع الصالحين من أمته . وهذا الذي لعن رسول الله ﷺ فاعله تحذيراً لأمته أن يفعلوه معه ومع الصالحين من أمته قد فعله الخلق الكثير من متأخري هذه الأمة واعتقدوه قرينةً من القربات ، وهو من أعظم السيئات والمنكرات وما شعروا أن ذلك محادة لله ورسوله .

(٤) قوله : « ولولا ذلك » أي ما كان يحذر من اتخاذ قبره مسجداً « لأبرز قبره » وجعل مع قبور أصحابه في البقيع .

* يأتي تخريجه (ص/ ٩٤) وهو في الصحيحين .

غير أنه خشي أن يتخذ مسجداً^(١). أخرجاه .
ولمسلم عن جُنْدَب^(٢) بن عبد الله قال : سمعت رسول الله ﷺ
قبل أن يموت بخمس وهو يقول : « إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم

(١) قوله : « غير أنه خشي أن يتخذ مسجداً » بفتح الخاء وضمها ، فعلى الفتح يكون هو الذي خشي ذلك ﷺ وأمرهم أن يدفنوه في المكان الذي قبض فيه ، وعلى رواية الضم يحتمل أن يكون الصحابة هم الذين خافوا أن يقع ذلك من بعض الأمة فلم يبرزوا قبره .

(٢) قوله : « ولمسلم عن جندب » بن سفيان البجلي وينسب إلى جده ، صحابي مشهور مات بعد الستين ﷺ « قال : سمعت رسول الله ﷺ قبل أن يموت بخمس » أي خمس ليال « وهو يقول : إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليلٌ ، فإن الله قد اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً » ، والخليل هو المحبوب غاية المحبة . قال في «النهاية» [٦٨/٢] : « الخُلَّةُ - بالضم - : الصداقة والمحبة التي تحللت القلب فصارت في خِلَالِهِ : أي في باطنه . والخليل : الصديق فعيل بمعنى مُفَاعِلٍ ، وقد يكون بمعنى مفعول ، وإنما قال ذلك لأن خُلَّتْه كانت مقصورة على حب الله تعالى فليس لغيره فيها مُتَّسِعٌ » .

قال ابن القيم رحمه الله تعالى : « الخُلَّةُ توحيد المحبة ، فالخليل هو الذي توحد حبه لمحبه وهي رتبة لا تقبل المشاركة ، ولهذا اختص بها في العالم الخليلان إبراهيم ومحمد صلوات الله وسلامه عليهما ، وأما ما يظنه بعض الغالطين من أن المحبة أكمل من الخلة وأن إبراهيم خليل الله ومحمد حبيب الله فمن جهله ، فإن المحبة عامة ، والخلة خاصة ، وهي نهاية المحبة . وقد أخبر النبي ﷺ أن الله اتخذ خليلاً ونفى أن يكون له خليل غير ربه مع إخباره بحبه لعائشة ، ولأبيها ، ولعمر بن الخطاب رضي الله عنهم ، وأيضاً فإن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين ويحب الصابرين ، وخلته خاصة بالخليلين » .

* أخرجه البخاري (٤٣٥) و (١٣٣٠) و (١٣٩٠) ، ومسلم (٥٣١) .

خليل، فإن الله قد اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً، ولو كنت متخذاً من أمي خليلاً لاتخذتُ أبابكر خليلاً^(١)، ألا^(٢) وإن من كان

وفيه : ما أكرم به ﷺ من الخلة والتصريح بأنها أعلى من المحبة . قاله المصنف رحمه الله تعالى .

(١) قوله : « ولو كنت متخذاً من أمي خليلاً لاتخذتُ أبابكر خليلاً » وهو عبد الله ابن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب الصديق خليفة رسول الله ﷺ وأفضل أصحابه بإجماع من يعتد بقوله من أهل العلم ، مات سنة ثلاث عشرة وله ثلاث وستون سنة رضي الله عنه وأرضاه .

وفيه : التصريح بأن الصديق أفضل الصحابة والإشارة إلى خلافته؛ لأن من كانت محبته لشخص أشد كان أولى به من غيره ، وقد استخلفه في الصلاة بالناس، وغضب لما قيل : يصلي بهم عمر في مرضه الذي توفي فيه .

وفيه الرد على الرافضة الذين يخسون الصديق حقه . قاله المصنف رحمه الله تعالى . وهم أعظم المتسبين إلى القبلة إشراكاً بعبادة علي وغيره من البشر . قاله شيخ الإسلام . وقد استنبط الإمام مالك رحمه الله كفر الرافضة من القرآن من قوله تعالى في سورة الفتح : ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَفَازَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ﴾ [الفتح : ٢٩] قال : من غاظ أصحاب رسول الله ﷺ فهو كافر . ذكره ابن كثير في « تفسيره » [٣٦٢/٧] قال : وقد وافقه طائفة من العلماء .

وفيه : ذكره قبل موته بخمس الرد على الطائفتين اللتين هما شرار أهل البدع بل أخرجهما بعض أهل العلم من الثنتين والسبعين فرقة وهم : الرافضة والجهمية ، وبسبب الرافضة حدث الشرك وعبادة القبور، وهم أول من بنى عليها المساجد . قاله المصنف رحمه الله تعالى .

(٢) قوله : « ألا » حرف استفتاح .

قبلكم^(١) كانوا يتخذون قبورَ أنبيائهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبورَ مساجدَ،
فإني أنهاكم عن ذلك .

فقد نهى عنه في آخر حياته^(٢)، ثم إنه لعن - وهو في السياق - من فعله .

(١) قوله : « وإن من كان قبلكم » يعني : اليهود والنصارى « كانوا يتخذون القبور مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، فإنني أنهاكم عن ذلك »* . قال بعض أهل العلم :
وإنكار النبي ﷺ صنيعهم هذا يخرج على وجهين :
أحدهما : أنهم كانوا يسجدون لقبور الأنبياء تعظيماً لهم .
والثاني : أنهم يجوزون الصلاة في مدافن الأنبياء والسجود في مقابرهم والتوجه إليها حال الصلاة وعبادة الله مبالغة في تعظيم الأنبياء .
والأول : هو الشرك الجلي .

والثاني : الخفي ؛ فلذلك استحقوا اللعن » . انتهى .

وقال شيخ الإسلام : « أما بناء المساجد على القبور فقد صرح عامة الطوائف بالنهي عنه للأحاديث في ذلك ... إلى أن قال : وهذه المساجد المبنية على قبور الأنبياء والصالحين والملوك وغيرهم تتعين إزالتها بهدم أو غيره ، هذا مما لا أعلم فيه خلافاً بين العلماء المعروفين » .

وقال ابن القيم رحمه الله : « يجب هدم هذه القباب التي بُنيت على القبور ؛ لأنها أسست على معصية الرسول ﷺ ، وقد أفتى جماعة من الشافعية بهدم ما في القرافة من الأبنية ، منهم ابن الجمزي والظاهر الترميني وغيرهما » .

(٢) قوله : « فقد نهى عنه في آخر حياته » كما في حديث جندب من قوله : « ألا فلا تتخذوا القبور مساجد ، فإنني أنهاكم عن ذلك » ، « ثم إنه لعن - وهو في السياق - من فعله » كما في حديث عائشة من قوله : « لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » والصلاة عندها من ذلك أي من اتخاذها مساجد ، وإن لم يُبَيَّنْ

* أخرجه مسلم (٢٣٢) .

مسجد فيكون المصلي عندها داخلاً في اللعنة ، وهو معنى قولها : « خُشي أن يُتخذ مسجداً » فإن الصحابة لم يكونوا لينوا حول قبره مسجداً ، وكل موضع قُصدت الصلاة فيه فقد اتُخذ مسجداً ، بل كل موضع يصلى فيه يُسمى مسجداً كما قال ﷺ : « جُعِلت لي الأرضُ مسجداً وطهوراً * » . قال البغوي في « شرح السنة » : « أراد أن أهل الكتاب لم تُبِح لهم الصلاة إلا في بيعتهم وكنائسهم ، فأباح الله لهذه الأمة الصلاة حيث كانوا تخفيفاً عليهم وتيسيراً ، ثم خصَّ من جميع المواضع الحمام والمقبرة والمكان النجس » . انتهى .

وفيه : العبرة في مبالغته ﷺ كيف بينَ لهم هذا أولاً ثم قبل موته بخمس قال ما قال ، ثم لما كان في السياق لم يكتف بما تقدم ونهيه عن فعله عند قبره قبل أن يُوجد القبر ، وأنه من سنن اليهود والنصارى في قبور أنبيائهم ولعنه إياهم على ذلك ، وأن مراده تحذيره إيانا عن قبره وللعلة في عدم إبرازه وفي معنى اتخاذه مسجداً وأنه قرن بين من اتخذها مساجد وبين من تقوم عليه الساعة فذكر الذريعة إلى الشرك قبل وقوعه مع خاتمته . قاله المصنف رحمه الله تعالى .

قال ابن القيم رحمه الله : « وبالجمله فمن له معرفة بالشرك وأسبابه وذرائعه وفهم عن الرسول ﷺ مقاصده جزم جزماً لا يحتمل النقيض أن هذه المبالغة واللعن والنهي بصيغتيه ، صيغة : لا تفعلوا . وصيغة : إني أنهاكم ليس لأجل النجاسة بل هو لأجل نجاسة الشرك اللاحقة من عصاه وارتكبه ما عنه نهاه واتبع هواه ولم يخش ربه ولا مولاه وقل نصيبه ، أو عَدِمَ من تحقيق : لا إله إلا الله ، فإن هذا وأمثاله من النبي ﷺ صيانة لحمى التوحيد أن يلحقه الشرك ويغشاه ، وتجريد له وغضب له به أن يعدل به سواه ، فأبى المشركون إلا معصية لأمره وارتكاباً لنهيه وغرهم الشيطان بأن هذا تعظيم لقبور المشايخ والصالحين ، وكلما كتم أشد لها تعظيماً وأشدَّ فيهم

والصلاة عندها من ذلك ، وإن لم يُبَيِّنْ مسجداً ، وهو معنى قولها : «خُشِّي أن يتخذَ مسجداً» ، فإن الصحابة لم يكونوا ليبنوا حولَ قبره مسجداً ، وكل موضع قُصِدَتِ الصلاةُ فيه فقد اتُّخِذَ مسجداً ، بل كل موضع يُصَلَّى فيه يُسَمَّى مسجداً ، كما قال ﷺ : « جُعِلَت لِي الْأَرْضُ مَسْجِداً وَطَهوراً » .

ولأحمد بسند جيد^(١) عن ابن مسعود ؓ مرفوعاً « إن من شِرَارِ النَّاسِ مَنْ تُلَدِرُكُهُمُ السَّاعَةُ وَهُمْ أَحْيَاءُ »^(٢) ؛ وَالَّذِينَ يَتَخَلَّوْنَ الْقُبُورَ مَسَاجِدَ^(٣) . ورواه أبو حاتم في صحيحه .



غَلَّوْا كَتَمَ بِقَرِيْبِهِمْ أَسْعَدُ ، وَمِنْ أَعْدَائِهِمْ أَبْعَدُ ، وَلَعَمْرُ اللَّهِ مِنْ هَذَا الْبَابِ بَعِيْنُهُ دَخَلَ الشَّيْطَانُ عَلَى عِبَادِ يَغُوْثٍ وَيَعُوْقٍ وَنَسْرَا ، وَدَخَلَ عَلَى عِبَادِ الْأَصْنَامِ مِنْذُ كَانُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ .

(١) قوله : « ولأحمد بسند جيد عن ابن مسعود ؓ مرفوعاً « إن من شِرَارِ النَّاسِ » بكسر الشين ، جمع شيرير .

(٢) قوله : « من تُلَدِرُكُهُمُ السَّاعَةُ وَهُمْ أَحْيَاءُ » أي مقدماتها كخروج الدابة وطلوع الشمس من مغربها ، وبعد ذلك يُنْفَخُ فِي الصُّوْرِ نَفْخَةُ الْفَرْعِ .

(٣) قوله : « وَالَّذِينَ يَتَخَلَّوْنَ الْقُبُورَ مَسَاجِدَ » بالصلاة عندها وإليها وبناء المساجد عليها « رواه أبو حاتم في صحيحه »* .

* أخرجه أحمد (٤٧٥/١) ، وابن خزيمة (٧٨٩) ، وابن حبان (٣٤٠ ، ٣٤١) . قال الدكتور محمد الأعظمي : إسناده حسن . وعلقه البخاري في الفتن بصيغة الجزم .

٢١- باب

(١) ما جاء أن الغلو في قبور الصالحين يصيرها أوثاناً تُعبد من دون الله

(١) قوله : « باب ما جاء أن الغلو في قبور الصالحين يصيرها أوثاناً تُعبد من دون الله » الغلو هو : مجاوزة الحد في التعظيم بالقول والفعل والاعتقاد . « روى مالك في الموطأ أن رسول الله ﷺ قال : اللهم لا تجعل قبري وثناً يُعبد ، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » * مالك هو : الإمام أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك الأصبهاني المدني ، إمام دار الهجرة وأحد الأئمة الأربعة ، وأحد المتقنين للحديث حتى قال البخاري : أصح الأسانيد مالك عن نافع عن ابن عمر . حكى شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية إجماع أهل الإسلام الخاص منهم والعام على تعظيمه ، وقال : بل لم يكن في وقته مثله ، وقد روى الترمذي وغيره عن النبي ﷺ أنه قال : « يوشك أن يضرب الناس من أكباد الإبل في طلب العلم فلا يجدون أعلم من عالم المدينة » ** ، قال غير واحد : كانوا يرونه مالك بن أنس ، مات سنة تسع وسبعين ومائة ، وكان مولده سنة ثلاث وتسعين وقيل أربع وتسعين . قال الواقدي : بلغ تسعين سنة . وهذا الحديث رواه مالك في الموطأ مرسلأ عن زيد بن أسلم عن عطاء ابن يسار ، ورواه ابن أبي شيبة في مصنفه عن ابن عجلان عن زيد بن أسلم به ولم يذكر عطاء ، ورواه البزار عن زيد عن عطاء عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً وله شاهد عند الإمام أحمد بسنده عن سهيل بن أبي صالح عن أبي هريرة رفعه « اللهم لا تجعل قبري وثناً ، لعن الله قوماً اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » ، وفي « القرى » للطبري المالكي عن مالك أنه كره أن يقول زرت قبر النبي ﷺ ، وعلل ذلك بقوله ﷺ : « اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد » . الحديث . كره إضافة هذا اللفظ إلى القبر لثلاث يقع

* تقدم تخريجه (ص/ ٥٠) .

** أخرجه الترمذي (٢٨٢٠) وقال : حسن صحيح ، وأحمد (٣٥٨/١٣ - ط. الرسالة) ، والحاكم (٩٠/١) ، قال الذهبي : حديث نظيف الإسناد ، غريب المتن ، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع رقم (١٢٢٨) .

روى مالكُ في الموطأ أن رسول الله ﷺ قال : « اللهم لا تجعل قبري وثناً يُعبد^(١) ، اشتد غضبُ الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد^(٢) » .

التشبه بفعل أولئك سداً للذريعة ، وقد ذكروا في أسباب كراهته لذلك أن هذا اللفظ قد صار كثير من الناس يريدون به الزيارة البدعية الشركية وهي قصد الميت لسؤاله ودعائه والرغبة إليه في قضاء الحوائج وغير ذلك مما يفعله كثير من الناس، فهم يعنون بلفظ الزيارة مثل هذا ، وهذا ليس بمشروع .

(١) قوله ﷺ : « اللهم لا تجعل قبري وثناً يُعبد » قد بالغ النبي ﷺ في النهي وتحذير أمته عن اتخاذ القبور مساجد، وأخبر أن الله لعن اليهود والنصارى على اتخاذ قبور أنبيائهم مساجد وقال : « ألا وإن من كان قبلكم - يعني اليهود والنصارى - كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد ، فإني أنهاكم عن ذلك » . ودعا الله بأن لا يجعل قبره وثناً يُعبد، ودلّ الحديث على أن قبر النبي ﷺ لو عُبد لكان وثناً، ودلّ على أن الوثن هو ما يباشره العابد من القبور والتوابيت التي عليها . قال القرطبي : « ولهذا بالغ المسلمون في سد الذريعة في قبر النبي ﷺ فأعزلوا حيطان تربته وسدوا المداخل إليها وجعلوها محدة بقبره ﷺ ، ثم خافوا أن يتخذ موضع قبره قبلة إذا كان مستقبل المصلين فتصور الصلاة إليه بصورة العبادة فبنوا جدارين من ركني القبر الشماليين وحرّفوهما حتى التقيا على زاوية مثلثة من ناحية الشمال حتى لا يتمكن أحدٌ من استقبال قبره » . انتهى . وإلى هذا أشار العلامة ابن القيم بقوله [الكافية الشافية (٢٩٢)] :

| | |
|-----------------------------|--------------------------|
| ودعا بأن لا يجعل القبر الذي | قد ضمّه وثناً من الأوثان |
| فأجاب رب العالمين دعاءه | وأحاطه بثلاثة الجدران |
| حتى غدت أرجاؤه بدعائه | في عزة وحماية وصيان |

(٢) وقوله : « اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » هذا الوعيد يدل على تحريم البناء على القبور وتحريم الصلاة عندها وأن ذلك من الكبائر، وفي الحديث تفسير الأوثان وتفسير العبادة ، وأنه ﷺ لم يستعد إلا مما يخاف وقوعه

وقرن بهذا اتخاذ قبور الأنبياء مساجد ، وذكر شدة الغضب من الله . قاله المصنف رحمه الله .

وقد عظمت الفتنة بتعظيم القبور وعبادتها كما قال ابن مسعود : كيف أنتم إذا لبستكم فتنة يهرم فيها الكبير، وينشأ فيها الصغير، تجري على الناس يتخذونها سنة ، إذا غُيِّرَت قيل : غُيِّرَت السُّنَّة ؛ ولخوف الفتنة نهى عمر رضي الله عنه عن تتبع آثار النبي ﷺ . قال ابن وضاح : سمعت عيسى بن يونس يقول : أمر عمر رضي الله عنه بقطع الشجرة التي بُوع تحتها النبي ﷺ ؛ لأن الناس كانوا يذهبون فيصلُّون تحتها فخاف عليهم الفتنة . وقال المعرور بن سويد : صليتُ مع عمر رضي الله عنه بطريق مكة صلاة الصبح ثم رأى الناس يذهبون مذاهب ، فقال : أين يذهب هؤلاء ؟ فقيل : يا أمير المؤمنين ، مسجد صلَّى فيه رسول الله ﷺ فهم يصلُّون فيه . فقال : إنما هلك من كان قبلكم بمثل هذا، كانوا يتبعون آثار أنبيائهم ويتخذونها كنائس وبيع ، فمن أدركته الصلاة في هذه المساجد فليصل ، ومن لا فليمض ولا يتعمدها .

وفي «مغازي» ابن إسحاق عن زيادات يونس بن بكير عن أبي خلدة خالد بن دينار حدثنا أبو العالية قال : لما فتحنا تُسْتُرَ وجدنا في بيت مال الهرمزان سريراً عليه رجل ميت عند رأسه مصحف ، فأخذنا المصحف فحملناه إلى عمر فدعى كعباً فنسخه بالعربية فأنا أول رجل قرأه من العرب قرأته مثل ما أقرأ القرآن . فقلت لأبي العالية : ما كان فيه ؟ قال : سيرتكم وأموركم ولحون كلامكم وما هو كائن بعد . قلت : فما صنعتُم بالرجل ؟ قال : حفرنا له بالنهار ثلاثة عشر قبراً متفرقة فلما كان الليل دفناه و سوينا القبور كلها لنعميه على الناس لا ينبشونه . قلت : ما يرجون منه ؟ قال : كانت السماء إذا حبست عنهم برزوا بسريره فيمطرون . فقلت : من كنتم تظنون الرجل ؟ قال : رجلٌ يُقال له دانيال . فقلت : منذ كم وجدتموه مات ؟ قال : منذ ثلاثمائة سنة . قلت : ما كان تغير منه شيء ؟ فقال : لا ، إلا شعيرات من قفاه، إن لحوم الأنبياء لا تبليها الأرض .

ولابن جرير^(١) بسنده عن سفيان^(٢) عن منصور^(٣) عن مجاهد^(٤) ﴿أَفْرَأَيْتُمْ أَكَلَّتْ وَالْعَزَىٰ﴾ [النجم: ١٩] قال: كان يَلْتُمُ لهم السويق؛ فمات، فعكفوا

قال ابن القيم رحمه الله تعالى : « ففي هذه القصة ما فعله المهاجرون والأنصار رضي الله عنهم من تعمية قبره لئلا يفتن به ولم يبرزوه للدعاء عنده والتبرك به، ولو ظفر به المتأخرون لجالدوا عليه بالسيوف، ولعبدوه من دون الله » .

(١) قوله : « ولابن جرير » وهو إمام المفسرين محمد بن جرير بن يزيد الطبري أبو جعفر، صاحب التفسير والتاريخ، و تفسيره أجل التفاسير وأحسنها . قال ابن خزيمة : لا أعلم على الأرض أعلم منه . ولد سنة مائتين وأربعة وعشرين ومات ليومين بقيا من شوال سنة ثلاثمائة وعشر .

(٢) قوله : « بسنده عن سفيان » الظاهر أنه ابن سعيد الثوري أبو عبد الله الكوفي ، ثقة، حافظ فقيه ، إمام عابد ، كان له أتباع يتفقهون على مذهبه ، مات سنة إحدى وستين ومائة وله أربع وستون سنة .

(٣) قوله : « عن منصور » هو ابن المعتمر بن عبد الله السلمي ثقة ثبت فقيه ، مات سنة اثنتين وثلاثين ومائة .

(٤) قوله : « عن مجاهد » وهو ابن جبر - بالجيم والموحدة - ، أبو الحجاج المخزومي مولاهم المكي ، ثقة إمام في التفسير ، أخذ عن ابن عباس وغيره رضي الله عنهم ، مات سنة أربع ومائة ، قاله يحيى القطان ، وقال ابن حبان : مات سنة اثنتين أو ثلاث ومائة وهو ساجد ، وولد سنة إحدى وعشرين في خلافة عمر رضي الله عنه .

(٥) قوله : « ﴿أَفْرَأَيْتُمْ أَكَلَّتْ وَالْعَزَىٰ﴾ قال : كان يَلْتُمُ لهم السويق فمات ، فعكفوا على قبره» وفي رواية : فيطعم من يمر به من الناس، فلما مات عبده، وقالوا : هو اللات. رواه سعيد بن منصور، وقد قيل : إنه صرمة بن غنم . قاله في «الشرح»* .

على قبره . وكذا قال أبو الجوزاء^(١) عن ابن عباس^(٢) : كان يَلْتُ السُّوقِ لِلْحَاجِ .

(١) قوله : « وكذا قال ابن الجوزاء » وهو أوس بن عبدالله الربعي بفتح الراء والباء، مات سنة ثلاث وثمانين « عن ابن عباس كان يَلْتُ السُّوقِ لِلْحَاجِ » ، وهذا الأثر رواه البخاري في صحيحه . والشاهد منه للترجمة أنهم غلوا فيه لأجل صلاحه واتخذوه وثناً بتعظيمه وعبادته ، وصار من أكبر أوثان أهل الجاهلية .

وفيه : معرفة صفة عبادة اللات التي هي من أكبر الأوثان، ومعرفة أنه قبر رجل صالح ، وأنه اسم صاحب القبر، وذكر معنى التسمية . قاله المصنف رحمه الله تعالى .

(٢) قوله : « وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : لعن رسول الله ﷺ زائرات القبور* »

أي من النساء « والمتخذين عليها المساجد والسُّرُج » . رواه أهل السنن . وهذا يدل على تحريم زيارة القبور عليهن كما هو مذهب أحمد وطائفة، وقيل في تعليل ذلك : إنه يخرجها إلى الجزع والتدب والنياحة ، وحديث ابن عباس هذا في إسناده أبو صالح مولى أم هاني ، وقد ضعفه بعضهم ووثقه بعضهم، قال علي بن المديني عن يحيى القطان : « لم أرَ أحداً من أصحابنا ترك أبا صالح مولى أم هاني وما سمعت أحداً من الناس يقول فيه شيئاً ، ولم يتركه شعبة ولا زائدة ولا عبد الله بن عثمان ، قال ابن معين : « لا بأس به ؛ ولهذا أخرجه ابن السكن في صحيحه » .

انتهى من «الذهب الإبريز» عن الحافظ المزني . وقال شيخ الإسلام [الفتاوى ٣٤٨/٢٤ ٣٥١-] : « وقد جاء عن النبي ﷺ من طريقين : فعن أبي هريرة ؓ : « أن رسول الله ﷺ لعن زائرات القبور » . وذكر حديث ابن عباس ثم قال : رجال هذا ليس رجال هذا ، فلم يأخذه أحدهما عن الآخر، وليس في الإسنادين من يُتهم بالكذب، ومثل هذا حجة بلا ريب، وهذا من أجود الحسن الذي شرطه الترمذي، فإنه جعل

* أخرجه أبو داود (٣٢٣٦)، والنسائي (٩٥/٤، ٩٦)، والترمذي (٣٢٠)، وابن ماجه (١٥٧٥)، وأحمد (١/٢٢٩، ٢٨٧، ٢٣٧، ٣٢٤)، والحاكم (١/٣٧٤). قال الألباني : « ضعيف » . انظر ضعيف سنن أبي داود (ص٣٢٦) رقم (٧٠٦) .

الحسن ما تعددت طرقه وليس فيها متهم ولا خالفه أحدٌ من الثقات ، هذا لو كان عن صاحب واحد ، فكيف إذا كان هذا رواه عن صاحب وذلك عن آخر ويكفي في الاحتجاج به رواية أهل السنن له، ولم يذكر أحدٌ منهم له علة ولا معارض له . وقال أيضاً : « وما علمنا أحداً من الأئمة استحب لمن زيارة القبور، ولا كان النساء على عهد النبي ﷺ وخلفائه الراشدين يخرجن إلى زيارة القبور ، ويؤيده ما في الصحيحين أنه نهى النساء عن اتباع الجنائز ، والذين رخصوا في الزيارة اعتمدوا على ما رُوي عن عائشة رضي الله عنها أنها زارت قبر أخيها عبدالرحمن وقالت : لو شهدتك ما زرتك . وهذا يدل على أن الزيارة ليست مستحبة للنساء كما تستحب للرجال ، ولو كانت كذلك لاستُحبت زيارته سواء شهدته أم لا . وهذا لا حجة فيه لمن قال بالرخصة ، وهذا السياق لحديث عائشة . رواه الترمذي من رواية عبدالله بن أبي مليكة عنها يخالف سياق الأثر له عن عبدالله بن أبي مليكة أيضاً أن عائشة رضي الله عنها أقبلت ذات يوم من المقابر فقلت لها : يا أم المؤمنين ، أليس نهى رسول الله ﷺ عن زيارة القبور ؟ قالت : نعم ، نهى عن زيارة القبور ، ثم أمر بزيارتها* . ولا حجة في حديث عائشة ، فإن المحتج عليها احتج بالنهي العام ، فدفعت بأن ذلك منسوخ ولم يذكر لها المحتج عليها النهي الخاص بالنساء الذي فيه لعنهن على الزيارة ، يبين ذلك قولها : أمر بزيارتها ، فهذا يبين أنه أمر بها أمراً يقتضي الاستحباب ، والاستحباب إنما هو ثابت للرجال خاصة، ولو كانت تعتقد أن النساء مأمورات بزيارة القبور لكانت تفعل ذلك كما يفعله الرجال ولم تقل لأخيها لما زرتك، واللعن صريح في التحريم والخطاب بالأول في قوله : فزوروها ، لم يتناول النساء ، فلا يدخلن في الحكم الناسخ ، والعام إذا عرف أنه بعد الخاص لم

* أخرجه الحاكم (٣٧٦/١) ، وعنه البيهقي (٧٨/٤) ، وقد سكت عنه الحاكم ، وقال الذهبي : «صحيح» ، وأعله الإمام ابن القيم . انظر : أحكام الجنائز للألباني (ص/٢٣٠) .

وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : « لعن رسول الله ﷺ زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج ». رواه أهل السنن^(١) .

يكن ناسخاً له عند جمهور العلماء، وهو مذهب الشافعي وأحمد في أشهر الروايتين عنه ، وهو المعروف عند أصحابه ، فكيف إذا لم يعلم أن هذا العام بعد الخاص إذ قد يكون قوله « لعن رسول الله ﷺ زائرات القبور » بعد إذنه للرجال في الزيارة يدل على ذلك أنه قرنه بالمتخذين عليها المساجد والسرج ، ومعلوم أن اتخاذ المساجد والسرج المنهي عنه محكم كما دلت عليه الأحاديث الصحيحة ، وكذلك الآخر ، ومن العلماء من يقول التشيع كذلك، ويحتج بقوله ﷺ «ارجعن مأزورات غير مأجورات، فإنكن تفتن الحي وتؤذين الميت»* ، وقوله لفاطمة : « أما إنك لو بلغت معهم الكذبي لم تدخل الجنة »** ، ويؤيده ما في الصحيحين أنه نهى النساء عن اتباع الجنائز ، وفي هذا الحديث لعن المتخذين على القبور المساجد والسرج وهو من فعل أهل الكتاب. قال أبو محمد المقدسي : « لو صح اتخاذ السرج عليها لم يلعن من فعله؛ لأن فيه تضييعاً للمال في غير فائدة، وإفراطاً في تعظيم القبور أشبه بتعظيم الأصنام». وفيه لعنه ﷺ زائرات القبور ولعنه من أسرجها . قاله المصنف رحمه الله.

(١) قوله : « رواه أهل السنن » يعني أبا داود والترمذي وابن ماجه ولم يروه النسائي . قاله في « الشرح »* . قال ابن القيم رحمه الله [إغانة اللفهان ١/٢١٥] : « اتخذها مساجد وإيقاد السرج عليها من الكبائر » . وقال محمد بن إسماعيل الصنعاني في « تطهير الاعتقاد » [ص/٤٨] : « فإن هذه القباب والمشاهد التي صارت أعظم ذريعة للشرك

* أخرجه الخطيب البغدادي في التاريخ (٢٠١/٦) ، وابن الجوزي في الواهيات (١٥٠٦) وقال فيه أبوهدبة: «وقد أجمعوا على أنه كذاب». وقال الألباني : ضعيف. انظر ضعيف الجامع (ص/١١١) برقم (٧٧٣) .

** أخرجه أبو داود (٣١٢٣) ، والنسائي (٢٧/٣) ، وأحمد (١٦٨/٢ ، ١٦٩) . قال الألباني . ضعيف. انظر : ضعيف سنن أبي داود (ص/٣١٧) رقم (٦٨٤) .

*** (ص/٢٩٢) .



والإلحاد ، وأكبر وسيلة إلى هدم الإسلام ، وخراب بنيانه غالب بل كل من يعمرها هم الملوك والسلاطين والرؤساء والولاة إما على قريب لهم أو على من يحسنون الظن به من فاضل أو عالم أو صوفي أو فقير أو شيخ كبير ، ويزوره الناس الذي يعرفونه زيارة الأموات من دون توسل ولا هتف باسمه ، بل يدعون له ويستغفرون حتى ينقرض من يعرفه أو أكثرهم فيأتي من بعدهم فيجد قبراً قد شيد عليه البناء وسُرجت عليه الشموع وفرش بالفراش الفاخر وأرخت عليه الستور وألقيت عليه الأوراد والزهور فيعتقد أن ذلك لنفع أو دفع ضرر وتأتيه السدنة يكذبون على الميت بأنه فعل وفعل ، وأنزل بفلان الضر ويفلان النفع حتى يغرسوا في جبلته كل باطل ، والأمر ما ثبت في الأحاديث النبوية من لعن من أسرج على القبور وكتب عليها وبنى عليها ، وأحاديث ذلك واسعة معروفة ، فإن ذلك في نفسه منهي عنه ، ثم هو ذريعة إلى مفسدة عظيمة . انتهى .

٢٢-باب

ما جاء في حماية للمصطفى ﷺ جناب التوحيد

(١) وسننه كل طريق يوصل إلى الشرك

وقول الله تعالى : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ ^(٢) عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا

عَنْتُمْ ^(٣)

(١) قوله : « باب ما جاء في حماية المصطفى ﷺ جناب التوحيد وسننه كل طريق يوصل إلى الشرك » . الجنب : هو الجانب ، قاله في « الشرح »* ، ذكر الشيخ هذه الترجمة في بيان أن النبي ﷺ حَمَى جانب التوحيد من شرك يبطله، أو بدعة تقدح فيه، أو معصية تنقصه؛ حرصاً على أمته وخوفاً عليهم أن يقعوا فيما وقع فيه من قبلهم من الأمم، فلم يترك طريقاً ولا وسيلة تؤدي إلى الشرك إلا نهى عنها وحذرهم منها ، منها : تعظيم القبور والغلو في أصحابها وبناء المساجد عليها وإسراجها، والعكوف والمجاورة عندها، وتحري الصلاة والدعاء والصدقة عندها؛ لا سيما قبره الشريف ، فصلوات الله وسلامه عليه .

(٢) قوله : « وقول الله تعالى : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ ﴾ » يقول تعالى ممتناً على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم أي من جنسهم وعلى لغتهم كما قال إبراهيم عليه السلام ﴿ رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنْفُسِهِمْ ﴾ [آل عمران : ١٦٤] . قال سفيان بن عيينة عن جعفر بن محمد عن أبيه : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ ﴾ قال لم يصبه شيء من ولادة الجاهلية .

(٣) وقوله : ﴿ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ ﴾ أي يعز عليه الشيء الذي يُعنت أمته ويشق عليها، ولذا جاء في الحديث عنه ﷺ « بُعِثْتُ بِالْحَنِيفِيَّةِ السَّمْحَةِ »* ، وفي الصحيح :

* (ص/٢٩٢) .

** أخرجه أحمد (١١٦/٦ ، ٢٣٣) من حديث عائشة رضي الله عنها، قال السخاوي في المقاصد الحسنة (ص١٨٦) : وسننه حسن . وأخرجه أحمد (٢٦٦/٥) ، والطبراني في الكبير (٧٨٦٨) من حديث أبي أمامة ؓ .

حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ ^(١) بِالْمُؤْمِنِينَ رَهْوتٌ رَجِيحٌ ﴿ [التوبة: ١٢٨] .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « لا تجعلوا بيوتكم قبوراً ^(٢) ،

« إن هذا الدين يسر »* .

(١) وقوله : ﴿ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ ﴾ أي على هدايتكم ووصول النفع الدنيوي والأخروي إليكم ، وهذا هو الشاهد من الآية للترجمة . وروى الطبراني بسند جيد عن أبي ذر رضي الله عنه قال : تركنا رسول الله ﷺ وما طائرٌ يقلب جناحيه في الهواء إلا وهو يذكر لنا فيه علماً ، وقال ﷺ : « ما بقي شيء يقرب من الجنة ويُبعد من النار إلا وقد بيّته لكم »** .

وقوله : ﴿ بِالْمُؤْمِنِينَ رَهْوتٌ رَجِيحٌ ﴾ أي المؤمنين به ، فحرصه على الهداية عام لجميع الأمة ، ورافته ورحمته خاصة بالمؤمنين به ، قال أبو عبيدة : الرافة أرقّ الرحمة ، وفيه : معرفة تفسير آية براءة وإبعاد أمته عن هذا الحمى غاية البعد، وذكر حرصه علينا ورافته ورحمته . قاله المصنف رحمه الله .

(٢) قوله : « وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تجعلوا بيوتكم قبوراً » .

قال شيخ الإسلام : أي لا تعطلوها من الصلاة فيها ، والدعاء والقراءة فتكون بمنزلة القبور ، فأمر بتحري العبادة في البيوت ونهى عن تحريمها عند القبور عكس ما يفعله المشركون من النصارى ومن تشبه بهم من هذه الأمة ممن يدعي الإسلام . وفي الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما « لا تجعلوا بيوتكم مقابر ، فإن الشيطان يفر من البيت الذي يسمع سورة البقرة تقرأ فيه »*** . وفي الحث على النافلة في البيت ، وأنه متقرر عندهم أنه لا يُصلّى في المقبرة . قاله المصنف .

* أخرجه البخاري (٣٩، ٥٦٧٣، ٦٤٦٣، ٧٢٣٥) ، والنسائي (١٢١/٧) ، وأحمد (٦٩/٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

** أخرجه الطبراني في الكبير (١٦٤٧) ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٦٤/٨) : رجال الطبراني رجال الصحيح ، غير محمد بن عبدالله بن يزيد المقرئ وهو ثقة .

*** أخرجه البخاري (٤٣٢، ١١٨٧) ، ومسلم (٧٧٧) .

ولا تجعلوا قبري عيداً^(١)، وصلُّوا عليَّ فإنَّ صلاتكم تبليغي حيث كتتم^(٢).
رواه أبوداود بإسناد حسن ، ورواته ثقات .

(١) قوله : « ولا تجعلوا قبري عيداً » وهذا هو الشاهد من الحديث للترجمة ، وفيه : نهي عن زيارة قبره على وجه مخصوص مع أن زيارته من أفضل الأعمال ، ونهي عن الإكثار من الزيارة وتعليقه ذلك بأن صلاة الرجل وسلامه عليه يبلغه وإن بُعد فلا حاجة إلى ما يتوهمه من أراد القرب ، وكونه تعرض عليه في البرزخ أعمال أمته في الصلاة والسلام عليه . قاله المصنف رحمه الله .

قال شيخ الإسلام [الافتضاء ١/٤٤١] : « العيد اسم لما يعود من الاجتماع العام على وجه معتاد عائد، إما بعود السنة أو بعود الأسبوع أو الشهر ونحو ذلك » . وقال ابن القيم [إغاثة اللهفان ١/٢٠٩] : « العيد ما يعتاد مجيئه وقصده من زمان ومكان مأخوذ من المعاودة والاعتیاد ، فإذا كان اسماً للمكان فهو الذي يقصد فيه الاجتماع، وانتيا به للعبادة أو لغيرها كما أن المسجد الحرام ومنى ومزدلفة وعرفة والمشاعر جعلها الله عيداً للحنفاء ومثابة كما جعل أيام العيد فيها عيداً ، وكان للمشركين أعياد زمانية ومكانية فلما جاء الله بالإسلام أبطلها وعوض الحنفاء منها عيد الفطر وعيد النحر وأيام منى، كما عوضهم عن أعياد المشركين المكانية بالكعبة ومنى ومزدلفة وعرفة والمشاعر » .

(٢) وقوله : « وصلُّوا عليَّ فإنَّ صلاتكم تبليغي حيث كتتم » يشير على أن ما ينالني منكم من الصلاة والسلام يحصل مع قريبكم من قبوري وبعديكم، فلا حاجة لكم إلى اتخاذه عيداً . قاله شيخ الإسلام رحمه الله [الافتضاء ٢/٦٥٧] . وهذا الحديث رواه أبوداود وغيره من حديث عبدالله بن نافع الصائغ . قال : أخبرني ابن أبي ذئب عن سعيد المقبري، عن أبي هريرة فذكره . « ورواته ثقات » مشاهير لكن عبدالله بن نافع قال فيه أبو حاتم : ليس بالحافظ، تعرف وتنكر . وقال ابن معين : هو ثقة . وقال أبوزرعة : لا بأس به . قال شيخ الإسلام [الافتضاء ٢/٦٥٤] : « ومثل هذا إذا كان لحديثه شواهد علم أنه محفوظ ، وهذا له شواهد متعددة » . وقال الحافظ محمد بن

وعن علي بن الحسين^(١) أنه رأى رجلاً يجيء إلى فُرْجَةِ^(٢) كانت عند قبر النبي ﷺ فيدخل فيها فيدعو، فنهاه^(٣) وقال : أَلَا أُحَدِّثُكُمْ حَدِيثاً

عبدالهادي [الصارم المنكي (٤١٤)]: «هو حديث حسن جيد الإسناد، وله شواهد يُرتقى بها إلى درجة الصحة» .

(١) قوله : «وعن علي بن الحسين» بن علي بن أبي طالب المعروف بزَيْنِ العابدين، أفضل التابعين من أهل بيته وأعلمهم ﷺ ، مات سنة ثلاث وتسعين على الصحيح ، وأبوه الحسين سبط رسول الله ﷺ وريحانته ، حفظ عن النبي ﷺ واستشهد يوم عاشوراء سنة إحدى وستين وله ست وخمسون سنة ، ﷺ ، «أنه» أي علي بن الحسين «رأى رجلاً يجيء إلى فرجة كانت عند قبر النبي ﷺ فيدخل فيها فيدعو، فنهاه وقال : أَلَا أُحَدِّثُكُمْ حَدِيثاً سمعته من أبي» الحسين «عن جدي» علي بن أبي طالب «عن رسول الله ﷺ قال : لا تتخذوا قبوري عيداً ولا بيوتكم قبوراً، وصلوا عليّ فإن تسليمكم يبلغني أين كنتم . رواه في المختارة» * هذا الحديث رواه أبو يعلى والقاضي إسماعيل والحافظ الضياء في المختارة . قال شيخ الإسلام [الاقضاء ٢/ ٦٦٠]: «فانظر إلى هذه السُّنَّة كيف مخرجها من أهل المدينة وأهل البيت، الذي لهم في رسول الله ﷺ قرب النسب وقرب الدار لأنهم إلى ذلك أحوج من غيرهم وكانوا لها أضبط» .

(٢) قوله : «إنه رأى رجلاً يجيء إلى فُرْجَةِ» بضم الفاء وسكون الراء وهي الكُوَّة في الجدار والخوخة ونحوهما .

(٣) قوله « فيدخل فيها فيدعو ، فنهاه » وهذا يدل على النهي عن قصد القبور والمشاهد لأجل الدعاء والصلاة عندها . وقال شيخ الإسلام : « ما علمت أحداً رخص فيه ؛ لأن ذلك نوع من اتخاذ عيداً » . ويدل أيضاً على أن قصد القبر للسلام إذا دخل المسجد للصلاة منهي عنه ؛ لأن ذلك لم يشرع ، وكره مالك لأهل المدينة كلما دخل إنسان المسجد أن يأتي قبر النبي ﷺ ؛ لأن السلف لم

* أخرجه أحمد (٢/ ٣٦٧) ، وحسنه الألباني ، وقد تقدم .

يكونوا يفعلون ذلك ، قال : ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها . وكان الصحابة والتابعون - رضي الله عنهم - يأتون إلى مسجد النبي ﷺ فيصلون ، فإذا قضاوا الصلاة قعدوا أو خرجوا ولم يكونوا يأتون القبر للسلام لعلمهم أن الصلاة والسلام عليه عند دخول المسجد هو السنة . وأما دخولهم عند قبره للصلاة والسلام عليه هناك أو للصلاة والدعاء فلم يشرعه لهم ؛ بل نهاهم عنه في قوله « لا تتخذوا قبوري عيداً، وصلوا عليّ فإن صلاتكم تبلغني » ، فبيّن أن الصلاة تصل إليه من بعد ، وكذلك السلام ، ولعن من اتخذ قبور الأنبياء مساجد ، وكانت الحجرية في زمانهم يدخل إليها من الباب ، إذ كانت عائشة - رضي الله عنها - فيها وبعد ذلك إلى أن بني الحائط الآخر ، وهم مع ذلك يتمكن من الوصول إلى قبره لا يدخلون عليه للسلام ولا للصلاة ولا للدعاء لأنفسهم ولا لغيرهم ، ولا لسؤال عن حديث أو علم ، ولا كان الشيطان يطمع فيهم حتى يسمعهم كلاماً أو سلاماً ؛ فيظنون أنه هو كلمهم وأفتاهم ويبيّن لهم الأحاديث ، أو أنه قد ردّ عليهم السلام بصوت من خارج كما طمع الشيطان في غيرهم فأضلهم عند قبره وقبر غيره حتى ظنوا أن صاحب القبر يأمرهم وينهاهم ويحدثهم في الظاهر، وأنه يخرج من القبر فيرونه خارجاً من القبر فيظنون أن نفس أبدان الموتى خرجت تكلمهم ، وأن أرواح الموتى تجسدت لهم فأروها .

وقال سعيد بن منصور في سننه : حدثنا عبدالعزيز ابن محمد أخبرني سهيل بن أبي سهيل قال : رأيت الحسن بن علي بن الحسين بن علي ابن أبي طالب عند قبر النبي ﷺ فناداني وهو في بيت فاطمة يتعشى ، فقال : هلم إلى العشاء، قلت : لا أريده ، قال : ما لي رأيتك عند القبر ؟ فقلت : سلّمتُ على النبي ﷺ . فقال : إذا دخلت المسجد فسلم ، ثم قال لي : إن رسول الله ﷺ قال : « لا تتخذوا قبوري عيداً ، ولا تتخذوا بيوتكم قبوراً ، وصلوا عليّ فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم ، لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد »* . ما أنتم ومن بالأندلس إلا

* تقدم تخريجه (ص/١٠٨) .

سمعتُه من أبي عن جدِّي عن رسول الله ﷺ قال : « لا تتخذوا قبوري عيداً ، ولا بيوتكم قبوراً ، وصلُّوا عليَّ فإنَّ تسليمكم يبلغني أين كنتم » . رواه في المختارة^(١) .

سواء . والمقصود : أن الصحابة ﷺ لم يكونوا يعتادون الصلاة والسلام عليه عند قبره كما يفعله من بعدهم من الخلفاء ، وإنما كان بعضهم يأتي من خارج فيسلم عليه إذا قدم من سفر كما كان ابن عمر يفعله ، قال عبيدالله بن عمر عن نافع : كان ابن عمر إذا قدم من سفر أتى النبي ﷺ فقال : السلام عليك يا رسول الله ، السلام عليك يا أبابكر ، السلام عليك يا أبتاه ، ثم ينصرف . قال عبدالله : ما نعلم أحداً من أصحاب النبي ﷺ فعل ذلك إلا ابن عمر . وهذا يدل على أنه لا يقف عند القبر للدعاء إذا سلّم كما يفعله كثير . قال شيخ الإسلام [الفتاوى ٢٧ / ٣٩٦] : « لأن ذلك لم ينقل عن أحد من الصحابة فكان بدعة محضة » . وفي «المبسوط» : « قال مالك : لا أرى أن يقف عند قبر النبي ﷺ ولكن يسلم ويمضي » . ونص أحمد أنه يستقبل القبلة ويجعل الحجرة عن يساره لئلا يستدبره . وبالجملة فقد اتفق الأئمة على أنه إذا دعا لا يستقبل القبر ، وتنازعا هل يستقبله عند السلام أم لا؟ وفي الحديث دليل على منع شد الرحال إلى قبره ﷺ وإلى غيره من القبور والمشاهد لأن ذلك من اتخاذها أعياداً ومن أعظم أسباب الإشراك بأصحابها ، وهذه أفتى فيها شيخ الإسلام بمنع السفر لا مجرد زيارة قبور الأنبياء والصالحين ، ونقل فيها اختلاف العلماء ، فمن مبيح لذلك كالغزالي وأبي محمد المقدسي ، ومن مانع لذلك كابن بطة وابن عقيل وأبي محمد الجويني والقاضي عياض ، وهو قول الجمهور ، نص عليه مالك ولم يخالفه أحد من الأئمة وهو الصواب لما في الصحيحين عن أبي سعيد عن النبي ﷺ قال : « لا تشدُّ الرِّحال إلا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ، ومسجدي هذا ، والمسجد الأقصى » . فإما أن يكون نهياً ، وإما أن يكون نهيًا ، وجاء في رواية بصيغة النهي فتعيّن أن يكون للنهي فدخل في النهي شدها لزيارة القبور والمشاهد . (١) قوله : « رواه في المختارة » لأبي عبدالله محمد بن عبدالواحد المقدسي الحافظ

* أخرجه البخاري (١١٩٧ ، ١٩٩٥) ، ومسلم (٨٢٧) .



ضياء الدين الحنبلي ، أحد الأعلام، قال الذهبي : أفنى عمره في هذا الشأن مع الدين المتين والورع والفضيلة التامة والإتقان . و«المختارة» كتاب جمع فيه الأحاديث الجياد الزائدة على الصحيحين وتصحيحه في مختارته خير من تصحيح الحاكم بلا ريب . قاله شيخ الإسلام [الافتضاء ٢/٦٥٥] ، مات سنة ثلاث وأربعين وستمائة .

٢٣-باب

(١) ما جاء أن بعض هذه الأمة يعبد الأوثان

وقول الله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ ^(٢) إِلَى الَّذِينَ أَوْتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَتُّؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلًا ﴾ [النساء : ٥١] .

(١) قوله : « باب ما جاء أن بعض هذه الأمة يعبد الأوثان » أراد المصنف رحمه الله تعالى بهذه الترجمة الردّ على عباد القبور الذين يفعلون الشرك ويقولون : إنه لا يقع في هذه الأمة المحمدية شرك وهم يقولون : لا إله إلا الله محمد رسول الله .

(٢) قوله : « وقول الله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ ﴾ يا محمد ﴿ إِلَى الَّذِينَ أَوْتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ ﴾ أي : أعطوا حظاً من العلم ﴿ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ ﴾ قال عمر بن الخطاب : الجبت : السحر ، والطاغوت : الشيطان . وكذا قال ابن عباس وأبو العالية ومجاهد والحسن وغيرهم . وعن ابن عباس : الجبت الكاهن . وعن مجاهد : كعب بن الأشرف . قال الجوهري : الجبت كلمة تقع على الصنم والكاهن والساحر ونحو ذلك .

قوله : ﴿ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَتُّؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلًا ﴾ وروى الإمام أحمد عن ابن عباس قال : لما قدم كعب بن الأشرف اليهودي مكة قالت قريش : ألا ترى إلى هذا الصبي المنبر من قومه يزعم أنه خير منا ونحن أهل الحجيج وأهل السدانة والسقاية . قال : أنتم خير . فنزل فيهم ﴿ إِنَّكَ شَانِئَتَهُ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴾ [الكوثر : ٣] ، ونزل : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أَوْتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ .. إلى قوله .. نَصِيرًا ﴾ . وروى ابن أبي حاتم عن عكرمة نحوه .

وفيه : معرفة تفسير آية النساء . ومعرفة الإيمان بالجبت والطاغوت في هذا الموضع هل هو اعتقاد قلب أو هو موافقة أصحابها مع بغضها ومعرفة بطلانها ، وقولهم : إن الكفار الذين يعرفون كفرهم أهدي سبيلاً من المؤمنين . ومنها : وهي المقصود بالترجمة أن هذا لا بد أن يوجد في هذه الأمة كما تقرر في حديث أبي سعيد . قاله

وقوله تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرِّ مِّنْ ذَلِكَ مُثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ ﴾^(١) مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ^(٢) أُولَئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿ [المائدة: ٦٠] .

المصنف رحمه الله . وهذا هو الشاهد من الآية للترجمة .

(١) قوله : ﴿ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرِّ مِّنْ ذَلِكَ مُثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ ﴾ قال البغوي : قل يا محمد ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ ﴾ أخبركم ﴿ بِشَرِّ مِّنْ ذَلِكَ ﴾ يعني قولهم : لم نر أهل دين أقل حظاً في الدنيا والآخرة منكم ولا ديناً شراً من دينكم ، فذكر الجواب بلفظ الابتداء وإن لم يكن الابتداء شراً ، كقوله : ﴿ قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُمْ بِشَرِّ مِّنْ ذَلِكَُمُ النَّارُ ﴾ .
وقوله : ﴿ مُثُوبَةً ﴾ أي ثواباً وجزاء ، نصب على التفسير .
قوله : ﴿ عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ ﴾ أي هو من لعنه الله وغضب عليه يعني : اليهود ، وجعل منهم القردة والخنازير ، فالقردة أصحاب السبت ، والخنازير كفار مائدة عيسى ، وعن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس أن المسخين كلاهما من أصحاب السبت فشبابهم مُسَخُوا قردة وشيوخهم مُسَخُوا خنازير . وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : سئل رسول الله ﷺ عن القردة والخنازير هي مما مسخ الله ؟ فقال : « إن الله لم يهلك أمة ، أو قال لم يمسخ قوماً فجعل لهم نسلأ ، وإن القردة والخنازير كانت قبل ذلك » . رواه مسلم * .

(٢) قوله : ﴿ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ ﴾ أي : وجعل منهم من عبد الطاغوت أي أطاع الشيطان فيما سؤل له ، وهذا هو الشاهد من الآية للترجمة ، وفيه معرفة تفسير الآية . قاله المصنف رحمه الله تعالى ، قال شيخ الإسلام في قوله ﴿ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ ﴾ [الفتاوى ١٤/٤٥٥] : «الصواب أنه معطوف على ما قبله من الأفعال ، أي من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير ، ومن عبد الطاغوت ، فهو فعل ماض معطوف على ما قبله من الأفعال الماضية ، لكن الأفعال المتقدمة الفاعل فيها

* أخرجه مسلم (٢٦٦٣) ، وأحمد (١/٣٩٠، ٤٣٣، ٤٤٥، ٤٦٦) .

وقوله : ﴿ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ^(١) ﴾ [الكهف: ٢١].
 عن أبي سعيد ^(٢) ؓ أن رسول الله ﷺ قال : « لتبعن سنن من كان
 قبلكم حذو القذة بالقذة ، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه ^(٣) » .

هو اسم الله مظهراً ومضمراً ، وهنا الفاعل اسم من عبد الطاغوت وهو الضمير في
 عبَد ، ولم يعد سبحانه لفظ «من» لأنه جعل هذه الأفعال كلها صفة لصنف واحد،
 وهم اليهود .

وقوله : ﴿ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَكَانًا ﴾ عن تظنون بنا ﴿ وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾ .
 (١) وقوله : ﴿ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴾ حكى ابن جرير
 في القائلين ذلك قولين ، أحدهما : أنهم المسلمون ، والثاني : أنهم المشركون .
 وعلى القولين فهم مذمومون على ذلك؛ لأن النبي ﷺ قال : « لعن الله اليهود
 والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم وصالحهم مساجد » - يحذر ما صنعوا - . رواه البخاري
 ومسلم* ، ولما فعلته اليهود والنصارى جرهم ذلك إلى الشرك، وما فعلته اليهود
 والنصارى استفعله هذه الأمة. وهذا هو الشاهد من الآية للترجمة كما في حديث أبي
 سعيد الآتي . وفيه : معرفة تفسير الآية . قاله المصنف .

(٢) قوله : « عن أبي سعيد » سعد بن مالك بن سنان الأنصاري ؓ أن رسول الله ﷺ
 قال : « لتبعن سنن من كان قبلكم » بفتح المهملة وقد تضم والفتح أولى . قاله المهلب،
 أي : طريق من كان قبلكم « حذو القذة بالقذة » بنصب حذو على المصدر، والقذة
 بضم القاف واحدة القذذ وهو ريش السهم ، أي لتبعن طريقهم في كل ما فعلوه
 وتشبهوهم في ذلك كما تشبه قذة السهم القذة الأخرى، وبهذا تظهر مناسبة الآيات
 للترجمة ، وقد وقع كما أخبر وهو علم من أعلام النبوة .

(٣) قوله : « حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه »* وفي حديث آخر : « حتى لو

* أخرجه البخاري (١٣٣٠، ٤٤٤١)، ومسلم (٥٢٩) .

** تقدم تخريجه (ص/٩٤) .

قالوا : يا رسول الله ، اليهود والنصارى؟^(١) . قال : « فمن ؟ » . أخرجاه^(٢) .
ولمسلم عن ثوبان^(٣) أن رسول الله ﷺ قال : « إن الله زوى لي

كان فيهم من يأتي أمه حلاية لكان في أمي من يفعل ذلك » .

(١) وقوله : « قالوا : يا رسول الله ، اليهود والنصارى ؟ قال : فمن ؟ » هو برفع اليهود خبر مبتدأ محذوف أي : أهم اليهود والنصارى الذين نتبع سنتهم ؟ ويجوز النصب بفعل محذوف تقديره : تعني .

وقوله : « فمن ؟ » استفهام إنكاري ، أي : فمن هم غير أولئك ؟ . وفي رواية أبي هريرة عند البخاري أنه فسّرهم بفارس والروم ، والتفسير ببعض الأمم لا ينفي التفسير بأمة أخرى ، إذ المقصود التمثيل لا الحصر . قاله في « الشرح »* .
قال شيخ الإسلام : « وهذا خرج مخرج الخبر والذم لمن يفعله كما كان يخبر عما يكون بين يدي الساعة من الأشراف والأمور المحرمة » .

(٢) قوله « أخرجاه » أي البخاري ومسلم ، واللفظ لمسلم ، أخبر ﷺ في هذا الحديث أن كل ما وقع من أهل الكتاب مما ذمهم الله به في هذه الآيات وغيرها لا بد أني قع جميعه في هذه الأمة ، وهذا هو الشاهد من الحديث للترجمة . وقد وقع كما أخبر ﷺ فاتبع كثير من أمته اليهود والنصارى وفارس والروم في ملابسهم ومساكنهم ولغتهم وإقامة شعائرهم في الأديان والأعياد والعادات والحروب وزخرفة المساجد وتعظيم القبور وبناء المساجد عليها حتى عبدوا الأموات واتخذوا الأحبار والرهبان أرباباً من دون الله وأعرضوا عن تدبر كتاب الله وسنة رسوله والعمل بهما وأقبلوا على كتب الإلحاد ومجلات الخلاعة والمجون والمصورات واستماع الأغاني الخليعة والملاهي وغير ذلك مما هو مشاهد بالعيان ، فلا حول ولا قوة إلا بالله .

(٣) قوله : « ولمسلم عن ثوبان » مولى رسول الله ﷺ ، صحبه ولازمه ونزل الشام بعده ومات بجمص سنة أربع وخمسين للهجرة . « أن رسول الله ﷺ قال : « إن الله زوى لي الأرض

الأرض^(١) فرأيتُ مشارقتها ومغاربها، وإن أمي سيلغ ملكها^(٢) ما زوي لي

فأيتُ مشارقتها ومغاربها ، وإن أمي سيلغ ملكها ما زوي لي منها، وأعطيتُ الكثرين : الأحمر والأبيض ، وإنني سألتُ ربي لأمي أن لا يهلكها بسنة بعامة ، وأن لا يسُلطَ عليهم عدواً من سوى أنفسهم، فيستبيح بيضتهم ، وإنني ربي قال : يا محمد ، إنني إذا قضيتُ قضاءً فإنه لا يُردُّ ، وإنني أعطيتُك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة بعامة ، وأن لا أسلُطَ عليهم عدواً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم ، ولو اجتمع عليهم من بأقطارها ، حتى يكون بعضهم يهلك بعضها ويسبي بعضهم بعضاً . رواه البرقاني في صحيحه . وزاد : « وإنما أخاف على أمتي الأكمة المضلين ، وإذا وقع عليهم السيف لم يُرفع إلى يوم القيامة ، ولا تقوم الساعة حتى يلحق حيُّ من أمتي بالمشركين ، وحتى تعبد فتأم من أمتي الأوثان، وأنه سيكون في أمتي ثلاثون كتابون كلهم يزعم أنه نبيٌّ، وأنا خاتم النبيين، لا نبي بعدي ، ولا تزال طائفة من أمتي على الحق منصوره، لا يضرمهم من خللم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله تبارك وتعالى »* . وهذا الحديث رواه أيضاً أبو داود في سننه ، وابن ماجه بالزيادة التي ذكرها المصنف . قاله في « فتح المجيد »** .

(١) قوله : « إن الله زوى لي الأرض » قال التوريشي : « زويتُ الشيء جمعته وقبضته ، يريد تقريب البعيد منها حتى اطلع عليه اطلاعه على القريب، وحاصله أنه طوى له الأرض وجعلها مجموعة كهيئة كف في مرآة ينظره » . قال الطيبي : « جمعها لي حتى أبصرت ما تملكه أمتي من أقصى المشارق والمغارب منها » .

(٢) قوله : « وإن أمي سيلغ ملكها ما زوي لي منها » . قال القرطبي : « وهذا الخبر قد وجد مخبره ، كما قال ﷺ ، وكان ذلك من دلائل نبوته ، وذلك أن ملك أمته اتسع إلى أن بلغ أقصى طنجة - بالنون والجيم - الذي هو منتهى عمارة المغرب إلى أقصى المشرق مما وراء خراسان والنهر وكثير من بلاد السند و الهند والصين، ولم يتسع ذلك الاتساع من جهة الجنوب والشمال ، ولذا لم يذكر - عليه السلام - أنه أرىه ، ولا أخبر أن ملك أمته يبلغه » .

* أخرجه مسلم (٢٨٨٩) .

** (١/٤٤٥) .

منها^(١)، وأعطيت الكتزين : الأحمر والأبيض^(٢)، وإنني سألتُ ربي لأمتي أن لا يهلكها بسنة بعامة^(٣)، وأن لا يسُلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم، فيستريح

(١) قوله : « ما زوي لي منها » يحتمل أن يكون مبنياً للفاعل وأن يكون مبنياً للمفعول . وفيه : إخباره بأن الله زوى له المشارق والمغرب ، وأخبر بمعنى ذلك ، فوقع كما أخبر بخلاف الجنوب والشمال . قاله المصنف .

(٢) قوله : « وأعطيت الكتزين : الأحمر والأبيض » قال القرطبي : « يعني بهما كثر كسرى وهو ملك الفرس ، وكثر قيصر وهو ملك الروم وقصورهما وبلادهما ، وقد قال ﷺ « والذي نفسي بيده لتتفنن كنوزهما في سبيل الله »* وعبر بالأحمر عن كثر قيصر لأن الغالب عندهم كان الذهب ، وبالأبيض عن كثر كسرى ؛ لأن الغالب عندهم كان الجواهر والفضة » .

وفيه : إخباره بأنه أعطي الكتزين فوقع كما أخبر . قاله المصنف رحمه الله . وقد وجد ذلك في خلافة عمر ، فإنه سيق إليه تاج كسرى وحليته وما كان في بيوت أمواله وجميع ما حوته مملكته على سعتها وعظمتها ، وكذلك فعل الله بقيصر ، وكان النبي ﷺ في حياته قال لسراقة بن مالك المدلجي : « كيف بك يا سراقة إذا وضع تاج كسرى على رأسك وسواره في يديك »* فلما جيء بهما إلى عمر ﷺ دعا سراقة فألبسهما إياه تصديقاً لما أخبر به النبي ﷺ وقال : قل الحمد لله الذي نزع تاج كسرى من رأسه وسواريه من يديه وجعلهما على أعرابي من بني مدلج ، وذلك بعز الإسلام وقوته لا بجولنا ولا بقوتنا . ذكر ذلك السهيلي في « الروض » .

(٣) قوله : « وإنني سألتُ ربي لأمتي أن لا يهلكها بسنة بعامة » هكذا ثبت في أصل المصنف بعامة بالباء وهي رواية صحيحة في صحيح مسلم وفي بعضها بجذفها ، قال القرطبي : « كأنها زائدة ؛ لأن عامة صفة للسنة ، والسنة الجذب الذي يكون به الهلاك العام » .

* أخرجه البخاري (٦٦٢٩) ، ومسلم (٢٩١٩) من حديث جابر بن سمرة .

** لم أجده بهذا اللفظ ، وأصل الحديث عند البخاري برقم (٣٩٠٦) .

بيضتهم^(١)، وإن ربي قال : يا محمد، إنني إذا قضيت قضاءً فإنه لا يُرد^(٢)،
وإنني أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة بعامة ، وأن لا أسلط عليهم
عدواً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم، ولو اجتمع عليهم من
بأقطارها^(٣)، حتى يكون بعضهم يهلك بعضاً ويسبي بعضهم بعضاً^(٤) .

(١) قوله : « وأن لا يسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم » أي : من غيرهم من الكفار
« فيستبيح بيضتهم » قال الجوهرى [الصحاح ٣/١٠٦٨] : « بيضة كل شيء حوزته،
وبيضة القوم ساحتهم ». فيكون معنى الحديث أن الله لا يسلط العدو على كافة
المسلمين حتى يستبيح ما حازوه من البلاد والأرض، وقيل بيضتهم معظمهم
وجماعتهم وإن قلوا .

(٢) قوله : « وإن ربي قال : يا محمد، إذا قضيت قضاءً فإنه لا يُرد » قال بعضهم إذا
حكمت حكماً مبرماً نافذاً لا يرد بشيء ولا يقدر أحدٌ على رده ، كما قال ﷺ :
« لا رادٌ لما قضيت »* .

(٣) قوله : « وإنني أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة بعامة ، وأن لا أسلط عليهم عدواً من
سوى أنفسهم - أي من غيرهم من الكفار - فيستبيح بيضتهم ، ولو اجتمع عليهم من
بأقطارها » أي من بأقطار الأرض وهي جوانبها . وفيه إخباره بإجابة دعوته في
الائتئين وإخباره بأنه منع الثالثة . قاله المصنف رحمه الله .
قلت : الثالثة هي أن يجعل بأسهم بينهم ولم يذكرها المصنف ، فلعلها سقطت من
الناسخ .

(٤) وقوله : « حتى يكون بعضهم يهلك بعضاً ، ويسبي بعضهم بعضاً » الظاهر أن
حتى عاطفة أو تكون لانتهاى الغاية ، أي أن أمر أمته ينتهي إلى أن يكون بعضهم
يهلك بعضاً ويسبي بعضهم بعضاً ، فإذا وجدت هذه الأوصاف فقد يسقط الكفار
على جماعتهم ومعظمهم كما وقع، فإن هذه الأمة لما جعل الله بأسها بينها تفرقت

* قطعة من حديث : أخرجه عبدالرزاق في المصنف (١٩٦٣٨) ، وقال ابن حجر : سنده صحيح كما
في فتح الباري (٥١٣/١١) .

ورواه البرقاني في صحيحه^(١).

وزاد : « وإنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين^(٢) ، وإذا وقع عليهم السيف لم

جماعتهم واشتغل بعضهم ببعض عن جهاد العدو فاستولى على كثير من بلاد المسلمين ، فلا حول ولا قوة إلا بالله . وفيه : إخباره بإهلاك بعضهم بعضاً وسي بعضهم بعضاً . قاله المصنف رحمه الله تعالى .

(١) قوله : « ورواه البرقاني في صحيحه » وهو الحافظ أبو بكر أحمد بن محمد بن غالب الخوارزمي الشافعي، ولد سنة ست وثلاثين وثلاثمائة ومات سنة خمس وعشرين وأربعمائة . قال الخطيب : كان ثباتاً ورعاً لم نر في شيوخننا أثبت منه ، عارفاً بالفقه كثير التصانيف، صنف مسنداً ضمّنه ما اشتمل عليه الصحيحان وجمع حديث الثوري وحديث شعبة وطائفة، ورواه أيضاً أبو داود بتمامه عن أبي قلابة عن أبي أسماء عن ثوبان .

(٢) قوله : « وإنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين » وهم الأمراء والعلماء والعباد، فيحكمون فيهم بغير علم فيضلونهم كما قال تعالى : ﴿ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلًا ﴾ [الأحزاب: ٦٧] ، وقال : ﴿ وَإِنَّ كَثِيرًا لِّيُضِلُّونَ بِأَهْوَاءِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ [الأنعام: ١١٩] ، وفي الحديث عن النبي ﷺ أنه قال : « إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من صدور الرجال ولكن يقبض العلم بموت العلماء، حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤساء جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم ، فضلوا وأضلوا »* . وعن أبي الدرداء ؓ قال : قال رسول الله ﷺ : « إن أخوف ما أخاف على أمتي الأئمة المضلين »** . رواه أبو داود الطيالسي، وعن زياد بن حدير قال : قال لي عمر ابن الخطاب ؓ : هل تعرف ما يهدم الإسلام؟ قلت : لا . قال : يهدمه زلة العالم

* أخرجه البخاري (١٠٠) ، ومسلم (٢٦٧٣) .

** أخرجه أبو داود (٤٢٢٥) ، وابن ماجه (٣٩٥٢) ، وأحمد (٢٧٨/٥) ، (٢٨٤) ، وأبو داود الطيالسي في مسنده رقم (١٠٦٨) (٣٢١/٢) . قال الألباني : صحيح ، انظر : صحيح سنن أبي داود (٣/٨٠١) رقم (٣٥٧٧) .

يُرفع إلى يوم القيامة^(١) ، ولا تقوم الساعة حتى يلحق حي^١ من أممي بالمشركين^(٢) ،

وجدال المناق بالكتاب، وحكم الأئمة المضلين . رواه الدارمي* ، ولذا قال عبدالله ابن المبارك :

رَأَيْتُ الذُّنُوبَ تَمَيَّتْ الْقُلُوبَ وَقَدْ يُورِثُ الذَّلُّ إِدْمَانَهَا
وَتَرَكْتُ الذُّنُوبَ حَيَاةَ الْقُلُوبِ وَخَيْرٌ لِنَفْسِكَ عِصْيَانُهَا
وَهَلْ أَفْسَدَ الدِّينَ إِلَّا الْمُلُوكُ وَأَخْبَارُ سُوءٍ وَرُهْبَانُهَا

وقال سفيان بن عيينة وغيره : من فسد من علمائنا ففيه شبهة من اليهود ، ومن فسد من عبادنا ففيه شبهة من النصارى . وسئل سعيد بن جبير : من أين يهلك الناس ؟ قال : من قبل علمائهم . وروى ابن أبي الدنيا عن علي عليه السلام قال : يأتي على الناس زمان لا يبقى فيه من الإسلام إلى اسمه ، ولا من القرآن إلا رسمه ، مساجدهم يومئذ عامرة وهي خراب من الهدى ، علماءهم شر من تحت أديم السماء ، منهم خرجت الفتنة وفيهم تعود . وفيه : حصره الخوف على أمته من الأئمة المضلين . قاله المصنف رحمه الله .

(١) قوله : « وإذا وقع عليهم السيف لم يُرفع إلى يوم القيامة » وقد حصل ما أخبر به صلى الله عليه وسلم فإن السيف وقع بقتل الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه ولم يُرفع ، لكن قد يكثر تارة ويقل أخرى ، ويكون في جهة ويرتفع عن أخرى ، وقد يكون مشروعاً كقتال أهل الإسلام لأهل الشرك ، وقد يكون ظلماً وبعياً وفيه إخباره بوقوع السيف وأنه لا يُرفع إذا وقع . قاله المصنف رحمه الله تعالى .

(٢) قوله : « ولا تقوم الساعة حتى يلحق حي^١ من أممي بالمشركين » الحي واحد الأحياء وهي القبائل ، وفي رواية أبي داود : « وحتى يلحق قبائل من أممي بالمشركين » والمعنى : أنهم يكونون معهم ويرتدون برغبتهم عن أهل الإسلام ويلحقون بأهل الشرك في السكنى والديانة .

* أخرجه الدارمي في سننه (٧٦/١) رقم (٢١٨) ط . البغا .

وحتى تعبد فثام من أمي الأوثان^(١)، وأنه سيكون في أمي

(١) قوله : «وحتى تعبد فثام من أمي الأوثان» - بكسر الفاء مهموز - الجماعات الكثيرة . قاله أبوالسعادات [النهاية ٣/٣٦٤] . وفي رواية أبي داود : «حتى تعبد قبائل من أمي الأوثان» والوثن يطلق على ما قصد بنوع من أنواع العبادة من القبور والمشاهد وغيرها لقول الخليل : ﴿ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا ﴾ [العنكبوت : ١٧] ، مع قوله : ﴿ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَنْظِلُّ لَهَا عَنكِيفِينَ ﴾ [الشعراء : ٧١] ، وقوله : ﴿ أَتَعْبُدُونَ مَا نَنْحِتُونَ ﴾ [الصافات : ٩٥] ، وقول النبي ﷺ : « اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد »* فعلم بهذا أن الوثن يُطلق على ما عُبد من دون الله من القبور والمشاهد والأصنام وغيرها، وهذا هو الشاهد من الحديث للترجمة . وفيه : التصريح بوقوع عبادة الأوثان في هذه الأمة في جموع كثيرة والتنبيه على معنى عبادة الأوثان . قاله المصنف رحمه الله تعالى .

وفيه : الرد على عباد القبور الذين ينكرون وقوع الشرك وعبادة الأوثان في هذه الأمة لجهلهم بحقيقة التوحيد وما ينافيه من الشرك والتنديد، وفي الصحيحين عن أبي هريرة ؓ مرفوعاً : « لا تقوم الساعة حتى تضطرب آليات نساء دوس على ذي الخلصة »** . قال : وذو الخلصة طاغية دوس التي كانوا يعبدونها في الجاهلية . وروى ابن حبان عن معمر قال : إن عليه الآن بيتاً مبنياً مغلقاً . وفي صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها مرفوعاً : « لا يذهب الليل والنهار حتى تُعبد اللات والعزى »*** . قال ابن القيم رحمه الله تعالى [زاد المعاد ٣/٥٠٦] : «المشاهد التي بُنيت على القبور والتي اتخذت أوثاناً تُعبد من دون الله والأحجار التي تقصد للتبرك والندر لا يجوز إبقاء شيء منها على وجه الأرض مع القدرة على إزالتها، وكثير منها بمنزلة اللات والعزى ومناة، أو أعظم شركاً عندها وبها، فاتبع هؤلاء سنن من

* تقدم تخريجه (ص/٥٠) .

** أخرجه البخاري (٧١١٦) ، ومسلم (٢٩٠٦) .

*** أخرجه مسلم (٥٢) .

كُتَابُونَ ثَلَاثُونَ كُلَّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ^(١)،

كان قبلهم، وسلخوا سييلهم حذو القذة بالقذة، وغلب الشرك على أكثر النفوس لظهور الجهل وخفاء العلم، وصار المعروف منكراً، والمنكر معروفاً، والسنة بدعة والبدعة سنة، وطمست الأعلام، واشتدت غربة الإسلام، وقل العلماء، وغلب السفهاء، وتفاقم الأمر، واشتدَّ البأس، وظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس، ولكن لا تزال طائفة من العصابة المحمدية بالحق قائمين، ولأهل الشرك والبدع مجاهدين إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين». انتهى ملخصاً.

وقد استحكمت الفتنة بعبادة الأوثان حتى إنه لا يُعرف أحدٌ في هذه القرون المتأخرة أنكروا ما وقع من ذلك، حتى أقام الله الإمام المجدد شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله فأنكر ذلك ونهى عنه ودعا الناس إلى أن يعبدوا الله وحده لا شريك له، فرماه الملوك وأتباعهم من علماء الضلال بقوس العداوة، فأظهره الله بالحجة وأعزَّ أنصاره، وبلغت دعوته مشارق الأرض ومغاربها، وانتفع بدعوته الكثير من الناس، فله الحمد على هذه النعمة العظيمة .

(١) قوله : «وأنه سيكون في أمي كتابون ثلاثون كلهم يزعم أنه نبي» قال القرطبي : «وقد جاء عددهم معيّنًا في حديث حذيفة، قال : قال رسول الله ﷺ : « يكون في أمي كتابون دجالون سبع وعشرون ، منهم أربع نسوة »* أخرجه أبونعيم وقال : هذا حديث غريب تفرد به معاوية بن هشام ، وحديث ثوبان أصح . قاله في « فتح المجيد »** . قال الحافظ ابن حجر : قد ظهر مصداق ذلك في زمن النبي ﷺ فخرج مسيلمة الكذاب باليمامة، والأسود العنسي باليمن، ثم خرج في خلافة أبي بكر الصديق طليحة بن خويلد في بني أسد بن خزيمه، وسجاح التميمية في بني تميم، وقتل الأسود قبل أن يموت النبي ﷺ، وقتل مسيلمة الكذاب في خلافة أبي بكر

* أخرجه أحمد (٣٩٦/٥)، وأبونعيم في الحلية (١٧٩/٤). وقال ابن حجر في الفتح (٨٧/١٣) :

سنده جيد .

** (١/٤٥٥-٤٥٦) .

وأنا خاتم النبيين^(١)، لا نبي بعدي، ولا تزال طائفة من أممي على الحق منصوره، لا يضرهم من خذلهم^(٢) ولا من خالفهم،

الصديق ﷺ، ويقال إن سجاح تابت، ثم خرج المختار ابن أبي عبيد الثقفي وغلب على الكوفة في أول خلافة ابن الزبير وأظهر محبة أهل البيت ودعا الناس إلى طلب قتلة الحسين فقتل كثيراً ممن باشر ذلك وأعان عليه فأحبه الناس، ثم ادعى النبوة وزعم أن جبريل - عليه السلام - يأتيه، ومنهم الحارث الكذاب خرج في خلافة عبدالمملك بن مروان فقتل وخرج في خلافة بني العباس جماعة، وليس المراد بالحديث من ادعى النبوة مطلقاً فإنهم لا يُحصون كثرة لكون غالبهم تشاه دعواه عن جنون أو سوداء، وإنما المراد من قامت له شوكة، وقد أهلك الله من وقع له منهم ذلك وبقي من يلحقه بأصحابه وآخرهم الدجال الأكبر . وفيه : إخباره بظهور المنتبين في هذه الأمة فوق كما أخبر، والعجب العجاب خروج من يدعي النبوة مثل المختار مع تكلمه بالشهادتين وتصريحه أنه من هذه الأمة، وأن الرسول حق، وأن القرآن حق . وفيه : أن محمداً خاتم النبيين، ومع هذا يصدق في هذا كله مع التضاد الواضح، وقد خرج المختار في آخر عصر الصحابة وتبعه فنام كثيرة . قاله المصنف رحمه الله .

(١) قوله : « وأنا خاتم النبيين » قال الحسن : الخاتم الذي ختم به ، يعني آخر النبيين قال تعالى : ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾ [الأحزاب : ٤٠] ، وإنما ينزل عيسى بن مريم في آخر الزمان حاكماً بشريعة محمد ﷺ مصلياً إلى قبلته ، فهو كأحد أمته ، بل هو أفضل هذه الأمة ، قال النبي ﷺ : «والذي نفسي بيده لينزلن فيكم ابن مريم حكماً مقسطاً، فليكسرن الصليب، وليقتلن الخنزير، وليضعن الجزية»* .

(٢) قوله : « ولا تزال طائفة من أممي على الحق منصوره لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم » قال يزيد بن هارون وأحمد بن حنبل : « إن لم يكونوا أهل الحديث

* أخرجه البخاري (٢٢٢٢، ٢٤٧٦، ٣٤٤٨)، ومسلم (٢٤٢) .

حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ^(١)

فلا أدري من هم . قال ابن المبارك وعلي بن المدني وأحمد بن سنان والبخاري وغيرهم : « إنهم أهل الحديث » ، وعن ابن المدني رواية « هم العرب » واستدل برواية من روى « هم أهل الغرب » ، وفسر « الغرب » بالدلو العظيمة؛ لأن العرب هم الذين يستقون بها . قال النووي : « يجوز أن تكون الطائفة جماعة متعددة من أنواع المؤمنين ما بين شجاع وبصير بالحرب وفقه ومحدث ومفسر وقائم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وزاهد وعابد ، ولا يلزم أن يكونوا مجتمعين في بلد واحد، بل يجوز اجتماعهم في قطر واحد وافتراقهم في أقطار الأرض، ويجوز أن يجتمعوا في البلد الواحد وأن يكونوا في بعض دون بعض منه، ويجوز إخلاء الأرض من بعضهم أولاً فأول إلى أن لا يبقى إلا فرقة واحدة ببلد واحد، فإذا انقرضوا جاء أمر الله . » انتهى ملخصاً مع زيادة فيه . قاله الحافظ ابن حجر [الفتح ١٣/٢٩٥] .

وفيه : إخباره ببقاء الطائفة المنصورة والبشارة بأن الحق لا يزول بالكلية كما زال فيما مضى ، بل لا تزال عليه طائفة، والآية العظمى أنهم مع قلتهم لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم وأن ذلك الشرط إلى قيام الساعة . قاله المصنف رحمه الله تعالى . قال القرطبي : « وفيه دليل على أن الاجماع حجة لأن الأمة إذا اجتمعت فقد دخل فيهم الطائفة المنصورة » ، واحتج به الإمام أحمد على أن الاجتهاد لا ينقطع ما دامت هذه الطائفة موجودة .

(١) قوله : « حتى يأتي أمر الله » الظاهر أن المراد به ما روي من قبض من بقي من المؤمنين بالريح الطيبة ، ووقوع الآيات العظام، ثم لا يبقى إلا شرار الناس، فعليهم تقوم الساعة . كما روى الحاكم : أن عبدالله بن عمرو قال : لا تقوم الساعة إلا على شرار الخلق هم شر أهل الجاهلية . فقال عقبه بن عامر لعبدالله : أعلم ما تقول ، وأما أنا فسمعت رسول الله ﷺ يقول : « لا تزال عصاة من أممي يقاتلون على أمر الله ظاهرين لا يضرهم من خالفهم حتى تأتيهم الساعة وهم على ذلك »* .

* أخرجه مسلم (١٩٢٤) .

تبارك وتعالى^(١) .

قال عبدالله : ويبعث الله ريحاً، ريحها ريح المسك، ومسها مس الحرير، فلا ترك أحداً في قلبه مثقال ذرة من إيمان إلا قبضته ، ثم يقبض شرار الناس فعليهم تقوم الساعة . وعلى هذا؛ فالمراد بقوله في حديث عقبة وما أشبهه «حتى تأتيهم الساعة» ساعتهم وهي وقت موتهم بهبوب الريح. ذكره الحافظ ابن حجر [الفتح ١٣/٢٩٤]. وقد اختلف في محل هذه الطائفة فقال بعضهم : إنها تكون في بيت المقدس . كما رواه الطبراني من حديث أبي أمامة : قيل يا رسول الله أين هم؟ قال : «بيت المقدس» * . وقال معاذ بن جبل : هم بالشام .

وفي كلام الطبري ما يدل على أنه لا يجب أن تكون في الشام أو في بيت المقدس دائماً بل قد تكون في موضع آخر في بعض الأزمنة قال في «الشرح» ** : «وهذا هو الحق؛ فإن ليس في الشام منذ أزمان أحد بهذه الصفة؛ بل ليس فيه إلا عبادة القبور وأهل الفسق وأنواع الفواحش والمنكرات ، ويمتنع أن يكونوا هم الطائفة المنصورة ، وأيضاً فهم منذ أزمان لا يقاتلون أحداً من أهل الكفر وإنما بأسهم وقتلهم بينهم» . انتهى .

قلت : ويشهد له الواقع، وحال أهل الشام وأهل بيت المقدس، فإنهم من أزمان طويلة لا يعرف فيهم من قام بهذا الأمر بعد شيخ الإسلام ابن تيمية وأصحابه، فإنهم كانوا في زمانهم على الحق يدعون إليه، ويناضون عليه، ويجاهدون فيه، وقد يجيء من أمثالهم بعد بالشام من يقوم مقامهم بالدعوة إلى الحق والتمسك بالسنة ، والله على كل شيء قدير . قاله في «فتح المجيد» *** .

(١) وقوله : «تبارك وتعالى» جاء بناء تبارك على بناء تعالى الذي هو دالٌّ على كمال العلو ونهايته ، فكذلك تبارك دالٌّ على كمال بركته وعظمتها وسعتها، وهذا معنى

* أخرجه الطبراني في «الكبير» (٧٦٤٣)، وأحمد (٢٦٩/٥) .

** (ص/٣٢٣) .

*** (١/٤٦٠) .



قول من قال من السلف : تبارك تعاضم . وقال ابن عباس رضي الله عنهما : جاء بكل بركة . قاله ابن القيم رحمه الله تعالى .
وهذا الحديث رواه أيضاً أبوداود في سننه وابن ماجه بالزيادة التي ذكرها المصنف رحمه الله . وكل جملة من هذا الحديث عُلِّمَ من أعلام النبوة ، فإن كل ما أخبر به النبي ﷺ في هذا الحديث وقع كما أخبر . قاله في « فتح المجيد »* .

* (١/٤٦١ - حاشية/٣) .

٢٤-باب

(١) ما جاء في السحر

(١) قوله : « باب ما جاء في السحر » أي من الوعيد الشديد وأنه كفر.

السحر لغة : عبارة عما خفي ولطف سببه ؛ ولهذا جاء في الحديث « إن من البيان سحراً »* وسُمي السحراً لأنه يقع خفياً آخر الليل . وقال أبو محمد المقدسي في « الكافي » : « السحر عزائم ورقي وعقد يؤثر في القلوب والأبدان فيمرض ويقتل ويفرق بين المرء وزوجه » . قال ابن العربي : « منه ما يفرق بين المرء وزوجه، ومنه ما يجمع بين المرء وزوجه، ويسمى التولة وكلاهما كفر، وحقيقته - يعني السحر - أنه كلام مؤلف يعظم به غير الله تعالى وتنسب إليه فيه المقادير والكائنات». انتهى . ولذا جاء في الحديث « ومن سحر فقد أشرك »**، ولما كان السحر لا يتأتى بدون الشرك سواء كان الشرك أكبر أو أصغر فالأكبر ينافي التوحيد والأصغر ينافي كماله . ذكره المصنف رحمه الله تعالى تحذيراً منه .

وقد زعم قومٌ من المعتزلة وغيرهم أن السحر تخييل لا حقيقة له، وهذا ليس بصحيح؛ فإن التخيل إنما هو في نظر المسحور، فهو ناشئ عن السحر لا نفس السحر، ولولا أن للسحر حقيقة لم يأمر الله بالاستعاذة منه في قوله : ﴿ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ﴾ [الفلق: ٤] ، يعني السواحر اللاتي يعقدن السحر وينفثن في عقدهن، وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ سحر حتى إنه ليُخيّل إليه أنه يفعل الشيء وما يفعله، وأنه قال لها ذات يوم : « أتاني ملكان فجلس أحدهما عند رأسي والآخر عند رجلي فقال : ما وجع الرجل ؟ قال : مطبوب. قال : ومن طبّه؟ . قال : لبيد ابن الأعصم في مشط ومشاطة وفي جف طلّع ذكر في بئر ذروان »*** . رواه البخاري .

* أخرجه البخاري (٥١٤٦) ، و (٥٧٦٧) ، ومسلم من حديث ابن عمر (٨٦٩) .

** أخرجه النسائي (٤٠٧٩) ، وأوله : « من عقد عقلة ثم نفث فيها فقد سحر ، ومن ... » . قال

الألباني : ضعيف . انظر : ضعيف سنن النسائي (ص/١٦٣) ، رقم (٢٧٦) .

*** أخرجه البخاري (٣١٧٥ ، ٥٧٦٣ ، ٦٠٦٣) ، ومسلم (٢١٨٩) .

وقول الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ ﴾^(١)
[البقرة : ١٠٢] .

وقوله : ﴿ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ ﴾^(٢) [النساء : ٥١] .

فالتخييل الذي كان يراه ﷺ ناشئ عن السحر الذي في المشط والمشاطة، وليس هو نفس السحر، ولذا لما استخرجه وأتلف ذهب عنه ما يجده من التخيل .
(١) قوله : « وقول الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ ﴾ أي : ولقد علم اليهود الذين استبدلوا السحر عن متابعة الرسل والإيمان بالله ما له في الآخرة من خلاق، قال ابن عباس : من نصيب . وقال قتادة : وقد علم أهل الكتاب فيما عهد إليهم أن الساحر لا خلاق له في الآخرة . وقال الحسن : ليس له دين، فدلّت الآية على تحريم السحر ، وهو كذلك محرم في جميع الشرائع لم يبيح في ملة من الملل كما قال تعالى : ﴿ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَقْبَلَ ﴾ [طه : ٦٩] . قاله في «الشرح» .
وفيه : معرفة تفسير آية البقرة . قاله المصنف رحمه الله . واختلفوا : هل يكفر الساحر أم لا ؟ فذهب طائفة من السلف إلى أنه يكفر، وبه قال مالك وأبو حنيفة وأحمد رحمهم الله تعالى . قال أصحابه إلا أن يكون سحره بأدوية وتدخين وسقي شيء يضر فلا يكفر . وقال الشافعي : « إذا تعلم السحر قلنا له : صف لنا سحرك، فإن وصف ما يوجب الكفر مثل ما اعتقد أهل بابل من التقرب للكواكب السبعة وأنها تفعل ما يلتمس منها فهو كافر ، وإن كان لا يوجب الكفر فإن اعتقد إباحته كفر » . انتهى .

(٢) « وقوله : تعالى : ﴿ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ ﴾ قال عمر : الجبت : السحر، والطاغوت : الشيطان » . رواه ابن أبي حاتم، وفيه : أن السحر من الجبت . قاله المصنف . وقال جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الأنصاري ثم السلمى بفتحيتين، صحابي ابن صحابي - رضي الله عنهما - .

قال عمر : الجبّت : السحر ، والطاغوت : الشيطان .
وقال جابر : الطواغيت^(١) كهّان كان ينزل عليهم الشيطان^(٢) ، في كل حيّ واحد .
وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال : « اجتنبوا السبع الموبقات »^(٣) .

(١) قوله : « الطواغيت : كهان » أراد أن الكهان من الطواغيت، فهو من أفراد المعنى .
(٢) قوله : « كان ينزل عليهم الشيطان » أراد الجنس لا الشيطان الذي هو إبليس خاصة، بل تنزل عليهم الشياطين ويخاطبونهم ويخبرونهم بما يسترقون من السمع « في كل حيّ واحد » قال وهب بن منبه : سألت جابر بن عبد الله عن الطواغيت التي كانوا يتحاكمون إليها . فقال : إن في جهنمة واحداً ، وفي أسلم واحداً، وفي هلال واحداً، وفي كل حيّ واحد، وهم كهان كانت تنزل عليهم الشياطين . رواه ابن أبي حاتم . والحى : واحد الأحياء، وهي القبائل أي في كل قبيلة كاهن يتحاكمون إليه ويسألونه عن الغيب، وكذلك كان الأمر قبل مبعث النبي صلى الله عليه وآله، فأبطل الله ذلك بالإسلام، وحرس السماء بكثرة الشهب . وفيه : معرفة تفسير آية النساء وتفسير الجبّت والطاغوت والفرق بينهما، وأن الطاغوت قد يكون من الجن وقد يكون من الإنس . قاله المصنف رحمه الله تعالى . ومطابقة أثر جابر للترجمة من جهة أن الساحر طاغوت من الطواغيت إذ كان هذا الاسم يطلق على الكاهن، فالساحر أولى ؛ لأنه أشرُّ وأخبث . قاله في « الشرح »* .

(٣) قوله : « وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال : « اجتنبوا السبع الموبقات » . قالوا : يا رسول الله ، وما هنّ ؟ قال : « الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا قالوا : يا رسول الله، وما هنّ ؟ قال : « الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم ، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات »** .

* (ص/ ٣٢٨) .

** أخرجه البخاري (٢٧٦٦) و(٥٧٦٤) ، ومسلم (٨٩) .

قالوا : يا رسول الله ، وما هُنَّ ؟ قال : « الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي

فقوله : « اجتنبوا » أبلغ في النهي من قوله : « اتركوا » ؛ لأنه يتضمن الترك والتباعد عنها . وقوله : « السبع » لا ينفي ما زاد ؛ لأنه مفهوم عدد ، ومفهوم العدد إذا خالفه منطوق قدم عليه . وقد أخرج الطبراني وإسماعيل القاضي عن ابن عباس أنه قيل له : الكبائر سبع . قال : هن أكثر من سبع وسبع ، وفي رواية : هي إلى السبعين أقرب . وفي رواية : إلى السبعمائة . وقوله : « الموبقات » أي المهلكات ، وسميت موبقات لأنها تهلك فاعلها في الدنيا بما يترتب عليها من العقوبات ، وفي الآخرة من العذاب . قوله : « الشرك بالله » بداية من البداءة بالأهم ، وهو أن يجعل لله نداً يدعو أو يرجوه أو يخافه كما يخاف الله عز وجل ، وفي الصحيحين عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قلت : يا رسول الله : أي الذنب أعظم عند الله ؟ قال : « أن تجعل لله نداً وهو خلقك »* الحديث ، قال ابن القيم رحمه الله تعالى في « الكافية الشافية » [٢٥٧] :

| | |
|-----------------------------|----------------------------|
| والشرك فاحذره فشرک ظاهر | ذا القسم ليس بقابل الغفران |
| وهو اتخاذ السند للرحمن أياً | كان من حجر ومن إنسان |
| يدعوه أو يرجوه ثم يخافه | ويحبه كمحبة الديان |

قوله : « والسحر » وهذا هو الشاهد من الحديث للترجمة .

قوله : « وقتل النفس التي حرّم الله إلا بالحق » بأن تفعل ما يوجب قتلها . قال في «الشرح»** : كقتل المشرك المحارب .

قلت : وهذه سبقة قلم من الشارح رحمه الله ، فإن قتل المشرك ليس من قتل النفس التي حرّم الله إلا بالحق ؛ لأنه مباح الدم والمال ، وليست محاربه أيضاً شرطاً في قتله وإنما المراد قتل المسلم المعصوم الدم لقوله ﷺ : « لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث : الثيب الزاني ، والنفس بالنفس ،

* تقدم تخريجه (ص/١٣) .

** (ص/٣٣٠) .

حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ، وَأَكَلَ الرِّبَا ، وَأَكَلَ مَالَ الْيَتِيمِ ، وَالتَّوَلَّى يَوْمَ الزَّحْفِ ، وَقَذَفَ
المُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ .

وعن جندب مرفوعاً : « حَدُّ السَّاحِرِ ضَرْبَةٌ بِالسَّيْفِ » . رواه الترمذي

والتارك لدينه المفارق للجماعة * .

وقوله : « وَأَكَلَ الرِّبَا » أي تناوله بأي وجه كما قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ
الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ﴾ [البقرة: ٢٧٥]
الآيات، قال ابن دقيق العيد : وهو موجب لسوء الخاتمة .

وقوله : « وَأَكَلَ مَالَ الْيَتِيمِ » عبر بالأكل لأنه أعم وجوه الانتفاع ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ
الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ
سَعِيرًا ﴾ [النساء: ١٠] .

وقوله « وَالتَّوَلَّى يَوْمَ الزَّحْفِ » أي الإدبار عن الكفار وقت التحام القتال، وإنما يكون
كبيرة إذا فرأ إلى غير فئة أو غير متحرف لقتال، كما قيد به في قوله ﴿ وَمَنْ يُؤَلِّمِهِمْ
يَوْمَئِذٍ دُبُرُهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَرِّفًا إِلَىٰ فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِعَضْبٍ مِنَ اللَّهِ ﴾
الآية [الأنفال: ١٦] .

وقوله : « وَقَذَفَ الْمُحْصَنَاتِ » بفتح الصاد : المحفوظات من الزنا ، ويكسرهما :
الحافظات فروجهن منه . والمراد : العفيفات بأن يرمين بزنا أو لواط ، والغافلات
عما رمين به، فهو كناية عن البريئات؛ لأن الغافل برئ عما بُهت به، و « الْمُؤْمِنَاتِ »
أي بالله تعالى احترازاً عن قذف الكافرات. قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ
الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعْتُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [النور: ٢٣]
وهذا الحديث ذكره المصنف غير معزوّ، وقد رواه البخاري ومسلم .

وفيه : معرفة السبع الموبقات المخصوصات بالنهي . قاله المصنف رحمه الله تعالى .

وقال : الصحيح أنه موقوف ^(١) .

وفي صحيح البخاري عن بَجَّالَةَ بن عَبْدَةَ ^(٢) قال : كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن اقتلوا كل ساحر وساحرة . قال : فقتلنا ثلاث سواحر .

(١) قوله : « وعن جندب مرفوعاً : « حدُّ الساحر ضربةً بالسيف » . رواه الترمذي وقال : الصحيح أنه موقوف * . هذا الحديث رواه الطبراني في ترجمة جندب بن عبدالله البجلي ، قال الحافظ ابن حجر : والصواب أنه غيره . وقد رواه ابن قانع والحسن ابن سفيان من وجهين عن الحسن عن جندب الخير أنه جاء إلى ساحر فضربه بالسيف حتى مات وقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : .. فذكره . وجندب الخير هو جندب بن كعب .

وقوله : « ضربة » روي بالهاء والتاء وكلامها صحيح ، وبهذا الحديث أخذ مالك وأحمد وأبو حنيفة فقالوا : يُقتل الساحر ، وروى ذلك عن عمر وعثمان وابن عمر وحفصة وجندب بن عبدالله وجندب بن كعب وقيس بن سعد وعمر بن عبدالعزيز ولم يرَ الشافعي القتل عليه بمجرد السحر إلا إن عمل في سحره ما يبلغ الكفر ، وبه قال ابن المنذر ، وهو رواية عن أحمد ، والأول أولى للحديث ولأثر عمر ، وعمل به الناس في خلافته من غير نكير .

(٢) قوله : « وفي صحيح البخاري عن بجمالة » بفتح الموحدة بعدها جيم « ابن عبدة » بفتحيتين ، التميمي العنبري بصري ثقة « قال : كتب عمرُ بن الخطاب : أن اقتلوا كل ساحر وساحرة ، قال : فقتلنا ثلاث سواحر » ** . وهذا الأثر رواه البخاري كما قال المصنف لكن لم يذكر قتل السواحر ، فلعل المصنف أراد أصله لا لفظه .

* أخرجه الترمذي (١٤٦٠) ، والطبراني في الكبير (١٦٦٥) ، والحاكم (٣٦٠/٤) . قال الألباني : ضعيف ، انظر : ضعيف سنن الترمذي (ص ١٦٨) ، رقم (٢٤٤) .
** أصله في البخاري (٣١٥٦) ، وأخرجه أبوداود (٣٠٤٣) ، وأحمد (١/١٩٠ ، ١٩١) .

وصحَّ عن حفصة^(١) رضي الله عنها أنها أمرت بقتل جارية لها سحرتها، فقُتِلت .

وكذلك صحَّ عن جُنْدَب^(٢) .

قال أحمد : عن ثلاثة من أصحاب النبي ﷺ^(٣) .

قاله في « الشرح »* . وفيه : أن الساحر يكفر ووجود هذا في المسلمين على عهد عمر فكيف بعده . قاله المصنف رحمه الله تعالى . وظاهر أنه يقتل من غير استتابة، قال المصنف : يقتل ولا يُستتاب ، وهو المشهور عن أحمد وبه قال مالك؛ لأن علم السحر لا يزول بالتوبة، وعن أحمد يُستتاب فإن تاب قُبِلت توبته، وبه قال الشافعي؛ لأن ذنبه لا يزيد عن الشرك، والمشرك يُستتاب ويُقبل توبته؛ ولذا صح إيمان سحرة فرعون وتوبتهم .

(١) قوله « وصحَّ عن حفصة أنها أمرت بقتل جارية لها سحرتها فقُتِلت »* . هذا الأثر رواه مالك في الموطأ ، وحفصة هي أم المؤمنين بنت عمر بن الخطاب، تزوجها النبي ﷺ بعد خنيس بن حذافة وماتت سنة خمس وأربعين - رضي الله عنها - .

(٢) قوله « وكلنا صحَّ عن جندب » وأثر جندب هذا رواه البخاري في تاريخه عن أبي عثمان النهدي قال : كان عند الوليد رجلٌ يلعب فذبح إنساناً وأبان رأسه فعجبنا ، فأعاد رأسه فجاء جندب الأزدي فقتله . ورواه البيهقي في الدلائل مطولاً، وفيه : فأمر به الوليد فسجن فذكر القصة بتمامها ، ولها طرق كثيرة .

(٣) قوله : « قال أحمد عن ثلاثة من أصحاب النبي ﷺ » أي صح قتل الساحر عن ثلاثة يعني : عمر، وحفصة، وجندب - رضي الله عنهم - .

* (ص / ٣٣٣) .

** أخرجه عبد الله بن أحمد في المسائل (١٥٤٣)، والبيهقي (١٣٦ / ٨)، ومالك في الموطأ (٨٧١) .

باب ٢٥-

بيان شيء من أنواع السحر^(١)

قال أحمد : حدثنا محمد بن جعفر^(٢) ، حدثنا عوف ، عن حيّان بن العلاء، حدثنا قطن بن قبيصة ، عن أبيه أنه سمع رسول الله ﷺ قال :

(١) قوله « باب بيان شيء من أنواع السحر » لما ذكر المصنف السحر وما جاء فيه وأنه كفرٌ، وأنه يجب قتل الساحر، ناسب أن يذكر شيئاً من أنواعه لكثرة وقوعها وخفائها، حتى اعتقد كثير من الناس أن من صدرت منه هذه الأمور من الأولياء، وعدّوها من كرامات الأولياء، وليس كل من جرى على يده شيء من خوارق العادة يكون ولياً لله؛ لأن العادة تنخرق بفعل الساحر والمشعوذ وخبر المنجم والكاهن بشيء من الغيب مما يخبره به الشياطين المسترقون للسمع، فأولياء الله هم المتبعون للرسول ﷺ باطناً وظاهراً ، ومن كان بخلاف ذلك فليس بمؤمن فضلاً عن أن يكون ولياً لله تعالى، فلو أن الرجل طار في الهواء أو مشى على الماء لم يغتر به حتى يُنظر متابعتة لرسول الله ﷺ وموافقته لأمره ونهيه .

(٢) قوله : « قال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر » هو المشهور بغندر الهذلي البصري، ثقة مشهور، مات سنة ست ومائتين أو سبع وأربعين ومائتين وله ست وثمانون سنة، « عن عوف » : هو ابن أبي جميلة بفتح الجيم، العبدي البصري المعروف بعوف الأعرابي، ثقة، مات سنة ست ومائتين « عن حيّان » بالثناة التحتية « ابن العلاء » ويقال حيّان بن مخارق أبو العلاء البصري، مقبول، « حدثنا قطن » بفتح قطن أبو سهل البصري، صدوق « بن قبيصة عن أبيه » قبيصة بفتح أوله وكسر الموحدة ابن المخارق بضم الميم وتخفيف المعجمة، أبو عبد الله الهلالي، صحابي نزل البصرة .

«إن العيافة والطرق والطيرة من الجبت»^(١) .

قال عوف : العيافة : زجر الطير ، والطرق : الخطُّ يُخطُّ بالأرض .
والجبت^(٢) قال الحسن : رئة الشيطان . إسناده جيد . ولأبي داود
والنسائي وابن حبان في صحيحه المسند منه^(٣) .

(١) قوله : « إنه سمع النبي ﷺ قال : « إن العيافة والطرق والطيرة من الجبت » * . قال
عوف : العيافة : زجر الطير» وفي «النهاية» [٢٩٧/٣]: زجر الطير والتفاؤل بأسمائها
وأصواتها وممرها . وهو من عادات العرب وهو كثير في أشعارهم . يقال : عاف
يعيف عيفاً، إذا زجر وحده وذن . وبنو أسد يُذكرون بالعيافة ويوصفون بها .
«والطرق» قال عوف : «الخطُّ يُخطُّ بالأرض» . وفي «النهاية» [١١١/٣]: الطرق :
الضرب بالحصى الذي يفعله النساء، وقيل : هو الخطُّ في الرمل .

(٢) قوله : « والجبت قال الحسن : رئة الشيطان . إسناده حسن » .

(٣) قوله : « ولأبي داود والنسائي وابن حبان في صحيحه المسند منه » أي من
الحديث دون تفسير عوف، وقد رواه أبو داود في التفسير دون كلام الحسن
وذكر إبراهيم بن مفلح أن في تفسير بقي بن مخلد أن إبليس رنَّ أربع رنات :
رئة حين لعن، ورنة حين أهبط، ورئة حين وُلد رسول الله ﷺ ، ورنة حين
أنزلت فاتحة الكتاب . وقال سعيد بن جبير : لما لعن إبليس تغيرت صورته
عن صور الملائكة، ورنَّ رنة فكل رنة في الدنيا منها إلى يوم القيامة . رواه ابن
أبي حاتم، وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : لما فتح رسول الله ﷺ
مكة رنَّ إبليس رئة اجتمعت إليه جنوده . رواه الحافظ الضياء في « المختارة » .
والرنين : الصوت ، وقد رنَّ يرن رنيناً . وبهذا يظهر معنى قول الحسن رحمه

* أخرجه أبو داود (٣٩٠٧) ، والنسائي في الكبرى (٢٧٥/٨) ، وأحمد (٤٧٧/٣) ، (٦٠/٥) .

قال الألباني : ضعيف . انظر : ضعيف سنن أبي داود (ص/٣٨٧) ، رقم (٨٤٢) .

وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - ^(١) قال : قال رسول الله ﷺ : « من اقتبس شعبةً من النجوم فقد اقتبس شعبةً من السحر ^(٢) ، زاد ما زاد ^(٣) » . رواه أبو داود وإسناده صحيح .

وللنسائي ^(٤) من حديث أبي هريرة : « من عقّد عقلةً ثم نفث فيها فقد

الله تعالى . وفيه : أن العيافة والطرق والطيبة من الجبت ، ومعرفة تفسير العيافة والطرق والطيبة . قاله المصنف .

(١) قوله : « وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « من اقتبس شعبةً من النجوم » أي طائفةً من علم النجوم ، قال في « النهاية » [٤/٤] : قَبَسْتُ الْعِلْمَ وَاقْتَبَسْتَهُ إِذَا تَعَلَّمْتَهُ .

(٢) قوله : « فقد اقتبس شعبةً من السحر »* المحرم تعلمه ، قال شيخ الإسلام [الفتاوى ١٩٣/٣٥] : فقد صرّح رسول الله ﷺ بأن علم النجوم من السحر ، وقال تعالى : ﴿ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَفَى ﴾ [طه : ٦٩] .

(٣) قوله : « زاد ما زاد » رواه أبو داود وإسناده صحيح أي : كلما زاد من تعلم علم النجوم ، زاد في الإثم الحاصل بزيادة الاقتباس من شعبه ، فإن ما يعتقده في النجوم من التأثير باطل ، كما أن تأثير السحر باطل . قاله في « فتح المجيد »** . وفيه : أنّ علم النجوم من أنواع السحر . قاله المصنف رحمه الله تعالى .

(٤) قوله : « وللنسائي » وهو الإمام الحافظ أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن صاحب السنن وغيرها ، كان إليه المنتهى في العلم بعلل الحديث ، مات سنة ثلاث وثلاثمائة وله ثمان وثمانون سنة - رحمه الله تعالى - : « من حديث أبي هريرة

* أخرجه أبو داود (٣٩٠٥) ، وابن ماجه (٣٧٢٦) ، وأحمد (١/٢٢٧ ، ٣١١) . والحديث

حسنه الألباني . انظر : صحيح سنن أبي داود (٧٣٩/٢) رقم (٣٣٠٥) .

** (٤٨١/٢) .

سَحَرَ، وَمَنْ سَحَرَ فَقَدْ أَشْرَكَ^(١) ، وَمَنْ تَعَلَّقَ شَيْئاً وَكَلَّ إِلَيْهِ^(٢) .

وعن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال : « أَلَا هَلْ أَنْبَيْتُمْ مَا الْعَصْفَةُ؟ هِيَ النَّمِيمَةُ ، الْقَالَةُ بَيْنَ النَّاسِ » . رواه مسلم^(٣) .

ﷺ « من عقد عقدة ثم نفث فيها فقد سحر » * اعلم أن السحرة إذا أرادوا عمل السحر عقدوا الخيوط ونفثوا في كل عقدة حتى ينعقد ما يريدون من السحر، قال الله تعالى : ﴿ وَمِنْ شَكْرِ أَنْفَعْتِ فِي الْمَقَدِ ﴾ [العلق : ٤] يعني السواحر اللاتي يفعلن ذلك ، والنفث هو النفخ مع الريق وهو دون التفل ، والنفث فعل الساحر، فإذا تكيفت نفسه بالخبث والشر الذي يريده بالمسحور ويستعين عليه بالأرواح الخبيثة نفخ في تلك العقدة نفخاً مع ريق ممازج فيخرج من نفسه الخبيث نفساً ممازج للشر والأذى مقارن للريق الممازج لذلك ، وقد يتساعد هو والروح الشيطانية على أذى المسحور، فيصيبه بإذن الله الكوني القدرى لا الشرعي . قاله ابن القيم رحمه الله تعالى [بدائع الفوائد ٢/٢٢١] .

وفيه : أن العقد مع النفث من أنواع السحر . قاله المصنف رحمه الله تعالى .

(١) قوله : « ومن سحر فقد أشرك » نص في أن الساحر مشرك، ولا يتأثر السحر بدون الشرك كما حكاه الحافظ ابن حجر عن بعضهم .

(٢) قوله : « ومن تعلق شيئاً وكل إليه » أي من تعلق قلبه شيئاً بحيث يعتمد عليه وكله الله إلى ذلك الشيء، فمن تعلق على ربه وإلهه وسيده ومولاه كفاه ووقاه وحفظه وتولاه، فنعم المولى ونعم النصير ، ومن تعلق على السحرة والشياطين وغيرهم من المخلوقين وكله الله إلى من تعلقه ، فهلك .

(٣) قوله : « وعن ابن مسعود ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : « أَلَا هَلْ أَنْبَيْتُمْ مَا الْعَصْفَةُ :

* أخرجه النسائي (١١٢/٧) ، تقدم تخريجه .

هي النميمة، القالة بين الناس . رواه مسلم* . والعَضَةُ بفتح المهملة وسكون المعجمة. قال أبوالسعادات [النهاية ٣/ ٢٣٠-٢٣١] : « هكذا يروى في كتب الحديث والذي في كتب الغريب « ألا أنبئكم ما العِضَةُ » بكسر العين وفتح الضاد، ومنه الحديث : «لعن الله العَاضِيَةَ والمُسْتَعْضِيَةَ» قيل : هي الساحرة والمستسحرة ، وسُمي السحر عَضُهاً لأنه كذب وتخيل لا حقيقة له، قال الزمخشري : أصلها العِضَةُ فعلة من العَضَةُ وهو البهتُ فحُذفت لامه كما حُذفت من السُنَّة والشَّفَّة ويجمع على عِضِينَ» ثم فسره بقوله « هي النميمة القالة بين الناس» فأطلق عليها العضة لأنها لا تنفك عن الكذب والبهتان غالباً. ذكره القرطبي، وذكر ابن عبد البر عن يحيى بن أبي كثير قال : «يفسد النمام والكذاب في ساعة ما لا يفسد الساحر في سنة». وقال أبو الخطاب في «عيون المسائل» : « ومن السحر السعي بالنميمة والإفساد بين الناس » . قال في « الفروع » [١٨٠/٦] : « ووجهه أن يقصد الأذى بكلامه وعمله على وجه المكر والحيلة أشبه السحر ، وهذا يُعرف بالعرف و العادة أنه يؤثر وينتج ما يعمله الساحر أو أكثر فيُعطى حكمة تسوية بين المتماثلين أو المتقاربين. لكن يقال : إن الساحر إنما يكفر لو وصف السحر وهو أمر خاص ودليله خاص وهذا ليس بساحر وإنما يؤثر عمله ما يؤثره السحر فيُعطى حكمه إلا فيما اختص به من الكفر وعدم قبول التوبة». انتهى ملخصاً. وبه يظهر مطابقة الحديث للترجمة . قاله في « الشرح »** . وقال أبو محمد ابن حزم [مراتب الإجماع ١٥٦] : «اتفقوا على تحريم الغيبة والنميمة في غير النصيحة الواجبة، وفيه دليل على أنها من الكبائر». وفيه : دليل على أنها من السحر. قاله المصنف رحمه الله تعالى .

* أخرجه مسلم (٢٦٠٦) .

** (ص/ ٣٤٥) .

ولهما عن ابن عمر - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال : « إن من البيان لسحراً »^(١) .

وقوله : « القالة بين الناس » قال ابن الأثير [النهاية ٤/١٠٧] : « أي كثرة القول ، وإيقاع الخصومات بين الناس بما يُحكى لبعضهم عن بعض ». ومنه : الحديث : « فشت القالة بين الناس » * .

(١) قوله : « ولهما » أي البخاري ومسلم « عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « إن من البيان لسحراً » * البيان : البلاغة والفصاحة . قال صعصعة ابن صوحان : صدق نبي الله ، فإن الرجل يكون عليه الحق ، وهو الخن بالحجج من صاحب الحق ، فيسحر القوم ببيانه فيذهب الحق . وسبب قول النبي ﷺ هذا ما رواه أبو بكر الرازي عن محمد بن الزبير قال : قدم على النبي ﷺ الزبيرقان بن بدر وعمرو بن الأهتم وقيس بن عاصم فقال لعمر : « أخبرني عن الزبيرقان » قال : فقال مطاع في ناديه ، شديد العارضة ، مانع لما وراء ظهره . فقال الزبيرقان : هو والله يعلم أنني أفضل منه . فقال عمرو : إنه ذمير المروءة ، ضيق العطن ، حمق الأب ، لئيم الخال ، يا رسول الله صدقت فيهما ، أرضاني فقلت أحسن ما علمت ، وأسخطني فقلت أسوأ ما علمت . فقال عليه السلام : « إن من البيان لسحراً » . انتهى .

قال ابن عبد البر : « تأوله طائفة على الذم لأن السحر مذموم ، وذكر أهل العلم وجماعة أهل الأدب أنه على المدح ؛ لأن الله تعالى مدح البيان ، والأول

* أخرجه البخاري (٢٥٠٦) .

** تقدم تخريجه .



أصح ، والمراد بالبيان الذي فيه تمويه على السامع وتلبيس ، وهذا من التشبيه البليغ لكون ذلك يعمل عمل السحر فيجعل الحق في قالب الباطل، والباطل في قالب الحق ، وفي الحديث : « إن الله يغيض البليغ من الرجال الذي يتخلل بلسانه كما تخلل البقرة بلسانها »* . رواه أحمد وأبو داود . قال في « النهاية » [٢ / ٧٠] : « هو الذي يتشددق في الكلام ويُفحّم به لسانه ويلفه كما تلف البقرة الكلاً بلسانها لفاً » . انتهى . وأما البيان الذي يوضح الحق ويقرره ويبطل الباطل ويبيّنه فهذا هو الممدوح . وفيه : أن بعض الفصاحة من السحر .

* أخرجه أبو داود (٥٠٠٥)، والترمذي (٢٨٥٧) وقال : حديث حسن . وقال الألباني : صحيح . انظر : صحيح سنن أبي داود (٣/٩٤٤) رقم (٤١٨٥) .

٣٦- باب

(١) ما جاء في الكهان ونحوهم

روى مسلم في صحيحه عن بعض أزواج النبي ﷺ^(٢) عن النبي ﷺ قال :
« من أتى عرافاً^(٣) فسأله عن شيء فصدقه ، لم تقبل له صلاة أربعين يوماً^(٤) » .

(١) قوله : « باب ما جاء في الكهان ونحوهم » قال في « النهاية » [١٨٦/٤] : الكاهن الذي يتعاطى الخبر عن الكائنات في مستقبل الزمان ويدعي معرفة الأسرار، فمنهم من كان يزعم أن له تابعاً من الجن ورئياً يلقي إليه الأخبار ، ومنهم من كان يزعم أنه يعرف الأمور بمقدمات أسباب يستدل بها على مواقعها من كلام من يسأله أو فعله أو حاله، وهذا يخصونه بالعراف، كالذي يدعي معرفة الشيء المسروق ومكان الضالة ونحوهما . «والكهان الذين يأخذون عن مسترق السمع موجودون اليوم لكنهم قليل بالنسبة لما كانوا عليه في الجاهلية؛ لأن الله حرس السماء بالشهب» . قاله في « الشرح »* . وأكثر ما يقع في هذه الأمة : ما يخبر به الجن أولياءهم من الإنس عن الأشياء الغائبة مما يقع في الأرض من الأخبار ، فيظنه الجاهل كشفاً وكرامة، وقد اغتر بذلك كثير من الناس، يظنون المخبر لهم بذلك عن الجن ولياً لله، وهو من أولياء الشيطان .
قاله في « فتح المجيد »** .

(٢) قوله « روى مسلم في صحيحه عن بعض أزواج النبي ﷺ » وهي حفصة بنت عمر بن الخطاب - رضي الله عنهما - ذكره أبو مسعود الثقفي؛ لأنه ذكر هذا الحديث في الأطراف في مسندها .

(٣) قوله : « عن النبي ﷺ أنه قال : « من أتى عرافاً » وسيأتي بيان العراف .

(٤) قوله : « فسأله عن شيء فصدقه لم تقبل له صلاة أربعين يوماً*** » قال في

* انظر : (ص/٣٤٦) .

** (٤٨٧/٢) .

*** أخرجه مسلم (٢٢٣٠) ، وأحمد (٦٨/٤) (٣٨٠/٥) .

وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « من أتى كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ » . رواه أبو داود^(١) .

« الشرح »* : ليس في رواية مسلم « فصدقه » وظاهر الحديث أن الوعيد مرتب على مجيئه وسؤاله سواء صدقه أو شك في خبره ، فإن في بعض روايات الصحيح « من أتى عرافاً فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة»** . قال النووي وغيره : معناه لا ثواب له فيها ، وإن كانت مجزئة بسقوط الفرض عنه . ولا بد من هذا التأويل في هذا الحديث ، فإن العلماء متفقون على أنه لا يلزم من أتى العراف إعادة صلاة أربعين ليلة . انتهى ملخصاً .

قلت : وفي هذا التأويل الذي ذكره نظر؛ لحديث عائشة عن النبي ﷺ أنه قال : « لا يقبل الله صلاة حائض إلا بخمار»*** . رواه أبو داود ، والأصل في نفي القبول نفي الصحة إلا بدليل ، وإذا لم تكن صحيحة لم تكن مجزئة .

وفي الحديث النهي عن إتيان الكهان ونحوهم . قال القرطبي : « يجب على من قدر على ذلك من محتسب وغيره أن يقيم من يتعاطى شيئاً من ذلك من الأسواق وينكر عليهم أشد النكير وعلى من يجيء إليهم ، ولا يغتر بصدقهم في بعض الأمور ولا بكثرة من يجيء إليهم ممن ينتسب إلى العلم فإنهم غير راسخين في العلم، بل من الجهال بما في إتيانهم من المحذور » .

(١) قوله : « وعن أبي هريرة ؓ عن رسول الله ﷺ قال : « من أتى كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ » . رواه أبو داود»**** . وهذا الحديث

* (ص/٣٤٧) .

** سبق تخريجه قريباً .

*** أخرجه أبو داود (٦٤١)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (١/١٢٦)، رقم (٥٩٦) .

**** أخرجه أبو داود (٣٩٠٤)، والنسائي في الكبرى (١٣٠، ١٣١)، والترمذي (١٣٥)، وابن

ماجه (٦٣٩)، وأحمد (٤٠٨/٢، ٤٧٦)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢/

٧٣٩) رقم (٣٣٠٤) .

وللأربعة ، والحاكم وقال : صحيح على شرطهما عن [] : « من أتى
عراًفاً أو كاهناً فصدّقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ ^(١) » .

اختصره المصنف واقتصر منه على ما يناسب الترجمة، قال في « الشرح »* .
« رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه بنحوه ، وقال الترمذي : لا نعرفه إلا من
حديث حكيم الأثرم ، وضعف محمد هذا الحديث من جهة إسناده . وقال
البغوي : سنده ضعيف . وقال الذهبي : ليس إسناده بالقائم . وأطال أبوالفتح
اليعمري في بيان ضعفه وادّعى أن متنه منكر، وأخطأ في ذلك ، فإن إتيان
الكاهن له شواهد صحيحة ، وكذا إتيان المرأة في الدبر له شواهد ، وغاية ما
ينكر من متنه إتيان الحائض . والله أعلم » .

(١) قوله : « وللأربعة ، والحاكم وقال : صحيح على شرطهما عن [] : « من أتى
عراًفاً أو كاهناً فصدّقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ »** هكذا بيّضَ
المصنفُ لاسم الرواي . وقد رواه الإمام أحمد والبيهقي والحاكم عن أبي هريرة
رضي الله عنه مرفوعاً ، فعزو المصنف إلى الأربعة ليس كذلك ، فإنه لم يروه أحد ، وأظنه
اتبع في ذلك الحافظ ابن حجر، فإنه عزاه في « الفتح » إلى أصحاب السنن والحاكم
فوهيم، ولعله أراد الذي قبله . قاله في « الشرح »*** .

وقوله « من أتى كاهناً » لا تعارض بين هذا وبين حديث « من أتى عراًفاً فسأله
عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة » هذا على قول من يقول هو كفر دون
كفر، أما على قول من يقول بظاهر الحديث فيسأل عن وجه الجمع

* (ص/٣٤٩) .

** أخرجه أحمد (٩٥١٥)، والحاكم (٨/١) وعنه البيهقي (٨/١٣٥)، قال الألباني : صحيح .
انظر : صحيح الجامع (ص/١٠٣١) رقم (٥٩٣٩) .

*** (ص/٣٤٩) .

ولأبي يعلى^(١) بسندٍ جيد عن ابن مسعود مثله موقوفاً^(٢) .

بين الحديثين . وظاهر الحديث أن يكفر متى اعتقد صدقه بأي وجه كان . قاله في «فتح المجيد» . قال في «الشرح»** : «الذي فيه الوعيد بعدم قبول الصلاة أربعين ليلة ليس فيه ذكر تصديقه، والأحاديث التي فيها إطلاق الكفر مقيدة بتصديقه .»
وقوله : « فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ » قال القرطبي : « المراد بالمنزل على محمد : الكتاب والسنة . انتهى . وفيه : أنه لا يجتمع تصديق الكاهن مع الإيمان بالقرآن والتصريح بأنه كفر . قاله المصنف رحمه الله .
* وهل الكفر في هذا الموضع كفر دون كفر ؟ أو يجب التوقف ؟ ولا يقال ينقل عن الملة أو لا ينقل الملة ؟
وهذا أشهر الروايتين عن أحمد رحمه الله تعالى .

(١) قوله : « ولأبي يعلى » وهو أحمد بن علي بن المثنى الموصلي الإمام صاحب التصانيف كالمسند وغيره ، روى عن يحيى بن معين وأبي خيثمة وأبي بكر بن أبي شيبة وخلق ، وكان من الأئمة الحفاظ ، مات سنة سبع وثلاثمائة .
(٢) قوله : « بسند جيد عن ابن مسعود مثله موقوفاً » ورواه أيضاً البزار وإسناده على شرط مسلم ولفظه : « من أتى كاهناً أو ساحراً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ »*** . وفيه : دليل على كفر الكاهن والساحر والمصدق لهما في ذلك ؛ لأنهما يدعيان لهما علم الغيب وذلك كفر، والمصدق لهما يعتقد ذلك ويرضى به، وذلك كفر أيضاً . قاله في «الشرح»**** .

* (٤٩٠/٢) .

** (ص/٣٥٠) .

*** أخرجه البزار (٤٤٣/٢ - كشف الأستار) رقم (٢٠٦٧)، والبيهقي (١٣٦/٨)، والطبراني في

الكبير (١٠) رقم (١٠٠٠٥)، وقال عنه الحافظ في الفتح (٢١٧/١٠) : إسناده جيد .

**** (ص/٣٥٠-٣٥١) .

وعن عمران بن حصّين مرفوعاً^(١) : « ليس منا من تُطِير أو تُطِير له ، أو تُكْهِن أو تُكْهِن له ، أو سَحَرَ أو سُحِرَ له ، ومن أتى كاهناً فصدّقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ »^(٢) . رواه البزار بإسناد جيد^(٣) ، ورواه الطبراني في الأوسط بإسناد حسن من حديث ابن عباس دون قوله «ومن أتى ..» إلى آخره .

(١) قوله : « وعن عمران بن حصّين مرفوعاً » إلى النبي ﷺ : « ليس منا من تطير أو تطير له ، أو تكهن أو تكهن له ، أو سحر أو سحر له » * فيه دليل على نفي الإيمان الواجب ، وهذا لا ينافي ما تقدم من أن الطيرة شرك والكهانة كفر . قاله في «قرة العيون» * . وفيه : وعيد شديد على أن هذه الأمور من الكبائر ، وتقدم أن الكهانة والسحر كفر .

قوله : « من تطير » أي فعل الطيرة « أو تطير له » أي عملت له الطيرة « أو تكهن » أي عمل الكهانة « أو تكهن له » أي عملت له الكهانة ، « أو سحر » أي عمل السحر ، « أو سحر له » أي عمل له السحر : فكل من فعل هذه الأمور أو عملت له فقد برئ منه رسول الله ﷺ ، لكونها إما شركاً كالطيرة ، أو كفراً كالكهانة والسحر ، فمن فعل ذلك أو فعل له ورضي به فهو كالفاعل ؛ لقبوله الباطل واتباعه . قاله في «فتح المجيد» * .

(٢) قوله : « ومن أتى كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ » والذي أنزل على محمد هو الكتاب والسنة .

(٣) قوله : « رواه البزار بإسناد جيد » والبزار هو : أحمد بن عمر بن عبد الخالق ، أبو بكر البزار البصري صاحب «المسند الكبير» . روى عن ابن بشار

* أخرجه البزار كما في الترغيب (٣٣٤) ، وقال الألباني : صحيح لغيره . انظر : صحيح الترغيب (٣/١٧٠) رقم (٣٠٤١) .

** (ص/١٤٧) .

*** (٢/٤٩١-٤٩٢) .

قال البغوي^(١) : العرَّافُ : الذي يدَّعي معرفة الأمور بمقدمات يُستدلُّ بها على المسروق ومكان الضالَّة^(٢) ونحو ذلك . وقيل : هو الكاهن .

وابن المثنى وخلق، مات سنة اثنتين وتسعين ومائتين . ورواه الطبراني في «الأوسط» بإسناد حسن من حديث ابن عباس دون قوله «ومن أتى» إلخ .
قاله في «الشرح»* .

(١) قوله : «قال البغوي» بفتحين ، وهو الحسين بن مسعود الفراء الشافعي، صاحب التصانيف وعالم أهل خراسان ، كان ثقة فقيهاً زاهداً، مات في شوال سنة ست عشرة وخمسمائة - رحمه الله تعالى - .

(٢) قوله : «العرَّاف الذي يدعي معرفة الأمور بمقدمات يستدل بها على المسروق ومكان الضالَّة ونحو ذلك . وقيل : هو الكاهن، والكاهن الذي يُخبر عن المغيَّبات في المستقبل . وقيل : الذي يُخبر عما في الضمير . وقال أبوالعباس أحمد « ابن عبدالحليم بن عبدالسلام (ابن تيمية) الإمام المشهور - رحمه الله ورضي عنه - : «العراف : اسم الكاهن والمنجم والرَّمال والمخوم عن يتكلم في معرفة الأمور بهذه الطرق كالحازِر الذي يدعي الكشف» . وقال أيضاً [الفتاوى ١٧٣/٣٥، ١٩٣] : «والمنجم يدخل في اسم العرَّاف ، وعند بعضهم هو معناه ، ويدخل في اسم الكاهن عند الخطَّابي وغيره من العلماء ، وحكى ذلك عن العرب، وعند آخرين هو من جنس الكاهن وأسوأ حالاً منه فيلحق به من جهة المعنى» . وقال الإمام أحمد : العرافة طرف من السحر والساحر أخبث وكل هذه الأمور يُسمى صاحبها كاهناً وعرافاً أو في معناهما ، فمن أتاهم فصدَّقهم بما يقولون لحقه الوعيد. وفيه: معرفة الفرق بين الكاهن والعرَّاف. قاله المصنف رحمه الله.

والكاهن : هو الذي يخبر عن المغيبات في المستقبل . وقيل : الذي يخبرُ عمّا في الضمير .

وقال أبو العباس ابن تيمية : العرّافُ اسمٌ للكاهن والمنجم والرمال ونحوهم، ممن يتكلم في معرفة الأمور بهذه الطرق .

وقال ابن عباس في قوم يكتبون «أبا جاد»^(١) وينظرون في النجوم : ما

وقد ورث هذه العلوم عنهم أقوامٌ فادّعوا بها علم الغيب الذي استأثر الله بعلمه وادّعوا أنهم أولياء وأن ذلك كرامة، ولا ريب أن من ادّعى الولاية واستدل بإخباره ببعض المغيبات فهو من أولياء الشيطان لا من أولياء الرحمن . إذ الكرامة أمرٌ يجريه الله على يد عبده المؤمن التقي إما بدعاء أو أعمال صالحة لا صنع للولي فيها ولا قدرة له عليها بخلاف من يدّعي أنه ولي ويقول للناس اعلموا أنني أعلم الغيب، وحسبك بحال الصحابة والتابعين - رضي الله عنهم - وهم سادات الأولياء، أفكان عندهم في هذه الدعاوى شيء ؟ حاشا وكلا . ويكفيك في صفات الأولياء ما ذكره الله عنهم في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُتَّقُونَ ﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٥﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٦﴾ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَاوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٥٧﴾ أُولَٰئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْحَزَنِ هُمْ لَهَا سَنِقُونَ ﴿٥٨﴾ [المؤمنون : ٥٧-٦١] وغيرها من الآيات ، فالمتصفون بتلك الصفات هم الأولياء الأصفياء لا أهل الدعاوى والكذب ومنازعة رب العالمين فيما اختص به من الكبرياء والعظمة وعلم الغيب ، بل مجرد دعوى علم الغيب كفر ، فكيف يكون المدعي لذلك ولياً لله ؟!

(١) قوله : « وقال ابن عباس في قوم يكتبون أبا جاد وينظرون في النجوم : ما أرى من فعل ذلك له عند الله من خلاق » هذا الأثر رواه الطبراني عن ابن عباس مرفوعاً وإسناده ضعيف ولفظه : « رب متعلم حروف أبي جاد دارس في النجوم ليس

أرى من فعل ذلك له عند الله من خلاق .



له عند الله خلاق يوم القيامة* . ورواه حميد بن زنجويه عنه بلفظ «رَبُّ ناظرٍ في النجوم ومتعلم حروف أبي جاد وليس له عند الله خلاق» .
 وقوله : « ما أرى » يجوز بفتح الهمزة بمعنى : لا أعلم . ويجوز ضمها بمعنى : لا أظن . وكتابة أبي جاد وتعلمها لمن يدعي بها علم الغيب هو الذي يُسمى علم الحرف، وهو الذي جاء فيه الوعيد ، فأما تعلمها للتهجي وحساب الجُمْل فلا بأس به .

وقوله : « وينظرون في النجوم » ويعتقدون أن لها تأثيراً كما سيأتي في باب التنجيم . وفيه : ذكر من تُكهن له ، وذكر من تُطير له ، وذكر من سُحر له ، وذكر من تعلم أباجاد . قاله المصنف رحمه الله تعالى .

* أخرجه الطبراني في الكبير رقم (١٠٩٨٠) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١١٧/٥) . وفيه خالد بن يزيد العُمري ، وهو كذاب . انظر فتح المجدد (٤٩٧/٢) بتحقيق الدكتور/ الوليد الفريان - حفظه الله - .

باب ٢٧

ما جاء في النشرة^(١)

عن جابر^(٢) أن رسول الله ﷺ سئل عن النشرة فقال : « هي من عمل الشيطان » . رواه أحمد بسند جيد ، وأبوداود وقال : سئل أحمد عنها فقال : ابن مسعود يكره هذا كله .

(١) قوله : « باب ما جاء في النشرة » النشرة : بضم النون كما في « القاموس » ، قال في « النهاية » [٤٧-٤٦/٥] : « النشرة ضرب من العلاج والرقية يعالج به من يُظنُّ أن به مسأً من الجن، سُميت نُشرة لأنه ينشر بها عنه ما خامره من الداء، أي يُكشف ويُزال. قال الحسن : النشرة من السحر، وقد نُشرت عنه تنشيراً ، ومنه الحديث : « لعلَّ طباً أصابه » ثم نُشره بقل أعود برب الناس « أي رقاها » . انتهى . وقال ابن الجوزي [غريب الحديث ٢/٤٠٨] : «النشرة حل السحر عن المسحور، ولا يكاد يقدر عليه إلا من يعرف السحر» .

(٢) قوله : « عن جابر ﷺ أن رسول الله ﷺ سئل عن النشرة فقال : « هي من عمل الشيطان » . رواه أحمد بسند جيد وأبوداود»* .

قوله : « سئل عن النشرة » والألف واللام في النشرة للعهد، أي النشرة المعهودة ، التي كان أهل الجاهلية يصنعونها، هي من عمل الشيطان « وقال أبوداود : سئل أحمد عنها . فقال : ابن مسعود يكره هذا كله » . أراد أحمد أن ابن مسعود يكره النشرة التي هي من عمل الشيطان كما يكره تعليق التمام مطلقاً . قاله في «فتح المجيد»** .

* أبوداود (٣٨٦٨) ، وأحمد (٢٩٤/٣) ، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٧٣٣/٢) رقم (٣٢٧٧) .

** (٥٠٠/٢) .

وفي البخاري عن قتادة^(١) قلت لابن المسيب^(٢) : رجلٌ به طِبُّ^(٣) أو يُؤخِّدُ^(٤) عن امرأته ، أَيَحَلُّ^(٥) عنه ، أو يُنْشُرُ^(٦) ؟ قال : لا بأسَ به ، إنما يريدون به الإصلاح ، فأما ما ينفَعُ فلم يُنَّه عنه . انتهى .

قلت : والكراهة في عرف السلف كراهة التحريم . أما النشرة بالتعويد والرقي بأسماء الله وكلامه من غير تعليق ، فلا أعلم أحداً كرهه . قاله في «الشرح» .

(١) قوله : « وللبخاري عن قتادة » وهو ابن دِعَامَةَ - بكسر الدال - السدوسي ، ثقة فقيه من أحفظ التابعين ، قالوا : إنه وُلِدَ أكمه ، مات سنة بضع عشر ومائة .

(٢) قوله : « قلت لابن المسيب » وهو سعيد بن المسيب .

(٣) قوله : « رجلٌ به طِبُّ » بكسر الطاء ، أي : سحر . يقال : طَبُّ الرجلُ بالضم إذا سَحَرَ ، ويقال : كنوا عن السحر بالطب تفاؤلاً كما يقال للديغ : سليم . وقال ابن الأنباري [كتاب الأضداد (٢٣١)] : الطب من الأضداد ، يقال لعلاج الداء طب والسحر من الداء يقال له طب .

(٤) قوله : « أو يُؤخِّدُ » بفتح الواو مهموزة وتشديد الحاء المعجمة وبعدها ذال معجمة ، أي يجبس عن امرأته فلا يصل على جماعها ، والأخذة بضم الهمزة : الكلام الذي يقوله الساحر .

(٥) قوله : « أَيَحَلُّ عنه ؟ » بضم الياء وفتح الحاء ، مبني للمفعول .

(٦) قوله : « أو يُنْشُرُ » بتشديد المعجمة « قال : لا بأسَ به » يعني أن النشرة لا بأسَ بها « لأنهم يريدون بها الإصلاح » أي إزالة السحر ولم يمهله عما يراد به الإصلاح ، وهذا من ابن المسيب يُحْمَلُ على نوع من النشرة لا يُعْلَمُ أنه سحر .

وروي عن الحسن^(١) أنه قال : لا يَحُلُّ السُّحْرُ إِلَّا سَاحِرٌ .

قال ابن القيم : «النُّشْرَةُ حَلُّ السُّحْرِ عَنِ الْمَسْحُورِ ، وَهِيَ نَوْعَانُ : حَلُّ بِسِحْرِ مِثْلِهِ ، وَهُوَ الَّذِي مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ ، وَعَلَيْهِ يُحْمَلُ قَوْلُ الْحَسَنِ ، فَيَتَقَرَّبُ النَّاشِرُ وَالْمُنْتَشِرُ إِلَى الشَّيْطَانِ بِمَا يَجِبُ ، فَيَبْطُلُ عَمَلُهُ عَنِ الْمَسْحُورِ . وَالثَّانِي : النُّشْرَةُ بِالرُّقِيَّةِ وَالتَّعَوُّذَاتِ وَالْأَدْوِيَّةِ وَالدَّعَوَاتِ الْمُبَاحَةِ ، فَهَذَا جَائِزٌ»^(٢) .

(١) قوله : « وروي عن الحسن » وهو ابن أبي الحسن واسمه يسار - بالتحية والمهمله - البصري الأنصاري مولا هم ، ثقة فقيه إمام من خيار التابعين ، مات سنة عشر ومائة - رحمه الله - وقد قارب التسعين « أنه لا يحل السحر إلا ساحر » هذا الأثر رواه ابن الجوزي في «جامع المسانيد» .

(٢) قوله : « قال ابن القيم » رحمه الله تعالى « النشرة : حل السحر عن المسحور، وهي نوعان : حلٌ بسحرٍ مثله، وهو الذي من عمل الشيطان ، وعليه يُحْمَلُ قَوْلُ الْحَسَنِ ، فَيَتَقَرَّبُ النَّاشِرُ وَالْمُنْتَشِرُ إِلَى الشَّيْطَانِ بِمَا يَجِبُ ، فَيَبْطُلُ عَمَلُهُ عَنِ الْمَسْحُورِ . وَالثَّانِي : النُّشْرَةُ بِالرُّقِيَّةِ وَالتَّعَوُّذَاتِ وَالْأَدْوِيَّةِ وَالدَّعَوَاتِ الْمُبَاحَةِ ، فَهَذَا جَائِزٌ » . ومما جاء في صفة النشرة الجائزة ما رواه ابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن ليث بن أبي سليم قال : بلغني أن هؤلاء الآيات شفاء من السحر بإذن الله تُقرأ في إناء ثم يُصب على رأس المسحور الآية التي في سورة يونس ﴿ فَلَمَّا أَتَقَوْا قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يَصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ وَيُحَى اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴿ ، وقوله في سورة الأعراف : ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْكُونَ ﴾ فَوَقَّعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿ فَعَلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَغِيرِينَ ﴾ وَأَلْقَىٰ

* * *

السَّحَرَةُ سَجِدِينَ ﴿٦٦﴾ قَالُوا ءَامَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٧﴾ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴿٦٨﴾ ، وقوله في سورة طه : ﴿ وَالَّذِي مَا فِي يَمِينِكَ لَلْكَفِّ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سِحْرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَقْبَلَ ﴾ ﴿٦٩﴾ . وفي كتاب وهب بن منبه أنه يؤخذ سبع ورقات من سدر أخضر فيدق بين حجرين ثم يضره بالماء ويقرأ فيه آية الكرسي والقواقل ثم يحسو منه ثلاث حسوات ثم يغتسل به يذهب عنه كل ما به ، وهو جيد للرجل إذا حُبس عن أهله . وفيه : النهي عن النشرة ، والفرق بين المنهي عنه والمرخص فيه مما يزيل الإشكال . قاله المصنف رحمه الله تعالى .

باب - ٢٨

ما جاء في التطير^(١)

وقول الله تعالى : ﴿ أَلَا إِنَّمَا طَّيَّرْتَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ ^(٢) وَلَكِنْ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف : ١٣١] .

(١) قوله : « باب ما جاء في التطير » أي من النهي عنه والوعيد فيه . التطير : مصدر تطير يتطير تطيراً ، والطيرة - بكسر الطاء وفتح الياء، وقد تُسكن - اسم مصدر من تطير طيرة كما يقال : تخير خيرة ، ولم يجيء في المصادر على هذه الزنة غيرها، وأصله التطير بالسوانح والبوارح من الطير والظباء وغيرهما، وهو الشيء المكروه من قول أو فعل أو مرئي . قاله النووي . وكان ذلك يصدّهم عن مقاصدهم، فنفاه الشارع وأبطله وأخبر أنه لا تأثير له في جلب نفع ولا دفع ضرر . قال المدائني : سألت رؤبة بن العجاج . قلت : ما السانح ؟ قال : ما ولاك ميامنه . قلت : فما البارح ؟ قال : ما ولاك مياسره، والذي يجيء من أمامك فهو الناطح والنطيح، والذي يجيء من خلفك فهو القاعد والقعيد . ولما كانت الطيرة من الشرك المنافي لكمال التوحيد الواجب لكونها من إلقاء الشيطان ووسوسته وتخويفه ذكرها المصنف رحمه الله تعالى في « كتاب التوحيد » تحذيراً منها .

(٢) قوله : « وقول الله تعالى : ﴿ أَلَا إِنَّمَا طَّيَّرْتَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ ﴾ » ذكر تعالى هذه الآية في سياق قوله عن آل فرعون ﴿ فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ ﴾ أي الخصب والسعة والعافية كما فسره مجاهد وغيره ﴿ قَالُوا لَنَا هَذِهِ ﴾ أي نحن الجديرون والحقيقون بها ونحن أهلها ﴿ وَإِنْ تُصِيبْهُمْ سَيِّئَةٌ ﴾ أي بلاء وقحط ﴿ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ ﴾ فيقولون هذا بسبب موسى وأصحابه أصبانا شوّمهم فقال تعالى : ﴿ أَلَا إِنَّمَا طَّيَّرْتَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ ﴾ قال ابن عباس : طائرهم ما قضى عليهم وقدر لهم ، وفي رواية : شوّمهم عند الله ومن قبله ، أي إنما جاءهم الشؤم من قبله بكفرهم وتكذيبهم بآياته ورسله، ولكن أكثرهم لا يعلمون أي : إن أكثرهم جهال لا يدرون، ولو

وقوله : ﴿ قَالُوا طَيَّرَكُم مَّعَكُمْ ﴾ [يس : ١٩] . الآية (١) .
 عن أبي هريرة ؓ أن رسول الله ﷺ قال : « لا عدوى (٢) ، »

فهموا وعقلوا لعلوا أنه ليس فيما جاء به موسى - عليه السلام - إلا الخير والبركة والسعادة والفلاح لمن آمن به واتبعه .
 (١) وقوله تعالى : ﴿ قَالُوا طَيَّرَكُم مَّعَكُمْ ﴾ هذا خبر من الله تعالى عن المرسلين وما أجابوا به أصحاب القرية في قولهم : ﴿ إِنَّا نَطَّيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ نَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ قَالُوا طَيَّرَكُم مَّعَكُمْ والمعنى - والله أعلم - : حظكم وما نابكم من شر معكم؛ بسبب كفركم ومخالفتكم الناصحين، ليس هو من أجلنا ولا بسببنا بل ببيغكم وعدوانكم ، وذلك بقضاء الله وقدره وحكمته وعدله ، ويحتمل أن يكون المعنى ﴿ طَيَّرَكُم مَّعَكُمْ ﴾ أي : راجع عليكم . فالتطير الذي حصل لكم إنما يعود عليكم ، ﴿ أَيْنَ ذُكِّرْتُمْ ﴾ أي : من أجل أننا ذكرناكم وأمرناكم بتوحيد الله قابلتمونا بهذا الكلام ﴿ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّشْرِكُونَ ﴾ قال قتادة : إن ذكرناكم تطيرتم بنا . ومناسبة الآيتين للترجمة : أن التطير من عمل أهل الجاهلية والمشركين، وقد ذمهم الله تعالى به ومقتهم . وقد نهى رسول الله ﷺ عن التطير، وأخبر أنه شرك، كما سيأتي في أحاديث الباب . قاله في «فتح المجيد» * .
 وفيه : التنبيه على قوله : ﴿ أَلَا إِنَّمَا طَيَّرْتُم بِكُمْ مَّعَكُمْ ﴾ مع قوله ﴿ طَيَّرَكُم مَّعَكُمْ ﴾ .
 قاله المصنف رحمه الله تعالى .

(٢) قوله : « وعن أبي هريرة ؓ أن رسول الله ﷺ قال : « لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر » أخرجاه * . زاد مسلم : « ولا نوء ولا خول » . قال أبو السعادات [النهاية ٣/ ١٧٤] : «العدوى : اسم من الإعداء كالرَّعوى، يقال : أعداه الداء ، يُعديه إعداءً

* (٥٠٧/٢-٥٠٨) .

** أخرجه البخاري برقم (٥٧٥٧) ، و مسلم (٢٢٢٠) .

إذا أصابه مثل ما بصاحب الداء». وقال غيره: من عدوى هو اسم من الإعداء، وهو مجاوزة العلة من صاحبها إلى غيره، والمنفي نفس سرية العلة أو إضافتها - أي السرية - إلى العلة، والأول هو الظاهر. قاله في «فتح المجيد»*. وفيما قاله نظر؛ فإن المنفي إضافة السرية إلى العلة على ما يعتقد أهل الجاهلية لا نفس سرية العلة. وفي رواية لمسلم: أن أبا هريرة كان يحدث بحديث «لا عدوى» ويحدث عن النبي ﷺ أنه قال: «لا يُورَدُ مَرَضٌ عَلَى مَصْحٍ** وأمسك عن حديث «لا عدوى» فراجعوه وقالوا: سمعناك تحدث به، فأبى أن يعترف به. وقد روى حديث «لا عدوى» جماعة من الصحابة: أنس بن مالك وجابر بن عبدالله، والسائب بن يزيد، وابن عمر وغيرهم، وفي بعض روايات هذا الحديث «وَفِرَّ مِنَ الْمَجْدُومِ كَمَا تَفِرُّ مِنَ الْأَسَدِ***» وقد اختلف العلماء في ذلك وأحسن ما قيل فيه: أن قوله «لا عدوى» على الوجه الذي يعتقد أهل الجاهلية من إضافة الفعل إلى غير الله تعالى وأن هذه الأمور تعدي بطبعها وإلا فقد يجعل الله بمشيئته مخالطة الصحيح من به شيء من الأمراض سبباً لحدوث ذلك المرض؛ ولهذا قال: «فر من المجدوم كما تفر من الأسد»، وقال: «لا يُورَدُ مَرَضٌ عَلَى مَصْحٍ»، وقال في الطاعون: «إذا سمعتم به في أرض فلا تقدموا عليه»****، وكل ذلك بتقدير الله تعالى، ولأحمد والترمذي عن ابن مسعود مرفوعاً «لا يعدي شيء» قالها ثلاثاً. فقال أعرابي: يا رسول الله: إن الثقبه من الجرب تكون بمشفر البعير أو بذنبه في الإبل العظيمة فتجرب كلها. فقال رسول الله: «فمن أجرب الأول، لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر، خلق الله كل نفس وكتب حياتها

* (٥٠٨/٢).

** أخرجه البخاري (٥٧٧١)، ومسلم (٢٢٢١)، وأبو داود (١٥٨/٢).

*** أخرجه البخاري تعليقاً (٥٧٠٧)، وأحمد ووصله (٤٤٣/٢).

**** أخرجه البخاري (٥٧٢٨)، ومسلم (٢٢١٨).

ولا طيرة^(١)،

ومصائبها ورزقها* . فأخبر الرسول ﷺ أن ذلك كله بقضاء الله وقدره . والعبد مأمور باتقاء أسباب الشر الظاهرة إذا كان في عافية منها كما أنه يُؤمر أن لا يلقي نفسه في الماء وفي النار مما جرت العادة أنه يهلك أو يضر، وكذلك اجتناب مقاربة المريض كالمجذوم والقدم على بلد الطاعون فإن هذه كلها أسباب للمرض والتلف ، والله سبحانه وتعالى خالق الأسباب ومسبباتها لا خالق غيره ولا مقدر سواه . وأما ما خفي منها فلا يشرع اتقاؤه واجتنابه بل ذلك من الطيرة المحرمة فإنها سوء ظن بالله بغير سبب محقق ، وأما إذا قوي التوكل على الله والإيمان بقضائه وقدره فقويت النفس على مباشرة بعض هذه الأسباب اعتماداً على الله ورجاءً منه أن لا يحصل به ضرر ففي هذه الحال تجوز مباشرة ذلك وعلى هذا يُحمل الحديث الذي رواه أبوداود والترمذي أن النبي ﷺ أخذ بيد مجذوم فأدخلها معه في القصة ثم قال : « كل باسم الله، ثقةً بالله وتوكلاً عليه »** وقد أخذ به الإمام أحمد وروى ذلك عن عمر وابنه وسلمان - ﷺ - .

(١) قوله : « ولا طيرة » قال ابن القيم : يحتمل أن يكون نفيًا أو نهياً أي : لا تطيروا . والنفي في هذا أبلغ من النهي؛ لأن النفي يدل على بطلان ذلك وعدم تأثيره، والنهي إنما يدل على المنع منه، وقد جاءت أحاديث ظن بعض الناس أنها تدل على جواز الطيرة كقوله ﷺ : « الشوم في ثلاث : في المرأة، والدابة، والدار »*** ونحو هذا . قال ابن القيم رحمه الله : « إخباره ﷺ بالشوم في هذه الثلاث ليس فيه إثبات الطيرة التي نفاها الله سبحانه وإنما غايته أن الله سبحانه يخلق منها أعياناً

* أخرجه أحمد (١/٤٤٠) ، والترمذي (٢١٤٤) ، قال الألباني : صحيح . انظر : الصحيحة (١١٥٢) .

** أخرجه أبوداود (٣٩٢٥) ، والترمذي (١٨١٨) وقال : هذا حديث غريب من حديث جابر ، وأخرجه ابن ماجه (٣٥٤٢) ، قال الألباني : ضعيف . انظر : الضعيفة (١١٤٤) .

*** أخرجه البخاري (٢٨٥٨) ، ومسلم (٢٢٢٥) .

ولا هامة^(١)، ولا صفر^(٢)». أخرجاه .

مشؤومة على من قاربها ، وساكنها ، وأعياناً مباركة لا يلحق من قاربها منها شؤم ولا شر، وهذا كما يعطي سبحانه الوالدين ولدأ مباركاً يريان الخير على وجهه ، ويعطي غيرهما ولدأ مشؤوماً يريان الشر على وجهه فكذلك الدار والمرأة والفرس ، والله سبحانه خالق الخير والشر ، والسعود والنحوس لا خالق غيره، ولا مقدر سواه» .

(١) قوله : « ولا هامة » بتخفيف الميم على الصحيح ، قال الفراء : الهامة طير من طير الليل كأنه يعني البومة . قال ابن الأعرابي : كانوا يتشاءمون بها إذا وقعت على بيت أحدهم يقول : نعت إلي نفسي أو أحداً من أهل داري . فجاء الحديث بنفي ذلك وإبطاله .

(٢) قوله : « ولا صفر » بفتح الفاء ، روى أبو عبيد في « غريب الحديث » عن رؤية أنه قال : هي حية تكون في البطن تصيب الماشية والناس وهي أعدى من الجرب عند العرب . ومن قال بهذا سفيان بن عيينة والإمام أحمد والبخاري وابن جرير وقال آخرون : المراد به شهر صفر، والنفي لما كان أهل الجاهلية يفعلونه في النسيء وكانوا يحلّونه المحرم ويحرمون صفر مكانه وهو قول مالك . وروى أبو داود عن محمد بن راشد عن من سمعه يقول : إن أهل الجاهلية يتشاءمون بصفر ويقولون : إنه شهر مشؤوم ، فأبطل النبي ﷺ ذلك* . قال ابن رجب [لطائف المعارف (٧٤)]: « ولعل هذا أشبه الأقوال » . وفيه : نفي العدوى والطيرة ونفي الهامة والصفر . قاله المصنف رحمه الله تعالى ، وما زالت هذه العادات السيئة سارية في الناس مثل التشاؤم بصفر وربما نهو عن السفر فيه، وحتى إن منهم من لا يكاد يذكر صفر إلا ويضيف إليه لفظة الخير نظراً لما قام بقلوبهم من هذه الأمور، ومثل تشاؤمهم

* أخرجه أبو داود (٣٩١٥) ، وقال الألباني : صحيح مقطوع . انظر صحيح سنن أبي داود (٧٤٢/٢) رقم (٣٣١٥) .

زاد مسلم : « ولا نوء^(١) ، ولا غُول^(٢) » .

بشوال في النكاح خاصة لما قيل من أن طاعوناً وقع فيه مات منه كثير من العرائس فشاءوا به ، وقد صحَّ عن عائشة - رضي الله عنها - أنها قالت : تزوجني رسول الله ﷺ في شوال وبنى بي في شوال . فأبي نساءه كان أحظى عنده مني ؟* ، وكانت تستحب أن يدخل على نساءه في شوال ، وتزوج النبي ﷺ أم سلمة في شوال أيضاً ، وهذا منه ﷺ مخالفة لما عليه أهل الجاهلية .

(١) قوله : « وزاد مسلم : ولا نوء » والنوء واحد الأنواء ، وهي : منازل القمر، وسيأتي الكلام عليه في باب الاستسقاء بالأنواء .

(٢) قوله : « ولا غُول »** هو بالضم اسم وجمعه أغوال وغيلان . قال أبو السعادات [النهاية ٣/٣٥٤] : « الغول واحد الغيلان ، وهو جنس من الجن والشياطين كانت العرب تزعم أن الغول في الفلاة تترأى للناس تتلون تلوناً في صور شتى وتغولهم أي تُضِلُّهم عن الطريق وتُهْلِكُهُمْ فنفاه النبي ﷺ وأبطله . فإن قيل ما معنى النفي وقد قال النبي ﷺ : « إذا تغولت الغيلان فبادروا بالأذان »*** أجب عنه : بأن ذلك كان في الابتداء، ثم دفعها الله عن عباده ، أو يقال : المنفي ليس وجود الغول بل ما يزعمه العرب من تصرفه في نفسه، أو يكون المعنى بقوله : « لا غول » أنها لا تستطيع أن تضل أحداً مع ذكر الله والتوكل عليه ويشهد له الحديث : « لا غول ، ولكن السعالي سحره الجن »**** أي : ولكن في الجن سحره لهم تليس وتخيل . ومنه الحديث : « إذا تغولت الغيلان فبادروا بالأذان » أي : ادفعوا شرها بذكر الله، وهذا

* أخرجه مسلم (١٤٢٣)

** أخرجه مسلم (٢٢٢٢) ، وأحمد (٣/٢٩٣ ، ٣١٢) .

*** أخرجه أحمد (٣/٣٠٥ ، ٣٨١ ، ٣٨٢) ، وابن خزيمة (٢٥٤٨) ، وقال الدكتور محمد الأعظمي : إسناده ضعيف ، وأبو يعلى في المسند (٢٢١٩) ، والنسائي في عمل اليوم والليلة (٩٥٥) ، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٤٣٦) .

**** أخرجه الخطابي في غريب الحديث (١/٤٦٣) من مرسل الحسن بن محمد ابن الحنفية . انظر : تعليق زهير الشاويش على تيسير العزيز (ص/٣٧٢) .

ولهما عن أنس^(١) قال : قال رسول الله ﷺ : « لا عدوى، ولا طيرة، ويعجبني الفأل » . قالوا : وما الفأل ؟ قال : « الكلمة الطيبة »^(٢) .

يدل على أنه لم يرد بنفيها عندها. ومنه حديث أبي أيوب : « كان لي تمر في سهوة فكانت الغول تمحيء فتأخذ »* .

(١) قوله : « ولهما » أي البخاري ومسلم « عن أنس بن مالك ؓ » قال : قال رسول الله ﷺ : « لا عدوى ولا طيرة » وتقدم الكلام على العدوى والطيرة أول الباب .
(٢) قوله : « ويعجبني الفأل » قالوا : وما الفأل ؟ قال : « الكلمة الطيبة »** . قال

أبو السعادات [النهاية ٣/ ٣٦٤] : « الفأل مهموز فيما يسر ويسوء ، والطيرة لا تكون إلا فيما يسوء، وربما استعملت فيما يسر يقال : تفاءلت بكذا وتفاءلت على التخفيف والقلب ، وقد أولع الناس بترك الهمزة تخفيفاً » . قال الحلبي : « وإنما كان يعجبه الفأل لأن التشاؤم سوء ظن بالله بغير سبب محقق، والتفاؤل حسن ظن بالله، والمؤمن مأمور بحسن الظن بالله على كل حال » . وقال ابن القيم - رحمه الله تعالى - [مفتاح دار السعادة ص ٥٩٢] : « ليس في الإعجاب بالفأل ومحبة شيء من الشرك، بل ذلك إبانة عن مقتضى الطبيعة والفطرة الإنسانية التي تميل إلى ما يوافقها ويلائمها، والله سبحانه قد جعل في غرائز الناس الإعجاب بسماع الاسم الحسن ومحبة وميل نفوسهم إليه، وكذلك جعل فيها الارتياح والاستبشار والسرور باسم الفلاح والسلام والنجاح والتهنئة والبشرى والفوز والظفر ونحو ذلك ، فإذا قرعت هذه الأسماء الأسماع استبشرت بها النفوس، وانشرح لها الصدر، وقوي بها القلب ، وإذا سمعت أضدادها أوجب لها ضد هذه الحالة فأحزنها ذلك وأثار لها خوفاً وطيرة وانكماشاً وانقباضاً عما قصدت له وعزمت

* أخرجه الترمذي (٢٨٨٠) وقال : حسن غريب. وأحمد (٤٢٥/٥)، قال الألباني : صحيح .

انظر : صحيح سنن الترمذي (٢٣٠٩) (٤/٣) .

** أخرجه البخاري (٥٧٥٦) و (٥٧٧٦) ، ومسلم (٢٢٢٤) .

ولأبي داود بسند صحيح عن عتبة بن عامر^(١) قال : ذُكِرَتِ الطَّيْرَةُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : «أَحْسَنُهَا الْفَالُ ، وَلَا تُرَدُّ مُسْلِمًا^(٢) ، فَإِذَا رَأَى أَحَدَكُمْ مَا يَكْرَهُ فَلْيَقُلْ : اللَّهُمَّ لَا يَأْتِي بِالْحَسَنَاتِ إِلَّا أَنْتَ ، وَلَا يَدْفَعُ السَّيِّئَاتِ إِلَّا أَنْتَ^(٣) ،

عليه ، فأورث لها ضرراً في الدنيا ونقصاً في الإيمان ومقارفة للشرك » .

(١) قوله « ولأبي داود بسند صحيح عن عتبة بن عامر » هكذا وقع في نسخ «التوحيد» وصوابه : عروة بن عامر ، كذا أخرجه أحمد وأبو داود وغيرهما وهو مكِّي اختلف في نسبه فقال أحمد : عروة بن عامر القرشي . وقال غيره : الجهني . واختلف في صحبته أيضاً فقال الماوردي : له صحبة . وذكره ابن حبان في ثقات التابعين . وقال المزي : لا صحبة له تصح .

(٢) قوله : « ذُكِرَتِ الطَّيْرَةُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : «أَحْسَنُهَا الْفَالُ ، وَلَا تُرَدُّ مُسْلِمًا» * قال ابن القيم رحمه الله تعالى [مفتاح دار السعادة (٥٩٣)] : « أخبر ﷺ أن الفأل من الطيرة وهو خيرها ، فأبطل الطيرة وأخبر أن الفأل منها ، ففصل بين الطيرة والفأل لما بينهما من الامتياز والتضاد ونفع أحدهما ومضرة الآخر » . انتهى .

وقوله ﷺ : « أحسنها الفأل » وفي رواية : « خيرها الفأل » مع أن الطيرة كلها لا خير فيها ؛ لأن أفعال التفضيل في ذلك إنما هو في القدر المشترك بين الشيتين ، والقدر المشترك بين الطيرة والفأل تأثير كل منهما فيما هو فيه ، والفأل في ذلك أبلغ . قاله الحافظ ابن حجر . وفيه : أن الفأل ليس من الطيرة بل مستحب ، وتفسير الفأل . قاله المصنف رحمه الله تعالى .

قوله : « ولا ترد مسلماً » وهذا تعريض بأن الكافر بخلافه .

(٣) قوله : « فإذا رأى أحدكم ما يكره فليقل : اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت ،

* أخرجه أبو داود (٣٩١٩) ، وابن السني في عمل اليوم والليلة (٢٩٤) . قال الألباني :

ضعيف ، انظر : ضعيف سنن أبي داود (ص/٣٨٧) رقم (٨٤٣) .

ولا حول ولا قوة إلا بك^(١) .

وله من حديث ابن مسعود مرفوعاً^(٢) : « الطيرةُ شرك ، الطيرةُ شرك ، الطيرةُ شرك ،

ولا يدفع السيئات إلا أنت » أي لا تأتي الطيرة بالحسنات ولا تدفع السيئات بل أنت وحدك لا شريك لك الذي تأتي بالحسنات وتدفع السيئات، والحسنات هنا النعم ، والسيئات : المصائب . ففيه : نفي تعلق القلب بغير الله في جلب نفع أو دفع ضرر، وهو دعاء مناسب لمن وقع في قلبه شيء من الطيرة .

(١) قوله : « ولا حول ولا قوة إلا بك » والحول التحول والانتقال من حال إلى حال، أي : لا تحول من حال إلى حال ولا قوة على ذلك إلا بالله وحده ، ففيه : التبرئ من الحول والقوة إلا بالله سبحانه ، وهذا هو توحيد الربوبية وهو دليل على توحيد الإلهية الذي هو أفراد الله تعالى بجميع أنواع العبادة . وفيه : ذكر ما يقوله من وجد شيئاً من ذلك . قاله المصنف رحمه الله .

(٢) قوله : « وله » أي أبي داود عن « ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً : « الطيرة شرك ، الطيرة شرك ، وما منا إلا .. ولكن الله يذهب بالتوكل » . ورواه الترمذي وصححه وجعل آخره من كلام ابن مسعود* . ورواه ابن ماجه وابن حبان ولفظ أبي داود « الطيرة شرك ، الطيرة شرك ، الطيرة شرك » ثلاثاً . وهذا صريح في تحريمها وأنها من الشرك لما فيها من تعلق القلب على غير الله تعالى ، قال ابن حمدان : تكره الطيرة ، وكذا قال غير واحد من أصحاب أحمد ، وقال ابن مفلح [الأداب الشرعية ٣/ ٣٦٢] : «الأولى القطع بتحريمها؛ لأنها من الشرك، وكيف يكون الشرك مكروهاً الكراهة الاصطلاحية؟ » . قال : «ولعلّ مرادهم - يعني الأصحاب - بالكراهة التحريم » . قلت : وما قاله هو موجب النصوص والقواعد تقتضيه؛ لأن الأحكام الخمسة لا

* أخرجه أبوداود (٣٩١٠) ، والترمذي (١٦١٤) ، وابن ماجه (٣٥٣٨) ، وأحمد (٣٨٩/١) ،

٤٣٨ ، ٤٤٠) . قال الألباني : صحيح . انظر : غاية المرام (٣٠٣) .

وما منا إلا^(١) ... ولكن الله يذهب بالتوكل^(٢) . رواه أبو داود والترمذي وصححه وجعل آخره من قول ابن مسعود^(٣) .

ولأحمد من حديث عبد الله بن عمرو^(٤) : « مَنْ رَدَّتْهُ الطَّيْرَةُ عَنْ حَاجَتِهِ

تُؤْخَذُ إِلَّا عَنِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَقَدْ قَامَ الدَّلِيلُ الْمَوْجِبُ لِلتَّحْرِيمِ ، فَتَعَيَّنَ الْقَوْلُ بِهِ وَحَمَلَ كَلَامَ مَنْ أَطْلَقَ الْكِرَاهَةَ عَلَيْهِ بِلَا تَرَدُّدٍ .

(١) قوله : « وما منا إلا .. » قال أبو القاسم الأصبهاني والمنذري : « في الحديث إضمار، والتقدير : وما منا إلا وقد وقع في قلبه شيء من ذلك . قال بعضهم حذف المستثنى لما يتضمنه من الحالة المكروهة ، وهذا من أدب الكلام . ومنه الحديث « ثلاث لا يسلم أحدٌ منهن : الطيرة، والحسد، والظن » قيل فما نصنع؟ قال : « إذا تطيرت فامض، وإذا حسدت فلا تبغ ، وإذا ظننت فلا تحقق »* .

(٢) قوله : « ولكن الله يذهب بالتوكل » يعني إذا خطر عارض التطير فتوكلنا على الله وسلمنا الأمر إليه ولم نعمل بذلك الخاطر غفره الله ولم يؤاخذنا به . وفيه : أن الواقع في القلب من ذلك مع كراهته لا يضر بل يذهب الله بالتوكل . قاله المصنف رحمه الله . وفيه : أن الطيرة من الشرك الأصغر لأنها لو كانت من الأكبر لما أذهب إلا التوبة منه .

(٣) قوله : « وجعل آخره من قول ابن مسعود » قال ابن القيم [مفتاح دار السعادة (٥٨١)] : « وهو الصواب ، فإن الطيرة نوع من الشرك » .

(٤) قوله : « ولأحمد من حديث عبد الله بن عمرو » بن العاص بن وائل السهمي أبو محمد، وقيل أبو عبد الرحمن، أحد السابقين المكثرين من الصحابة، وأحد العبادلة الفقهاء، مات في ذي الحجة ليالي الحرة على الأصح بالطائف .

* أخرجه أحمد (٦٢٣/١١) رقم (٧٠٤٥) الرسالة، وحسنه المحقق . والحديث فيه عبد الله بن لهيعة . انظر : فتح الباري (٤٨٢/١٠) .

فقد أشرك»^(١). قالوا : فما كفارة ذلك ؟ قال : « أن تقول : اللهم لا خيرَ إلا خيرُكَ ، ولا طيرَ إلا طيرُكَ^(٢) ، ولا إله غيرُكَ^(٣) .
وله^(٤) من حديث الفضل بن العباس : «إنما الطيرةُ ما أمضاك أو ردُّك^(٥)» .

(١) قوله : « من رده الطيرة عن حاجته » فمنعه ما رأى وما سمع عما أراه « فقد أشرك »* لأنه لم يخلص توكله على الله بالتفاتة إلى غيره مما يخامر قلبه من الخوف فيكون شركاً بهذا الاعتبار .

(٢) قوله : « قالوا : فما كفارة ذلك . قال : « أن تقول : اللهم لا خير إلا خيرك ، ولا طير إلا طيرك » . وفيه : تفويض الأمور إلى الله تعالى تقديراً وتدبيراً وخلقاً والبراءة مما فيه تعلق بغير الله تعالى .

(٣) قوله : « ولا إله غيرك » أي : لا معبود بحق سواك ، فإذا قال ذلك وأعرض عما وقع في قلبه ولم يلتفت إليه واستمر على فعل ما عزم عليه توكلأ على الله وتفويضاً إليه كفر الله عنه ما وقع في قلبه من ذلك ، وأما من لم يخلص توكله على الله واسترسل مع الشيطان في ذلك فقد يعاقب بالوقوع فيما يكره . وفيه : التصريح بأن الطيرة شرك ، وتفسير الطيرة المذمومة ، وذكر ما يقوله من وجد ذلك . قاله المصنف رحمه الله تعالى .

(٤) قوله : « وله » أي الإمام أحمد من حديث الفضل بن عباس بن عبدالمطلب ابن عم النبي ﷺ ، قال ابن معين : قتل يوم اليرموك . وقال غيره : وقتل يوم مرج الصفر سنة ثلاث عشرة وهو ابن اثنتين وعشرين سنة ﷺ . وقال أبو داود : قتل بدمشق ، كان عليه درع النبي ﷺ .

(٥) قوله : « إنما الطيرة ما أمضاك أو ردُّك »* هذا الحديث رواه الإمام أحمد من

* أخرجه أحمد (٢/٢٢٠) ، وصححه الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (١٠٦٥) .

** أخرجه أحمد (١/٢١٣) ، وإسناده ضعيف . انظر طبعة الرسالة .

حديث الفضل بن عباس قال : خرجتُ مع النبي ﷺ يوماً فبرح ظبي فمال في شقه فاحتضته . فقلت : يا رسول الله تطيرتُ . قال : «إِنَّمَا الطَّيْرَةُ مَا أَمْضَاكَ أَوْ رَدَّكَ» . وفي إسناده انقطاع بين مسلمة راويه والفضل . وهذا حدُّ الطيرة المنهي عنها ، فهي ما يحمل الإنسان على المضي فيما أَرَادَهُ أَوْ يَمْنَعُهُ مِنْهُ . وأما الفأل الذي كان يُحِبُّهُ ﷺ ففيه نوع بشارة فيُسَرَّ به العبد ولا يعتمد عليه ، فافهم الفرق . ومن شرط الفأل أن لا يقصده .

باب-٢٩

ما جاء في التنجيم^(١)

قال البخاري في صحيحه : قال قتادة : خلق الله هذه النجوم لثلاث : زينة للسماء ، ورجوماً للشياطين ، وعلاماتٍ يُهتدى بها . فمن تأوّل فيها غير ذلك أخطأ وأضاع نصيبه ، وتكلف ما لا علم له به^(٢) . انتهى .

(١) قوله : « باب ما جاء في التنجيم » التنجيم : هو الاستدلال بالأحوال الفلكية ، على الحوادث الأرضية . قاله شيخ الإسلام أحمد بن تيمية رحمه الله تعالى [الفتاوى ١٩٢/٣٥] . واعلم أن التنجيم مما ينافي التوحيد ويوقع في الشرك؛ لأنه ينسب الحوادث إلى غير من أحدثها وهو الله سبحانه . قاله في « قرّة العيون »* . وقال الخطابي [معالم السنن ٤/٢٣٠] : « علم التنجيم المنهي عنه هو ما يدعيه أهل التنجيم من علم الكائنات والحوادث التي لم تقع وستقع في مستقبل الزمان ، كأوقات هبوب الرياح وجميئ المطر وتغير الأسعار وما في معنى ذلك من الأمور التي يزعمون أنهم يدركون معرفتها بمسير الكواكب في مجاريها واجتماعها وافتراقها، ويدعون أن لها تأثيراً في السفليات ، وأنها تجري على قضايا موجباتها ، وهذا منهم تحكّم على الغيب وتعاطر لعلم قد استأثر الله به لا يعلمه سواه » . انتهى . ولا ريب في تحريم ذلك، واختلف المتأخرون في تكفير القائل بذلك، وينبغي القطع بكفره؛ لأنها دعوى لعلم الغيب الذي استأثر الله بعلمه بما لا يدل عليه .

(٢) قوله : « قال البخاري في صحيحه : قال قتادة : خلق الله هذه النجوم لثلاث : زينة للسماء ، ورجوماً للشياطين ، وعلاماتٍ يُهتدى بها . فمن تأوّل فيها غير ذلك أخطأ وأضاع نصيبه ، وتكلف ما لا علم له به » هذا الأثر علّقه البخاري في صحيحه بصيغة الجزم، وأخرجه عبدالرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وغيرهم ، وأخرجه الخطيب في كتاب النجوم ، ولفظه : قال إنما جعل الله هذه

النجوم لثلاث خصال : جعلها زينة للسماء، وجعلها يُهتدى بها ، وجعلها رجوماً للشياطين ، فمن تعاطى فيها غير ذلك فقد قال براهيه وأخطأ حظه وأضاع نصيبه وتكلف ما لا علم له به . وإن ناساً جهلة بأمر الله قد أحدثوا في هذه النجوم كهانة، من أعرس بنجم كذا وكذا كان كذا وكذا، ومن سافر بنجم كذا وكذا كان كذا وكذا، ولعمري ما من نجم إلا يُولد فيه الأحمر والأسود والطويل والقصير والحسن والدميم ، وما علم هذه النجوم وهذه الدابة وهذا الطائر بشيء من الغيب، ولو أن أحداً علم الغيب لعلمه آدم الذي خلقه الله بيده، وأسجد له ملائكته وعلمه أسماء كل شيء . انتهى . قال في « قرّة العيون »* : « وقول قتادة هذا يدل على أن علم التنجيم هذا قد حدث في عصره فأوجب له إنكاره على من اعتقده . »

قلت : بل علم التنجيم كان معروفاً في زمن الجاهلية، يدل على هذا حديث أبي مالك الأشعري أن رسول الله ﷺ قال : « أربع في أممي من أمر الجاهلية .. »** وذكر منها الاستسقاء بالنجوم ، أي نسبة المطر إلى النوء ، [و]حديث زيد بن خالد الجهني الذي فيه : « أصبح من عبادي مؤمنٌ بي وكافرٌ*** ، وحديث ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « من اقتبس شعبة من النجوم فقد اقتبس شعبة من السحر، زاد ما زاد»**** رواه أبو داود وإسناده صحيح . وقول ابن عباس في الذين يكتبون أباجاد وينظرون في النجوم : ما أرى من فعل ذلك له عند الله من خلاق . وقوله : « خلق الله هذه النجوم لثلاث : زينة للسماء ، ورجوماً للشياطين » كما

* (ص/١٥٨) .

** أخرجه مسلم (٩٣٤) .

*** أخرجه البخاري (٨٤٦) ، (١٠٣٨) و (٤١٤٧) و (٧٥٠٣) ، ومسلم (٧١) .

**** تقدم تخريجه (ص/٢١٦) .

قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْنُوعٍ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ ﴾ [الملك : ٥] ، قال في «فتح المجيد» * : « وفيه إشارة إلى أن النجوم في السماء الدنيا ، كما روى ابن مردويه عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أما السماء الدنيا فإن الله خلقها من دخان ، وجعل فيها سراجاً وقمراً منيراً ، وزينها بمصاييح ، وجعلها رجوماً للشياطين وحفظاً من كل شيطان رجيم »** .

وقوله : « وعلامات يُهتدى بها » أي دلالات على الجهات لا على الحوادث كما قال تعالى : ﴿ وَعَلَّمْنَا وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ [النحل : ١٦] ، وقال تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ ﴾ [الأنعام : ٩٧] أي لتعرفوا بها جهة قصدكم ، وليس المراد أنه تهتدي بها في علم الغيب كما يزعمه أهل النجامة ، وقال تعالى : ﴿ وَالْقَنَى فِي الْأَرْضِ رَوْسِي أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَزَا وَسْبَلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [النحل : ١٥-١٦] روى ابن جرير عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قوله ﴿ وَعَلَّمْنَا ﴾ معطوف على ما تقدم مما ذكره في الأرض ثم استأنف فقال : ﴿ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ انتهى بمعناه .

وقوله : « فمن تأول فيها غير ذلك » أي زعم فيها غير ما ذكر الله في كتابه من هذه الثلاث فقد أخطأ حيث زعم شيئاً ما أنزله الله به من سلطان وأضاع نصيبه من كل خير؛ لأنه شغل نفسه بما يضره ولا ينفعه ، وفيه الحكمة في خلق النجوم، والرد على من زعم غير ذلك . قاله المصنف رحمه الله تعالى . وقد جاءت الأحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم بالنهي عن التنجيم كحديث ابن عباس الذي رواه أبو داود أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من اقتبس شعبةً من النجوم فقد اقتبس شعبةً من السحر، زاد ما زاد »*** .

* (٥٢٩/٢) .

** انظر : الدر المنثور (٣/٣٢٨) .

*** تقدم تحريجه (ص/٢١٦) .

وَكِرَّةَ قَتَادَةَ^(١) تَعَلَّمَ مَنَازِلَ الْقَمَرِ . وَلَمْ يَرْخُصْ ابْنُ عَيْنَةَ فِيهِ . ذَكَرَهُ حَرْبٌ عَنْهُمَا . وَرَخَّصَ فِي تَعَلُّمِ الْمَنَازِلِ أَحْمَدُ وَإِسْحَاقُ .

وعن رجاء بن حيوة أن النبي ﷺ قال : « إِنَّمَا أَخَافُ عَلَى أُمَّيِّ التَّصْدِيقِ بِالنُّجُومِ وَالتَّكْلِيبِ بِالْقَدْرِ وَحَيْفِ الْأَكْمَةِ » . رواه عبد بن حميد ، وعن أبي عرجان مرفوعاً : « أَخَافُ عَلَى أُمَّيِّ ثَلَاثًا : حَيْفِ الْأَكْمَةِ ، وَإِيمَانًا بِالنُّجُومِ ، وَتَكْلِيبًا بِالْقَدْرِ » . رواه ابن عساکر وحسنه السيوطي ، وعن أنس ؓ مرفوعاً « أَخَافُ عَلَى أُمَّيِّ بَعْدِي خَصْلَتَيْنِ : تَكْلِيبًا بِالْقَدْرِ ، وَإِيمَانًا بِالنُّجُومِ » *** رواه أبو يعلى وابن عدي والخطابي في كتاب النجوم ، وحسنه السيوطي أيضاً .

(١) قوله : « وَكِرَّةَ قَتَادَةَ » وهو ابن دعامة السدوسي « تَعَلَّمَ مَنَازِلَ الْقَمَرِ ، وَلَمْ يَرْخُصْ ابْنُ عَيْنَةَ فِيهِ . ذَكَرَهُ حَرْبٌ عَنْهُمَا » . وحرِبٌ : هو ابن إسماعيل الكرمانى الفقيه من أجلة أصحاب الإمام أحمد ، روى عن أحمد وإسحاق وابن المدينى وابن معين وأبي خيثمة وابن أبي شيبة وغيرهم ، وله مصنفات جليلة منها « كتاب المسائل » التي سأل عنها أحمد وغيره ، مات سنة ثمان ومائتين . ومنازل القمر هي الثمانية والعشرون منزلة ينزل القمر كل ليلة منزلة منها كما قال تعالى : ﴿ وَالْقَمَرَ قَدَرْتَهُ مَنَازِلَ ﴾ [يس : ٣٩] ، يسقط في المغرب كل ثلاثة عشرة ليلة منها منزلة مع طلوع الفجر وتطلع أخرى مقابلتها ذلك الوقت من المشرق « ورخص في تعلمها » لمعرفة الأوقات الإمام « أحمد وإسحاق » بن إبراهيم بن مخلد ، أبو يعقوب

* أخرجه الحاكم ، وأبونعيم كما في الإصابة (٤/١٧٣) ، وأخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (٢/٤٨) .

** أخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم (٢/٣٩) ، وابن عساکر (١٦/٣٠٨/١) . قال الألباني : سنده ضعيف ... ، ولكن يتقوى الحديث بشواهد . انظر : السلسلة الصحيحة (٣/١١٩) .

*** أخرجه أبو يعلى في المسند (٤١٣٥) ، وابن عدي في الكامل (٤/١٣٥٠) وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/١٠٣) رقم (٢١٤) .

وعن أبي موسى ^(١) قال : قال رسول الله ﷺ : «ثلاثة لا يدخلون ^(٢) الجنة : مدمن الخمر ^(٣) ، وقاطع الرحم ^(٤) ،

الحنظلي النيسابوري، المعروف بابن راهويه ، روى عن ابن المبارك وأبي أسامة وابن عيينة وطبقتهم ، قال الإمام أحمد : إسحاق عندنا إمام من أئمة المسلمين ، روى عنه البخاري ومسلم وأبوداود وغيرهم، وروى هو عن أحمد أيضاً ، مات سنة تسع وثلاثين ومائتين، وفيه: ذكر الخلاف في تعلّم المنازل. قاله المصنف - رحمه الله - . قال الخطابي [معالم السنن ٤/٢٣٠] : «أما علم النجوم الذي يدرك بطريق المشاهدة والخبر الذي يعرف به الزوال، وتعلم به جهة القبلة فإنه غير داخل فيما نُهي عنه ، وهذا علم يصح إدراكه بالمشاهدة ، إلا أن أهل هذه الصناعة قد دَبّروها بما اتخذوه من الآلات التي يستغني بها الناظر فيها عن مراعاة مدته ومراصدته» .

(١) قوله : « وعن أبي موسى » عبدالله بن قيس بن سليم بن خَضَّار - بفتح المهملة وتشديد الضاد - الأشعري ، صحابي جليل ، مات سنة خمسين ٥٠ هـ .

(٢) قوله : « قال رسول الله ﷺ : «ثلاثة لا يدخلون الجنة» * هذا من نصوص الوعيد التي كره السلف تأويلها، وقالوا أمرّوها كما جاءت ، ومن تأولها فهو على خطر من القول على الله بلا علم . وأحسن ما يُقال : إن كل عمل دون الشرك والكفر المخرج عن الملة فإنه يرجع إلى مشيئة الله ، فإن عذبه فقد استوجب العذاب ، وإن غفر له فبفضله ورفقه . قاله في «فتح المجيد» ** . وكان المصنف رحمه الله يميل إلى هذا قاله في «الشرح» *** .

(٣) قوله : « مدمن الخمر » أي المداوم على شربها .

(٤) قوله : « وقاطع الرحم » يعني : القرابة . قال الله تعالى : ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ

* أخرجه أحمد (٤/٣٣٩) ، وابن حبان (١٣٨٠ ، ١٣٨١) ، والحاكم (٤/١٤٦) . قال الألباني: ضعيف ، انظر : الضعيفة (١٤٦٣) .

** (٢/٥٣٤) .

*** (ص/٣٨٦) .

ومصدقٌ بالسحر^(١) . رواه أحمد ، وابن حبان في صحيحه .

أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿ [محمد: ٢٢] . الآية .

(١) قوله : « ومصدق بالسحر » أي مطلقاً ومنه التنجيم لحديث : « من اقتبس شعبة من النجوم فقد اقتبس شعبة من السحر، زاد ما زاد » وهذا وجه مطابقة الحديث للترجمة . قال الذهبي في «الكبائر» : «ويدخل فيه تعلم السيمياء وعملها» . انتهى . وفيه : الوعيد فيمن صدق بشيء من السحر ولو عرف أنه باطل . قاله المصنف رحمه الله تعالى . وهذا الحديث رواه أحمد وابن حبان في صحيحه ، ورواه أيضاً الطبراني والحاكم وقال : صحيح . وأقره الذهبي ، وتماهه : « ومن مات وهو مدمن الخمر سقاه الله من نهر الغوطة » نهر يجري من فروج المومسات يؤذي أهل النار ريح فزوجهن .

٢٠- باب

(١) ما جاء في الاستسقاء بالأنواء

وقول الله تعالى : ﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْتُمْ تُكذِّبُونَ ﴾^(٢) [الواقعة : ٨٢] .

(١) قوله : « باب ما جاء في الاستسقاء بالأنواء » أي من الوعيد ، والاستسقاء نسبة مجيء المطر إلى الأنواء جمع نوء وهي منازل القمر الثمانية والعشرون منزلة ينزل القمر كل ليلة منها منزلة كما قال تعالى : ﴿ وَأَلْقَرَ فَذَرْتَهُ مَازِلًا ﴾ [يس : ٣٩] يسقط في المغرب كل ثلاث عشرة ليلة ، منها منزلة مع طلوع الفجر وتطلع أخرى مقابلتها في ذلك الوقت من المشرق ، ما خلا الجهة فإن لها أربعة عشر يوماً فتتقضي جميعها مع انقضاء السنة ، قال شمر : « وهي بالعربية فيما أخبرني به ابن الأعرابي : الشرطان ، والبطين ، والنجم ، والدبران ، والهقعة ، والهنعة ، والذراع ، والنثرة ، والطرف ، والجهة ، والحراثان ، والعواء ، و السماك ، والغفر ، والزبانا ، والإكليل ، والقلب ، والشولة ، والنعايم ، والبلدة ، وسعد الذابح ، وسعد بلع ، وسعد السعود ، وسعد الأخبية ، وفرغ الدلو المقدم ، وفرغ الدلو المؤخر ، والحوت . ولا تستثني العرب بها كلها إنما تذكر بالأنواء بعضها وهي معروفة في أشعارهم وكلامهم» . انتهى . وإنما سُمي نوءٌ لأنه إذا سقط القارب ناء الطالع أي نهض وطلع، وذلك النهوض هو النوء، وبعضهم يجعل النوء السقوط كأنه من الأضداد. وقال أبو عبيد : ولم يسمع في النوء أنه سقوط إلا في هذا الموضع ، وكانت العرب تضيف الأمطار والرياح والحر والبرد إلى الساقط منها . وقال الأصمعي : إلى الطالع منها .

(٢) قوله : « وقول الله تعالى : ﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْتُمْ تُكذِّبُونَ ﴾ روى الإمام أحمد والترمذي وحسنه وابن جرير وابن أبي حاتم والضياء في المختارة عن علي ؓ قال : قال رسول الله ﷺ : ﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ ﴾ يقول شكركم ﴿ أَنْتُمْ تُكذِّبُونَ ﴾

وعن أبي مالك الأشعري^(١) رضي الله عنه قال : « أربَعٌ في أمي

تقولون : مُطَرْنَا بنوء كذا وكذا ، وبنجم كذا وكذا* . وهذا أولى ما فسرت به الآية . رُوي ذلك عن علي وابن عباس وقتادة والضحاك وعطاء الخراساني وغيرهم ، وهو قول جمهور المفسرين ، وبه يظهر وجه استدلال المصنف رحمه الله تعالى بالآية . قاله في «الشرح»** . وقال ابن القيم رحمه الله [التبيان في أقسام القرآن ١/٤١٨] : « أي تجعلون حظكم من هذا الرزق الذي به حياتكم التكذيب به . يعني القرآن » . قال الحسن : « تجعلون حظكم ونصيبكم من القرآن أنكم تكذبون » . قال : « وخسر عبداً لا يكون حظه من القرآن إلا التكذيب » . والآية تشمل المعنيين . قاله في «الشرح»*** . وقال ابن القيم : « وأظهر القولين أنه قَسَمَ بمواقع هذه النجوم التي في السماء ؛ لأن اسم النجم عند الإطلاق ينصرف إليها ، وأنه لم تجر عاداته سبحانه باستعمال النجوم في آيات القرآن ولا في موضع واحد من كتابه حتى تحمل عليه هذه الآية . وفيه : معرفة تفسير آية الواقعة . قاله المصنف رحمه الله .

(١) قوله : « وعن أبي مالك » الحارث بن الحارث « الأشعري » الشامي صحابي تفرد بالرواية عنه أبو سلام ، وفي الصحابة أبو مالك الأشعري اثنان غير هذا « أن رسول الله ﷺ قال : « أربَعٌ في أمي من أمر الجاهلية لا يتركونهن .. **** » أي ستفعلها هذه الأمة مع العلم بتحريمها ، أو مع الجهل بذلك مع كونها من أعمال الجاهلية المذمومة المحرمة ، فيجب على كل مسلم أن يجتنبها ، والمراد بالجاهلية هنا ما قبل المبعث ، سُموا بذلك لفرط جهلهم ، وكل ما يخالف ما

* أخرجه أحمد (٨٤٩) ، والترمذي (٣٥٢٦) وحسنه ، والحديث ضعفه الألباني في ضعيف

سنن الترمذي (ص/٤٢٠-٤٢١) رقم (٦٤٩) .

** (ص/٣٨٨) .

*** (ص/٣٨٨) .

**** سبق تخريجه (ص/٢٤٦) .

من أمر الجاهلية لا يتركونهن : الفخر بالأحساب^(١) ، والظعن في الأنساب^(٢) ،

جاءت به الأنبياء والمرسلون فهو جاهلية . قاله في «الشرح» * . وقال شيخ الإسلام [الاعتضاء ١/ ٢٠٥] : « أخبر ﷺ أن بعض أمر الجاهلية لا يتركه الناس كلهم ذمّاً لمن لم يتركه ، وهذا يقتضي أن ما كان من أمر الجاهلية وفعلهم فهو مذموم في دين الإسلام ، وإلا لم يكن في إضافة هذه المنكرات إلى الجاهلية ذمّ لها . ومعلوم أن إضافتها إلى الجاهلية خرج مخرج الذمّ ، وهذا كقوله : ﴿ وَلَا تَبَرَّحْ أَبْرَحَ أَبْرَحَ أَبْرَحَ أَبْرَحَ أَبْرَحَ ﴾ [الأحزاب : ٣٣] وذلك يقتضي المنع من مشابهتهم في الجملة » . انتهى . ولشيخنا رحمه الله مصنف لطيف فيما خالف فيه رسول الله ﷺ أهل الجاهلية بلغ مائة وعشرين مسألة . قاله في «فتح المجيد» ** .

(١) قوله : « الفخر بالأحساب » أي التعاضم على الناس بالآباء ومآثرهم وذلك جهلٌ عظيم إذ لا كرم إلا بالتقوى ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَى ﴾ [الحجرات : ١٣] ، ولأبي داود عن أبي هريرة ؓ مرفوعاً : « إن الله قد أذهب عنكم عبية الجاهلية وفخرها بالآباء ، إنما هو مؤمنٌ تقى ، أو فاجر شقي ، الناس بنو آدم ، وآدم خلق من تراب ، ليدعن رجالاً فخرهم بأقوام إنما هم فحم من فحم جهنم ، أو ليكونن أهون على الله من الجعلان التي تدفع التُّنَّ بأنفها » *** .

(٢) قوله : « والظعن في الأنساب » أي ذمها وعبئها ، ولَمَّا عَيَّرَ أبوذر رجلاً بأمه ، قال له النبي ﷺ : « أعيْرتهُ بأمه ؟ إنك امرؤٌ فيك جاهلية » **** متفق عليه . فدلّ على أن الظعن في الأنساب من عمل الجاهلية ، وأن الرجل مع فضله وعلمه ودينه قد يكون فيه بعض الخصال المسماة بجاهلية ويهودية ونصرانية ، ولا

* (ص/٣٨٩) .

** (٢/٥٣٧) .

*** أخرجه أبوداود (٥١١٦) ، والترمذي (٣٣١/٢) ، وأحمد (٣٦١/٢) ، (٥٢٤) ، وقال

الترمذي : حسن صحيح . وحسنه الألباني في غاية المرام برقم (٣١٢) .

**** أخرجه البخاري (٣٠) و (٦٠٥٠) ، ومسلم (١٦٦١) .

والاستسقاء بالنجوم^(١)، والنياحة^(٢)». وقال: «النائحة إذا لم تتب قبل موتها^(٣)»

يوجب ذلك كفره ولا فسقه. قاله شيخ الإسلام - رحمه الله تعالى - [الافتضاء ١/٢٢٠].
 (١) قوله: «والاستسقاء بالنجوم» أي نسبة المطر إلى النوء وهو سقوط النجم وهذا هو الشاهد من الحديث للترجمة، فإن اعتقد أن للنجم تأثيراً في نزول المطر فهذا شركٌ وكفرٌ لنسبه المطر إلى غير من أنزله وهو الله وحده، وأما إذا قال مُطَرْنَا بنوء كذا مع اعتقاد أن الله هو الفاعل لذلك لكن أجرى العادة بنزول المطر عند ظهور ذلك النجم فقد صرح ابن مفلح في «الفروع» [١٦٣/٢] بتحريمه، وكذلك صاحب «الإنصاف» [٤٦١/٢] ولم يذكر خلافاً؛ وذلك أن القائل لذلك نسب ما هو من فعل الله الذي لا يقدر عليه غيره إلى خلق مسخر لا ينفع ولا يضر ولا قدرة له على شيء فيكون ذلك شركاً أصغر. والله أعلم.

(٢) قوله: «والنياحة» أي رفع الصوت بالندب على الميت وضرب الخدود وشق الجيوب؛ لأنها تسحط لقضاء الله وذلك ينافي الصبر الواجب، وهي من الكبائر لشدة الوعيد الوارد فيها. وعن الأوزاعي أن عمر بن الخطاب سمع صوت بكاء فدخل ومعه غرة فمال عليهن ضرباً حتى بلغ النائحة فضربها حتى سقط خمارها، وقال: أضرب فإنها نائحة ولا حرمة لها، إنها لا تبكي بشجوكم إنها تهريق دموعها لأخذ دراهمكم، وإنها تؤذي موتاكم في قبورهم وأحياءكم في دورهم، لأنها تنهى عن الصبر وقد أمر الله به، وتأمّر بالجزع وقد نهى الله عنه وكان أهل الجاهلية يوصون بذلك كما قال الشاعر:

إذا ميتٌ فانعيني بما أنا أهله * * * وشقّي عليّ الجيبَ يا ابنةَ معبدٍ

فأما البكاء من غير نياحة وندب وشق جيب فحسن ولا ينافي الرضاء بقضاء الله. قاله شيخ الإسلام.

(٣) قوله: «وقال: النائحة إذا لم تتب قبل موتها» فيه أن التوبة تكفر الذنب وإن عظم، وهذا مجمعٌ عليه في الجملة ويكفر أيضاً بالحسنات الماحية والمصائب ودعاء المسلمين بعضهم لبعض وبالشفاعة بإذن الله وعفو الله عن من شاء ممن لا يشرك به شيئاً.

تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران، ودرع من جرب^(١) . رواه مسلم .
 ولهما^(٢) عن زيد بن خالد رضي الله عنه قال : صَلَّى لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَلَاةَ
 الصَّبْحِ بِالْحُدَيْبِيَّةِ^(٣) عَلَى إِثْرِ^(٤) سَمَاءَ كَانَتْ مِنَ اللَّيْلِ^(٥) ، فَلَمَّا انصرفت^(٦)

(١) قوله : « تُقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب » * قال
 القرطبي : « السربال واحد السراويل وهي الثياب من سراويل أهل النار ، يعني
 يلطخن بالقطران حتى يكون اشتعال النار في أجسادهن أعظم ورائحتهن أثنن .
 وروي عن ابن عباس أن القطران : النحاس المذاب ، والدرع : قميص المرأة
 وليكون ألمهن بسبب الجرب أشد » . وفيه : معرفة الأربع التي من أمر الجاهلية
 وذكر الكفر في بعضها ، وأن من الكفر ما لا يخرج من الملة ووعيد النائحة .
 قاله المصنف رحمه الله تعالى .

(٢) قوله : « ولهما » أي البخاري ومسلم « عن زيد بن خالد الجهني » صحابي
 مشهور ، مات سنة ثمان وستين ، وقيل غير ذلك ، وله خمس وثمانون سنة ،
 قال : « صَلَّى لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ » أي صلى بنا ، فاللام بمعنى الباء . وفيه :
 إطلاق ذلك مجازاً ، وإنما الصلاة لله . قاله الحافظ ابن حجر [الفتح ٥٢٣/٢] .

(٣) قوله : « صلاة الصبح بالحديبية » بتخفيف يائها وقد تُثقل .

(٤) قوله : « على إثر » بكسر الهمزة وسكون التاء على المشهور : وهو ما يعقب
 الشيء .

(٥) قوله : « سماء كانت من الليل » أي مطر ، والسماء يطلق على كل ما ارتفع .

(٦) قوله : « فلما انصرفت » من صلاته إلى المأمومين كما يدل عليه .

أقبل على الناس^(١) ، فقال : « هل تدرّون^(٢) ماذا قال ربكم ؟ » قالوا : الله ورسوله أعلم^(٣) . قال : « قال أصبح من عبادي^(٤) مؤمنٌ بي وكافرٌ ، فأما من قال مُطَرْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ^(٥) فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي^(٦) كَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ :

(١) قوله : « أقبل على الناس » ويحتمل أنه أراد السلام .

(٢) قوله : « فقال : هل تدرّون » * لفظ استفهام ومعناه التنبيه ، وفي النسائي « ألم تسمعوا ما قال ربكم الليلة ؟ » وهذا من الأحاديث القدسية . وفيه : إخراج العالم للمتعلّم المسألة بالاستفهام عنها لقوله : « أتدرّون ماذا قال ربكم ؟ » . قاله المصنف .

(٣) قوله : « قالوا : الله ورسوله أعلم » وفيه : حسن الأدب للمسؤول إذا سُئِلَ عَمَّا لَا يَعْلَمُ وَجِبَ عَلَيْهِ أَنْ يَكِلَ الْعِلْمَ إِلَى عَالِمِهِ ، وَذَلِكَ يَجِبُ .

(٤) قوله : « قال : أصبح من عبادي » الإضافة هنا للعموم بدليل التقسيم إلى « مؤمن وكافر » .

(٥) قوله : « فأما من قال : مُطَرْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ » والفضل والرحمة صفتان لله تعالى ، ومذهب أهل السنة والجماعة : أن ما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسول الله من صفات الذات كالحياة ، والعلم . وصفات الأفعال ؛ كالرحمة التي يرحم بها عباده ، كلها صفات لله قائمة بذاته ، ليست قائمة بغيره ، فتفتن لهذا ، فقد غلط فيه طوائف . قاله في « فتح المجيد » ** .

(٦) قوله : « فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي » لأنه نسب الفعل إلى فاعله ، والنعمة إلى المنعم بها « كافر بالكوكب » .

* أخرجه البخاري (٨٤٦) (١٠٣٨) (٤١٤٧) (٧٥٠٣) ، ومسلم (٧١) .

** (٥٤٤/٢) .

مُطَرْنَا بِنَوْءٍ كَذَا وَكَذَا فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي مُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ^(١) .

ولهما^(٢) من حديث ابن عباس معناه . وفيه : قال بعضهم : لقد صدق نوءٌ كذا وكذا . فأنزل الله هذه الآية : ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ﴾ إلى قوله ﴿ تَكْذِبُونَ ﴾ [الواقعة: ٧٥-٨٢] .

(١) قوله : «وأما من قال : مُطَرْنَا بِنَوْءٍ كَذَا وَكَذَا، فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي مُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ» حيث جعل للنوء تأثيراً في إنزال المطر؛ لأنه شرك في الربوبية ، والمشرك كافر . وفيه : معرفة قوله : « أصبح من عبادي مؤمن بي كافر » بسبب نزول النعمة والتفطن للإيمان في هذا الموضع والتفطن للكفر في هذا الموضع . قاله المصنف رحمه الله تعالى .

(٢) قوله : « ولهما » أي البخاري ومسلم « من حديث ابن عباس معناه . وفيه : قال بعضهم : لقد صدق نوءٌ كذا وكذا » وفيه : التفطن لقوله « لقد صدق نوءٌ كذا وكذا » . « فأنزل الله هذه الآية ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾ » هذا قسم من الله عز وجل يقسم بما شاء من خلقه على ما شاء ﴿ إِنَّهُ لَقَرَّانٌ كَرِيمٌ ﴾ [الواقعة: ٧٧]، وجواب القسم فتكون لا صلة لتأكيد النفي فتقدير الكلام : ليس الامر كما زعمتم في القرآن أنه سحر أو كهانة بل هو قرآن كريم . ومواقع النجوم قال ابن عباس : يعني نجوم القرآن ، فإنه نزل جملة من السماء العليا إلى السماء الدنيا ، ثم نزل مفرقاً في السنين بعد، ثم قرأ ابن عباس هذه الآية ، ومواقعها نزولها شيئاً بعد شيء . وقال مجاهد : مواقع النجوم : مطالعها ومشارقها . واختاره ابن جرير .

وقوله : ﴿ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴾ قال ابن كثير [التفسير ٥٤٤/٧] : وإن هذا القسم الذي أقسمت به لقسم عظيم لو تعلمون عظمته لعظمتهم المقسم به عليه .

قوله : ﴿ إِنَّهُ لَقَرَّانٌ كَرِيمٌ ﴾ هذا هو المقسم عليه وهو القرآن أي إنه وحي الله وتنزيله وكلامه لا كما يقول الكفار إنه سحر ، أو كهانة ، أو شعر ، والكريم

البهي الكثير الخير العظيم ، وهو من كل شيء أحسنه وأفضله. قال الأزهري :
« الكريم : اسم جامع لما يُحمد ، والله تعالى كريمٌ جميلُ الفعال ، وإنه لقرآن
كريم : يُحمد لما فيه من الهدى والبيان والعلم والحكمة » .

قوله : ﴿ فِي كِتَابٍ مَّكْتُوبٍ ﴾ أي : معظم محفوظ موقر . قاله ابن كثير [التفسير ٧/
٥٤٤] . قال ابن القيم : « اختلف المفسرون في هذا فقيل : هو اللوح المحفوظ ،
والصحيح أنه الكتاب الذي بأيدي الملائكة ، وهو المذكور في قوله : ﴿ فِي صُحُفٍ
مُّكَرَّمَةٍ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ كَرِيمٍ بَرِّدَةٍ ﴾ [عبس : ١٣-١٦] ، ويدل
على هذا قوله : ﴿ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴾ فهذا يدل على أنه بأيديهم يمسنه
. وقوله ﴿ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴾ قال ابن عباس : الكتاب الذي في السماء
. وفي رواية : ﴿ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴾ يعني : الملائكة . وقال قتادة : لا يمسه
عند الله إلا المطهرون ، فاما في الدنيا فإنه يمسه الجوسي النجس والمنافق
الرجس ، واختار هذا القول كثيرون ، منهم ابن القيم ورجحه . وقال ابن زيد
: «زعمت قريش أن هذا القرآن تنزلت به الشياطين ، فأخبر الله تعالى أنه لا
يمسه إلا المطهرون ، كما قال تعالى : ﴿ وَمَا نَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ ﴾ وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا
يَسْتَطِيعُونَ ﴿ إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمْعَزُولُونَ ﴾ [الشعراء : ٢١٠-٢١٢] قال ابن كثير
[التفسير ٨/٢٢] : « هذا قول جيد ، وهو لا يخرج عن القول قبله » . وقال
البخاري في «صحيحه» : «في الآية لا يجد طعمه إلا من آمن به » . قال ابن
القيم [البيان في أقسام القرآن ١/٤١٠] : « هذا من إشارة الآية وتنبئها ، وهو أنه
لا يلتذ به وبقراءته وفهمه وتدبره إلا من يشهد أنه كلام الله تكلم به حقاً
وأنزله على رسوله وحياً » ، وقال آخرون : لا يمسه إلا المطهرون من الجنابة



والحدث ولفظ الآية خبر، ومعناه الطلب ، والمراد بالقرآن ههنا المصحف ، واحتجوا على ذلك بما رواه مالك في الموطأ أن الكتاب الذي كتبه رسول الله ﷺ لعمر بن حزم : « أن لا يمس القرآن إلا طاهر »* .

وقوله : ﴿ تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ قال ابن كثير [التفسير ٧/ ٥٤٥] : « هذا القرآن منزل من الله رب العالمين ، وليس كما يقولون إنه سحر أو كهانة أو شعر » .

* أخرجه مالك في الموطأ (٣١٧) مرسلأ ، وعبدالرزاق في المصنف (١/ ٣٤١) ، والدارمي (٢٢٧٨) ، والحاكم في المستدرک (٣/ ٤٨٥) . وصححه ووافقه الذهبي ، وصححه الألباني أيضاً في صحيح الجامع (٢/ ١٢٨٤) رقم (٧٧٨٠) .

٣٦- باب

قول الله تعالى ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾^(١) [البقرة: ١٦٥].

(١) قوله : « باب قول الله تعالى : ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ الآية لما كانت محبة الله سبحانه هي أصل دين الإسلام فبكمالها يكمل وبنقصها ينقص توحيد العبد ، ثب المصنف رحمه على ذلك بهذه الترجمة بالآية . قاله في «فتح المجيد» * . قال ابن كثير في الآية [التفسير ١/ ٤٨٠] : «يذكر تعالى حال المشركين في الدنيا وما لهم في الآخرة من العذاب والنكال حيث جعلوا لله أندادا أي أمثالا ونظراء يحبونهم كحب الله، أي ساوونهم بالله في المحبة والتعظيم» . انتهى . وهذا اختيار شيخ الإسلام في الآية ، ثم بين تعالى أن محبة المؤمنين لله أشد من محبة أصحاب الأنداد لأناداهم وإنما دُموا بأن شركوا بين الله وبين أندادهم في المحبة ولم يخلصوها كمحبة المؤمنين له كما أخبر الله عنهم وهم في النار ، وأنهم يقولون لأهتهم وأندادهم وهي محضرة معهم في العذاب ﴿تَأْتِيهِمُ النَّارُ كَالْعِجْرِ السُّودِ﴾ [الشعراء : ٩٧-٩٨] ، ومعلوم أنهم ما سووهم به في الخلق والربوبية وإنما سووهم به في المحبة والتعظيم . وقال تعالى : ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران : ٣١] ، وهذه تُسمى آية المحنة ، قال بعض السلف : « ادعى قوم محبة الله فأنزل الله تعالى آية المحنة ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ إشارة على دليل المحبة وثمرتها وفائدتها . فدليلها وعلامتها : اتباع الرسول ﷺ ، وفائدتها وثمرتها : محبة المرسل إليكم ، فما لم تحصل منكم المتابعة فمحببتكم له غير حاصلة ، ومحبته لكم منتفية . ومن

وقوله : ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ - إِلَى قَوْلِهِ - أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ ^(١) [التوبة : ٢٤] الآية .

لازم محبة الله محبة أنبيائه ورسوله وملائكته وكتبه والصالحين من عباده وكراهة ما يكرهه الله سبحانه، ومعاداة أعدائه وموالاته أوليائه ، فلا تحصل كمال محبة الله الواجبة إلا بكمال ذلك وإيثاره على ما تهواه النفوس ، فمن ادعى محبة الرسول بدون متابعتة وتقديم قوله فقد كذب . وذكر أبو بكر الكناني أن الأسباب الجالبة لمحبة الله عشرة : أحدها : قراءة القرآن بالتدبر والتفهم لمعانيه وما أريد به . الثاني : التقرب إل الله تعالى بالنوافل بعد الفرائض . الثالث : دوام ذكره على كل حال باللسان والقلب والعمل والحال فنصيبه من المحبة على قدر هذا . الرابع : إيثار محابه على محابك عند غلبة الهوى . الخامس : مطالعة القلب لأسمائه وصفاته ومشاهدتها وتقلبه في رياض هذه المعرفة وميادينها . السادس : مشاهدة براه وإحسانه ونعمه الظاهرة والباطنة . السابع - وهو أعجبها - : انكسار القلب بين يديه . الثامن : الخلوة وقت النزول الإلهي وتلاوة كتابه ثم ختم ذلك بالاستغفار والتوبة . التاسع : مجالسة المحبين الصادقين والتقاط أطيب ثمرات كلامهم ولا تتكلم إلا إذا ترجحت مصلحة الكلام وعلمت أن فيه مزيداً لحالك ومنفعة لغيرك . العاشر : مباحة كل سبب يحول بين القلب وبين الله عز وجل . فمن هذه الأسباب العشرة وصل المحبون إلى منازل المحبة ودخلوا على الحبيب . وفيه : معرفة تفسير آية البقرة، وأن من اتخذ نداً تساوى محبته محبة الله فهو الشرك الأكبر، وإن من المشركين من يحب الله حباً شديداً . قاله المصنف رحمه الله تعالى .

(١) قوله : « وقول الله تعالى : ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ

عن أنس^(١) ، أن رسول الله ﷺ قال : « لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين » . أخرجاه .

إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَكُمُ اللَّهُ بِأَمْرٍ وَأَلَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿ قال ابن كثير [التفسير ٤/ ١٢٤] : « أي إن كانت هذه الأشياء « أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا » أي انتظروا ماذا يجلب بكم من عقابه » . روى الإمام أحمد وأبوداود واللفظ له من حديث عبدالرحمن السلمي عن عطاء الخراساني عن نافع عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد ، سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه عنكم حتى تراجعوا دينكم »* . وفيه : معرفة تفسير آية براءة والوعيد على من كانت الثمانية أحب إليه من دينه . قاله المصنف رحمه الله تعالى .

(١) قوله : « وعن أنس ؓ أن رسول الله ﷺ قال : « لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين » . أخرجاه** . أي البخاري ومسلم . وقوله : « لا يؤمن » أي لا يكون آتياً بالإيمان الواجب عليه، فدل على أن من لم يكن الرسول أحب إليه من ولده ووالده بل ومن نفسه فهو من أصحاب الكبائر إن لم يكن كافراً . قال شيخ الإسلام [الكلام على حقيقة الإسلام (٦٦)]: « فإنه لا يعهد نفي اسم مسمى أمر الله به ورسوله إلا إذا ترك بعض واجباته ، فإذا كان الفعل مستحباً في العبادة لم ينفها الانتفاء المستحب ولو صلح هذا النفي عن جمهور المؤمنين اسم الإيمان والصلاة ونحو ذلك ، وهذا لا يقوله عاقل ، فمن قال

* أخرجه أبوداود (٣٤٦٢) ، وصححه الألباني . انظر : السلسلة الصحيحة رقم (١١) .

** أخرجه البخاري (١٥) ، ومسلم (١٤) .

ولهما^(١) عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ثلاثٌ من كن فيه وجد بهنَّ حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا

إنه نفي الكمال فإن أراد المستحب فهذا لم يقع قط في كلام الله ورسوله . انتهى ملخصاً . وفيه : أن الأعمال من الإيمان ، لأن المحبة عمل القلب وأن محبة الرسول ﷺ واجبة تابعة لمحبة الله لازماً لها فإنها محبة الله ولأجله تزيد بزيادة محبة الله في قلب المؤمن وتنقص بنقصها . وفيه : وجوب تقديم محبة ﷺ على النفس والأهل والمال ، وأن نفي الإيمان لا يدل على الخروج من الإسلام . قاله المصنف رحمه الله . قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى [الكلام على حقيقة الإسلام (٢٨١)]: «وعامة الناس إذا أسلموا بعد كفر أو ولدوا على الإسلام والتزموا شرائعه وكانوا من أهل الطاعة لله ورسوله فهم مسلمون ومعهم إيمان مجمل، لكن دخول حقيقة الإيمان إلى قلوبهم يحصل شيئاً فشيئاً إن أعطاهم الله ذلك، وإلا فكثير من الناس لا يصلون إلى اليقين ولا إلى الجهاد ولو شككوا لشكوا، ولو أمروا بالجهاد لما جاهدوا، إذ ليس عندهم من علم اليقين ما يدرأ الريب ولا عندهم من قوة الحب لله ورسوله ما يقدمونه على الأهل والمال ، فهؤلاء إن عوفوا من المحنة وماتوا دخلوا الجنة ، وإن ابتلوا بمن يدخل عليهم شبهات توجب ريبهم فإن لم ينعم الله عليهم بما يزيل الريب وإلا صاروا مرتابين وانتقلوا إلى نوع من النفاق . انتهى .

(١) قوله : «ولهما» أي البخاري ومسلم «عن أنس ؓ قال : قال رسول الله ﷺ: «ثلاثٌ من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما» * ثنى الضمير لتلازم المحبتين « وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله ، وأن يكره

يجبه إلا الله ، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه ، كما يكره أن يقذف في النار» . وفي رواية : « لا يجذ أحد حلاوة الإيمان حتى .. » إلى آخره^(١) .
وعن ابن عباس^(٢) قال : من أحب في الله ، وأبغض في الله ، ووالى في

أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار » . قال شيخ الإسلام [الفتاوى ٢٠٦/١٠] : « أخبر ﷺ أن هذه الثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان ، فحلاوة الإيمان المتضمنة للذة والفرح تتبع كمال محبة العباد لله ، وذلك بثلاثة أمور : تكميل هذه المحبة وتفريغها ودفع ضدها ، فتكميلها ، أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، فإن محبة الله ورسوله لا يكتفى فيها بأصل الحب ، بل لابد أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وتفريغها ، أن يحب المرء لا يحب إلا الله ، ودفع ضدها ، أن يكره ضد الإيمان كما يكره أن يقذف في النار . انتهى .
ويجب معرفة الفرق بين المحبة لله والمحبة مع الله ، فمن أحب مخلوقاً كما يحب الله فقد جعله نداً لله ، وهذه المحبة تضره ولا تنفعه ، وأما من كان الله أحب إليه مما سواه وأحب أنبياءه وعباده الصالحين له فحبه لله هو أنفع الأشياء ، والفرق بين هذين من أعظم الأمور . قال يحيى بن معاذ : حقيقة الحب في الله أن لا يزيد بالبر ، ولا ينقص بالجفاء .

(١) قوله : « وفي رواية : لا يجذ أحد حلاوة الإيمان حتى ... » إلى آخره » هذه الرواية ذكرها البخاري في « الأدب المفرد » من صحيحه ولفظه : « لا يجذ أحد حلاوة الإيمان » . قال النووي : « معنى حلاوة الإيمان : استلذاذ الطاعات ، وتحمل المشاق ، وإيثار ذلك على أغراض الدنيا » . وفيه : أن للإيمان حلاوة قد يجدها الإنسان ، وقد لا يجدها . قاله المصنف رحمه الله .

(٢) قوله : « وعن ابن عباس » رضي الله عنهما « قال : من أحب في الله ، وأبغض في

الله ، ووالى في الله ، وعادى في الله ، فإنما تنال ولاية الله بذلك ، ولن يجد عبداً طعم الإيمان - وإن كثرت صلاته وصومه - حتى يكون كذلك ، وقد صارت عامة مواخاة الناس على أمر الدنيا ، وذلك لا يجدي على أهله شيئاً . رواه ابن جرير . وأخرج ابن أبي شيبة وابن أبي حاتم الجملة الأولى منه فقط .
قوله : « من أحب في الله » أي أحب أهل الإيمان بالله وطاعته من أجل ذلك .
قوله : « وأبغض في الله » أي أبغض من كفر بالله وأشرك به ونسق عن طاعته وإن كان أقرب قريب إليه .
قوله : « ووالى في الله » أي والى أولياءه .

قوله : « وعادى في الله » أي عادى أهل معصيته وإن كان أقرب قريب ، وجاهد أعداءه ، ونصر أنصاره ، وكلما قويت محبة العبد لله في قلبه قويت هذه الأعمال المترتبة عليها ، ويكاملها يكمل توحيد العبد ، ويكون ضعفها على قدر ضعف محبة العبد لربه ، فمستقل ومستكثر ومحروم .

قوله : « فإنما تنال ولاية الله بذلك » أي توليه لعبده . ولاية بفتح الواو لا غير الأخوة والنصرة والمحبة ، وبالكسر الإمارة والمراد هنا الأول . قاله في «فتح المجيد» ،
ولحبة الله شروط ذكرها العلامة ابن القيم في قوله [الكافية الشافية (٢٥٨)]:

| | |
|---------------------------------|---------------------------|
| شرط المحبة أن توافق من تحب | على محبته بلا عصيان |
| فإذا ادعيت المحبة مع خيلا | فك ما يحب فانت ذو بهتان |
| أتحب أعداء الحبيب وتدعي | حباله ما ذاك في إمكان |
| وكذا تُعادى جَاهِداً أَحِبَّاهُ | أين المحبة يا أبا الشيطان |

قوله : « ولن يجد عبداً طعم الإيمان وإن كثرت صلاته وصومه حتى يكون كذلك » أي

الله ، وعادى في الله ، فإنما تنال ولاية الله بذلك ، ولن يجد عبد طعم الإيمان - وإن كثرت صلاته وصومه - حتى يكون كذلك، وقد صارت عامة مؤاخاة الناس على أمر الدنيا، وذلك لا يجدي على أهله شيئاً. رواه ابن جرير .
وقال ابن عباس^(١) في قوله : ﴿ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ﴾ [البقرة: ١٦٦] .

حتى يحب في الله ويغض في الله، ويوالي في الله ويعادي في الله . ولأحمد والطبراني عن النبي ﷺ قال : « لا يجد العبد صريح الإيمان حتى يحب في الله، ويغض في الله ، فإذا أحب في الله وأبغض في الله فقد استحق الولاية »* ، وفي حديث أبي أمامة مرفوعاً : « من أحب لله وأبغض لله، وعادى لله، وأعطى لله ومنع لله ، فقد استكمل الإيمان»** رواه أبوداود . وفيه معرفة أعمال القلب الأربع التي لا تنال ولاية الله إلا بها ولا يجد أحد طعم الإيمان إلا بها. قاله المصنف رحمه الله تعالى .
قوله : « وقد صارت عامة مؤاخاة الناس على أمر الدنيا » هذا في زمن ابن عباس رضي الله عنهما فكيف لو رأى مؤاخاة أهل زماننا على الكفر والفسوق والعصيان؟ .
قوله : « وذلك لا يجدي على أهله شيئاً » يعني أنه إذا ضعف داعي الإيمان أحب دنياه وإيثار ما يهواه على ما يحبه الله ورسوله وذلك غير نافع لهم بل يضر في العاجل والآجل، فالله المستعان . وفيه : فهم الصحابي للواقع أن عامة المؤاخاة على أمر الدنيا . قاله المصنف رحمه الله تعالى .
(١) قوله : « وقال ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ﴾ قال :
المودة » . هذا الأثر رواه عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم
والحاكم وصححه .

* أخرجه أحمد (٤٣٠/٣) . قال الحافظ ابن حجر: في إسناده رشدين بن سعد وهو ضعيف .
انظر : موسوعة ابن حجر الحديثية (١/٣٣) .
** أخرجه أبوداود (٤٦٨١) وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٠٣٤/٢) رقم (٥٩٦٥) .

قال : المودة^(١) .

(١) وقوله : « المودة » أي التي كانت بينهم في الدنيا خانتهم أحواج ما كانوا إليها كما قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَنُكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴾ [العنكبوت : ٢٥] ، وقال العلامة ابن القيم رحمه الله [الرسالة التبوكية (٥٧)] في قوله : ﴿ إِذ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْكُذَّابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ﴾ [البقرة : ١٦٦] الآيتين : « فهؤلاء المتبوعون كانوا على الهدى وأتباعهم ادَّعوا أنهم على طريقتهم ومنهاجهم ، وهم مخالفون لهم سالكون غير طريقهم ويزعمون أن محبتهم لهم تنفعهم مع مخالفتهم فيتبرؤون منهم يوم القيامة فإنهم اتخذوهم أولياء من دون الله . وهذا حال كل من اتخذ من دون الله وليجة وأولياء يوالي لهم ويعادي لهم ويرضى لهم ويغضب لهم ، فإن أعماله كلها باطلة يراها يوم القيامة حسرات عليه إذ لم يجد موالاته ومعاداته وحبه ويغضه وانتصاره وإيثاره لله ورسوله ، فأبطل الله عز وجل ذلك العمل كله وقطع تلك الأسباب، ولا يبقى إلا السبب الواصل بين العبد وربّه ، وتجريده عبادته لله وحده ولوازمها من الحب والبغض والعطاء والمنع والموالات والمعاداة، وتجريد متابعة رسوله تجريداً بريئاً من شوائب الالتفات إلى غيره فضلاً عن تقديم قول غيره عليه، فهذا السبب الذي لا ينقطع بصاحبه * . انتهى ملخصاً . وفيه : معرفة تفسير ﴿ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ﴾ . قاله المصنف رحمه الله تعالى .

* الرسالة التبوكية ، لابن القيم (ص/ ٥٧) .

٣٢- باب

قول الله تعالى : ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (١) [آل عمران : ١٧٥] .

(١) قوله : « باب قول الله تعالى : ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ وهذا نهى من الله تعالى للمؤمنين أن يخافوا غيره، وأمر لهم أن يقصروا خوفهم عليه فلا يخافون إلا إياه، وهذا هو الإخلاص الذي أمر الله به عباده ورضيه منهم، فالخوف من أفضل مقامات الدين وأجلها، وأجمع أنواع العبادة التي يجب إخلاصها لله تعالى . قال ابن القيم رحمه الله تعالى [إغاثة اللفيهان / ١ / ١٣٠] : « ومن كيد عدو الله أنه يخوف المؤمنين من جنده وأوليائه لئلا يجاهدوهم ولا يأمرهم بمعروف ولا ينهوهم عن منكر ، [وأخبر تعالى أن هذا من كيد الشيطان وتخويفه] * ونهانا أن نخافهم ، قال : والمعنى عند جميع المفسرين : يخوفهم بأوليائه . قال قتادة : يعظمهم في صدوركم ، فكلما قوي إيمان العبد زال خوف أولياء الشيطان من قلبه، وكلما ضعف إيمانه قوي خوفه منهم ، فدللت الآية على أن إخلاص الخوف من كمال شروط الإيمان» . وقال أيضاً [طريق المهجرتين (٣٦٢)] : «الخوف عبودية القلب فلا يصلح إلا لله كالذلّ والإنابة والمحبة والتوكل والرجاء وغيرها من عبودية القلب» . والخوف من حيث هو ثلاثة أقسام : أحدها : خوف السر، وهو أن يخاف من وثن أو طاغوت أن يصيبه بما يكره، كما قال تعالى عن قوم هود : ﴿إِنْ نَقُولُ إِلَّا أَعْرَضْنَاكَ بَعْضَ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ﴾ [هود : ٥٤] الآية ، وقال تعالى : ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾ [الزمر : ٣٦] ، فعباد القبور ونحوها من الأوثان يخافونها ويخوفون بها أهل التوحيد إذا أنكروا عبادتها وهذا ينافي التوحيد .

وقوله : ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ مَن ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ ﴾ ^(١) الآية [التوبة : ١٨] .

الثاني ، أن يترك الإنسان ما يجب عليه من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر خوفاً من بعض الناس ، وهذا محرّم ، وهو نوع شرك بالله ينافي كمال التوحيد ، وفي الحديث : « يقول الله تعالى للعبد يوم القيامة: ما منعك إذ رأيت المنكر أن لا تغيره؟ فيقول: يا رب خشية الناس . فيقول: إياي كنت أحق أن تخشى »* .

الثالث ، الخوف الطبيعي، كالخوف من عدو أو سبع فهذا لا يذم، قال تعالى عن موسى : ﴿ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ﴾ [الشعراء : ١٤] . وفيه : معرفة تفسير آية آل عمران، وأن إخلاص الخوف لله من الفرائض، وذكر ثواب من فعله وذكر عقاب من تركه. قاله المصنف رحمه الله تعالى.

(١) قوله : « وقول الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ مَن ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ ﴾ الآية » أخبر تعالى أن مساجد الله لا يعمرها بالطاعة والعمل الصالح إلا أهل الإيمان بالله واليوم الآخر، الذين آمنوا بقلوبهم وعملوا بجوارحهم وأخلصوا له الخشية دون ما سواه، فأثبت لهم عمارة المساجد بعد أن نفاها عن المشركين .

قوله : ﴿ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ ﴾ وهذا هو الشاهد من الآية للترجمة . قال ابن عطية: « يريد خشية التعظيم والعبادة والطاعة ولا محالة أن الإنسان يخشى المحاذير الدنيوية وينبغي أن يخشى في ذلك كله قضاء الله وتصريفه » . قال في « قرة العيون »** : « لأن النفع والضرر إنما يكون بمشيئته وإرادته، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن » .
وقوله : ﴿ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴾ قال ابن أبي طلحة عن ابن عباس يقول : « إن أولئك هم المهتدون، وكل « عسى » في القرآن فهي واجبة » .

* أخرجه أحمد (٣/٢٧، ٢٩، ٧٧) ، وابن حبان في صحيحه (٩/٢٣٠) .

** (ص/١٦٨)

وقوله : ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ﴾ ^(١) الآية [العنكبوت : ١٠] .
 عن أبي سعيد رضي الله عنه مرفوعاً ^(٢) : «إِنَّ مِنْ ضَعْفِ الْيَقِينِ أَنْ تُرْضِيَ النَّاسَ

وقال محمد بن إسحاق : « وعسى من الله حق » . وفيه : معرفة تفسير آية براءة .
 قاله المصنف رحمه الله .

(١) قوله : ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ﴾ الآية . قال ابن القيم رحمه الله تعالى [إغاثة اللهفان ٢/١٨٩] : « أخبر تعالى عن حال الداخل في الإيمان بلا بصيرة أنه إذا أُوذِيَ في الله جعل فتنة الناس وهي أذاهم أو نيلهم له بالمكروه وهو الألم الذي لا بد أن ينال الرسل وأتباعهم ممن خالفهم، جعل ذلك في الفرار منه وتركه السبب الذي يناله به كعذاب الله الذي فرّ منه المؤمنون بالإيمان ، فالمؤمنون لكمال بصيرتهم فروا من ألم عذاب الله إلى الإيمان وتحملوا ما فيه من الألم الزائل المفارق عن قريب ، وهذا لضعف بصيرته فرّ من ألم أعداء الرسل إلى موافقتهم ومتابعتهم ففرّ من ألم عذابهم إلى ألم عذاب الله، وغبن كل الغبن ؛ إذا استجار من الرمضاء بالنار ، وفرّ من ألم ساعة إلى ألم الأبد ، وإذا نصر الله جنده وأولياءه قال : إني كنت معكم والله أعلم بما انطوى عليه صدره من النفاق » . انتهى . وإنما حمل ضعيف البصيرة على أن جعل فتنة الناس كعذاب الله هو الخوف منهم أن ينالوه بما يكرهه، وذلك من جملة الخوف من غير الله ، وهذا وجه مطابقة الآية للترجمة . قاله في «الشرح» * . وفيه : معرفة تفسير آية العنكبوت .
 قاله المصنف رحمه الله تعالى . وفيه : الخوف من مدهانة الخلق في الحق، والمعصوم من عصمه الله . قاله في «فتح المجيد» ** .

(٢) قوله : «وعن أبي سعيد رضي الله عنه مرفوعاً : «إِنَّ مِنْ ضَعْفِ الْيَقِينِ أَنْ تُرْضِيَ النَّاسَ بِسَخَطِ اللَّهِ، وَأَنْ تَحْمَدَهُمْ عَلَى رِزْقِ اللَّهِ، وَأَنْ تَذُمَّهُمْ عَلَى مَا لَمْ يُؤْتِكَ اللَّهُ ، إِنْ رَزَقَ اللَّهُ لَا يَجْرُهُ

* (ص/٤٢١-٤٢٢) .

** (٢/٥٧٩) .

حرصٌ حريص، ولا يردُّه كراهيةً كاره * هذا الحديث رواه أبو نعيم في الحلية، والبيهقي وأعله محمد ابن مروان السدي. وقال : ضعيف . وفيه أيضاً عطية العوفي ذكره الذهبي في الضعفاء والمتروكين ، ومعنى الحديث صحيح وتامه : « وأن الله بحكمته جعل الروح والفرح في الرضى واليقين، وجعل الهم والحزن في الشك والسخط » .

قوله : « إن من ضعف اليقين » الضعف بالضم ويحرك ضد القوة، والضعف بالفتح في الردى ، وبالضم في البدن ، واليقين كمال الإيمان . قال ابن مسعود : اليقين الإيمان كله، والصبر نصف الإيمان . رواه أبو نعيم في الحلية والبيهقي في الزهد من حديثه مرفوعاً .

قوله : « أن ترضي الناس بسخط الله » أن تؤثر رضاهم على رضى الله وذلك إذا لم يقم بقلبه من إعظام الله وإجلاله وهيبته، ما يمنعه من استجلاب رضى المخلوق بما يجلب له سخط خالقه وربّه ومليكه، الذي يتصرف في القلوب، ويفرّج الكروب، ويغفر الذنوب، وبهذا الاعتبار يدخل في نوع من الشرك ؛ لأنه أثر رضى المخلوق على رضى الله، وتقرب إليه بما يسخط الله ، ولا يسلم من ذلك إلا من سلمه الله ووقفه لمعرفته ومعرفة إثبات صفاته على ما يليق بجلاله ، وتنزيهه تعالى عن كل ما ينافي كماله، ومعرفة توحيده في ربوبيته وإلهيته. قاله في «فتح المجيد» ** . وقال ابن رجب رحمه الله تعالى : « فمن تحقق أن كل مخلوق فوق التراب فهو تراب فكيف يقدّم طاعة من هو تراب على طاعة رب الأرباب ؟ أو كيف يرضى التراب بسخط الملك الوهاب ؟ إن هذا لشيء عجاب » .

* أخرجه أبو نعيم في الحلية (١٠/٤١) ، والبيهقي (١/١٥٢-١٥٣) في شعب الإيمان، بلفظ « إن من ضعف اليقين .. » . قال الألباني : «موضوع» . انظر : الضعيفة (١٤٨٢) .

قوله : « وَأَنْ تَحْمَدَهُمْ عَلَى رِزْقِ اللَّهِ » أي على ما وصل إليك من أيديهم بأن تضيفه إليهم وتحمدهم عليه ، والله تعالى هو الذي كتبه لك ويسره لك ، فإذا أراد أمراً قَبِضَ له أسباباً ، ولا ينافي هذا حديث : « مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ لَا يَشْكُرُ اللَّهَ »* لكون الله ساقه على أيديهم فتدعو لهم أو تكافئهم لحديث : « مَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافَتْهُ »** الحديث .

قوله : « وَأَنْ تَذْمَهُمْ عَلَى مَا لَمْ يُوْتِكَ اللَّهُ » لأنه لم يقدر لك ما طلبته على أيديهم ، فلو قدر ساقه إليك ، فمن علم أن الله سبحانه هو المنفرد بالعطاء والمنع بمشيئته وإرادته وأنه الذي يرزق العبد بسبب وبلا سبب، ومن حيث لا يحتسب لم يسأل حاجته إلا منه وحده، ولم يمدح مخلوقاً على رزق، ولم يذمه على منع، ويفوض أمره إلى الله ويعتمد عليه في أمر دينه ودنياه ، ولعل ما منع من ذلك يكون خيراً له ويحسن الظن بالله سبحانه ولا يرغب إلا إليه ولا يخاف إلا من ذنبه ، وقد قرّر النبي ﷺ هذا المعنى بقوله : « إِنْ رَزَقَ اللَّهُ لَا يَجْرَهُ حَرَصٌ حَرِيصٌ ، وَلَا يَرُدُّهُ كَرَاهِيَةٌ كَارِهِةٌ »*** كما قال تعالى : ﴿ مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ ﴾ [فاطر : ٢] قال شيخ الإسلام [الفتاوى ١/٥١] : « اليقين يتضمن اليقين في القيام بأمر الله وما وعد أهل طاعته . ويتضمن القيام بقدر الله وخلقه وتدييره، فإذا أرضيتهم بسخط الله لم تكن موقناً لا بوعده ولا برزقه، فإنه إنما يحمل الإنسان على ذلك إما ميل إلى ما في أيديهم فيترك القيام فيهم بأمر الله لما يرجوه

* أخرجه الترمذي (٢٠٢١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وقال : حديث حسن، والإمام أحمد

(٧٩٣٩) (٣٢٢٢/١٣) الرسالة، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٦٦٠١) (٢/٨٢٢).

** أخرجه أبو داود (١٦٧٢) ، والنسائي (٢٥٦٧) . قال الألباني : صحيح . انظر : صحيح

سنن أبي داود (٣١٤/١) رقم (١٤٦٨) .

*** أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد (ص : ٤ ، ٧٤) .

بسخط الله، وأن محمدهم على رزق الله، وأن تدمهم على ما لم يؤتكم الله ، إن رزق الله لا يجره حرص حريص ، ولا يرده كراهية كاره .

وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال : « من التمس رضى الله بسخط الناس رضي الله عنه وأرضى عنه الناس ، ومن التمس رضى الناس بسخط الله سخط الله عليه وأسخط عليه الناس » . رواه ابن حبان في صحيحه (١) .

منهم، وإما ضعف تصديقه بما وعد الله أهل طاعته من النصر والتأييد والثواب في الدنيا والآخرة، فإنك إذا أرضيت الله نصرته ورزقك وكفاك مؤنتهم، وإرضاؤهم بما يسخط الله إنما يكون خوفاً منهم ورجاء لهم، وذلك من ضعف اليقي . انتهى . وهذا هو الشاهد من الحديث للترجمة . وفيه : أن اليقين يضعف ويقوى ، وعلامة ضعفه ومن ذلك هذه الثلاثة . قاله المصنف رحمه الله تعالى . وفيه : أن الإيمان يزيد وينقص ، وأن الأعمال داخلية في مسمى الإيمان، وإلا لم تكن هذه الثلاث من ضعفه وأضدادها من قوته . قاله في «الشرح»* .

(١) قوله : « وعن عائشة - رضي الله عنها - أن رسول الله ﷺ قال : « من التمس رضا الله بسخط الناس؛ رضي الله عنه وأرضى عنه الناس ، ومن التمس رضى الناس بسخط الله ؛ سخط الله عليه وأسخط عليه الناس »** . رواه ابن حبان في صحيحه . ورواه الترمذي عن رجل من أهل المدينة قال : كتب معاوية ؓ إلى عائشة - رضي الله عنها - أن اكتبي لي كتاباً توصيني فيه ولا تكثري عليّ . فكتبت عائشة - رضي الله عنها - : (إلى معاوية ، سلام عليك، أما بعد : فإنني سمعت

* (ص/٤٢٤) .

** أخرجه ابن حبان في صحيحه (٥١٠/١) رقم (٢٧٦) ، من طريق الترمذي (٢٤١٤) ، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢/٢٨٨) .



رسول الله ﷺ يقول : « من التمس رضا الله بسخط الناس كفاه الله مؤنة الناس ، ومن التمس رضا الناس بسخط الله وكله الله إلى الناس » . والسلام عليك . ورواه أبو نعيم في الحلية* .

قوله : « من التمس » أي : طلب . قال شيخ الإسلام [الفتاوى ١/ ٥٢] : « وكتبت عائشة - رضي الله عنها - إلى معاوية ، ورؤي أنها رفعتة : « من أرضى الله بسخط الناس كفاه الله مؤونة الناس ، ومن أرضى الناس بسخط الله لم يُغنوا عنه من الله شيئاً » هذا لفظ المرفوع ، ولفظ الموقوف « من أرضى الله بسخط الناس رضي الله عنه وأرضى عنه الناس ، ومن أرضى الناس بسخط الله عاد حامده من الناس له ذاماً » . وهذا من أعظم الفقه في الدين ، فإن من أرضى الله بسخطهم كان قد اتقاه وكان عبده الصالح والله يتولى الصالحين والله كاف عبده ، ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴿ [الطلاق : ٢-٣] ، والله يكفيه مؤونة الناس بلا ريب . وأما كون الناس كلهم يرضون عنه فقد لا يحصل ذلك لكن يرضون عنه إذا سلموا من الأغراض ، وإذا تبين لهم العاقبة ، « ومن أرضى الناس بسخط الله لم يُغنوا عنه من الله شيئاً » ، كالظالم الذي يعرض على يديه . وأما كون حامده ينقلب ذاماً فهذا يقع كثيراً ويحصل في العاقبة ، فإن العاقبة للمتقين لا تحصل ابتداءً » . انتهى .

باب ٣٣-

قول الله تعالى: ﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾^(١) [المائدة: ٢٣].

(١) قوله: « باب قول الله تعالى: ﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ أراد المصنف رحمه الله بالترجمة بهذه الآية بيان أن التوكل فريضة يجب إخلاصها لله تعالى، فإن تقديم المعلول يفيد الحصر، أي: وعلى الله فتوكلوا لا على غيره، فهو من أجمع أنواع العبادة وأعظمها. قال الإمام أحمد: «التوكل عمل القلب». وقال ابن القيم في الآية المترجم بها [طريق المهجرتين (٣٢٧-٣٣٠)]: «جعل التوكل على الله شرطاً في الإيمان، فدل على انتفاء الإيمان عند انتفائه. وفي الآية الأخرى ﴿ قَالَ مُوسَىٰ يَأْتِيكُمُ الْيَوْمَ إِنْ كُنْتُمْ ءَامِنْتُمْ بِاللَّهِ فَقَالِيزِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ ﴾ [يونس: ٨٤] فجعل دليل صحة الإسلام التوكل، وكلما قوي إيمان العبد كان توكله أقوى، وإذا ضعف الإيمان ضعف التوكل، وإذا كان التوكل ضعيفاً كان دليلاً على ضعف الإيمان ولا بد، والله تعالى يجمع بين التوكل والعبادة، وبين التوكل والإيمان، وبين التوكل والتقوى، وبين التوكل والإسلام، وبين التوكل والهداية، فظهر أن التوكل أصل لجميع مقامات الإيمان والإحسان وجميع أعمال الإسلام، وأن منزلته منها كمنزلة الجسد من الرأس. فكما لا يقوم الرأس إلا على البدن، وكذلك لا يقوم الإيمان ومقاماته وأعماله إلا على ساق التوكل». قال شيخ الإسلام رحمه الله: «وما رجا أحد مخلوقاً ولا توكل عليه إلا خاب ظنه، فإنه مشرك ﴿ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنْ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِينٍ ﴾ [الحج: ٣١]. انتهى.

والتوكل على غير الله قسمان: أحدهما: التوكل في الأمور التي لا يقدر عليها إلا الله تعالى: كالذين يتوكلون على الأموات والطواغيت في رجاء مطالبهم من نصر أو حفظ أو رزق أو شفاة، فهذا شرك أكبر. الثاني: التوكل في الأسباب الظاهرة: كمن يتوكل على أمير أو سلطان فيما أقدره الله عليه من رزق أو دفع أذى ونحو ذلك، فهو نوع شرك أصغر. والوكالة الجائزة هي: توكيل الإنسان في

وقوله : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ ^(١) [الأنفال : ٢].

فعل ما يقدر عليه نيابة عنه . لكن ليس له أن يعتمد في حصول ما وكل فيه، بل يتوكل على الله في تيسير أمره الذي يطلبه بنفسه أو بنائبه ، وذلك من جملة الأسباب التي يجوز فعلها ولا يعتمد عليها بل يعتمد على المسبب الذي أوجد السبب والمسبب . قاله في «الشرح» * . وفي الآية : أن التوكل من الفرائض وأنه من شروط الإيمان . قاله المصنف رحمه الله تعالى .

(١) قوله : « وقول الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ ﴾

قال البغوي : « أي خافت وقرت قلوبهم » . وقيل : إذا خوفوا بالله انقادوا خوفاً من عقابه . قال ابن عباس - رضي الله عنهما - في الآية أن المنافقين لا يدخل قلوبهم شيء من ذكر الله عند أداء فرائضه ولا يؤمنون بشيء من آياته ولا يتوكلون على الله ولا يصلون إذا غابوا ولا يؤدون زكاة أموالهم، فأخبر الله أنهم ليسوا بمؤمنين ، ثم وصف المؤمنين فقال : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ فأدوا فرائضه . رواه ابن جرير وابن أبي حاتم .

وقوله : ﴿ وَإِذَا تَلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا رَدَّتْهُمْ إِيْمَانًا ﴾ أي تصديقاً وبقينياً ، وقد استدل الصحابة والتابعون ومن تبعهم من أئمة السلف بهذه الآية ونظائرها على أن «الإيمان : قول وعمل ، يزيد وينقص» . قال عمير بن حبيب الصحابي : إن الإيمان يزيد وينقص ، فليل له : وما زيادته وما نقصانه ؟ قال : إذا ذكرنا الله وخشيناه فذلك زيادته، وإذا غفلنا ونسينا وضيعنا فذلك نقصانه . وحكى الإجماع على ذلك الشافعي وأحمد وأبو عبيدة وغيرهم .

وقوله : ﴿ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ أي يعتمدون عليه بقلوبهم مفوضين إليه أمورهم وحده لا شريك له، فلا يرجون سواه ولا يقصدون إلا إياه ولا يرغبون إلا إليه،

وقوله: ﴿يَتَأَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(١) [الأنفال: ٦٤].
 ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣].

يعلمون أن ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، وأنه المتصرف في الملك وحده لا شريك له ، وهذا هو الشاهد من الآية في الترجمة . وفي الآية : وصف المؤمنين حقاً بثلاث مقامات من مقامات الإحسان وهي : الخوف ، وزيادة الإيمان ، والتوكل على الله وحده .

وقوله : ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾ قال قتادة : « إقامة الصلاة : المحافظة على مواقيتها ووضوئها وركوعها وسجودها وتلاوة القرآن فيها والتشهد والصلاة على النبي ﷺ فيها ، هذا هو إقامتها » .

وقوله : ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ الإنفاق مما رزقهم الله يشمل إخراج الزكاة وسائر الحقوق للعباد من واجب ومستحب . قال قتادة في قوله ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ فأنفقوا مما أعطاكم الله ، فإنما هذه الأموال عوار وودائع عندك يا ابن آدم أوشكت أن تفارقها . وهذه الأعمال الخمسة مستلزمة لباقي الواجبات، فلذا اقتصر عليها. وفيه : معرفة تفسير آية الأنفال . قاله المصنف رحمه الله تعالى .

(١) وقوله : ﴿يَتَأَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي كافيك وكافي أتباعك ، وهذا اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى . قال ابن القيم رحمه الله [زاد المعاد ١/٣٧-٣٨] : «أي : الله وحده كافيك وكافي أتباعك فلا تحتاجون معه إلى أحد، فإن الحسب والكفاية لله وحده كال توكل والتقوى والعبادة، قال تعالى : ﴿وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيْدِيكَ بِنُصْرِهِ، وَإِلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ٦٢] ، ففرق بين الحسب والتأييد ، فجعل الحسب له وحده ، وجعل التأييد له بنصره وبعياده ، وأثنى على أهل التوحيد [والتوكل] من عباده حيث أفردوه بالحسب فقال تعالى : ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدِ جَمَعُوا لَكُمْ فَاتَّقَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣] ولم يقولوا : حسبنا الله ورسوله ، فإذا كان هذا قولهم ومدح الرب تعالى لهم فكيف يقول لرسوله «الله وأتباعك حسبك»؟. وأتباعه قد أفردوا الرب تعالى بالحسب ولم

عن ابن عباس قال : ﴿ حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ ^(١) [آل عمران : ١٧٣]

يشركوا بينه وبين رسوله، فكيف يُشرك بينه وبينهم في حَسْبِ رَسُولِهِ ﷺ؟ هذا من أحمل المحال وأبطل الباطل». انتهى.

وبهذا يتبين مطابقة الآية للترجمة. فإذا كان هو الكافي لعبده وجب أن لا يتوكل إلا عليه ومتى التفت إلى سواه وكَلَّه اللهُ إلى من التفت إليه. وفيه : معرفة تفسير آية آخر الأنفال. قاله المصنف رحمه الله تعالى.

وقوله : ﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ قال ابن القيم رحمه الله تعالى [زاد المعاد ٣٨٨/١-٣٩٩] : ﴿ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ أي كافيهِ وواقية فلا مطمع فيه لعدو، ولا يضره إلا أذى لا بد منه كالحر والبرد والجوع والعطش، وأما أن يضره بما يبلغ به مراده فهذا لا يكون أبداً، قال بعض السلف : جعل الله لكل عمل جزاء من نفسه، وجعل جزاء التوكل عليه نفس كفايته فقال : ﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ أي كافيهِ، فلم يقل : فله كذا وكذا من الأجر كما قال في الأعمال، بل جعل الله سبحانه نفسه كافي عبده المتوكل عليه وحسبه وواقية، فلو توكل العبد على الله حق توكله وكادته السموات والأرض ومن فيهن لجعل الله له مخرجاً وكفاه ونصره». انتهى.

وفي الآية دليل على فضل التوكل وأنه أعظم الأسباب في جلب المنافع ودفع المضار؛ لأن الله تعالى علق الجملة الأخيرة على الأولى تعليق الجزاء على الشرط فيمتنع أن يكون وجود الشرط كعدمه لأنه تعالى رتب الحكم على الوصف المناسب له فعلم أن توكله هو سبب كون الله حسباً له. ذكره شيخ الإسلام رحمه الله. وفيها : تنبيه على القيام بالأسباب مع التوكل، فالتوكل بدون القيام بالأسباب المأمور بها عجز. وفيه : معرفة تفسير آية الطلاق. قاله المصنف رحمه الله تعالى.

(١) قوله : « وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : ﴿ حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقى في النار، وقالها محمد ﷺ حين قالوا له : ﴿ إِنَّ النَّاسَ

قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقى في النار ، وقالها محمد ﷺ حين قالوا له ﴿ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَعَلُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَرَادَهُمْ إِيْمَنًا ﴾^(١) [آل عمران : ١٧٣] . رواه البخاري والنسائي .

قَدْ جَعَلُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَرَادَهُمْ إِيْمَنًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿ رواه البخاري والنسائي ﴾* . وفي رواية ابن عباس قال : كان آخر قول إبراهيم عليه السلام حين ألقى في النار : حسبنا الله ونعم الوكيل . رواه البخاري .
وقوله : ﴿ حَسْبُنَا اللَّهُ ﴾ أي كافينا فلا نتوكل إلا عليه .

وقوله : ﴿ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ أي نعم الموكل إليه ، ومخصوص « نعم » محذوف تقديره « هو » ، قال ابن القيم [طريق المهجرتين (٣٣١)] : « هو حسب من توكل عليه وكافي من لجأ إليه وهو الذي يؤمن خوف الخائف ويجير المستجير، فمن تولاه واستنصر به وتوكل عليه تولاه وحفظه، ومن خافه واتقاه أمنه مما يخاف ويحذر » . انتهى . قال شيخ الإسلام [الفتاوى ١/١٨٣] : « وما يُروى أن الخليل لما ألقى في المنجنيق قال [له] جبريل : سَلْ ؟ قال : « حسبي من سؤالي علمه بحالي » . ليس له إسناد معروف ، وهو باطل . وقد رُوِيَ أن جبريل عليه السلام قال : هل من حاجة؟ قال : « أما إليك فلا » . وقد ذكر هذا الأثر الإمام أحمد وغيره . وأما سؤال الخليل لربه عز وجل فهذا مذكور في القرآن في غير موضع فكيف يقول : حسبي من سؤالي علمه بحالي، والله بكل شيء عليم، وقد أمر العباد أن يعبدوه ويتوكلوا عليه ويسألوه ؛ لأن الله سبحانه جعل هذه الأمور أسباباً لما يرتبه عليها من إثابة العابدين وإجابة السائلين، وهو سبحانه يعلم الأشياء على ما هي عليه، فعلمه بأن هذا محتاج وهذا مذنب لا ينافي أن يأمر هذا بالتوبة والاستغفار ، ويأمر هذا بالدعاء ، وغيره من الأسباب التي تقضى بها حاجته، كما يأمر هذا بالعبادة والطاعة التي ينال بها كرامته » . انتهى .

(١) قوله : «وقالها محمد ﷺ حين قالوا له : ﴿ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَعَلُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ ﴾ الآية» ،



وذلك بعد منصرف قريش من أخذ، لقي أبوسفيان ركباً من عبدالقيس فقال : أين تريدون ؟ قالوا : نريد المدينة . قال : فهل أنتم مبلغون محمداً عني رسالة . قالوا : نعم . قال : أخبروه أنا قد أجمعنا السير إليه وإلى أصحابه لنستأصلهم . فمرَّ الركبُ برسول الله ﷺ وهو مجمرأ الأسد فأخبروه بالذي قال أبوسفيان . فقال : « حسبنا الله ونعم الوكيل » أي : نعم من توكل عليه المتوكلون . وخصوص (نعم) محذوف تقديره « نعم الوكيل الله » . قاله في « قرّة العيون » * . فألقى الله الرعبَ في قلب أبي سفيان فرجع إلى مكة بمن معه ، ففي هاتين القصتين فضل هذه الكلمة العظيمة ، وأنها قول الخليلين - عليهما السلام - في الشدائد . قاله المصنف رحمه الله تعالى . وجاء في الحديث : « إذا وقعتم في الأمر العظيم فقولوا حسبنا الله ونعم الوكيل » ** . رواه ابن مردويه .

* (ص/١٧٥) .

** أخرجه ابن مردويه، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع رقم (٧٢٩) .

٣٤- باب

قول الله تعالى : ﴿ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴾^(١) [الأعراف: ٩٩].

(١) قوله : « باب قول الله تعالى : ﴿ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ أراد المصنف رحمه الله بالترجمة بهذه الآية أن يبين أن أهل القرى المكذبين للرسل إنما حملهم على ذلك الأمن من مكر الله بهم وعدم خوفهم منه ، فالأمن من مكر الله من أعظم الذنوب المنافية لكمال التوحيد ، ودليل على ضعف الإيمان ، فمن أمن مكر الله لم يُبال بما ترك من الواجبات وما فعل من المحرمات لعدم خوفه من الله ، بل يجب على الإنسان في هذه الحياة أن يجمع بين الخوف والرجاء ، ولهذا عقب الآية التي ترجم بها بقوله : ﴿ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ ﴾ فلا يغلب عليه الرجاء حتى يوجب له الامن من مكر الله ولا يغلب عليه الخوف حتى يقنط من رحمة الله بل يتساوى خوفه ورجاؤه وهذا مقام الأنبياء والصدّيقين كما قال تعالى : ﴿ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ﴾ [الإسراء: ٥٧] ولهذا يقال الخوف والرجاء بمنزلة الجناحين للطائر ، وأما عند الموت والانتقال إلى الدار الآخرة فيغلب الرجاء لما في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وآله قال : « يقول الله تعالى : أنا عند ظن عبدي بي ، وأنا معه إذا ذكرني ، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، وإن ذكرني في ملأ ، ذكرته في ملأ خير منهم »* . وفي الحديث : « إذا رأيت الله يعطي العبد على معاصيه ما يجب فإنما هو استدراج »** قال تعالى : ﴿ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف: ١٨٢] ، وقال تعالى : ﴿ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِنْ مَّالٍ وَبَيْنَ يَدَيْهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾

* أخرجه البخاري (٧٤٠٥) ، ومسلم (٢٦٧٥) .

** أخرجه أحمد (١٤٥/٤) ، وابن جرير الطبري في تفسيره رقم (١٣٢٤٠ ، ١٣٢٤١) . قال

الألباني : « صحيح » . انظر : صحيح الجامع (١٥٨/١) رقم (٥٦١) .

وقوله : ﴿ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الصَّالُوتُ ﴾^(١) [الحجر : ٥٦] .
وعن ابن عباس : أن رسول الله ﷺ سئل عن الكبائر فقال : « الشرك بالله، واليأس من روح الله ، والأمن من مكر الله »^(٢) .

سَأرِجُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾ [المؤمنون : ٥٥-٥٦] .
قال الحسن البصري : « من وسع عليه فلم ير أنه يمكر به فلا رأي له، ومن قتر عليه فلم ير أنه ينظر له فلا رأي له » .
وقال قتادة : « بعثت القوم أمر الله ، وما أخذ الله قوماً إلا عند سلوتهم وغرتهم ونعمتهم، فلا تغتروا بالله، إنه لا يغتر بالله إلا القوم الفاسقون » .
وقال إسماعيل بن رافع : « من الأمن من مكر الله إقامة العبد على الذنب يتمنى على الله المغفرة » . رواه ابن أبي حاتم* . وهذا هو تفسير المكر في قول بعض السلف يستدرجهم الله بالنعم ويملئهم ثم يأخذهم أخذ عزيز مقتدر، وهذا هو معنى المكر والخديعة . ذكره ابن جرير بمعناه . وفيه : معرفة تفسير آية الأعراف . قاله المصنف رحمه الله تعالى .

(١) قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الصَّالُوتُ ﴾ القنوط : استبعاد الفرج واليأس منه، وهو يقابل الأمن من مكر الله ، وكلا الأمرين ذنب عظيم ينافي كمال التوحيد . ومعنى الآية : أن الملائكة لما بشرت إبراهيم بإسحاق ﴿ قَالَ أَبَشْرْتُمُونِي عَلَيَّ أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فِيمَا بَشَّرْتُمُونِي بِالْحَقِّ - الَّذِي لَا رَيْبَ فِيهِ - فَلَا تَكُنْ مِنَ الْقَانِطِينَ ﴾ [الحجر : ٥٤-٥٥] أي : الأيسين . فقال عليه السلام : ﴿ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الصَّالُوتُ ﴾ قال بعضهم إلا المخطئون طريق الصواب ، أو إلا الكافرون ، كقوله : ﴿ إِنَّهُ لَا يَأْتِسُّ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴾ [يوسف : ٨٧] .

(٢) قوله : « وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ سئل عن

* رواه ابن أبي حاتم ، كما في الدر المنثور (٣/٥٠٧) .

الكبائر فقال : « الشرك بالله، واليأس من روح الله، والأمن من مكر الله »* .
 هذا الحديث رواه البزار وابن أبي حاتم من طريق شبيب بن بشر ، قال ابن معين :
 ثقة . وليئه أبو حاتم . وقال ابن كثير : في إسناده نظر ، والأشبه أن يكون موقوفاً .
 قوله : « الشرك بالله » بدأ به من باب البداءة بالأهم فالأهم ، وهو أكبر
 الكبائر ، قال ابن القيم رحمه الله تعالى : « الشرك بالله هضم للرؤية، وتنقص
 للإلهية، وسوء ظن برب العالمين سبحانه » . قال في « الكافية الشافية » :

| | |
|----------------------------|----------------------------|
| والشرك فاحذره فشرك ظاهر | ذا القسم ليس بقابل الغفران |
| وهو اتخاذ السند للرحمن أيا | كان من حجر ومن إنسان |
| يدعوه أو يرجوه ثم يخافه | ويحبه كمحبة الديان |
| والله ما ساووههم بالله في | خلق ولا رزق ولا إحسان |
| لكنهم ساووههم بالله في | حب وتعظيم وفي إيمان |
| جعلوا محبتهم مع الرحمن ما | جعلوا المحبة قط للرحمن |

قوله : « واليأس من روح الله » أي قطع الرجاء والامل من الله، فيما يخافه
 ويرجوه وذلك إساءة ظن بالله، وجهل به وبسعة رحمته وجوده ومغفرته . قاله في
 «فتح المجيد»** .

قوله : « والأمن من مكر الله » أي الأمن من استدراجه للعبد وسلبه ما
 أعطاه من الإيمان - نعوذ بالله من ذلك - وذلك جهل بالله وبقدرته، وثقة
 بالنفس وعجب بها . قاله في «الشرح»*** . وهذه الثلاث من أكبر الكبائر ، وهي

* أخرجه البزار (١٠٦) ، وابن أبي حاتم في التفسير كما في الدر المنثور (١٤٧/٢) وقال :
 إسناده حسن .
 ** (٦٠٠/٢) .
 *** (ص/٤٣٩) .

وعن ابن مسعود^(١) قال : أكبر الكبائر الإشراك بالله ، والأمن من مكر الله، والقنوط من رحمة الله، واليأس من رَوْح الله. رواه عبدالرزاق .

* * *

كثيرة جداً . وإنما ذكر هذه الثلاث لجمعها للشر كله ويُعدها عن الخير، وقد وقع فيها كثيرٌ من الناس قديماً وحديثاً، نسأل الله العافية. قاله في «قرة العيون»* .
واعلم أن هذا الحديث لا يدل على حصر الكبائر، وضابطها : ما قاله المحققون من العلماء أنها : كل ذنب ختمه الله بنار أو لعنة أو غضب أو عذاب. زاد شيخ الإسلام [الفتاوى ١١/٦٥٢] : أو نفي الإيمان . وزاد في «فتح المجيد»** :
من برئ منه رسول الله ﷺ ، أو قال : ليس منا من فعل كذا وكذا .
(١) قوله : « وعن ابن مسعود ﷺ قال : أكبر الكبائر : الإشراك بالله ، والأمن من مكر الله، والقنوط من رحمة الله، واليأس من رَوْح الله. رواه عبدالرزاق ». قال في «الشرح»*** : « ورواه ابن جرير بأسانيد صحاح » . وقد تقدم الكلام على ما جاء في حديث ابن مسعود فأغنى عن إعادته . وفيه : شدة الوعيد فيمن آمن مكر الله ، وشدة الوعيد في القنوط . قاله المصنف رحمه الله .

* (ص/١٧٦) .

** (٦٠١/٢) .

*** (ص/٤٣٩) .

٢٥- باب

(١) من الإيمان بالله الصبر على أقدار الله

وقول الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾^(٢) [التغابن: ١١].

(١) قوله: «باب من الإيمان بالله الصبر على أقدار الله» قال الإمام أحمد رحمه الله تعالى: ذكر الله الصبر في تسعين موضعاً من القرآن. واشتقاقه من صبير: إذا حُبس ومنع. قال ابن القيم [المدايح ١٥٦/٢]: الصبر حبس النفس عن الجزع، واللسان عن التشكي والتسخط، والجوارح عن لطم الحدود وشق الجيوب ونحوهما. والصبر ثلاثة أنواع: صبر على طاعة الله، وصبر عن معصية الله، وصبر على أقدار الله. زاد شيخ الإسلام نوعاً رابعاً وهو: الصبر عن الأهواء المخالفة للشرع. وقال - عليه الصلاة والسلام -: «ما أعطي أحد عطاءً خيراً وأوسع من الصبر»*. متفق عليه، وفي حديث آخر: «الصبر نصف الإيمان»*. رواه أبو نعيم والبيهقي في الشعب. وقال علي رضي الله عنه: الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد. ثم رفع صوته فقال: ألا لا إيمان لمن لا صبر له.

(٢) قوله: «وقول الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ وقبلها ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ أي بمشيئته وإرادته وحكمته، ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ﴾ قال ابن عباس: يهد قلبه لليقين؛ فيعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه. هذا تفسير الإيمان في الآية. وفي الآية: بيان أن من ثواب الصبر هداية القلب. قال ابن كثير [التفسير ١٣٧/٨]: «أي من أصابته مصيبة فعلم أنها بقدر الله فصبر واحتسب واستسلم لقضاء الله تعالى هدى الله قلبه وعوضه عما فاته من الدنيا هدى في قلبه ويقيناً صادقاً، وقد يخلف عليه

* أخرجه البخاري (١٤٦٩، ٦٤٧٠)، ومسلم (١٠٥٣).

* أخرجه ابن الأعرابي في معجمه (٢/٥٦)، وأبو نعيم في الحلية (٣٤/٥)، وابن الجوزي في العلل المتناهية (١٣٦٤). وقال الألباني: منكر. انظر الضعيفة رقم (٤٩٩).

قال علقمة : هو الرجلُ تُصِيههُ المصيبةُ فيعلمُ أنها من عند الله فيرضى ويُسلم^(١) .

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة أَنَّ رسولَ الله ﷺ قال : « اثنتان في الناس هما بهم كفر : الطعنُ في النسب، والنياحةُ على الميت »^(٢) .

ما كان أخذ منه . وهذا هو الشاهد من الآية للترجمة .

وقوله : ﴿ وَاللَّهُ يَكُلُّ شَيْءًا عَلَيْهِ ﴾ تنبيهٌ على أن ذلك إنما يصدر عن علمه تعالى المتضمن لحكمته وذلك يوجب الصبر والرضى .

(١) قوله : « قال علقمة : هو الرجلُ تصييه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويُسلم » هذا الأثر رواه ابن جرير وابن أبي حاتم، وهذا سياق ابن جرير . وعلقمة هو ابن قيس بن عبد الله النخعي الكوفي، وُلد في حياة النبي ﷺ وسمع من أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وسعد وابن مسعود وعائشة وغيرهم - رضي الله عنهم - وهو من كبار التابعين وأجلّائهم وعلمائهم وثقاتهم، مات بعد الستين . وفي هذا دليلٌ على أن الأعمال من مسمى الإيمان . وقال سعيد بن جبیر : ﴿ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ ﴾ يعني : يسترجع يقول : إنا لله وإنا إليه راجعون . وفيه : معرفة تفسير آية التغابن، وأن هذا من الإيمان بالله . قاله المصنف رحمه الله . وفي الآية : أن الصبر سبب لهداية القلب، وأن من ثواب الحسنة الحسنة بعدها . وفيها : إثبات القدر . قاله في «الشرح» * .

(٢) قوله : « وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة ﷺ أَنَّ رسولَ الله ﷺ قال : « اثنتان في الناس هما بهم كفر : الطعنُ في النسب، والنياحةُ على الميت » * قال شيخ الإسلام : « أي : هاتان الخصلتان هما كفر قائم بالناس، فنفس الخصلتين كفرٌ ، حيث كانتا من أعمال الكفار وهما قائمتان بالناس، لكن ليس من قام به شعبة من شعب الكفر يصير

* (ص/٤٤٢) .

** أخرجه مسلم (٦٧) ، وأحمد (٢/٣٧٧، ٤٤١، ٤٩٦) .

ولهما عن ابن مسعود مرفوعاً : « ليس منا من ضرب الخدود ، وشق الجيوب ، ودعا بدعوى الجاهلية »^(١) .

كافراً الكفر المطلق حتى يقوم به حقيقة الكفر ، كما أنه ليس من قام به شعبة من شعب الإيمان يصير مؤمناً بالإيمان المطلق حتى يقوم به أصل الإيمان، وفرق بين الكفر المعروف باللام كما في قوله « ليس بين العبد وبين الكفر أو الشرك إلا ترك الصلاة »* وبين كفر منكر في الإثبات . انتهى .

قوله : « الطعن في النسب » أي عيبه، ويدخل فيه أي قال : هذا ليس ابن فلان مع ثبوت نسبه . وفيه : أن الطعن في النسب من أمر الجاهلية . قاله المصنف رحمه الله تعالى .
قوله : « والنياحة على الميت » أي رفع الصوت بالتدب وتعداد فضائله؛ لما فيه من التسخط على قدر الله المنافي للصبر، وهذا هو الشاهد من الحديث للترجمة .
وفيه : دليل على أن الصبر واجب ، وأن من الكفر ما لا ينقل عن الملة . قاله في «الشرح»** .

(١) قوله : « ولهما » أي البخاري ومسلم « عن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ليس منا من ضرب الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية »*** وهذا هو الشاهد من الحديث للترجمة ؛ لما في هذه الأمور من التسخط المنافي للصبر ، وقد تأول بعضهم قوله : « ليس منا » أي ليس من أهل طريقتنا ، وليس المراد إخراجه من الإسلام ، وفائدة إيراد هذا اللفظ المبالغ في الردع عن مثل ذلك . وروي عن سفيان الثوري والإمام أحمد وغيرهما من أهل العلم أنهم كرهوا الخوض في تأويله، ويرون أن يمك عن ذلك ليكون أوقع في النفوس وأبلغ في الزجر . وقال شيخ الإسلام على حديث «من غشنا فليس منا»**** : « ليس المراد

* أخرجه مسلم (٨٢) بنحوه ، وابن ماجه (١٠٨٠) .

** (ص/٤٤٣) .

*** أخرجه البخاري (١٢٩٤) و(١٢٩٧) و(١٢٩٨) و(٣٥١٩) ، ومسلم (١٠٣) .

**** أخرجه ابن حبان (١١٠٧) والطبراني في المعجم الصغير (ص١٥٣) ، والمعجم الكبير

(١/٦٩/٣) وصححه الألباني . انظر الصحيحة رقم (١٠٥٨) .

وعن أنس أن رسول الله ﷺ قال : « إذا أراد الله بعبده الخيرَ عَجَّلَ له العقوبةَ في الدنيا ، وإذا أراد بعبده الشرَّ أمسك عنه بذنبه حتى يُوفِّي به يوم القيامة »^(١) .

أنه كافر كما تأولته الخوارج ، ولا أنه ليس من خيارنا كما تأولته المرجئة ، ولكن المضمَر يطابق المظهر ، والمظهر هم المؤمنون المستحقون للثواب السالمون من العذاب ، والغاش ليس منا ؛ لأنه متعرض لعذاب الله وسخطه . انتهى .
 قوله : « من ضرب الخدود » أي : أو بقية البدن ، وإنما خصَّ الخدَّ لأنه الفأل .
 قوله : « وشقَّ الجيوب » والمراد كمال فتحه . قاله الحافظ ابن حجر .
 قوله : « ودعا بدعوى الجاهلية » قال شيخ الإسلام [الاعتضاء ١/ ٢٠٤] : « هو نذب الميت » . وقال ابن القيم : « الدعاء بدعوى الجاهلية كالدعاء إلى القبائل والعصية للأنساب ومثله التعصب للمذاهب والطوائف والمشايخ ، وتفضيل بعضهم على بعض يدعو إلى ذلك ويوالي عليه ويعادي عليه ، فكل هذا من دعوى الجاهلية ، وليس في هذه الأحاديث ما يدل على النهي عن البكاء على الميت لما في الصحيح أن رسول الله ﷺ لما مات ابنه إبراهيم قال : « تدمع العين ، ويحزن القلب ، ولا نقول إلا ما يرضى الرب ، وإنا بك يا إبراهيم لمحزونون »* . وقال شيخ الإسلام [الفتاوى ١٠/ ٤٧] : « البكاء على الميت على وجه الرحمة حسن مستحب ، ولا ينافي الرضاء بقضاء الله ، بخلاف البكاء عليه لفوات حظه منه » . انتهى . وفيه : شدة الوعيد فيمن ضرب الخدود وشقَّ الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية . قال المصنف رحمه الله .

(١) قوله : « وعن أنس أن رسول الله ﷺ قال : « إذا أراد الله بعبده الخيرَ عَجَّلَ له العقوبةَ في الدنيا ، وإذا أراد بعبده الشرَّ أمسك عنه بذنبه حتى يُوفِّي به يوم القيامة »**

* أخرجه البخاري (١٣٠٣) ، ومسلم (٢٣١٥) .

** أخرجه الترمذي (٢٣٩٦) ، والبيهقي في شرح السنة (٢٤٥/٥) ، والحاكم (٣٤٩/١) . قال

الألباني : « صحيح » . انظر : صحيح الجامع (١١٨/١) رقم (٣٠٨) .

هذا الحديث رواه الترمذي وحسنه والحاكم وأخرجه الطبراني والحاكم عن عبد الله ابن مغفل، وأخرجه ابن عدي عن أبي هريرة، والطبراني عن عمار بن ياسر. قاله في «الشرح»*. وقال شيخ الإسلام: «رواه الروياني في مسنده من طريق الليث عن يزيد بن أبي حبيب عن سعيد بن سنان عن أنس». انتهى.

قوله: «إذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا» أي على ذنوبه إذا صبر فيخرج منها وليس عليه ذنب يوافي به يوم القيامة. وهذا هو الشاهد من الحديث للترجمة. وقال شيخ الإسلام [الفتاوى ١٠/٤٨]: «المصائب نعمة؛ لأنها مكفرة للذنوب، ولأنها تدعو إلى الصبر فيثاب عليها، ولأنها تقتضي الإنابة إلى الله والذل، فنفس البلاء يكفر الله به الخطايا، ومعلوم أن هذا من أعظم النعم ولو كان الرجل من أفجر الناس، فلا بد أن يخفف الله عنه عذابه بمصائبه». وقال: «يقول الله في بعض الكتب «أهل ذكري أهل مشاهدتي، وأهل شكري أهل زيادتي، وأهل طاعتي أهل كرامتي، وأهل معصيتي لأؤايسهم من رحمتي، إن تابوا فأنا حبيبهم، وإن لم يتوبوا فأنا طبيهم، أتلبهم بالمصائب لأطهرهم من المعائب»، فالمصائب نعمة ورحمة في حق عموم الخلق إلا أن يدخل صاحبها بسببها في معاص أعظم مما كان قبل ذلك، فتكون شراً عليه من جهة ما أصابه في دينه، فإن من الناس من إذا ابتلي بفقر أو مرض أو جوع حصل له من الجزع والسخط والنفاق ومرض القلب والكفر الظاهر، أو ترك الواجبات، أو فعل المحرمات ما يوجب له ضرراً في دينه بحسب ذلك، فهذا كانت العافية خيراً له من جهة ما أورثته المصيبة لا من جهة نفس المصيبة، كما أن من أوجبت له المصيبة صبراً وطاعة كانت في حقه نعمة دينية، فهي بعينها فعل الرب عز وجل رحمة للخلق والله تبارك وتعالى محمود عليها، فمن ابتلي فرزق الصبر كان الصبر نعمة في دينه وحصل له مع ما كفر من خطاياها رحمة وحصل له بثنائه على ربه صلاة ربه عليه، قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾ [البقرة: ١٥٧]، وحصل له غفران السيئات ورفع الدرجات». انتهى ملخصاً.

وقال النبي ﷺ: «إِنَّ عِظَمَ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلَاءِ^(١)، وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِذَا أَحَبَّ

قوله: «وَإِذَا أَرَادَ بَعْدَهُ الشَّرَّ أَمْسَكَ عَنْهُ بَلَنْبِهِ حَتَّى يُؤَافِي بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» وهو بضم الياء وكسر الفاء منصوب مجتئى مبنى للفاعل أى لا يجازى بذنبه فى الدنيا حتى يجيء يوم القيامة موفر الذنوب فيستوفى ما يستحقه من العذاب . وفيه : معرفة علامة إرادة الله بعبده الخير وإرادته بعبده الشر . قاله المصنف رحمه الله تعالى .

قلت : وفيه إثبات الإرادة لله عز وجل، وهي نوعان : إرادة شرعية دينية، وإرادة كونية قدرية، فالسعيد من أراد منه تشريعاً ما أراد به تقديراً، والشقي من أراد به تقديراً ما لم يرد منه تشريعاً . قاله شيخ الإسلام رحمه الله .

وفيه : التنبية على حسن الرجاء وحسن الظن بالله فيما يقضيه لك، كما قال تعالى: ﴿ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢١٦] .

(١) قوله: « وَقَالَ ﷺ: «إِنَّ عِظَمَ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلَاءِ، وَإِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَى، وَمَنْ سَخَطَ فَلَهُ السُّخْطُ»* . وهذا الحديث رواه الترمذي بسند الحديث الذي قبله، ثم قال: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه، ورواه ابن ماجه . وروى الإمام أحمد عن محمود بن لبيد رفعه «إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ، فَمَنْ صَبَرَ فَلَهُ الصَّبْرُ، وَمَنْ جَزِعَ فَلَهُ الْجَزَعُ»** قال المنذري رواه ثقات .

وقوله: «إِنَّ عِظَمَ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلَاءِ» بكسر العين وفتح الظاء فيهما، ويجوز ضمها مع سكون الظاء، أي من كان ابتلاؤه أعظم كان جزاؤه أعظم . وقد يحتج بهذا الحديث من يقول: إن المصائب يُثاب عليها مع تكفير الخطايا، ورجح العلامة ابن القيم أن ثوابها تكفير الخطايا فقط إلا إذا كانت سبباً لعمل صالح كالصبر والرضى والاستغفار فإنه حيثئذ يُثاب على ما تولد منها .

* أخرجه الترمذي (٢٣٩٦)، وابن ماجه (٤٠٣١) . وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٢/٢٨٦) رقم (١٩٥٤) .

** أخرجه أحمد (٤٢٧/٥، ٤٢٩)، قال الألباني: صحيح . انظر صحيح الجامع (١١٤/١) رقم (٢٨٥) .

قوما ابتلاهم، فمن رضي فله الرضا، ومن سخط فله السخط» حسنه الترمذي .

قوله : « وأن الله إذا أحب قوماً ابتلاهم، فمن رضي فله الرضا، ومن سخط فله السخط» . حسنه الترمذي ، ولهذا سئل النبي ﷺ في حديث سعد : أي الناس أشد بلاء؟ قال : « الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل ، يُتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان في دينه صلابة اشتد بلاؤه ، وإن كان في دينه رقة ابتلي على قدر دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض وما عليه خطيئة» * . رواه الدارمي وابن ماجه والترمذي وصححه . وهذا الحديث ونحوه من أدلة التوحيد ، فإذا عرف العبد أن الأنبياء والأولياء يصيبهم البلاء في أنفسهم، الذي هو في الحقيقة رحمة ولا يدفعه عنهم إلا الله ، عرف أنهم لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً ، فلأن لا يملكوه لغيرهم أولى وأحرى، فيحرم قصدهم والرغبة إليهم في قضاء حاجة أو تفريج كربة . وفي وقوع الابتلاء بالأنبياء والصالحين من الأسرار والحكم والمصالح وحسن العاقبة ما لا يُحصى . قاله في «فتح المجيد» ** .

قوله : « فمن رضي فله الرضى » أي من الله « ومن سخط » بكسر الخاء « فله السخط » أي من سخط على الله فيما قضاه وقدره ، فله السخط أي من الله وكفى بذلك عقوبة ، وهذا هو الشاهد من الحديث للترجمة ، والرضى والسخط صفتان وصف الله بهما نفسه في كتابه ، ومذهب السلف وأتباعهم من أهل السنة إثبات الصفات التي وصف الله بها نفسه أو وصفه بها رسوله ﷺ على ما يليق بجلاله وعظمته إثباتاً بلا تمثيل ، وتزويهاً بلا تعطيل . وقد يستدل بهذا الحديث من يرى وجوب الرضاء كابن عقيل، واختار القاضي عدم الوجوب ، ورجحه شيخ الإسلام وابن القيم . قال شيخ الإسلام : « ولم يجيء الأمر به كما جاء الأمر بالصبر، وإنما جاء الثناء على أصحابه .. قال : وأما ما يُروى : من لم يصبر على

* أخرجه ابن ماجه (٤٠٢٣)، والترمذي (٢٤٠٠)، وأحمد (١/١٧٢، ١٧٤، ١٨٠، ١٨٥)، وصححه الألباني في «الصحيحة» رقم (١٤٤) .
** (٦١٣/٢) .



بلائي ولم يرضَ بقضائي فليتخذ ربا سوائي. فهذا إسرائيلي لم يصح عن النبي ﷺ . انتهى . قال شيخ الإسلام [الفتاوى ١١/٢٦٠] : « وأعلى من ذلك - أي من الرضا - أن يشكر الله على المصيبة لما يرى من إنعام الله عليه بها » . انتهى . وفيه : علامة حب الله تعالى للعبد، وتحريم السُّخْطِ وثواب الرضا بالبلاء . قاله المصنف رحمه الله تعالى .

٣٦- باب

(١) ما جاء في الرياء

وقول الله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَحْدَهُ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ (٢) [الكهف: ١١٠].

(١) قوله : « باب ما جاء في الرياء » أي من النهي والتحذير وأنه شرك ينافي كمال التوحيد ، والرياء مشتق من الرؤية ، والمراد إظهار العبادة لقصده رؤية الناس لها فيحمد صاحبها . والفرق بين الرياء والسمعة أن الرياء لما يرى من العمل كالصلاة ، والسمعة لما يُسمع كالقراءة والوعظ والذكر ويدخل في ذلك التحدث بما عمله . قاله الحافظ ابن حجر .

(٢) قوله : « وقول الله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَحْدَهُ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ » يقول تعالى لنبية ﷺ : قل يا محمد للناس إنما أنا بشر مثلكم - أي في البشرية - وليس لي من الربوبية ولا من الإلهية شيء بل ذلك لله وحده .

وقوله : ﴿ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَحْدَهُ ﴾ أي معبودكم واحد لا شريك له ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَحْدَهُ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ أي من كان يخشى البعث في الآخرة . رواه ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير . قال شيخ الإسلام [الفتاوى ٤٨٨/٦] : « أما اللقاء فقد فسره طائفة من السلف والخلف بما يقتضي المعاينة ، وقالوا : لقاء الله يتضمن رؤيته سبحانه وتعالى يوم القيامة .. » وذكر الأدلة على ذلك .

وقوله : ﴿ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا ﴾ قال ابن القيم رحمه الله تعالى [الداء والدواء (١٣٦)] : « العمل الصالح هو السالم من الرياء المقيد بالسنة ». وفي الآية دليل على أن أصل الدين الذي بعث الله به رسوله والمرسلين قبله هو أفراد الله تعالى بأنواع العبادة كما قال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء: ٢٥] والمخالف لهذا الأصل من هذه الأمة إما طاغوت ينازع الله

عن أبي هريرة مرفوعاً : « قال الله تعالى : أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك معي فيه غيري تركته وشركه » . رواه مسلم^(١) .

في ربوبيته وإلهيته ، ويدعو الناس إلى عبادته ، أو طاغوت يدعو الناس إلى عبادة الأوثان ، أو مشرك يدعو غير الله ويتقرب إليه بأنواع العبادة أو بعضها ، أو شك في التوحيد أو جاهل يعتقد أن الشرك دين يقرب إلى الله ، وهذا هو الغالب على أكثر العوام لجهلهم وتقليدهم من قبلهم لما اشتدت غربة الدين ونسي العلم بدين المرسلين .

وقوله ﴿ وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ و « أحداً » نكرة في سياق النهي تعم كل أحد، سواء كان ملكاً أو نبياً أو ولياً أو غيرهم. وهذا هو الشاهد من الآية للترجمة . وفيه : معرفة تفسير آية الكهف. قاله المصنف. وفيها : دليل على الشهادتين، وتسمية الرياء شركاً، والتصريح بأن الشرك الواقع من المشركين إنما هو في العبادة، والرد على من قال : أولئك يستشفعون بالأصنام ونحن نستشفع بصالح . قاله في «الشرح»* .

(١) قوله : « وعن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً قال الله تعالى : « أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك معي فيه غيري تركته وشركه » . رواه مسلم** . ولابن ماجه « فأنا منه برئ وهو للذي أشرك»*** . قال الطيبي : الضمير المنصوب في قوله : « تركته » يجوز أن يرجع إلى العمل .

قلت : وهذا هو الشاهد من الحديث للترجمة . قال ابن رجب : « واعلم أن العمل لغير الله أقسام : تارة يكون رياءً محضاً كحال المنافقين الذين يراءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلاً ، وهذا الرياء المحض لا يكاد يصدر من مؤمن في فرض الصلاة والصيام، وقد يصدر في فرض الصدقة الواجبة أو الحج أو غيرهما من

* (ص/٤٥٣-٤٥٤) .

** أخرجه مسلم (٢٩٨٥) .

*** أخرجه ابن ماجه (٤٢٥٥) ، والإمام أحمد (٣٠١/٢ ، ٤٣٥) .

وعن أبي سعيد مرفوعاً : « ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال ؟ » قالوا : بلى يا رسول الله . قال : « الشرك الخفي ؛ يقوم الرجلُ فيصلي ، فيزينُ صلاته لما يرى من نظر رجل » . رواه أحمد^(١) .

الأعمال الظاهرة أو التي يتعدى نفعها فإن الإخلاص فيها عزيز وهذا العمل لا يشك مسلم أنه حابط وأن صاحبه يستحق المقت من الله والعقوبة . وتارة يكون العمل لله ويشاركه الرياء، فإن شاركه من أصله فالنصوص الصحيحة تدل على بطلانه، وأما إذا كان أصل العمل لله ثم طرأ عليه نية الرياء فإن كان خاطراً ثم دفعه فلا يضره بغير اختلاف ، وإن استرسل معه فهل يُحبط عمله أم لا ويمجّزى على أصل نيته ؟ في ذلك اختلاف بين العلماء من السلف قد حكاه الإمام أحمد وابن جرير ورجّحاً أن عمله لا يبطل بذلك وأنه يمّجّزى بنية الأولى وهو مروى عن الحسن وغيره » . انتهى ملخصاً .

وذكر ابن جرير أن هذا الاختلاف إنما هو في عمل مرتبط آخره بأوله كالصلاة والصيام والحج ، فأما ما لا ارتباط فيه كالقراءة والذكر وإنفاق المال ونشر العلم فإنه ينقطع بنية الرياء الطارئة عليه ويحتاج على تجديد نية . انتهى . وفيه : الأمر العظيم في ردّ العمل الصالح إذا خالطه شيء لغير الله وذكر السبب الموجب لذلك وهو كمال الغنى ، وأن من الأسباب أنه تعالى خير الشركاء . قاله المصنف رحمه الله تعالى .

(١) قوله : « وعن أبي سعيد رضي الله عنه مرفوعاً أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال ؟ » قالوا : بلى . قال : « الشرك الخفي يقوم الرجل فيصلي فيزين صلاته لما يرى من نظر رجل . رواه أحمد^{*} . وروى ابن خزيمة في صحيحه عن محمود بن لبيد قال : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « أيها الناس

* أخرجه أحمد (٣٠/٣)، وابن ماجه (٤٢٠٤)، والحاكم (٣٢٩/٤)، وحسنه الألباني في صحيحه الجامع (٥٠٩/١) رقم (٢٦٠٧) .

إياكم وشرك السرائر» قالوا : يا رسول الله، وما شرك السرائر؟ قال : «يقوم الرجل فيصلي فيزيّن صلاته لما يرى من نظر الرجل إليه ، فذلك شرك السرائر»* .

قوله : «الشرك الخفي» سماه خفياً لأنه عمل قلب لا يعلمه إلا الله ، ولأن صاحبه يظهر أنه لله وقد قصد غيره أو شركه فيه بتزيين صلاته لأجله، ولا خلاف أن الإخلاص شرط لصحة العمل وقبوله وكذا المتابعة، وعن شذاد ابن أوس رضي الله عنه قال : كنا نعد الرياء على عهد رسول الله ﷺ الشرك الأصغر . رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الإخلاص وغيره . قال ابن القيم [المدارج / ١ / ٣٣٤] : «وأما الشرك الأصغر فكيسير الرياء ، والتصنع للخلق ، والحلف بغير الله ، وقول الرجل للرجل : ما شاء الله وشئت، وهذا من الله ومنك، وأنا بالله وبك، وما لي إلا الله وأنت ، وأنا متوكل على الله وعليك ، ولولا الله وأنت لم يكن كذا وكذا، وقد يكون هذا شركاً أكبر بحسب حال قائله وقصده» . انتهى .

وقوله : «كيسير الرياء» فدلّ على أن كثيره أكبر . قاله في «الشرح»** . قال الفضيل بن عياض في قوله : ﴿ لِبَلْوَكُمْ أَيْكُزْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ [الملك : ٢] قال : أخلصه وأصوبه، قيل : يا أبا علي ، ما أخلصه وأصوبه ؟ قال : إن العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يُقبل ، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل حتى يكون خالصاً صواباً . فالخالص ما كان لله ، والصواب ما كان على السنة . وفي الحديث : شفقتة ﷺ على أمته ونصحه لهم، وأن الرياء أخوف على الصالحين من فتنة الدجال . قاله في «فتح المجيد»*** . وفيه : خوفه ﷺ على أصحابه من الرياء، وأنه فسر ذلك بأن يصلي المرء لله لكن يُزيّنّها لما يرى من نظر رجل إليه . قاله المصنف رحمه الله تعالى .

* أخرجه ابن خزيمة رقم (٩٣٧) (٦٧/٢)، والبيهقي (٢/٢٩٠، ٢٩١)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/٣٤)، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب رقم (٣١) (١/١١٩) .

** (ص/٤٦٠) .

*** (٢/٦٢٣) .

باب - ٣٧

من الشرك إرادة الإنسان بعمله الدنيا (١)

وقول الله تعالى : ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴾ [١٥٠-١٦٦].

(١) قوله : « باب من الشرك إرادة الإنسان بعمله الدنيا » أي عمله الصالح الذي يتقرب به إلى الله تعالى . وأراد المصنف رحمه الله بهذه الترجمة بيان أن العمل لأجل الدنيا شرك ينافي كمال التوحيد الواجب، ويحبط الأعمال ، وهو أعظم من الرياء لأن مرید الدنيا قد تغلب إرادته تلك على كثير من عمله، وأما الرياء فقد يعرض له في عمل دون عمل، ولا يسترسل معه. قاله في «فتح المجيد» * . والفرق بين هذا الباب والذي قبله أنه في هذا إنما أراد بالعمل الصالح الذي يتقرب به إلى الله عرضاً من الدنيا ، وفي الذي قبله إنما أراد مراءاة الناس ليشنوا عليه ، وكلاهما مشرك خاسر وعمله حابط ؛ لأنه لم يُرِدْ بعمله وجه الله والدار الآخرة .

(٢) قوله : « وقول الله تعالى : ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴾ [١٥٠-١٦٦]. أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّكَارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبِطُلُّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [١٥٠-١٦٦]. قال ابن عباس : ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾ أي ثوابها وزينتها، أي مالها ، ﴿ نُوفِّ ﴾ أي نوفر لهم ثواب أعمالهم بالصحة والسرور في المال والأهل والولد، ﴿ وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴾ لا ينقصون، ثم نسختها ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُمْ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ﴾ [الإسراء : ١٨] الأيتين . رواه النحاس في كتاب « الناسخ والمنسوخ » له . وقوله : ثم نسختها أي قيدتها أو خصصتها فلم تبق الآية على إطلاقها ، فإن السلف كانوا

يسمون التقييد والتخصيص نسخاً وإلا فالآية محكمة . قال الضحاك : من عمل صالحاً من أهل الإيمان من غير تقوى عجل له ثواب عمله في الدنيا . واختاره الفراء . قال ابن القيم : « وهذا القول هو الراجح » . انتهى . وقد سئل المصنف عن هذه الآية فأجاب بما حاصله : ذكر عن السلف فيها أنواع مما يفعله الناس اليوم ، فمن ذلك : العمل الصالح الذي يفعله كثير من الناس ابتغاء وجه الله من صلاة وصدقة وإحسان ونحو ذلك مما يفعله الإنسان أو يتركه خالصاً لله ، لكنه لا يريد به ثواب الآخرة وإنما يريد به أن يحفظ الله ماله وينمي ، أو حفظ أهله وعياله ، ولا همة له في طلب الجنة والهرب من النار، فهذا يعطى ثواب عمله في الدنيا وليس له في الآخرة من نصيب ، وهذا النوع ذكره ابن عباس .

النوع الثاني : وهو أكبر من الأول وأخوف وهو الذي ذكر مجاهد أن الآية نزلت فيه وهو أن يعمل أعمالاً صالحة ونيته رياء الناس لا طلب ثواب الآخرة .
النوع الثالث : أن يعمل أعمالاً صالحة يقصد بها مالاً مثل أن يجمع مال يأخذه، أو يهاجر لدنيا يصيبها، أو امرأة يتزوجها، أو يجاهد لأجل المغنم، فقد ذكر هذا النوع أيضاً في تفسير هذه الآية .

النوع الرابع : أن يعمل بطاعة الله مخلصاً في ذلك لله وحده لا شريك له لكنه على عمل يكفره ككفره عن الإسلام ، مثل اليهود والنصارى إذا تصدقوا أو عبدوا الله أو صاموا ابتغاء وجه الله ، ومثل كثير من هذه الأمة الذين فيهم كفر أو شرك أكبر يخرجهم من الإسلام بالكلية إذا أطاعوا الله طاعة خالصة يريدون بها ثواب الله في الدار الآخرة لكنهم على أعمال تخرجهم من الإسلام وتمنع قبول أعمالهم . فهذا النوع قد ذكر في هذه الآية عن أنس ابن مالك وغيره . وكان السلف يخافون منها . انتهى ملخصاً . وفيه : إرادة الإنسان الدنيا بعمل الآخرة ومعرفة تفسير آية هود . قاله المصنف رحمه الله . وفي الآية أن الشرك محبط للأعمال ، وأن إرادة

في الصحيح^(١) عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « تعس عبد الدينار^(٢) ، تعس عبد الدرهم^(٣) ، تعس عبد الخميصة^(٤) ، تعس

الدنيا وزيتها بالعمل كذلك ، وأن الله يجازي الكافر بحسناته في الدنيا ، وكذلك طالب الدنيا ، ثم يفضي إلى الآخرة وليس له حسنة ، وشدة الوعيد على ذلك ، والفرق بين الحبوط والبطلان . قاله في «الشرح»* .

(١) قوله : « وفي الصحيح » - أي صحيح البخاري - « عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ « تعس عبد الدينار ، تعس عبد الدرهم ، تعس عبد الخميصة ، تعس عبد الخميصة ، إن أعطي رضي ، وإن لم يُعطَ سخط ، تعس وانتكس ، وإذا شيك فلا انتقش ، طوبى لعبدٍ أخذ بعنان فرسه في سبيل الله أشعث رأسه ، مغبرة قدماءه ، إن كان في الحراسة كان في الحراسة ، وإن كان في الساقة كان في الساقة ، إن استأذن لم يُؤذن له ، وإن شفع لم يشفع »** .

قوله : « تعس » بكسر العين ، ويجوز الفتح ، أي سقط والمراد هنا هلك ، قاله الحافظ ابن حجر ، قال وهو ضد سعد أي شقي . وقال أبو السعادات [النهاية ١ / ١٨٦] : « يُقال تعس إذا عثر وانكبَّ لوجهه ، وهو دعاء عليه بالهلاك » .

(٢) وقوله : « عبد الدينار » هو المعروف من الذهب كالمثقال في الوزن . قاله في «فتح المجيد»*** .

(٣) قوله : « تعس عبد الدرهم » وهو من الفضة قدره الفقهاء بالشعير وهو زنة خمسين حبة شعير وخمسة حبة .

(٤) قوله : « تعس عبد الخميصة » قال أبو السعادات [النهاية ٢ / ٧٦] : « هي ثوب خز أو صوف مُغَلَّم ، وقيل لا تسمى خميصة إلا أن تكون سوداء مُغَلَّمة » .

* (ص / ٤٦٤) .

** أخرجه البخاري (٢٨٨٦ ، ٢٨٨٧) .

*** (٢ / ٦٣٠) .

عبد الخميعة^(١) ، إن أعطي رضي ، وإن لم يُعْطَ سَخِطَ ، تعس وانتكس^(٢) ، وإذا شيك فلا انتكس^(٣) ،

(١) وقوله : « تعس عبد الخميعة » بفتح الخاء المعجمة . قال أبو السعادات [النهاية ٧٦/٢] : « الخمل والخميعة : القطيفة ، وهي ثوب له خَمَلٌ من أي شيء كان » .
 (٢) وقوله : « تعس وانتكس » قال الحافظ : « أي عاوده المرض » . وقال أبو السعادات [النهاية ١٠١/٥] : « أي انقلب على رأسه ، وهو دعاء عليه بالخبيثة ؛ لأن من انتكس في أمره فقد خاب وخسر » .

(٣) وقوله : « وإذا شيك فلا انتكس » قال أبو السعادات [النهاية ٤٥٥/٢] : « أي إذا شاكته شوكة فلا يقدر على انتقاشها وهو إخراجها بالناقش » . قال شيخ الإسلام [الفتاوى ١٠/١٨٠-١٩٠] : « سمّاه النبي ﷺ عبد الدينار والدرهم والقطيفة والخميصة ، وذكر فيه ما هو دعاء وخبر وهو قوله : « تعس وانتكس ، وإذا شيك فلا انتكس » وهذه حال من [إذا] أصابه شر لم يخرج منه ولم يفلح لكونه تعس وانتكس ، فلا نال المطلوب ، ولا خلص من المكروه ، وهذه حال من عبّد المال ، وقد وصف بأنه « إن أعطي رضي وإن منع سخط » ، كما قال تعالى : ﴿ وَمَنْهُمْ مَنْ يَلِيزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْتَخْطُونَ ﴾ [التوبة : ٥٨] ، فرضاهم لغير الله وسخطهم لغير الله ، وهكذا حال من كان متعلقاً برياسة أو بصورة أو نحو ذلك من أهواء نفسه إن حصل له رضي ، وإن لم يحصل له سخط ، فهذا عبد ما يهواه من ذلك وهو رقيق له إذ الرق والعبودية في الحقيقة رق القلب وعبوديته ، فما استرق القلب واستعبده فهو عبده ، وهذه الأمور نوعان : فمنها ما يحتاج إليه العبد كما يحتاج إلى طعامه وشرابه ومنكحه ومسكنه ونحو ذلك ، فهذا يطلبه من الله ويرغب إليه فيه ، فيكون المال عنده يستعمله في حاجته بمنزلة هماره الذي يركبه وبساطه الذي يجلس عليه من غير أن يستعبده فيكون هلوياً . ومنها : ما لا يحتاج إليه العبد فهذا ينبغي له أن لا يعلق قلبه بها ، فإذا تعلق قلبه بها صار مستعبداً لها ، وربما

طوبى لعبدٍ ^(١) آخرٍ لعبدٍ

صار مستعبداً لها معتمداً على غير الله فيها فلا يبقى معه حقيقة العبودية ، ولا حقيقة التوكل على الله بل فيه شعبة من العبادة لغير الله ، وشعبة من التوكل على غير الله ، وهذا من أحق الناس بقوله ﷺ : « تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم، تعس عبد الخميصة، تعس عبد الحميلة »، وهذا عبد لهذه الأمور، ولو طلبها من الله فإن الله إذا أعطاه إياها رضي وإن منعه إياها سخط ، وإنما عبد الله من يرضيه ما يرضي الله ويسخطه ما يسخط الله ، ويجب ما أحب الله ورسوله ، ويبغض ما أبغض الله ورسوله ، ويوالي أولياء الله، ويعادي أعداء الله ، فهذا الذي استكمل الإيمان . انتهى ملخصاً . وفيه : تسمية المسلم عبد الدينار والدرهم والخميصة، وتفسير ذلك بأنه إن أعطي رضي ، وإن لم يُعط سخط . وقوله : «تعس وانتكس ، وإذا شيك فلا انتقش» قاله المصنف رحمه الله ، والمراد أن من كانت هذه حاله فإنه يستحق أن يُدعى عليه بما يسؤوه في العواقب ومن كانت هذه حاله فلا بد أن يجد أثر هذه الدعوات في الوقوع فيما يضره في عاجل دنياه وآجل أخراه . قاله في «فتح المجيد» * .

(١) قوله : «طوبى لعبدٍ» قال أبو السعادات [النهاية ٣/١٢٨] : «طوبى اسم الجنة، وقيل : شجرة فيها»، ويؤيد هذا ما روى ابن وهب بسنده عن أبي سعيد قال : قال رجل : يا رسول الله ، وما طوبى ؟ قال : « شجرة في الجنة مسيرة مائة سنة، ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها» . ورواه الإمام أحمد، حدثنا حسن بن موسى، سمعت عبد الله بن لهيعة ، حدثنا دراج أبو السمع، أن أبا الهيثم حدثه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أن رجلاً قال : يا رسول الله ، طوبى لمن رآك وآمن بك . قال : « طوبى لمن رآني وآمن بي ، وطوبى ثم طوبى ثم طوبى لمن آمن بي ولم يرني » . قال رجل : وما طوبى ؟ قال : « قال شجرة في الجنة

فرسه في سبيل الله^(١)، أشعث رأسه^(٢)، مُعْبَرَةٌ قَدَمَاهُ^(٣)، إن كان في الحراسة كان في الحراسة^(٤)، وإن كان في الساقة كان في الساقة^(٥)،

مسيرة مائة عام، ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها* . وله شواهد في الصحيحين وغيرهما . قاله في «فتح المجيد»** .

(١) وقوله : « آخذ بعنان فرسه في سبيل الله » أي في جهاد المشركين .

(٢) قوله : « أشعث رأسه » بنصب أشعث صفة لعبد غير مصروف للوصف ، ووزن الفعل ، ورأسه مرفوع فاعل ، أي : شغله الجهاد في سبيل الله عن التنعم بالآذهان وتسريح الشعر .

(٣) وقوله : «مُعْبَرَةٌ قَدَمَاهُ» بالجر صفة ثانية لعبد . وفيه : فضل إصابة الغبار في سبيل الله . قاله في «الشرح»*** .

(٤) وقوله : « إن كان في الحراسة » بكسر الحاء أي حماية الجيش عن أن يهجم عليهم العدو « كان في الحراسة » أي قام بواجبها غير مقصر فيها .

(٥) قوله : « وإن كان في الساقة » أي مؤخر الجيش « كان في الساقة » أي صار فيها ولزمها . وقال ابن الجوزي : « المعنى أنه حامل الذكر، لا يقصد السمو ، فأبي موضع اتفق له كان فيه » . وقال غيره : « المعنى ائتماره لما أمر، وإقامته حيث أقيم لا يفقد من مقامه .

وفيه : فضل الحراسة في سبيل الله . قاله في «الشرح»**** .

* أخرجه أحمد (٧١/٣) (٢٤٨/٥) وكرره ، والحاكم (٨٦/٣) ، وابن حبان (٢٣٠٣) ،

وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٣٩٢٣) (٧٢٨/٢) .

** (٦٣٣/٢) .

*** (ص/٤٦٧) .

**** (ص/٤٦٨) .

إن استأذن لم يؤذن له^(١) ، وإن شفع لم يشفع^(٢) .



وروى الإمام أحمد عن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير قال : قال عثمان رضي الله عنه وهو يخطب على المنبر : إني أحدثكم حديثاً سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن يعني أن أحدثكم به إلا الظن بكم ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « حرم ليلة في سبيل الله أفضل من ألف ليلة يُقام ليلاً ويُصام نهارها »* .

(١) وقوله : « إن استأذن لم يؤذن له » أي إن استأذن على الأمراء ونحوهم لم يؤذن له؛ لأنه ليس له جاه ولا منزلة عندهم .

(٢) قوله : « وإن شفع » أي عندهم « لم يشفع » بفتح الفاء مشدداً أي : لم تقبل شفاعته ، وفي الحديث الذي رواه الإمام أحمد ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً : « رب أشعث مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبره »** . وفيه : ترك حب الرياسة والشهرة وفضل الخمول والتواضع . قاله الحافظ ابن حجر [الفتح ٦/٨٣] . وفيه : الثناء على المجاهد الموصوف بتلك الصفات . قاله المصنف رحمه الله تعالى .

* أخرجه أحمد في المسند (٤٨٨/١) رقم (٤٣٣) ط. الرسالة ، والطبراني في الكبير (١٤٥) ، والحاكم في المستدرک (٨١/٢) ، وصححه ووافقه الذهبي ، وقال ابن حجر في الفتح (٦/٨٣) : إسناده حسن .

** أخرجه مسلم (٢٦٢٢ ، ٢٨٥٤) .

٢٨-باب

من أطاع العلماء والأمرأ في تحريم ما أحل الله .

أو تحليل ما حرّمه فقد اتخذهم أرباباً^(١)

وقال ابن عباس^(٢) : يُوشِكُ أن تنزلَ عليكم حجارةٌ من السماء ! أقول :

قال رسول الله ﷺ ، وتقولون : قال أبو بكر وعمر ؟ .

(١) قوله : « باب من أطاع العلماء والأمرأ في تحريم ما أحل الله ، أو تحليل ما حرّم فقد اتخذهم أرباباً من دون الله » لما كانت العبادة هي طاعة الله تعالى بامثال ما أمر به على السنة رسله عليهم السلام . نبّه المصنف رحمه الله بهذه الترجمة على وجوب اختصاص الخالق تبارك وتعالى بالطاعة ، فلا يُطاع أحدٌ من الخلق إلا إذا كانت طاعته مندرجة تحت طاعة الله ، وإلا فلا تجب طاعة أحد استقلاً ، وأما قوله : ﴿ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ [النساء : ٥٩] قيل : هم العلماء ، وقيل : هم الأمرأ ، وهما روايتان عن أحمد . قال ابن القيم : « والتحقيق أن الآية تعمّ الطائفتين ، فإنما تجب طاعتهم إذا أمرأ بطاعة الله وطاعة رسوله ، فكان العلماء مبلغين لأمر الله ورسوله ، والأمرأ منقذين له فتجب طاعتهم تبعاً لطاعة الله ورسوله ، وفي الحديث : «إنما الطاعة في المعروف»* ، وقال ﷺ : « على المرء السمع والطاعة ما لم يُؤمر بمعصية ، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة»** .

(٢) قوله : « وقال ابن عباس رضي الله عنهما : « يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء ، أقول : قال رسول الله ﷺ وتقولون قال أبو بكر وعمر»*** .

* تقدم تحريجه (ص/٦٩) .

** أخرجه البخاري (٢٩٥٥ ، ٧١٤٤) ، ومسلم (١٨٣٩) .

*** أخرجه أحمد (٣٣٧/١) ، والخطيب في الفقيه والمتفقه (١/١٤٥) ، وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (٢/٢٣٩-٢٤٠) ، وهو صحيح . انظر: الدر النضيد في تحريج كتاب التوحيد (ص/١٢٩) .

قوله : « يوشك » بضم أوله وكسر الشين المعجمة أي يقرب ويدنو ويسرع .
قاله أبو السعادات [النهاية ١٦٥/٥] .

وقوله : « أن تنزل عليكم حجارة من السماء فتلجج رؤوسكم ، أقول : قال رسول الله ﷺ وتقولون قال أبو بكر وعمر ؟ » وسبب قول ابن عباس هذا ما رواه الأثرم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : تمتع رسول الله ﷺ فقال عروة ابن الزبير : نهى أبو بكر وعمر عن المتعة . فقال ابن عباس : إنهم سيهلكون ، أقول : قال رسول الله ﷺ ويقولون قال أبو بكر وعمر . وهذا هو الشاهد من قول ابن عباس للترجمة ، وأبو بكر وعمر رضي الله عنهما لا يريان التمتع بالعمرة إلى الحج ويريان أن أفراد الحج أفضل ، وأن يفرد الحج بسفر والعمرة بسفر ليكثر تردد الناس إلى البيت ، وابن عباس يرى أن التمتع بالعمرة إلى الحج واجب ، ويقول إذا طاف بالبيت وسعى بين الصفا والمروة سبعة أشواط فقد حل من عمرته شاء أم أبي ؛ لحديث سراقه بن مالك حين أمرهم النبي ﷺ أن يجعلوها عمرة ويحلوا إذا طافوا بالبيت وسعوا بين الصفا والمروة ، فقال سراقه : العامنة هذا أم للأبد؟ فقال : « بل للأبد » . والحديث في الصحيحين* ، وكان شيخ الإسلام يقول : فرض على الصحابة فسخ الحج إلى العمرة لأمر الرسول ﷺ لهم به ، وأما الجواز والاستحباب فللأمة إلى يوم القيامة لكن أبي ذلك ابن عباس وجعل الوجوب للأمة إلى يوم القيامة ، وأن فرضاً على كل مفرد وقارن لم يسق المهدي أن يحل ولا بد بل قد حل وإن لم يشأ . قال ابن القيم : « وأنا إلى قوله أميل مني إلى قول شيخنا » . انتهى .

وإذا كان هذا قول ابن عباس لمن عارض قوله الرسول ﷺ بقول أبي بكر وعمر فماذا يقول فيمن يعارض سنن الرسول ﷺ بقول شيخه أو إمام مذهبه ،

* أخرجه البخاري (١٥٦١، ١٧٦٢) ، ومسلم (١٢١١) .

وقال الإمام أحمد بن حنبل: عجبتُ لقوم عرفوا الإسناد وصحته، يذهبون إلى رأي سفيان^(١) ، والله تعالى يقول : ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ

فما وافق مذهبه أو قول شيخه قبله وما خالفه رده أو تأوله . وقد قال الشافعي: « أجمع العلماء على أن من استبان له سنة رسول الله ﷺ لم يكن له أن يدعها لقول أحد » .

وحينئذ فلا عذر لمن استفتى أن ينظر في مذاهب العلماء وما استدل به كل إمام، ويأخذ من أقوالهم ما دل عليه الدليل إذا كان له مَلَكَةٌ يقتدر بها على ذلك، وأن مَنْ بلغه الدليل فلم يأخذ به فإنه يجب الإنكار عليه بالتغليظ ، فيجب الإنكار على من ترك الدليل لقول أحدٍ من العلماء كائناً من كان ، ونصوص الأئمة على هذا، وأنه لا يسوغ التقليد إلا في مسائل الاجتهاد التي لا دليل فيها من كتاب ولا سنة . فهذا هو الذي عناه بعض العلماء بقوله : لا إنكار في مسائل الاجتهاد ، وأما من خالف الكتاب والسنة فيجب الرد عليه ، كما قال ابن عباس والإمام أحمد وذلك مجمع عليه . قاله في «فتح المجيد» * .

(١) قوله : « وقال الإمام أحمد : عجبتُ لقوم عرفوا الإسناد وصحته يذهبون إلى رأي سفيان والله يقول : ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ أتدري ما الفتنة ؟ الفتنة الشرك، لعله إذا رد بعض قوله أن يقع في قلبه شيء من لازيغ فيهلك » . وكلام الإمام أحمد هذا رواه عنه الفضل ابن زياد وأبوطالب ، قال الفضل : قال أحمد : نظرتُ في المصحف فوجدت طاعة الرسول في ثلاثة وثلاثين موضعاً . ثم جعل يتلو : ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ وجعل يكررها ويقول : وما الفتنة إلا الشرك ، لعله إذا رد بعض قوله أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيهلك ، وجعل يتلو هذه الآية : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا

تُصِيبُهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبُهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿ [النور: ٦٣] أتدري ما الفتنة؟ الفتنة

شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴿ [النساء: ٦٥] ، وقال أبو طالب : قيل لأحمد : إن قوماً يدعون الحديث ويذهبون إلى رأي سفيان . فقال : عجبتُ لقوم سمعوا الحديث وعرفوا الإسناد وصحته يدعونه ويذهبون إلى رأي سفيان وغيره . قال الله : ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ وتدر ما الفتنة ؟ الكفر . قال الله تعالى : ﴿ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ ﴾ [البقرة : ٢١٧] فيدعون الحديث عن رسول الله ﷺ وتغلبهم أهواؤهم إلى الرأي .
قوله : « عرفوا الإسناد » أي إسناد الحديث وصحته أي صحة الإسناد ، وصحته دليل على صحة الحديث .

وقوله : « يذهبون إلى رأي سفيان » أي الثوري الإمام الزاهد العابد الفقيه كان له أصحاب ومذهب انقرض . وفيه : معرفة تفسير آية النور ، وتمثيل ابن عباس بأبي بكر وعمر وتمثيل أحمد بسفيان . قاله المصنف رحمه الله تعالى ، وهذا هو الشاهد من كلام أحمد للترجمة . وقد عمّت البلوى بهذا المنكر الذي أنكره الإمام أحمد ، خصوصاً فيمن ينتسب إلى العلم والإفتاء والتدريس ، وزعموا أنه لا يأخذ بأدلة الكتاب والسنة إلا المجتهد ، والاجتهاد قد انقطع وقد أخطأوا في ذلك ، وقد استدل الإمام أحمد رحمه الله تعالى بقوله ﷺ : « لا تزال طائفة من أممي على الحق منصوره لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك »* على أن الاجتهاد لا ينقطع . قاله في « قرة العيون »** .

قوله : « لعله إذا ردّ بعض قوله » أي النبي ﷺ أن يقع في قلبه شيء من الزيف فيهلك ، وهذا تنبيه على أن رد قول الرسول ﷺ سبب لزيف القلب الذي هو سبب الهلاك ؛ لأن مخالفة أمر الرسول ﷺ مخالفة لأمر المرسل واستخفاف بحق

* أخرجه أحمد (٩٤/٢٨) ، وصححه الألباني . انظر صحيح الجامع (١٢٢٠/٢) .

** (ص/١٩٠) .

الشرك، لعله إذا ردَّ بعض قوله أن يقع في قلبه شيء من الزبغ فيهلك .
 عن عدي بن حاتم^(١) أنه سمع النبي ﷺ يقرأ هذه الآية ﴿ اَتَّخِذُوا
 أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ﴾ [التوبة: ٣١] الآية . فقلت له :

الامر كما فعل إبليس لعنه الله .

(١) قوله : « عن عدي بن حاتم » بن عبد الله بن سعد بن الحشرج - بفتح الحاء -
 الطائي المشهور بالسخاء والكرم ، قدم عدي على النبي ﷺ في شعبان سنة تسع
 من الهجرة فأسلم وعاش مائة وعشرين سنة، وكان من متصرة العرب « أنه
 سمع النبي ﷺ يقرأ هذه الآية ﴿ اَتَّخِذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن
 دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَّا
 إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ فقلت له : إنا لسنا نعبدهم . قال :
 « ليس يجرمون ما أحلَّ الله فتحرمونه ، ويحللون ما حرم الله فتحملونه ؟ » فقلت :
 بلى . قال : « فتلك عبادتهم »* . رواه أحمد والترمذي وحسنه ، وهذا هو الشاهد
 من الحديث للترجمة . وفي الحديث دليل على أن طاعة الأحرار والرهبان في
 معصية الله عبادة لهم من دون الله ، ومن الشرك الأكبر الذي لا يغفره الله ،
 لقوله في آخر الآية ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
 سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ . قاله في «فتح المجيد»** . قال شيخ الإسلام :
 «فمما أحلَّوه مما حرمه الله استحلال لحم الخنزير وإسقاط الختان، والصلاة إلى
 المشرق، وزيادة الصوم ونقله من زمان إلى زمان ، واتخاذ الصور في الكنائس،
 وتعظيم الصليب، واتباع الرهبانية، قال هذه كلها خالفوا فيها شرع الله الذي
 بعث به الأنبياء » . وقال أيضاً : « وهؤلاء الذين اتخذوا أحبارهم ورهبانهم
 أرباباً من دون الله على وجهين :

* أخرجه الترمذي (٣٠٩٥) وحسنه ، وأحمد (٤/٢٥٧، ٣٧٨) والحديث صحيح .

** (٦٥٣/٢) .

إِنَّا لَسْنَا نَعْبُدُهُمْ . قال : « أليس يُحَرِّمُونَ ما أحل الله ، فتحرّمونه ، ويُحَلِّلون ما حَرَّمَ الله ، فتحلّونه؟ » . فقلت : بلى . قال : « فتلك عبادتهم » . رواه أحمد والترمذي وحسنه .

أحدهما : أن يعلموا أنهم بذلوا دين الله اتباعاً لرؤسائهم مع علمهم أنهم خالفوا دين الرسل فهذا كفر، وقد جعله الله ورسوله شركاً وإن لم يكونوا يصلون لهم ويسجدون .

الثاني : أن يكون اعتقادهم وإيمانهم بتحريم الحلال وتحليل الحرام ثابتاً لكنهم أطاعوهم في معصية الله كما يفعل المسلم ما يفعله من المعاصي التي يعتقد أنها معاصي ، فهؤلاء لهم حكم أمثالهم من أهل الذنوب كما ثبت في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال : « إنما الطاعة في المعروف »* ، وفي الحديث دليل على أن طاعة الأحرار والرهبان في معصية الله عبادة لهم من دون الله، وأما طاعة الأمرء ومتابعتهم، فيما يخالف ما شرعه الله ورسوله فقد عمّت به البلوى قديماً وحديثاً، في أكثر الولاية بعد الخلفاء الراشدين وهلم جرا. وقد قال تعالى : ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَن أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ يَغْتَرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [القصص : ٥٠] . قاله في «فتح المجيد»** . وفيه : معرفة تفسير آية براءة ، والتنبيه على معنى العبادة التي أنكرها عدي، وتغير الأحوال إلى هذه الغاية، حتى صار عند الأكثر عبادة الرهبان هي أفضل الأعمال، وتسمى الولاية ، وعبادة الأحرار هي العلم والفقهاء ثم تغيرت الأحوال إلى أن عبّد من دون الله من ليس من الصالحين، وعبّد بالمعنى الثاني من هو من الجاهلين . قاله المصنف رحمه الله تعالى .

وقوله : « وعبادة الأحرار » هي العلم والفقهاء المؤلف على مذاهب الأئمة

* تقدم تخريجه (ص/٦٩) .

** (٦٥٤/٢) .



في كل ما يقولون سواء وافق حكم الله أم لا، بل يصرحون فإنه لا يحل العمل بالكتاب والسنة ولا تلقي العلم والهدى منهما .
 وقوله : « حتى صار عند الأكثر عبادة الرهبان هي أفضل الأعمال » يشير إلى ما يعتقد كثير من الناس فيمن ينتسب إلى الولاية من الضر والنفع ، ويسمون ذلك الولاية والسر وهو الشرك .
 وقوله : « ثم تغير الأحوال » إلى أن عبد من ليس من الصالحين كاعتقادهم فيمن ينتسب إلى الولاية من الفساق والمجازيب .
 وقوله : « وعبد » بالمعنى الثاني من هو من الجاهلين كاعتقادهم العلم في أناس من جهلة المقلدين . قاله في « الشرح »* .

٣٩- باب

قول الله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ إِلَيْكَ وَمَا نُزِّلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ ^(١) وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ ^(٢) وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ^(٣) ﴾ [النساء: ٦٠] الآيات.

(١) قوله : « باب قول الله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ إِلَيْكَ وَمَا نُزِّلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ ^(٢) وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ^(٣) ﴾ الآيات. قال ابن كثير [التفسير ٢/ ٣٠٥] : « هذه الآية دأمة لمن عدل عن الكتاب والسنة وتحاكم إلى ما سواهما من الباطل، وهو المراد بالطاغوت هاهنا ». وفيه : معرفة تفسير الآية وما فيها من الإعانة على فهم الطاغوت . قاله المصنف رحمه الله تعالى .

(٢) قوله : ﴿ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ ﴾ أي بالطاغوت، فالكفر بالطاغوت ركن التوحيد فلا يصح الإيمان بالله إلا بالكفر بالطاغوت ، فمن لم يكفر بالطاغوت لم يؤمن بالله . قال الإمام مالك - رحمه الله - : « الطاغوت ما عبد من دون الله » . قال ابن القيم رحمه الله : « الطاغوت ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع، فطاغوت كل قوم من يتحاكمون إليه غير الله ورسوله، أو يعبدونه دون الله أو يتبعونه على غير بصيرة من الله أو يطيعونه فيما لا يعلمون أنه طاعة لله ، فهذه طواغيت العالم إذا تأملت أحوال الناس معها رأيت أن أكثرهم ممن أعرض عن عبادة الله إلى عبادة الطاغوت ومتابعته » . انتهى .

(٣) وقوله : ﴿ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ تضمنت هذه الآية أربعة أمور : الأول : أنه من إرادة الشيطان يعني التحاكم إلى الطاغوت . الثاني : أنه ضلال . الثالث : تأكيده بالمصدر . الرابع : وصفه بالبعد عن سبيل الحق والهدى .

وقوله : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ

الْمُنْفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا ﴿١﴾ قال ابن القيم : « هذا دليل على أن من دُعي إلى التحاكم إلى الكتاب والسنة فأبى أنه من المنافقين .
 قوله : ﴿ يَصُدُّونَ ﴾ لازم وهو بمعنى يعرضون؛ لأن مصدره صدوداً فما أكثر من اتصف بهذا الوصف خصوصاً من يدعي العلم ، فإنهم صدوا عما توجه الأدلة من كتاب الله وسنة رسوله إلى أقوال من يخطئ كثيراً ممن ينتسب إلى الأئمة الأربعة في تقليدهم من لا يجوز تقليده واعتمادهم على قول من لا يجوز الاعتماد على قوله ، ويجعلون قوله المخالف لنص الكتاب والسنة وقواعد الشريعة هو المعتمد عندهم الذي لا تصح الفتوى إلا به فصار المتبع لسنة الرسول ﷺ بين أولئك غريباً » . انتهى .

وقوله : ﴿ فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ يَمَّا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ﴾ قال ابن القيم :
 المصيبة فضيحتهم إذ أنزل القرآن مجالهم، ولا ريب أن المصائب التي تصيبهم بما قدمت أيديهم في أبدانهم وقلوبهم وأديانهم بسبب مخالفة الرسول أعظمها مصائب القلب والدين ، فيرى المعروف منكراً، والهدى ضلالاً ، والرشاد غيياً ، والجود باطلاً، والصلاح فساداً ، وهذا من المصيبة التي أصيب بها في قلبه .
 وقوله : ﴿ ثُمَّ جَاءُوكَ يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا أَحْسَنًا وَتَوْفِيقًا ﴾ أي المداراة والمصانعة وتوفيقاً بين الخصمين .

وقوله : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ ﴾ قال ابن كثير [التفسير ٢/ ٣٤٧] : « أي هذا الضرب من الناس هم المنافقون ، والله أعلم بما في قلوبهم وسيجزئهم على ذلك » .

وقوله : ﴿ فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ وَعِظُهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِتْنًا أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ﴾ قال ابن القيم : « أمر الله رسوله ﷺ فيهم بثلاثة أشياء : أحدها : الإعراض عنهم إهانة لهم وتحقيراً لشأنهم وتصغيراً لأمرهم لا إعراض متاركة وإهمال، وبهذا يعلم

وقوله : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾ [البقرة: ١١] ^(١) .

وقوله : ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ﴾ [الأعراف: ٥٦] ^(٢) .

أنها غير منسوخة .

والثاني : قوله : ﴿ وَعِظُهُمْ ﴾ وهو تخويفهم عقوبة الله وبأسه ونقمته إن أصروا على التحاكم إلى غير رسوله وما أنزل عليه .

والثالث : ﴿ وَقُلْ لَهُمْ فِتْنَةٌ أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ﴾ أي يبلغ تأثيره إلى قلوبهم ، ليس قولاً ليناً لا يتأثر به المقول له ، وهذه المادة تدل على بلوغ المراد بالقول ، فهو قول يبلغ به مراد قائله من الزجر والتخويف ، وهذا القول البليغ يتضمن ثلاثة أمور :

أحدها : عظم معناه وتأثر النفوس به . الثاني : فخامة لفظه وجزالته .

الثالث : كيفية القائل في إلقائه إلى المخاطب، فإن القول كالسهم والقلب كالقوس الذي يدفعه وكالسيف والقلب كالساعد الذي يضرب به . انتهى .

(١) قوله : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾ قال

أبو العالية في الآية ﴿ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ ﴾ يعني : لا تعصوا في الأرض؛ لأن من

عصى الله في الأرض أو أمر بمعصية الله فقد أفسد في الأرض، لأن صلاح

الأرض والسماء إنما هو بطاعة الله ورسوله ، ومناسبة الآية للترجمة أن التحاكم

إلى غير الله ورسوله من أعمال المنافقين وهو من الفساد في الأرض. قاله في

«فتح المجيد»* . وفيه : معرفة تفسير آية البقرة ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي

الْأَرْضِ ﴾ . قاله المصنف رحمه الله .

(٢) وقوله : ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ﴾ قال أبو بكر بن عيَّاش

وقوله: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَهْلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠] (١).

في الآية : « إن الله بعث محمداً إلى أهل الأرض وهم في فساد فأصلحهم الله بمحمد ﷺ ، فمن دعا إلى خلاف ما جاء به محمد ﷺ فهو من المفسدين في الأرض » . وقال ابن القيم [بدائع الفوائد ١٧/٣] : « قال أكثر المفسرين : لا تفسدوا فيها بالمعاصي والدعاء إلى غير طاعة الله بعد إصلاح الله لها يبعث الرسل وبيان الشريعة والدعاء إلى طاعة الله ، فإن عبادة غير الله والدعوة إلى غيره والشرك به هو أعظم فساد في الأرض، بل فساد الأرض في الحقيقة إنما هو بالشرك به ومخالفة أمره ، ولا صلاح لها ولا لأهلها إلا بأن يكون الله وحده هو المعبود المطاع والدعوة له لا لغيره، والطاعة والاتباع لرسوله ليس إلا ، وغيره إنما تجب طاعته إذا أمر بطاعة الرسول ﷺ ، فإذا أمر بمعصيته فلا سمع ولا طاعة، ومن تدبر أحوال العالم وجد كل صلاح في الأرض فسيبه توحيد الله وعبادته وطاعة رسوله، وكل شر في العالم وفتنة وبلاء وقحط وتسليط عدو وغير ذلك فسيبه مخالفة رسوله والدعوة إلى غير الله ورسوله » . انتهى ملخصاً . ووجه مناسبة الآية للترجمة أن التحاكم إلى غير الله ورسوله من أعظم ما يفسد الأرض من المعاصي ، فلا صلاح لها إلا بتحكيم كتاب الله وسنة رسوله . قاله في «فتح المجيد» * . وفيه : معرفة تفسير آية الأعراف : ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ﴾ قاله المصنف رحمه الله .

(١) وقوله تعالى : ﴿أَفَحُكْمَ الْجَهْلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ قال ابن كثير [التفسير ١٢٣/٣] : « ينكر الله تعالى على من خرج عن حكم الله تعالى المشتمل على كل خير والناهي عن كل شر، وعدل إلى ما سواه من الآراء والأهواء والاصطلاحات التي وضعها الرجال بلا مستند من شريعة الله كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من الجهالات والضلالات، كما يحكم به التار من

عن عبدالله بن عمرو^(١) أن رسول الله ﷺ قال: « لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به » قال النووي: حديث صحيح، رويناه في كتاب الحجّة بإسناد صحيح .

السياسات المأخوذة عن جنكيز خان الذي وضع لهم الياسق وهو عبارة عن كتاب أحكام اقتبسها من شرائع شتى من اليهودية والنصرانية والملة الإسلامية، وفيها كثير من الاحكام أخذها من مجرد نظره وهواه فصارت في بنيه شرعاً يقدمونها على الحكم بالكتاب والسنة ، فمن فعل ذلك فهو كافر يجب قتاله حتى يرجع إلى حكم الله ورسوله ، فلا يحكم بسواه في قليل ولا كثير . وفيه : معرفة تفسير ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَنَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ﴾ قاله المصنف .

وقوله : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ استفهام إنكار ، أي : لا حكم أحسن من حكمه تعالى ، وهذا من باب استعمال أفعال التفضيل فيما ليس له في الطرف الآخر مشارك، أي : ومن أعدل من الله حكماً لمن عقل عن الله شرعه وآمن وأيقن أنه تعالى أحكم الحاكمين، الحكيم في أقواله وأفعاله وشرعه وقدره، وفي الآية التحذير من حكم الجاهلية واختياره على حكم الله ورسوله فمن فعل ذلك فقد أعرض عن الأحسن وهو الحق إلى ضده من الباطل . قاله في « فتح المجيد »* .

(١) قوله : (عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به » قال النووي : حديث صحيح رويناه في كتاب الحجّة بإسناد صحيح)** . هذا الحديث رواه الشيخ أبو الفتح نصر ابن إبراهيم المقدسي الشافعي في كتاب « الحجّة على تارك الحجّة » بإسناد

* (٦٦٢/٢)

** أخرجه ابن أبي عاصم في السنة رقم (١٥) (٤٦/١) ، دار الصمعي ، والبغوي في شرح السنة (٢١٣/١) ، وأبو الفتح نصر بن إبراهيم المقدسي في كتاب الحجّة على تارك الحجّة (٢٣٨/١) رقم (٢٥) ، ط . الجامعة السلفية ، وضعفه ابن رجب في جامع العلوم والحكم (٣٩٤/٢) .

صحيح كما قاله النووي ، ورواه الطبراني وأبو بكر بن عاصم والحافظ أبو نعيم في «الأربعين» التي شرط لها أن تكون من صحيح الأخبار. قال ابن رجب : «تصحيح هذا الحديث بعيد جداً من وجوه ..» ذكرها وتعقبه بعضهم . قلت : ومعناه صحيح قطعاً ، وإن لم يصح إسناده ، وأصله في القرآن كثير كقوله : ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ [النساء: ٦٥] الآية قاله في «الشرح»*.

قوله : « لا يؤمن أحدكم » أي لا يكون من أهل كمال الإيمان الواجب الذي وعد الله أهله عليه بدخول الجنة والنجاة من النار .

قوله : « حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به » الهوى بالقصر ما يهواه وتحبه نفسه ، فإن كان الذي يحبه وتميل إليه نفسه تابعاً لما جاء به الرسول ﷺ فهذه صفة أهل الإيمان المطلق ، وإن كان بخلاف ذلك أو في بعض أحواله أو أكثرها انتفى عنه من الإيمان كماله الواجب ، ونزل عنه في درجة الإسلام كما في حديث أبي هريرة « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ..»** الحديث ، فلا يطلق عليه الإيمان إلا بقيد المعصية أو الفسوق فيقال : « مؤمن عاص » أو « مؤمن بإيمانه ، فاسق بمعصيته » فيكون معه مطلق الإيمان الذي لا يصح إسلامه إلا به ، والذي عليه سلف الأمة وأئمتها أن : «الإيمان قولٌ وعملٌ ونية ، يزيد بالطاعة ، وينقص بالمعصية» والأدلة على ذلك من الكتاب والسنة أكثر من أن تُحصى خلافاً لمن قال : «إن الإيمان هو القول» ، وهم المرجئة. ومن قال : «هو التصديق» كالأشاعرة ، ومن المعلوم عقلاً وشرعاً أن نية الحق تصديق ، والعمل به تصديق ، وقول الحق تصديق ، وليس مع أهل البدع ما ينافي قول أهل السنة والجماعة ، والله الحمد والمثمة . انتهى ملخصاً من «فتح المجيد»***.

* (ص/٤٩٢)

** أخرجه البخاري (٢٤٧٥ ، ٦٨١٠) ، ومسلم (٥٧) .

*** (٢/٦٦٤) .

وقال الشعبي^(١) : كان بين رجل من المنافقين ورجل من اليهود خصومة، فقال اليهودي: نتحاكم إلى محمد - لأنه عَرَفَ أنه لا يأخذ الرُّشوة -

وأما الخوارج الذين يكفرون بالذنوب فيخرجون الزاني والسارق من الإسلام ويحكمون بكفره وتحليده في النار. والمعتزلة يقولون ليس بمؤمن ولا كافر، له منزلة بين المنزلتين، ومع ذلك فهو مخلد في النار. ومناسبة الحديث للترجمة بيان الفرق بين أهل الإيمان وأهل النفاق والمعاصي في أقوالهم وأفعالهم وإراداتهم. قاله في « فتح المجيد »*.

(١) قوله : « وقال الشعبي » - بفتح الشين - وهو عامر بن شراحيل الكوفي، أبو عمرو، ثقة مشهور، فقيه فاضل. قال مكحول : ما رأيت أفتقه منه ، عالم أهل زمانه ، أدرك خلقاً كثيراً من الصحابة ، كان حافظاً علامة ذا فنون، كان يقول : ما كتبتُ سوداء في بيضاء . عاش بضعاً وثمانين سنة . قاله الذهبي . قال : « كان بين رجل من المنافقين ورجل من اليهود خصومة، فقال اليهودي : نتحاكم إلى محمد - لأنه عَرَفَ أنه لا يأخذ الرُّشوة - وقال المنافق : نتحاكم إلى اليهود - لعلمه أنهم يأخذون الرُّشوة - فاتفقا على أن يأتيا كاهناً في جهينة فيتحاكما إليه، فنزلت : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ ﴾ الآية . وقيل : نزلت في رجلين اختصما فقال أحدهما : ترفع إلى النبي ﷺ ، وقال الآخر : إلى كعب بن الأشرف . ثم ترفعا إلى عمر ، فذكر له أحدهما القصة، فقال للذي لم يرضَ برسول الله ﷺ : أكذلك ؟ قال : نعم . فضربه بالسيف فقتله. « هذا الأثر رواه ابن جرير وابن المنذر بنحوه . وذكر شيخ الإسلام أن عمر ﷺ لما قتل المنافق قال : هكذا أقضي بين من لم يرضَ بقضاء الله وقضاء رسوله ، فنزلت ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ ﴾ الآية . فقال جبريل : إن عمر فرق بين الحق والباطل فسُمي فاروقاً . انتهى .

وقد رويت هذه القصة من طرق متعددة . قاله في « الشرح »** . وفيه : معرفة

* (٦٦٧/٢)

** (ص/٤٩٥) .

وقال المنافق : نتحاكم إلى اليهود - لعلمه أنهم يأخذون الرِّشوة - فاتفقا على أن يأتيا كاهناً في جُهيئة فيتحاكما إليه، فنزلت : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ﴾ الآية [النساء : ٦٠] .

وقيل : نزلت في رجلين اختصما فقال أحدهما : نترافع إلى النبي ﷺ ، وقال الآخر : إلى كعب بن الأشرف . ثم ترافعا إلى عمر ، فذكر له أحدهما القصة، فقال للذي لم يرضَ برسول الله ﷺ : أكذاك ؟ قال : نعم . فضربه بالسيف فقتله .



تفسير : ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾ ، وما قاله الشعبي في سبب نزولها وتفسير الإيمان الصادق والكاذب وقصة عمر مع المنافق . قاله المصنف رحمه الله تعالى . وفيه : أن التحاكم إلى غير الله ورسوله من صفات المنافقين، ولو كان الدعاء إلى تحكيم إمام فاضل ومعرفة أعداء الله ورسوله ﷺ بما كان عليه من العلم والعدل في الأحكام والغضب لله والشدة في أمر الله كما فعل عمر ؓ وأن من طعن في أحكام النبي ﷺ أو في شيء من دينه قتل كهذا المنافق بل أولى ، وفيها : جواز تغيير المنكر وإن لم يأذن فيه الإمام . قاله في «الشرح»* . وفيها : ما يبين أن المنافق يكون أشد كراهية لحكم الله ورسوله من اليهود والنصارى، وأشدَّ عداوة منهم لأهل الإيمان كما هو الواقع في هذه الأزمنة وقبلها من إعانة العدو على المسلمين، وحرصهم على إطفاء نور الإسلام والإيمان وقتل من أظهر الكفر والنفاق . قاله في «فتح المجيد»** .

* (ص/٤٩٧)

** (٦٦٨/٢)

٤٠-باب

من جحد شيئاً من الأسماء والصفات (١)

وقول الله تعالى : ﴿ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابٍ ﴾ (٢) [الرعد : ٢٠] .

(١) قوله : « باب مَنْ جحد شيئاً من الأسماء والصفات » أي ما حكمه ؟ و « مَنْ » اسم شرط ، والجواب محذوف تقديره : فقد كفر ، لما كان التوحيد الذي بعث الله به رسله وأنزل به كتبه نوعين : أحدهما : توحيد في المعرفة والإثبات وهو إثبات حقيقة ذات الرب تعالى وصفاته وأفعاله وأسمائه . والثاني : توحيد في الطلب والقصد، وهو توحيد الإلهية، وهما متلازمان لا يصح أحدهما بدون الآخر .
نبه المصنف رحمه الله بهذه الترجمة على أن من جحد شيئاً من الأسماء والصفات التي وردت في الكتاب والسنة لم يصح توحيد، وإن جحدتها كفر يخرج من الإسلام.

(٢) قوله : « وقول الله تعالى : ﴿ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابٍ ﴾ ولما سمعت قريش رسول الله ﷺ يذكر الرحمن أنكروا ذلك فأنزل الله ﴿ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ ﴾ . ذكر المفسرون أن سبب نزول هذه الآية في صلح الحديبية لما أمر النبي ﷺ علياً بكتابة وثيقة الصلح، فكتب : « بسم الله الرحمن الرحيم » قالوا : لا نعرف الرحمن إلا رحمان اليمامة - وكان مسيلمة قبحة الله قد تسمى برحمان اليمامة - فأنزل الله : ﴿ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ ﴾ أي لا يقرون به ، ووجه مطابقة الآية للترجمة أن الله عز وجل سمي جحود اسمه الرحمن الذي هو اسم وصفة كفراً، فدلّ على أن جحود شيء من الأسماء والصفات كفر.

وقوله : ﴿ قُلْ هُوَ رَبِّي ﴾ أي قل يا محمد رداً عليهم في كفرهم بالرحمن تبارك وتعالى ، ﴿ هُوَ ﴾ أي الرحمن ﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾ أي لا معبود بحق سواه ، ﴿ عَلَيْهِ ﴾

تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابٍ ﴿١﴾ أي : إليه مرجعي وأويتي ، فالرحمن اسمه وصفته ، فالرحمة وصفه القائم به ، فإذا كان المشركون جحدوا اسماً من أسمائه الذي دل على كماله تعالى فجحود معناه كجحود لفظه ، فإن الجهمية يزعمون أنه لا يدل على صفة قائمة به تعالى ، وتبعهم على ذلك طوائف من المعتزلة والأشاعرة ، فلهذا كفرهم كثير من أئمة السنة، ولذا قال العلامة ابن القيم في «الكافية الشافية شرح ابن عيسى ١ / ٢٩٠» :

ولقد تقلد كفرهم خمسون في عشر من العلماء في البلدان
واللالكائي الإمام حكاه عنهم بل حكاه قبله الطبراني

فإن الجهمية ومن تبعهم على التعطيل وجحد ما وصف الله به نفسه ووصفه به رسوله بنوا تعطيلهم على أصل باطل أصطلوه من عند أنفسهم قالوا هذه صفات الأجسام فيلزم من إثباتها أن يكون الله جسماً ، هذا منشأ ضلال عقولهم لم يفهموا من صفات الله إلا ما فهموا من خصائص المخلوقين فشبها الله أولاً بخلقه ثم عطلوه من صفات كماله ، وشبهوه ثانياً بالناقصات والجمادات . قال ابن القيم رحمه الله تعالى : «فجعل المعطلة جحد الصفات توحيداً ، وجعلوا إثباتها تشبيهاً وتجسيماً وتركيباً ، فسموا الباطل باسم الحق ترغيباً فيه ، وسموا الحق باسم الباطل تنفيراً عنه ، والذي عليه سلف الأمة وأئمتها إثبات ما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله على ما يليق بجلاله وعظمته إثباتاً بلا تمثيل ، وتنزيهاً بلا تعطيل ، فإن الكلام في الصفات فرغ عن الكلام في الذات يحتذى حذوه ، فكما أننا ثبتت لله ذاتاً لا تشبه الذوات ، فكذلك ثبت له صفاتاً لا تشبه الصفات ، والجهمية المعطلة ومن تبعهم على ضلالهم أثبتوا لله ذاتاً لا تشبه الذوات ولم يشبوا له صفاتاً لا تشبه الصفات فتناقضوا . وقد ألف العلماء من أئمة السلف كتباً في الرد عليهم كالإمام

وفي صحيح البخاري^(١) قال عليٌّ: حَدَّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ ، أَتْرِيدُونَ أَنْ يُكَذِّبَ اللَّهُ رَسُولَهُ؟^(٢) .

أحمد في رده المشهور، وكتاب «السنة» لابنه عبدالله ، وكتاب «الحيدة» المشهور لعبدالعزیز الكناني، وكتاب «السنة» لأبي عبدالله المروزي ، ورد عثمان بن سعيد على المريسي ، وكتاب «التوحيد» لإمام الأئمة محمد بن خزيمة ، وكتاب «السنة» لأبي بكر الخلال ، وغيرهم رحمهم الله ورضي عنهم . وفيه : معرفة تفسير آية الرعد وإن جحد شيء من الأسماء والصفات كفرٌ . قاله المصنف رحمه الله .

(١) قوله : « وفي صحيح البخاري عن عليٍّ رضي الله عنه قال : حَدَّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ » زاد آدم بن أبي إياس في كتاب «العلم» : ودعوا ما ينكرون . قاله الحافظ ابن حجر ، أي : ما يشبهه عليهم فهمه . ومثله قول ابن مسعود : ما أنت محدث قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة . رواه مسلم .

(٢) وقوله : « أَتْرِيدُونَ أَنْ يُكَذِّبَ اللَّهُ رَسُولَهُ » وسبب قول عليٍّ هذا - والله أعلم - ما حدث في خلافته من إقبال الناس على الحديث وكثرة القصص ، فيأتون في قصصهم بأحاديث من هذا القبيل لا تُعرف ، فربما استنكرها بعض الناس ، وقد يكون لبعضها أصل أو معنى صحيح فيقع بعض المفاصد ، فأرشدهم أمير المؤمنين إلى أنهم لا يتحدثون عامة الناس إلا بما هو معروف ينفع الناس في أصل دينهم وأحكامه من بيان حلاله وحرامه الذي كلفوا به علماً وعملاً دون ما يشغل عن ذلك مما قد يؤدي إلى رد الحق وعدم قبوله فيفضي بهم إلى التكذيب . وقد كان أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان ينهى القصص عن القصص لما في قصصهم من الغرائب والتساهل في النقل ويقول : « لا يقص إلا أمير أو مأمور » . وكل هذا محافظة على لزوم الثبات على الصراط المستقيم علماً وعملاً ونية وقصدًا ، وترك كل ما كان وسيلة إلى الخروج عنه إلى البدع . والله أعلم .

وروى عبدالرزاق عن مَعْمَرٍ عن ابنِ طَاوُسٍ عن أبيه، عن ابنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ رَأَى رَجُلًا انْتَفَضَ لَمَّا سَمِعَ حَدِيثًا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي الصِّفَاتِ اسْتِنكَارًا لِذَلِكَ، فَقَالَ: مَا فَرَّقَ هَؤُلَاءِ؟ يَجِدُونَ رَقَّةً عِنْدَ مُحْكَمِهِ، وَيَهْلِكُونَ عِنْدَ مُتَشَابِهِهِ. انتهى^(١). ولما سمعت قريش رسول الله ﷺ يذكر الرحمن، أنكروا ذلك، فأنزل الله فيهم: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ﴾ [الرعد: ٣٠].

(١) قوله: «وروى عبدالرزاق» بن همام الصنعاني، محدث اليمن، صاحب التصانيف، أكثر الرواية عن شيخه معمر بن راشد صاحب الزهري، ومَعْمَرُ - بفتح الميمين وسكون العين - ابن راشد أبو عروة بن أبي عمرو بن راشد الأزدي الحراني ثم اليماني، أحد الأعلام من أصحاب محمد بن شهاب الزهري يروي عنه كثيراً «عن ابن طاوس» وهو عبدالله بن طاوس اليماني، قال معمر: أعلم الناس بالعربية. وقال ابن عيينة: مات سنة اثنتين وثلاثين ومائة وأبوه طاوس ابن كيسان الجندي - بفتح الجيم والنون - الإمام العلم، قيل اسمه ذكوان قاله ابن الجوزي «عن ابن عباس» وهو حبر الأمة وترجمان القرآن، دعا له النبي ﷺ وقال: «اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل» * روى عنه أصحابه أئمة التفسير كمجاهد وسعيد بن جبير وعطاء بن أبي رباح وطاووس غيرهم «أنه» أي ابن عباس «رأى رجلاً انتفض لما سمع حديثاً عن النبي ﷺ في الصفات استنكاراً لذلك. فقال: ما فرق هؤلاء؟» ** يستفهم من أصحابه يشير إلى أناس ممن يحضر مجلسه من عامة الناس يجدون رقة عند محكمه أي إذا سمعوا شيئاً من محكم القرآن ومعناه حصل معهم رقة أي خوف «ويهلكون عند متشابهه» أي إذا سمعوا شيئاً مما يشبه عليهم فهمه لا أن آيات الصفات هي المتشابهة كما تقوله الجهمية ونحوهم. قال شيخ

* أخرجه الإمام أحمد (١/٢٦٦، ٣٣٥)، والطبراني في الكبير (١٠٥٨٧)، والحاكم (٣/٥٣٤) وصححه ووافقه الذهبي.

** أخرجه عبدالرزاق (٢٠٨٩٥)، وابن أبي عاصم في السنة (٤٨٥) بسند صحيح.

الإسلام [الفتاوى ١٣/٢٩٤-٢٩٥]: « وأما إدخال أسماء الله وصفاته أو بعض ذلك في التشابه الذي لا يعلم تأويله إلا الله فما أعلم عن أحدٍ من سلف الأمة ولا من الأئمة لا أحمد بن حنبل ولا غيره أنه جعل ذلك من التشابه ، ونفى أن يُعلم معناه وجعلوا أسماء الله وصفاته من الكلام الأعجمي الذي لا يفهم معناه ، ولا أن الله ينزل كلاماً لا يفهم أحدٌ معناه، وإنما قالوا كلمات الله لها معان صحيحة . وقالوا في أحاديث الصفات تمر كما جاءت ، ونهوا عن تأويلات الجهمية وردوها وأبطلوها التي معناها تعطيل النصوص عن ما دلّت عليه ، ويقرون النصوص على ما دلّت عليه من معناها ، ويفهمون منها بعض ما دلت عليه ، وكذلك نصّ أحمد في كتاب « الرد على الزنادقة والجهمية » أنهم تمسكوا بمتشابه القرآن ، وتكلم أحمد على ذلك المتشابه وبين معناه وتفسيره بما يخالف تأويل الجهمية، وجرى في ذلك على سنن الأئمة قبله - رحمه الله - . قال الذهبي : « حدث وكيع عن إسرائيل بحديث « إذا جلس الرب على الكرسي » فاقشعر رجل عند وكيع، فغضب وكيع وقال : أدركنا الأعمش وسفيان يحدثون بهذه الأحاديث ولا ينكرونها . أخرجه عبد الله بن الإمام أحمد في كتاب « الرد على الجهمية » . فهؤلاء الذين ذكروهم ابن عباس تركوا ما وجب عليهم من الإيمان بما لم يفهموا معناه من الكتاب والسنة وهو حق لا يرتاب فيه مؤمن وبعضهم يفهم منه غير المراد من المعنى فيحمله على غير معناه كما جرى لأهل البدع كالخوارج والرافضة والقدرية ونحوهم ممن يتأول بعض آيات القرآن على بدعته، وسبب هذه البدع : جهل أهلها وقصورهم في الفهم وعدم أخذ العلوم الشرعية على وجهها وتلقيها عن أهلها . فالتشابه أمرٌ نسبي إضافي ، فقد يكون مشتبهاً بالنسبة إلى قوم بيناً جليلاً بالنسبة إلى آخرين ، ولهذا لما خرج النبي ﷺ على قوم يتراجعون في القرآن غضب ، وقال : « بهذا ضلّت الأمم قبلكم ، باختلافهم على أنبيائهم ،

وضرب الكتاب بعضه ببعض ، وأن القرآن لم ينزل ليكذب بعضه بعضاً ولكن أنزل لأن يُصدق بعضه بعضاً ، فما عرفتم منه فاعملوا به ، وما تشابه عليكم فآمنوا به » رواه ابن سعد وابن مردويه ، وغيرهم . وأما قوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ تُحْكِمُكَ ﴾ [آل عمران ٧] أي بينات واضحات الدلالة لا التباس فيها على أحد ﴿ هُنَّ أُمَّ الْكِتَابِ ﴾ أي أصله الذي يرجع إليه عند الاشتباه ﴿ وَأَنْزَلَ مُتَشَابِهَاتٍ ﴾ أي تحتمل دلالتها موافقة المحكم ، وقد تحتمل معنى آخر من حيث اللفظ والتركيب لا من حيث المعنى المراد ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْجٌ ﴾ أي ضلال وخروج عن الحق إلى الباطل ﴿ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ﴾ أي إنما يأخذون منه بالمتشابه الذي يمكنهم أن يحرفوه أي يصرفوه إلى مقاصدهم الفاسدة لاحتمال لفظه لما يصرفونه ﴿ آيَاتٍ أَلْفِتْنَةٍ ﴾ أي الإضلال لأتباعهم ليوهموهم أنهم يحتجون على بدعتهم بالقرآن، وهو حجة عليهم لا لهم ، فمن رد ما اشبهه عليه إلى الواضح منه، وحكم محكمه على متشابهه فقد اهتدى، ومن عكس انعكس. قال شيخ الإسلام : « والله جعل المحكم مقابل المتشابه تارة ومقابل المنسوخ تارة ، والمنسوخ يدخل فيه كل ظاهر ترك ظاهره لمعارض راجحه كتخصيص العام وتقييد المطلق ، فإن هذا متشابه لأنه يحتمل معنيين ويدخل فيه الجمل فإنه متشابه وإحكامه رفع ما يتوهم فيه من المعنى الذي ليس بمراد . وقد روي أن من نصارى نجران الذين وفدوا على النبي ﷺ من تأول « أنا » و « نحن » على أن الآلهة ثلاثة ؛ لأن هذا ضمير جمع، ومعلوم أن « أنا » و « نحن » من المتشابه ، فإنه يراد بها الواحد الذي معه غيره من جنسه ويراد بها الواحد الذي معه أعوانه، وإن لم يكونوا من جنسه ويراد بها الواحد المعظم نفسه الذي يقوم مقام من معه غيره لتنوع أسمائه التي كل اسم منها يقوم مقام مسمى فصار متشابهاً؛ لأن اللفظ واحد ، والمعنى متنوع ، والأسماء المشتركة في اللفظ هي من المتشابه ، فالذين في قلوبهم زيغ يدعون المحكم الذي لا اشتباه فيه



مثل : ﴿وَاللَّهُ كَزَّ إِلَهٌُ وَجِدٌ﴾ [البقرة: ١٦٣] ، ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي﴾ [طه: ١٤] ، ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ﴾ [المؤمنون: ٩١] ، ﴿وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ﴾ [الفرقان: ٢] ، ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ٤] ويتبعون المشابهة . انتهى باختصار .

وفيه : ترك التحديث بما لا يفهم السامع ، وذكر العلة أنه : يفضي على تكذيب الله ورسوله ولو لم يعتمد المنكر ، وكلام ابن عباس لمن استنكر شيئاً من ذلك وأنه هلكة . قاله المصنف رحمه الله تعالى .

٤١-باب

قول الله تعالى : ﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ ^(١) [النحل: ٨٣] .

قال مجاهد ما معناه : هو قولُ الرجل : هذا مالي ، ورثته عن آبائي .

(١) قوله : « باب قول الله تعالى : ﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ ترجم المصنف رحمه الله تعالى بهذه الآية من سور النحل المسماة سورة النعم لبيّن أن إنكار النعمة بعد معرفتها كفر كنسبة النعمة إلى غير المنعم بها وهو من الشرك الخفي المنافي لكمال التوحيد . وقد اختلف المفسرون في المراد بالنعمة ، فذكر عن سفيان عن السدي يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها ، قال : محمد ﷺ . ذكره ابن جرير .

ولا شك أن بعثة محمد ﷺ أعظم نعمة أنعم الله بها على أهل الأرض ، قال شيخ الإسلام : « فبمحمد تبيّن الكفر من الإيمان ، والربح من الخسران ، والهدى من الضلال ، والنجاة من الوبال ، والغني من الرشاد ، والزيغ من السداد ، وأهل الجنة من أهل النار ، والمتقون من الفجار ، وسبيل من أنعم الله عليهم من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين من سبيل المغضوب عليهم والضالين . فالنفوس أحوج إلى معرفة ما جاء به وأتباعه منها إلى الطعام والشراب ، فإن هذا إن فات حصل الموت في الدنيا، وذاك إذا فات حصل العذاب ، فحق على كل أحد بذل جهده ما استطاع في معرفة ما جاء به وطاعته ؛ إذ هذا طريق النجاة من العذاب الأليم والسعادة في دار النعيم » . انتهى . وقال مجاهد في الآية : « النعمة هي المساكن والأنعام وسراويل الثياب والحديد يعرفه كفار قريش ثم ينكرونها بأن يقولوا هذا كان لأبائنا وورثانه عنهم » . رواه ابن جرير وابن أبي حاتم واختار هذا القول ابن جرير ، واختار غيره أن الآية تعم ما ذكر العلماء في معناها .

وقال عون بن عبدالله^(١) : يقولون : لولا فلان لم يكن كذا .

وقال ابن قتيبة^(٢) : يقولون هذا بشفاعة ألهتنا .

وقال أبو العباس^(٣) - بعد حديث زيد بن خالد الذي فيه أن الله تعالى قال :

(١) قوله : « وقال عون بن عبدالله » بن عتبة بن مسعود أبو عبدالله الكوفي ثقة عابد، مات في سنة عشرين ومائة في الآية « يقولون : لولا فلان لم يكن كذا » رواه ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم . وقال ابن القيم : « ما معناه هذا يتضمن قطع إضافة النعمة عن من لولاه لم تكن وإضافتها إلى من لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرراً، فضلاً عن غيره ، وغايته أن يكون جزاء من السبب أجرى الله نعمته على يده ، والسبب لا يستقل بالإيجاد ، وجعله سبباً هو من نعم الله عليه فهو المنعم بتلك النعمة وهو المنعم بما جعله سبباً من أسبابها، فالسبب والمسبب من إنعامه وهو سبحانه كما قد ينعم بذلك السبب، فقد ينعم بدونه ولا يكون له أثر، وقد يسلبه سببته وقد يجعل لها معارضاً يقاومها ، وقد يرتب على السبب ضد مقتضاه فهو وحده المنعم على الحقيقة » .

(٢) قوله : « وقال - أبو محمد عبدالله بن مسلم - بن قتيبة » الدينوري الحافظ ، صاحب « التفسير » و « المعارف » وغيرهما ، وثقه الخطيب وغيره ، ومات سنة سبع وستين ومائتين أو قبلها « يقولون : هذا بشفاعة ألهتنا » قال ابن القيم : « هذا يتضمن الشرك مع إضافة النعمة إلى غير وليها ، فالآلهة التي تُعبد من دون الله أحقر وأذلّ من أن تشفع عند الله وهي محضرة في الهوان والعذاب مع عابديها ، وأقرب الخلق إلى الله وأحبهم إليه لا يشفع عنده إلا من بعد إذنه لمن ارتضاه، والشفاعة عنده بإذنه من نعمه فهو المنعم بالشفاعة وهو المنعم بقبولها وهو المنعم بتأهيل المشفوع له، إذ ليس كل أحد أهلاً أن يشفع له ، فمن المنعم على الحقيقة سواه ؟ » . انتهى .

(٣) قوله : « وقال الإمام أبو العباس » شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام

« أصبح من عبادي مؤمنٌ بي وكافرٌ » الحديث ، - وقد تقدم - : وهذا كثيرٌ في الكتاب والسنة، يذمُّ سبحانه من يُضيف إنعامه إلى غيره، ويشرك به .
قال بعض السلف : هو كقولهم كانت الريحُ طيبةً والملاحُ حاذقاً، ونحو ذلك مما هو جارٍ على السنة كثير .



ابن تيمية الحراني رحمه الله تعالى ورضي عنه بعد حديث زيد بن خالد الذي فيه أن الله قال : « أصبح من عبادي مؤمنٌ بي وكافرٌ » وهذا كثير في الكتاب والسنة يلم سبحانه من يضيف إنعامه إلى غيره ويشرك به ، قال بعض السلف : هو كقولهم : كانت الريح طيبة والملاح حاذقاً ونحو ذلك مما هو جارٍ على السنة كثير* . انتهى . وكلام الشيخ هذا يدل على أن حكم هذه الآية عام في كل من نسب النعم إلى غير الله الذي أنعم بها ، وأسند أسبابها إلى غيره كما هو مذكور في كلام المفسرين المذكور بعضه هنا وذلك من أنواع الشرك كما لا يخفى . قاله في «قرة العيون»** .
وفيه : معرفة النعمة وإنكارها ، ومعرفة أن هذا جارٍ على السنة كثير، وتسمية هذا الكلام إنكاراً للنعمة، واجتماع الضدين في القلب . قاله المصنف رحمه الله تعالى .
قلت : والمراد بالضدين معرفة النعمة وإنكارها .

* تقدم تخريجه (ص/٢٤٦) .

** (ص/٢٠٣) .

٤٢-باب

قول الله تعالى: ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾^(١) [البقرة: ٢٢].

قال ابن عباس في الآية^(٢): الأندادُ هو الشرك، أخفى من ديب النمل

(١) قوله: «باب قول الله تعالى: ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ ينهى تبارك وتعالى عباده أن يجعلوا له أنداداً ونظراء يشركونهم معه في عبادته وهم يعلمون أنه لا ند له ويذكرهم بنعمه التي امتنَّ بها عليهم في قوله: ﴿ يَتَأَيَّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ قال البغوي: «﴿ يَتَأَيَّهَا النَّاسُ ﴾ خطاب لأهل مكة و﴿ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ خطاب لأهل المدينة وهو هنا عام إلا من حيث أنه لا يدخله الصغار والمجانين، وقال ابن عباس: كل ما في القرآن من العبادة فمعناه التوحيد، ثم شرع تعالى في بيان وحدانية ألوهيته بأنه المنعم على عباده بإخراجهم من العدم إلى الوجود وإسباغ نعمه عليهم الظاهرة والباطنة، فجعل الأرض فراشاً مثبتة بالرواسي الشامخات، والسماء بناءً وهو السقف، وأنزل من السماء - والمراد السحاب - ماءً في وقت احتياجهم إليه فأخرج به أنواع الزروع والثمار رزقاً لكم. ومضمون هذا أنه الخالق الرازق، مالك الدار وساكنيها ورازقهم، فهو المستحق أن يُعبد وحده ولا يُشرك معه غيره من الأنداد. قال ابن القيم رحمه الله: «فتأمل هذه، وشدة لزومها لتلك المقدمات قبلها وظفر العقل بها بأول وهلة وخلوصها من كل شبهة وريب وقادح إذا كان الله وحده هو الذي فعل هذه الأفعال، فكيف تجعلون لله أنداداً، وقد علمتم أنه لا ند له يشاركه في فعله».

(٢) قوله: «وعن ابن عباس رضي الله عنهما في الآية: الأنداد هو الشرك، أخفى من ديب النمل على صفاة سوداء في ظلمة الليل، وهو أن تقول: والله، وحياتك يا فلان،

على صفاةٍ سوداء في ظلمة الليل . وهو أن تقول : والله ، وحياتك يا فلان ، وحياتي . وتقول : لولا كُليية هذا لأتانا اللصوص ، ولولا البطُّ في الدار لأتى اللصوص . وقول الرجل لصاحبه : ما شاء الله وشئت . وقول الرجل : لولا الله وفلان . لا تجعل فيها فلاناً ، هذا كله به شرك . رواه ابن أبي حاتم .

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ^(١) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من حلف بغير الله فقد كفر ، أو أشرك » . رواه الترمذي وحسنه ، وصحَّحه الحاكم .

وحياتي . وتقول : لولا كُليية هذا لأتانا اللصوص ، ولولا البطُّ في الدار لأتى اللصوص . وقول الرجل لصاحبه : ما شاء الله وشئت . وقول الرجل لصاحبه : لولا الله وفلان . هذا كله به شرك . رواه ابن أبي حاتم » . وفيه : معرفة تفسير آية البقرة في الأنداد ، وأن الصحابة يفسرون الآية النازلة في الشرك الأكبر أنها تعم الأصغر . قاله المصنف رحمه الله تعالى . وهذا الذي ذكره ابن عباس كله من الشرك الأصغر ، وهو الجاري على السنة كثير من الناس ممن لا يعرف التوحيد ولا الشرك ، وهو من المنكر العظيم الذي يجب النهي عنه والتغليظ فيه ؛ لكونه أكبر من الكبائر ، وهذا من ابن عباس تنبيه بالأدنى من الشرك على الأعلى . قاله في « فتح المجيد »* ، وهذا هو الشاهد من كلام ابن عباس للترجمة .

(١) قوله : « وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه » قال في « الشرح »** صوابه ابن عمر كذا . أخرجه أحمد وأبوداود والترمذي والحاكم وصححه ابن حبان . قال ابن العراقي : وإسناده ثقات . « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك »*** يحتمل أن يكون شكاً من الراوي ، ويحتمل أن تكون ، أو بمعنى

* (٦٩١/٢) .

** (ص/٥١١) .

*** أخرجه أحمد (٣٤/٢ ، ٨٦) ، وأبوداود (٣٢٥١) ، والترمذي (١٥٣٥) ، وابن حبان (١١٧٧) ، وصححه الألباني في الصحيحة (٢٠٤٢) .

وقال ابن مسعود^(١): «لأن أحلف بالله كاذباً أحب إليّ من أن أحلف بغيره صادقاً» .

وعن حذيفة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا تقولوا: ما شاء الله وشاء فلان، ولكن قولوا: ما شاء الله ثم شاء فلان»^(٢). رواه أبو داود بسند صحيح.

الواو فيكون قد كفر وأشرك ، ويكون من الكفر الذي هو دون الكفر الأكبر كما هو من الشرك الأصغر . وهذا هو الشاهد من الحديث للترجمة، قال ابن عبد البر: «لا يجوز الحلف بغير الله بالإجماع» . ذكره في «إبطال التنديد»* . وأما قوله: «أفلح وأبيه إن صدق»** ونحوه . فقال في «الشرح»***: الحق أن هذا كان قبل النهي عنه ثم نسخ . قال السهيلي : وعليه أكثر الشراح .

(١) قوله «وقال ابن مسعود: لأن أحلف بالله كاذباً أحب إلي من أن أحلف بغيره صادقاً» وهذا لأن الحلف بالله كاذباً من الكبائر ، والحلف بغير الله شرك أصغر وهو أكبر من الكبائر، وكلام ابن مسعود هذا رواه الطبراني وذكره ابن جرير غير مسند . وقال شيخ الإسلام: «وإنما رجح ابن مسعود الحلف بالله كاذباً على الحلف بغيره صادقاً؛ لأن الحلف بالله توحيد ، والحلف بغيره شرك ، وإن قدر الصدق في الحلف بغير الله فحسنة التوحيد أعظم من حسنة الصدق ، وسيئة الكذب أسهل من سيئة الشرك» . وفيه: أن الحلف بغير الله شرك ، وأنه إذا حلف بغير الله صادقاً فهو أكبر من اليمين الغموس . قاله المصنف رحمه الله تعالى .

(٢) قوله: «وعن حذيفة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان ولكن قولوا: ما شاء الله ثم شاء فلان» . رواه أبو داود بسند صحيح»*** وهذا لأن

* (ص/٢٣٣) .

** أخرجه البخاري (٤٦) دون قوله «وأبيه» ، وهي عند مسلم (١١) .

*** (ص/٥١٣) .

**** أخرجه أبو داود (٤٩٨٠) ، وأحمد (٥/٣٨٤ ، ٣٩٤ ، ٣٩٨) وصححه النووي في الأذكار

(ص/٣٠٨) .

وجاء عن إبراهيم النخعي أنه يكره : أعوذ بالله وبك، ويجوز أن يقول:
بالله ثم بك . قال : ويقول : لولا الله ثم فلان ، ولا تقولوا : لولا الله
وفلان^(١) .



العطف بالواو يقتضي المساواة لأنها في وضعها لمطلق الجمع بخلاف الفاء ،
وتم وتسوية المخلوق بالخالق بكل نوع من أنواع العبادة شرك وهو من الشرك
الأصغر .

(١) قوله : « وجاء عن إبراهيم النخعي أنه يكره : أعوذ بالله وبك، ويجوز أن يقول :
أعوذ بالله ثم بك ، قال : ويقول لولا الله ثم فلان ، ولا تقولوا لولا الله وفلان »
وكلام إبراهيم هذا الذي ذكره المصنف رواه عبدالرزاق وابن أبي الدنيا في
كتاب « الصمت » عن مغيرة قال : كان إبراهيم يكره أن يقول الرجل ..
إلخ؛ لأن الواو لمطلق الجمع بخلاف ثم فإنها تقتضي الترتيب . وفيه: معرفة
الفرق بين الواو وثم في اللفظ . قاله المصنف رحمه الله .

تنبيه : الكراهة في عرف السلف إنما يُراد بها كراهة التحريم لا كراهة التنزيه
المصطلح عليها عند متأخري الفقهاء . ومطابقة الحديثين والأثرين للترجمة
ظاهرة على ما فسر به ابن عباس رضي الله عنهما الآية . قاله في «الشرح» * .

باب.٤٢

ما جاء فيمن لم يقنع بالحلف بالله (١)

عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « لا تحلفوا بأبائكم »^(٢) ، من حلف بالله فليصدق ، ومن حلف له بالله فليرض ، ومن لم يرض فليس من الله » رواه ابن ماجه بسند حسن .

(١) قوله : « باب ما جاء فيمن لم يقنع بالحلف بالله » أي من الوعيد؛ لأن ذلك يدل على قلة تعظيمه لجناب الربوبية ، إذ القلب الممتلئ بمعرفة عظمة الله وجلاله وعزته وكبريائه لا يفعل ذلك . قاله في «الشرح» * .

(٢) قوله : « عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « لا تحلفوا بأبائكم ، من حلف بالله فليصدق ، ومن حلف له بالله فليرض ، ومن لم يرض فليس من الله »^{**} رواه ابن ماجه بسند حسن .

قوله : « لا تحلفوا بأبائكم » تقدم النهي عن الحلف بغير الله عموماً .
وقوله : « من حلف بالله فليصدق » هذا مما أوجبه الله على عباده وحضتهم عليه في كتابه ، قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ [التوبة : ١١٩] .

قوله : « ومن حلف له بالله فليرض ، ومن لم يرض فليس من الله » قال ابن كثير : «أي فقد برئ من الله . وهذا عام في الدعاوى وغيرها » ، وحدثت عن المصنف أنه حمل حديث الباب على اليمين في الدعاوى، كمن يتحاكم عند الحاكم فيحكم على خصمه باليمين فيحلف ، فيجب عليه أن يرضى . قاله في «الشرح»*** .

* (ص/٥١٦) .

** أخرجه ابن ماجه (٢١٣١)، وصححه الألباني في الإرواء (٢٦٩٨) .

*** (ص/٥١٨) .



قلت : تعبير الشارح بالحكم على خصمه باليمين سبقة قلم منه - رحمه الله - ؛ لأنه إذا لم يكن للمدعي بينة عُرض عليه هل يطلب إحلاف خصمه ، فإن طلب ذلك أحلفه لا يحكم عليه باليمين ، فإن نكل عن اليمين حكم عليه بالنكول ، وإن حلف فعليه أن يرضى باليمين ، ولا تكن يمين خصمه مبطللة لدعواه بل إذا وجد بينة فله إقامة الدعوى وإقامة البينة .

قال في « فتح المجيد » * : « أما إذا لم يكن له بحكم الشريعة على خصمه إلا اليمين فأحلفه ، فلا ريب أنه يجب عليه الرضا . وأما إذا كان فيما يجري بين الناس مما قد يقع في الاعتذارات من بعضهم لبعض ونحو ذلك ، فهذا من حق المسلم أن يقبل منه إذا حلف معتذراً أو متبرئاً من تهمة . ومن حقه عليه : أن يحسن الظن به إذا لم يتبين خلافه ، كما في الأثر عن عمر رضي الله عنه : ولا تظن بكلمة خرجت من مسلم شراً وأنت تجد لها في الخير محملاً » . انتهى .

وفيه : النهي عن الحلف بالأبء ، والأمر للمحلف له بالله أن يرضى ، ووعيد من لم يرض . قاله المصنف رحمه الله تعالى .

٤٤- باب

قول ما شاء الله وشئت^(١)

عن قُتَيْبَةَ^(٢) أن يهودياً أتى النبي ﷺ فقال : إنكم تشركون ، تقولون : ما شاء الله وشئت ، وتقولون : والكعبة . فأمرهم النبي ﷺ إذا أرادوا أن يحلفوا

(١) قوله : « باب قول : ما شاء الله وشئت » أي ما حكم التلفظ بذلك ، وحكمه : أنه تشريك في اللفظ ؛ لأنه عطف مشيئة المخلوق على مشيئة الخالق جل وعلا بجرف العطف المقتضي التشريك بين المعطوف والمعطوف عليه ، وهو من أنواع الشرك الأصغر .

(٢) قوله : « عن قُتَيْبَةَ » بضم القاف وفتح التاء بعدها مشاة تحتية مصغرة ، بنت صيفي الجهنية أو الأنصارية ، صحابية مهاجرة لها حديث في سنن النسائي واليوم والليل ، وهو هذا الذي ذكره المصنف ، وأشار ابن سعد إلى أنه ليس لها غير هذا الحديث « أن يهودياً أتى إلى النبي ﷺ فقال : إنكم تشركون ، تقولون : ما شاء الله وشئت ، وتقولون : والكعبة . فأمرهم النبي ﷺ إذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا : ورب الكعبة ، وأن يقولوا ما شاء الله ثم شئت . رواه النسائي وصححه * . وهذا نص في أن هذا اللفظ من الشرك لأن النبي ﷺ أقر اليهودي على تسمية هذا اللفظ شركاً ، ونهى النبي ﷺ عن ذلك وأرشد إلى اللفظ الذي لا محذور فيه ، وهو قول « ما شاء الله ثم شئت » وإن كان الأولى قول « ما شاء الله وحده » ، والعبد وإن كانت له مشيئة فمشيئته تابعة لمشيئة الله كما قال تعالى : ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [التكوير : ٢٩] ، وقوله : ﴿ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ ﴾ [التكوير : ٢٨] الآية وغيرها . وفي الحديث والآيات الرد على القدرية والمعتزلة نفاة القدر الذين يثبتون للعبد مشيئة تخالف ما أَرَادَهُ اللهُ تعالى من العبد وشاءه ، وأما أهل السنة والجماعة

* أخرجه النسائي (٣٧٧٣) ، وأحمد (٣٧١/٦-٣٧٢) ، والحاكم (٢٩٧/٤) وصححه الألباني في الصحيحة (١٣٦) .

أن يقولوا : وربّ الكعبة ، وأن يقولوا ما شاء الله ثم شئت . رواه النسائي وصححه .

وله - أيضاً - عن ابن عباس أن رجلاً قال للنبي ﷺ : « ما شاء الله وشئت . فقال : « أجعلتني لله نداً ؟ ما شاء الله وحده »^(١) .

فتمسكوا بالكتاب والسنة في هذا الباب وغيره ، واعتقدوا أن مشيئة العبد تابعة لمشيئة الله في كل شيء مما شرعه الله وما يخالفه من أفعال العباد وأقوالهم ، فالكل بمشيئة الله وإرادته ، فما وافق ما شرعه رضيه وأحبه، وما خالفه كرهه من العبد كما قال تعالى : ﴿ إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ ﴾ الآية [الزمر: ٧]. وفيه : أن الحلف بالكعبة شرك لأن النبي ﷺ أقر اليهودي على قوله : إنكم تشركون . وفيه : فهم الإنسان إذا كان له هوى . قاله المصنف رحمه الله . وفيه : معرفة اليهود بالشرك الأصغر . قال في «الشرح» * : وكثير ممن يدعي الإسلام لا يعرف الشرك الأكبر، بل يصرف خالص العبادات من : الدعاء، والذبح، والنذر لغير الله، ويظن أن ذلك من الدين . وفيه : قبول الحق ممن جاء به وإن كان عدواً مخالفاً في الدين ، وأن الحلف بالكعبة من الشرك الأصغر .

(١) قوله « عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رجلاً قال للنبي ﷺ : ما شاء الله وشئت . فقال : أجعلتني لله نداً ؟ بل ما شاء الله وحده »* . هذا الحديث رواه النسائي في «اليوم والليلة» . ورواه ابن ماجه في الكفارات من « السنن » عن هشام بن عمار ، عن عيسى نحوه .

قوله : « أجعلتني لله نداً » هذه رواية ابن مردويه ، ورواية النسائي وابن ماجه :

* (ص/ ٥٢٠-٥٢١) .

** أخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة (٩٨٨) ، وأحمد (١/ ٢١٤ ، ٢٢٤ ، ٢٨٣ ، ٣٤٧) ، وابن ماجه (٢١١٧) . وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم (١٣٩) .

ولابن ماجه ، عن الطفيل أخي عائشة لأمها^(١) قال : رأيت كأنني أتيتُ على نفر من اليهود، قلت : إنكم لأنتم القوم، لولا أنكم تقولون : عزير ابن الله.

«أجعلني الله عدلاً» والمعنى واحد . قاله في «الشرح» * . قال ابن القيم رحمه الله تعالى : «ومن الشرك في الألفاظ قول القائل للمخلوق : ما شاء الله وشئت كما ثبت عن النبي ﷺ أن رجلاً قال له : ما شاء الله وشئت . فقال : «أجعلني الله نداً؟» هذا مع أن الله قد أثبت للعبد مشيئة كقوله ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾ [التكوير : ٢٨] فكيف بمن يقول : أنا متوكل على الله وعليك ، وأنا في حسب الله وحسبك ، وما لي إلا الله وأنت ، وهذا من الله ومنك ، وهذا من بركات الله وبركاتك ، والله لي في السماء وأنت لي في الأرض ، فوازن بين هذه الألفاظ وبين قول القائل : ما شاء الله وشئت . ثم انظر أيهما أفحش؟
وقوله «أجعلني الله نداً؟ فكيف بمن قال :

يا أكرم الخلق ما لي من ألذ به سواك عند حلول الحادث العمم
فإن من جودك الدنيا وضررتها ومن علومك علم اللوح والقلم
إن لم تكن في معادي آخذاً بيدي فضلاً وإلا فيا زلّة القدم
وقوله :

دع ما ادعته النصارى في نبيهما واحكم بما شئت مدحاً فيه واحتكم
لو ناسبت قدره آياته عظماً أحيا اسمه حين يدعى دارس الرمم
(١) قوله : « عن الطفيل أخي عائشة لأمها » وهو الطفيل بن عبدالله بن سخبرة صحابي له حديث عند ابن ماجه ، وهو ما ذكره المصنف في الباب ، قال البغوي لا أعلم له غيره « قال : رأيتُ » أي فيما يرى النائم « كأنني أتيتُ » أي مررتُ « على نفر من اليهود فقلت : إنكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون عزير ابن الله » أي نعم القوم أنتم لولا ما أنت عليه من الشرك والمسبة لله بنسبة الولد إليه « قالوا : وأنتم

لأنتم القوم لولا أنكم تقولون ما شاء الله وشاء محمد* عارضوه بذكر شيء مما في المسلمين من الشرك الأصغر « ثم مررتُ بنفر من النصارى فقلت : إنكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون المسيح ابن الله. قالوا : إنكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون ما شاء الله وشاء محمد ، قال فلما أصبحتُ أخبرتُ بها من أخبرتُ ثم أتيت النبي ﷺ فأخبرته ، فحمد الله وأثنى عليه» والثناء هو تكرار الحمد. قاله ابن القيم رحمه الله . «ثم قال : أما بعد فإن طفيلاً رأى رؤيا أخبر بها من أخبر منكم ، وإنكم قلتم كلمة كان بمنعني كذا وكذا أن أنهاكم عنها » . وفي رواية أحمد والطبراني « كان بمنعني الحياء منكم أن أنهاكم عنها » وهذا الحياء منهم ليس على سبيل الحياء من الإنكار عليهم، بل كان ﷺ يكرهها ويستحي أن يذكرها؛ لأنه لم يؤمر بإنكارها، فلما جاء الأمر الإلهي بالرؤيا الصالحة أنكرها ، ولم يستح في ذلك . وفيه : دليل على أنها من الشرك الأصغر، إذ لو كانت من الأكبر لأنكرها من أول مرة قالوها. قاله في «الشرح»** . وهذه رؤيا حق أقرها النبي ﷺ وعمل بمقتضاها «فنهاهم أن يقولوا : ما شاء الله وشاء محمد، وأمرهم أن يقولوا : ما شاء الله وحده». قال في «فتح المجيد»*** : « وإن كانت رؤيا منام فهي وحي ، يثبت بها ما يثبت بالوحي أمراً ونهياً . والله أعلم » . وفيه : معنى قوله ﷺ : « الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة»**** لأنه ﷺ قبل النبوة وهو يتحنث في غار حراء كان يرى الرؤيا التي كانت تجيء مثل فلق الصبح مدة ستة أشهر وهي بالنسبة إلى مدة النبوة الثلاثة

* أخرجه ابن ماجه (٢١١٨) بنحوه ، وأحمد (٣٩٣/٥) . وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (٢٠٠/٢) .

** (ص/٧٠٣) .

*** (٧٠٣/٢) .

**** أخرجه البخاري (٦٩٨٨) من حديث أبي هريرة ، و(٦٩٨٧) من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنهما ، ومسلم (٢٢٦٣ ، ٢٢٦٥) .

قالوا : وأنتم لأنتم القوم ، لولا أنكم تقولون : ما شاء الله وشاء محمد . ثم مررتُ بنفر من النصارى ، فقلت : إنكم لأنتم القوم ، لولا أنكم تقولون : المسيحُ ابنُ الله . قالوا : وأنتم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون : ما شاء الله وشاء محمد . فلما أصبحتُ أخبرتُ بها من أخبرتُ ، ثم أتيتُ النبي ﷺ فأخبرته قال : « هل أخبرتَ بها أحداً ؟ » . قلت : نعم . فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : « أما بعد : فإن طُفيلاً رأى رؤيا أخبر بها من أخبر منكم ، وإنكم قلتُم كلمةً كان يَمْنَعُنِي كذا وكذا أن أنهاكم عنها ، فلا تقولوا : ما شاء الله وشاء محمد ، ولكن قولوا : ما شاء الله وحده » .



والعشرين سنة جزء من ستة وأربعين جزءاً منها . وذكر الحلبي أن الوحي كان يأتيه على ستة وأربعين نوعاً فذكرها ، وغالبها من صفات حامل الوحي ، ومجموعها يدخل فيما ذكر . انتهى .

وفيه : أن الرؤيا الصالحة من أقسام الوحي، وأنها قد تكون سبباً لشرع بعض الأحكام، وأن قول ما شاء الله وشئت ليس من الشرك الأكبر لقوله : « يَمْنَعُنِي كذا وكذا » . قاله المصنف رحمه الله تعالى .

باب -٤٥

(١) من سبَّ الدهر فقد أذى الله

وقول الله تعالى : ﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ ﴾ (٢)
[الجاثية : ٢٤] الآية .

(١) قوله : « باب من سبَّ الدهر فقد أذى الله » تبارك وتعالى ، مناسبة هذا الباب لـ «كتاب التوحيد» ظاهرة ؛ لأن سبَّ الدهر يتضمن الشرك ولفظ «الأذى» في اللغة هو لما خف أمره ، وضعف أثره من الشرك والمكروه . ذكره الخطابي . قال شيخ الإسلام : « وهو كما قال ، وهذا بخلاف الضرر ، فقد أخبر سبحانه أن العباد لا يضرّونه كما قال تعالى : ﴿ وَلَا يَحْزُنُكَ الَّذِينَ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا ﴾ [آل عمران : ١٧٦] ، فبيّن أن الخلق لا يضرّونه ، لكن يؤذونه إذا سبّوا مقلب الأمور » . قاله في «الشرح» * .

(٢) قوله : « وقول الله تعالى : ﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ ﴾ الآية قال ابن كثير [التفسير ٧/٢٦٨] : « يخبر تعالى عن قول الدهرية من الكفار ومن وافقهم من مشركي العرب في إنكار المعاد ، ﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا ﴾ . قال ابن جرير : « أي ما حياة إلا حياتنا التي نحن فيها ، لا حياة سواها تكذيباً منهم للبعث بعد الموت ، نموت ونحيا » . قال ابن كثير [التفسير ٧/٢٦٩] : « أي يموت قوم ويعيش آخرون ، وما ثمَّ معاد ولا قيامة ، وهذا يقوله مشركو العرب المنكرون للمعاد ، وتقوله الفلاسفة الدهرية الدورية المنكرون للصانع المعتقدون أن في كل ستة وثلاثين ألف سنة يعود كل شيء إلى ما كان عليه ، وزعموا أن هذا قد تكرر مرات لا تتناهى ، فكابروا المعقول وكذبوا المنقول ، ولهذا قالوا : ﴿ وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ ﴾ » . قال ابن جرير : « أي ما يهلكنا إلا مر الليالي والأيام

في الصحيح^(١) عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « قال الله تعالى : يُؤذيني ابنُ آدمَ ، يَسُبُّ الدهرَ ، وأنا الدهرُ ، أَقْلَبُ الليلَ والنهارَ » .
وفي رواية : « لا تسبوا الدهرَ ، فإن الله هو الدهر »^(٢) .

وطول العمر إنكاراً منهم أن يكون لهم رب يفنيهم ويهلكهم . قال الله تعالى : ﴿ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ أي يتوهمون ويتخيلون . فإن قلت : أين مطابقة الآية للترجمة إذا كانت خبراً عن الدهرية المشركين ؟ قلت : المطابقة ظاهرة لأن من سب الدهر فقد شاركهم في سبه وإن لم يشاركهم في الاعتقاد . قاله في «الشرح» * .

(١) قوله : « في الصحيح » أي صحيح البخاري « عن أبي هريرة ؓ عن النبي ﷺ قال : « قال الله تعالى : يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر ، أقلب الليل والنهار » * . وأخرجه أحمد بهذا اللفظ ، وأخرجه مسلم بلفظ آخر ، قال في «شرح السنة» [١٢/٣٥٧] : «ومعناه أن العرب كان من شأنها ذم الدهر أي سبه عند النوازل؛ لأنهم كانوا ينسبون إليه ما يصيبهم من المصائب والمكاره ، فيقولون : أصابتهم قوارع الدهر ، وأبادهم الدهر ، فإذا أضافوا إلى الدهر ما نالهم من الشدائد سبوا فاعلها ، فكان مرجع سبهم إلى الله عز وجل ، إذ هو الفاعل في الحقيقة للأمور التي يصفونها فنهوا عن سب الدهر » . انتهى ملخصاً .

وقوله : « أقلب الليل والنهار » تقليبه تصرفه تعالى فيه بما يحبه الناس ويكرهونه . وفي هذا الحديث زيادة لم يذكرها المصنف وهي قوله : بيدي الأمر .

(٢) قوله « وفي رواية : لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر » *** هذه الرواية ذكرها مسلم وغيره . قال الشافعي وأبو عبيد وغيرهما من الأئمة في تفسير قوله « لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر » كانت العرب في جاهليتها إذا أصابهم شدة أو

* (ص/٥٢٧) .

** أخرجه البخاري (٤٨٢٦)، (٦١٨١)، (٧٤٩١) .

*** عند مسلم (٢٢٤٦) .

بلاء أو نكبة قالوا : يا خيبة الدهر ، فيسندون تلك الأفعال إلى الدهر ويسبونونه ، وإنما فاعلها هو الله تعالى فكأنما سبوا الله سبحانه لأنه فاعل ذلك في الحقيقة ، فلهذا نهى عن سب الدهر بهذا الاعتبار لا أن الله هو الدهر الذي يعنونه ويسندون إليه تلك الأفعال وهذا أحسن ما قيل في تفسيره وهو المراد . والله أعلم . وقد تبين بهذا خطأ ابن حزم في عدّه الدهر من أسماء الله الحسنى ، ولو كان كذلك لكان الذين قالوا : ﴿ وَمَا يُهْلِكُكَ إِلَّا الدَّهْرُ ﴾ صادقين . قاله في «الشرح» * .

قال ابن القيم رحمه الله تعالى : « وفي مسبة الدهر ثلاث مفاصد عظيمة : أحدها : مسبة من ليس أهلاً للسب ، فإن الدهر خلق مسخر من خلق الله منقاد لأمره متذلّل لتسخيره فسابه أولى بالسب والذم منه . والثانية : أن سبه متضمن للشرك فإنما سبه لظنه أنه يضر وينفع وأنه مع ذلك ظالم قد ضر من لا يستحق الضرر ورفع من لا يستحق الرفعة ، وحرّم من لا يستحق الحرمان ، وأعطى من لا يستحق العطاء وهو عند شاتميه من أظلم الظلمة ، وأشعار هؤلاء الظلمة الخونة في سبه كثيرة جداً ، وكثير من الجهّال يصرّح بلعنه وتقبيحه .

الثالثة : أن السبّ منهم إنما يقع على من فعل هذه الأفعال التي لو اتبع الحق أهواءهم فيها لفسدت السموات والأرض ، فإذا وافقت أهواءهم حمدوا الدهر وأثنوا عليه ، وفي حقيقة الأمر فرب الدهر هو المعطي المانع الخافض الرافع المعزّ المذل ، والدهر ليس له من الأمر شيء فمسبتهم مسبة لله عز وجل ؛ ولهذا كانت مؤذية لله تعالى ، فساب الدهر دائر بين أمرين لا بد له من أحدهما : إما مسبة الله ، أو الشرك به ، فإنه إن اعتقد أن الدهر فاعل مع الله فهو مشرك ، وإن اعتقد أن الله



وحده هو الذي يفعل ذلك وهو يسبّ من فعله فهو سب الله تعالى». انتهى .
وليس من مسبة الدهر وصف السنين بالشدة ، لقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ
ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ ﴾ الآية [يوسف : ٤٨] .
وفيه : التَّهْيُ عن سبِّ الدهر ، وتسميته أذىً لله ، والتأمل في قوله « فإن الله هو
الدهر » ، وأنه قد يكون سباً وإن لم يقصده بقلبه . قاله المصنف رحمه الله تعالى .

٤٦-باب

التسمي بقاضي القضاة ونحوه^(١)

في الصحيح^(٢) عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « إن أخنع اسم عند الله رجلٌ تسمى ملكَ الأملاك، لا مالكَ إلا الله » .

(١) قوله : « باب التسمي بقاضي القضاة ونحوه » ذكر المصنف رحمه الله هذه الترجمة : إشارة إلى النهي عن التسمي بقاضي القضاة، قياساً على ما في حديث الباب ؛ لكونه شبهة في المعنى فينهي عنه . قاله في « فتح المجيد »* .

(٢) قوله : « في الصحيح » أي الصحيحين عن أبي هريرة ؓ عن النبي ﷺ قال : « إن أخنع اسم عند الله رجلٌ تسمى ملكَ الأملاك، لا مالكَ إلا الله »** لأن هذا اللفظ إنما يصدق على الله تعالى فهو ملكَ الأملاك لا مَلِكَ أعظم منه ولا أكبر منه مالك الملك ذو الجلال والإكرام ، وكل ملك يؤتبه الله من يشاء من عباده فهو عارية يسرع ردها إلى المعير وهو الله تعالى ينزع الملك من ملكه تارة وينزع الملك منه تارة فيصير لا حقيقة له سوى اسم زال مسماه ، وأما رب العالمين فملكه دائم كامل لا انتهاء له ، بيده القسط يخفضه ويرفعه ، ويحفظ على عباده أعمالهم بعلمه سبحانه وتعالى وما تكتبه الحفظة عليهم فيجازي كل عامل بعمله إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر ، كما ورد في الحديث : « اللهم لك الحمد كله ، ولك الملك كله ، ويديك الخير كله ، وإليك يرجع الأمر كله ، أسألك من الخير كله ، وأعوذ بك من الشر كله »*** .

قوله : « إن أخنع » اسم ، ذكر المصنف أن معناه أوضع ، وهذا التفسير رواه مسلم عن الإمام أحمد عن أبي عمرو الشيباني ، قال عياض : معناه أنه أشد الأسماء صغاراً . وينحو ذلك فسر أبو عبيد، والخانع : الدليل . وخنع الرجل : ذلُّ

* (٧١١/٢) .

** أخرجه البخاري (٦٢٠٩) و(٦٢٠٦) ، ومسلم (٢١٤٣) .

*** أخرجه أحمد (٣٧٨/٣٨) ط . الرسالة من حديث حذيفة ؓ بنحوه وقال المحقق : إسناده ضعيف لإبهام الراوي عن حذيفة .

قال سفيان : مثلُ شاهان شاه^(١) . وفي رواية : « أغيظُ رجلٍ على الله يوم القيامة وأخبئه »^(٢) .

قاله في «الشرح»* ، وفي رواية : «اشتد غضب الله على من زعم أنه ملك الأملاك»** . رواه الطبراني .

وقوله : « تسمى » بفتح التاء الفوقية والسين المهملة ، أي سمى نفسه ، وقيل بضم الياء التحتية أي يدعى بذلك ويرضى به .

وقوله : « لا مالك إلا الله » أي هو الذي يستحق هذا الاسم ، ومن سمى به فقد كذب وافترى وادعى ما ليس له فلذا صار أذلّ الناس عند الله يوم القيامة . قال ابن القيم رحمه الله تعالى : «المالك المتصرف بفعله ، والمملك المتصرف بفعله وأمره» .

(١) وقوله : « قال سفيان - هو ابن عيينة - مثل شاهنشاه » قال ابن القيم : « ملك الملوك وسلاطين السلاطين » ، ومراد سفيان أن الحديث متناول لمثل هذا بأي لسان فلا ينحصر في لفظه بعينه بل ما أدى هذا المعنى فهو داخل في الحديث ، هذا معنى كلام الحافظ ابن حجر . قاله في «إبطال التنديد»*** .

(٢) قوله : « وفي رواية : أغيظ رجل على الله يوم القيامة وأخبئه »**** هذه الرواية ذكرها مسلم في صحيحه . قاله في «الشرح»***** .

قوله : «أغيظ » من الغيظ وهو مثل الغضب، فيكون بغيضاً إلى الله مغضوباً عليه . والله أعلم . وهذا من الصفات التي تُمرُّ كما جاءت، ويجب

* (ص/٥٣٠) .

** أخرجه الطبراني في الكبير (١١/٣٩٦) رقم (١٢١١٣) وصححه الألباني في صحيح

الجامع رقم (٩٨٨) .

*** (ص/٢٤٣) .

**** أخرجه مسلم (٢١٤٣) ، وأحمد (٢/٣١٥) .

***** (ص/٥٣٣) .

قوله : « أخنع » : يعني أوضع



اتباع الكتاب والسنة في ذلك وإثباته على وجه يليق بجلال الله وعظمته تعالى. قاله في «فتح المجيد»* .

قوله : « وأخبته » وهو يدل على أن هذا خبيث عند الله فاجتمعت في حقه هذه الأمور لتعاضمه في نفسه وتعظيم الناس له بما ليس له بأهل فصار أخبث الخلق وأبغضهم إلى الله وأحقرهم عنده ، وهذا المذكور يناه في كمال التوحيد الذي دلّت عليه كلمة الإخلاص ، فيكون فيه شائبة من الشرك ، وإن لم يكن أكبر . قاله في «قرة العيون»** .

قوله : « أخنع » يعني : أوضع . وفيه : النهي عن التسمي بمملك الأملاك ، وأن ما في معناه مثله كما قال سفيان ، والتفطن للتغليظ في هذا ونحوه مع القطع أن القلب لم يقصد معناه ، والتفطن في أن هذا لأجل الله سبحانه . قاله المصنف رحمه الله تعالى .

* (٧١٢/٢ ، ٧١٣-٧١٤) .

** (ص/٢١٣-٢١٤) .

٤٧. باب

(١) احترام أسماء الله تعالى وتغيير الاسم لأجل لذلك

عن أبي شريح^(٢) أنه كان يُكنى أبا الحكم، فقال له النبي ﷺ: «إن الله هو الحكم، وإليه الحكم»^(٣)،

(١) قوله: «باب احترام أسماء الله تعالى وتغيير الاسم لأجل ذلك» .
 (٢) قوله: «عن أبي شريح» بضم المعجمة وفتح الراء وآخره مهملة مصغر .
 قاله في «الشرح»* . واسمه: هانئ بن يزيد الكندي . قاله الحافظ ابن حجر ،
 وقيل: الحارث الضبابي . قاله المزي . وقيل: خويلد بن عمرو الخزاعي . قاله
 في «الخلاصة» وجزم به في «قرة عيون الموحدين»** ، وذكر أنه أسلم عام
 الفتح، له عشرون حديثاً اتفقاً على حديثين، وانفرد البخاري بحديث وعنه
 أبوسعيد المقبري ونافع بن جبير وطائفة، قال ابن سعد: مات بالمدينة سنة
 ثمان وستين، وقيل غير ذلك، والصحيح الأول . وقد جاء مصرحاً باسمه في
 رواية أبي داود من طريق يزيد بن المقدم بن شريح عن أبيه عن جده عن أبيه
 هانئ وهو أبو شريح «أنه لما وفد على رسول الله ﷺ مع قومه سمعهم يكتفون
 بأبي الحكم فدعاه رسول الله ﷺ فقال: «إن الله هو الحكم»*** أي الذي إذا
 حكم لا يرد حكمه ، وهذه الصفة لا تليق بغيره سبحانه . قاله في «شرح
 السنة» .

(٣) قوله: «وإليه الحكم» أي الفصل بين العباد في الدنيا والآخرة ، فالحكم في
 الدنيا بين خلقه بوحيه الذي أنزله على أنبيائه ورسله وما من قضية إلا والله

* (ص/٥٣٤) .

** (ص/٢١٤) .

*** أخرجه أبو داود (٤٩٥٥) ، والنسائي (٢٢٧/٨) ، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي
 داود (٩٣٦/٣) رقم (٤١٤٥) .

فقال : إن قومي إذا اختلفوا في شيء أتوني فحكمتُ بينهم ، فرضيَ كلا الفريقين^(١) . فقال : « ما أحسن هذا ،

فيها حكم ، قال تعالى : ﴿ وَمَا أُنزِلَتْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ﴾ [الشورى : ١٠] ، وقال : ﴿ فَإِنْ نَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ [النساء : ٥٩] ، فالحكم إلى الله هو الحكم إلى كتابه والحكم إلى رسوله هو الحكم إليه في حياته وإلى سنته بعد وفاته .

قوله : « فليَمَ تُكنى أبا الحكم ؟ » والكنية ما صدرَ باب أو أم ، واللقب ما أشعر بمدح أو ذم ، قال بعضهم : الكنية قد تكون بالأوصاف كأبي الفضائل ، وأبي المعالي ، وأبي الخير وأبي الحكم ، وقد تكون بالنسبة إلى الأولاد كأبي سلمة ، وأبي شريح ، وإلى ما يلبسه كأبي هريرة ، وقد تكون للعلمية الصرفة كأبي بكر . ذكره في «الشرح»* .

(١) قوله : « قال : إنني قومي إذا اختلفوا في شيء أتوني فحكمتُ بينهم فرضيَ كلا الفريقين » . فقال النبي ﷺ : « ما أحسن هذا » . والمعنى - والله أعلم - أن أبا شريح كان مرضياً عندهم يتحرى ما يصلحهم إذا اختلفوا فيرضون حكمه ، وهذا هو الصلح لأن مداره على الرضى لا على الإلزام فكثوه أبا الحكم . فأما ما يحكم به الجهلاء من سوائف آبائهم وأهوائهم فليس من هذا الباب لما فيه من النهي الشديد ، والخروج عن حكم الله ورسوله إلى ما يخالفه كما قال تعالى : ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ [المائدة : ٤٤] ، وهذا كثير ، فمن الناس من يحكم بين الخصمين برأيه وهواه ، ومنهم من يتبع في ذلك سلفه ويحكم بما كانوا يحكمون به وهذا كفر إذا استقر وغلب على من تصدى لذلك ممن يرجع الناس إليه . قاله في «قرة العيون»** .

* (ص/٥٣٤) .

** (ص/٢١٥) .

فمالك من الولد ؟ «^(١). قلت : شريحٌ ومسلمٌ وعبدُ الله . قال : « فمن أكبرهم؟ » قلت : شريح . قال : « فانت أبو شريح » . رواه أبو داود وغيره .

* * *

(١) قوله : « فما لك من الولد؟ » قال : شريح ومسلم وعبدالله . قال : « فمن أكبرهم؟ » قلت : شريح . قال : « فانت أبو شريح » رواه أبو داود وغيره . قال ابن مفلح : وإسناده جيد . ورواه الحاكم وزاد فدعا له ولولده فكناه بالكبير وهو السنة، وغير كنيته بأبي الحكم ، فإن الله هو الحكم ، وهذا هو الشاهد من الحديث للترجمة . قال في « قرّة العيون »* : « ومنه : تسمية الأئمة بالحكام فينبغي ترك ذلك والنهي عنه » .

قلت : وفيما قاله نظر ؛ لقول الله تعالى : ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبُطْلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ ﴾ [البقرة: ١٨٨] فسمّاهم حكّاماً فدل على جواز ذلك . وفيه : احترام أسماء الله تعالى وصفاته ولو لم يقصد معناه، وتغيير الاسم لأجل ذلك، واختيار أكبر الأبناء للكنية . قاله المصنف رحمه الله تعالى . فإن لم يكن له ابن فأكبر بناته، وكذلك المرأة . قاله في « شرح السنة » .

باب - ٤٨

من هزل بشيء فيه ذكر الله أو القرآن أو الرسول (١)

وقول الله تعالى : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴾ (٢) [التوبة : ٦٥] .

عن ابن عمر ومحمد بن كعب وزيد بن أسلم وقتادة (٣)

(١) قوله : « باب من هزل بشيء فيه ذكر الله أو القرآن أو الرسول » أي فقد كفر بذلك لاستخفافه بجناب الربوبية وذلك مناف للتوحيد ، ولهذا أجمع العلماء على كفر من فعل شيئاً من ذلك ، فمن استهزأ بالله أو بكتابه أو برسوله أو بدينه كفر ولو هازلاً لم يقصد حقيقة الاستهزاء إجماعاً .

(٢) قوله : « وقول الله تعالى : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴾ يقول تعالى مخطاباً لرسوله محمد ﷺ ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ ﴾ أي : المنافقين الذين تكلموا بكلمة الكفر استهزاء ﴿ لَيَقُولُنَّ ﴾ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ﴾ أي : يعتذرون بأنهم لم يقصدوا الاستهزاء والتكذيب إنما قصدنا الخوض في الحديث واللعب .

وقوله : ﴿ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴾ لم يعبا باعتذارهم : إما لأنهم كانوا كاذبين فيه ، وإما لأن الاستهزاء على وجه الخوض واللعب لا يكون صاحبه معذوراً ، فلذا كان الجواب مع ما قبله ﴿ لَا تَمْنَدِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾ . انتهى ملخصاً من «الشرح»* .

(٣) قوله : « عن ابن عمر ومحمد بن كعب القرظي وزيد بن أسلم وقتادة - دخل حديث بعضهم في بعض - أنه قال رجل في غزوة تبوك : ما رأينا مثل قرأتنا هؤلاء ، أرغب بطوناً ، ولا أكذب أسناً ، ولا أجبين عند اللقاء - يعني رسول الله ﷺ

- دخل حديث بعضهم في بعض -^(١) أنه قال رجل في غزوة تبوك :

وأصحابه القراء - ، فقال له عوف بن مالك : كذبت ، ولكئتك منافق ، لأخبرن رسول الله ﷺ . فذهب عوف إلى رسول الله ﷺ ليخبره فوجد القرآن قد سبقه ، ف جاء ذلك الرجل إلى رسول الله ﷺ - وقد ارتحل وركب ناقته - فقال : يا رسول الله ، إنما كنا نخوض ونلعب ونحدث حديث الركب نقطع به عناء الطريق . قال ابن عمر : كأي أنظر إليه متعلقاً بنسعة ناقه رسول الله ﷺ ، وإن الحجارة لتكذب رجليه ، وهو يقول : إنما كنا نخوض ونلعب ، فيقول رسول الله ﷺ : ﴿ أَيَا لِلَّهِ وَءَايَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴾ ؟ . ما يلتفت إليه ، وما يزيد عليه * هذا الأثر ذكره المصنف مجموعاً من رواية ابن عمر ومحمد بن كعب وزيد بن أسلم وقتادة ، وقد ذكره قبله شيخ الإسلام . فأما أثر ابن عمر فرواه ابن جرير وابن أبي حاتم وغيرهما بنحو مما ذكره ، وأما أثر محمد بن كعب وزيد بن أسلم وقتادة فهي معروفة لكن بغير هذا اللفظ ، وابن عمر هو : عبدالله بن عمر بن الخطاب - رضي الله عنهما - ومحمد بن كعب هو محمد بن كعب بن سليم أبو حمزة القرظي المدني . قال البخاري : إن أباه كان ممن لم يثبت من بني قريظة ، وهو ثقة عالم مات سنة عشرين ومائة ، وزيد بن أسلم هو : مولى عمر بن الخطاب ، والد عبدالله وإخوته ، يكنى أبا عبدالله ، ثقة مشهور ، مات سنة ست وثلاثين ومائة . وقتادة هو : ابن دعامة السدوسي .

(١) قوله : « دخل حديث بعضهم في بعض » أي أن الحديث مجموع من رواياتهم .
قوله : « أنه قال رجل » لم أقف على تسمية القائل أبهم اسمه في جميع الروايات التي وقفت عليها إلا أن في بعض الروايات أنه عبدالله بن أبي ، لكن رده ابن القيم بأن ابن أبي تخلف عن غزوة تبوك .

* أخرجه ابن أبي حاتم وابن جرير (١٠/١١٩) . انظر الصحيح المسند من أسباب النزول للشيخ مقبل الوداعي (ص/١٢٢-١٢٣) .

ما رأينا مثل قرأتنا هؤلاء^(١) ، أرغبَ بطوناً ، ولا أكذبَ السنأ ، ولا أجبَنَ عند اللقاء^(٢) - يعني رسول الله ﷺ وأصحابه القراء - ، فقال له عوف بن مالك : كذبتَ ، ولكنك منافق ، لأخبرنَّ رسولَ الله ﷺ^(٣) . فذهب عوفُ

(١) قوله : « ما رأينا مثل قرأتنا هؤلاء » القراء جمع قارئ ، وهم عند السلف : الذين يقرؤون القرآن ، ويعرفون معانيه ، فأما قراءته من غير فهم لمعناه فلا يوجد في ذلك العصر ، وإنما حدث بعد ذلك . قاله في «الشرح» .

(٢) قوله : « أرغبَ بطوناً » أي أوسع بطوناً ، يصفونهم بسعة البطون ، وكثرة الأكل «ولا أكذبَ السنأ ولا أجبَنَ عند اللقاء» يعني رسول الله ﷺ وأصحابه القراء ، وقد كذب ؛ فإن الصحابة هم أحسن الناس اقتصاداً في الأكل وغيره ، بل المنافقون والكفار أوسع بطوناً وأكثر أكلاً كما صحت بذلك الأحاديث « إن المؤمن يأكل في معاء واحد والكافر يأكل في سبعة أمعاء »** وكذلك المنافقون ، وهم أشدَّ الناس جبناً وأكذب خلق الله كما وصفهم بذلك في كتابه ، وهذا القول الصريح في الاستهزاء . وأما الفعل الصريح فمثل مدَّ الشفة ، وإخراج اللسان ، ورمز العين . قاله في «إبطال التنديد»*** ؛ ولهذا قال له عوف : كذبتَ ، ولكنك منافق .

وفيه : المبادرة في الإنكار والشدة على المنافقين ، وجواز وصف الرجل بالنفاق إذا قال أو فعل ما يدل عليه . قاله في «الشرح»**** .

(٣) قوله : « لأخبرنَّ رسولَ الله ﷺ » فيه المسألة العظيمة : أن من هزل بهذا فهو كافر ، وأن هذا هو تفسير الآية فيمن فعل ذلك كائناً من كان ، والفرق بين النميمة وبين النصيحة لله ولرسوله . قال المصنف رحمه الله : « فينبغي معرفة الفرق بين

* (ص/٥٣٩) .

** أخرجه البخاري (٥٣٩٧) ، (٥٣٩٤) ، ومسلم (٢٠٦٠) .

*** (ص/٢٤٨) .

**** (ص/٥٣٩-٥٤٠) .

إلى رسول الله ﷺ ليخبره فوجد القرآن قد سبقه^(١)، فجاء ذلك الرجل إلى رسول الله ﷺ - وقد ارتحل وركب ناقته^(٢) - فقال: يا رسول الله، إنما كنا

الغبية والنميمة وبين النصيحة لله ورسوله، فذكر أفعال المنافقين والفساق لولاة الأمور ليزجروهم ويقيموا عليهم أحكام الشريعة ليس من الغيبة والنميمة». انتهى.

(١) قوله: «فوجد القرآن قد سبقه» أي جاء الوحي من الله بما قاله. وفيه: دلالة على علم الله وقدرته وإلهيته، وأن محمداً عبده ورسوله.

(٢) قوله: «فجاء ذلك الرجل» تقدم أنه ابن أبي، رواه ابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عمر، لكن رده ابن القيم بأن ابن أبي تخلف عن غزوة تبوك. قال ابن إسحاق: «وقد كان جماعة من المنافقين منهم وديعة بن ثابت أخو بني أمية بن زيد بن عمرو بن عوف ورجل من أشجع حليف لبني سلمة يقال له مخشي بن حمير يشيرون إلى رسول الله ﷺ وهو منطلق إلى تبوك فقال بعضهم لبعض: أتحمسون جلاذ بني الأصفر كقتال العرب بعضهم بعضاً؟ والله لكانا بكم غداً مقرنين في الحبال. إرجافاً وترهيباً للمؤمنين، فقال مخشي بن حمير: والله لوددت أني أقاضي على أن يضرب كل رجل منا مائة جلدة وأنا نقلب أن ينزل فينا قرآن لمقاتلكم هذه. وقال رسول الله ﷺ فيما بلغني لعمار بن ياسر: أدرك القوم فقد احترقوا، فسألهم عما قالوا، فإن أنكروا فقل: بلى، قلت كذا وكذا. فانطلق إليهم عمار فقال لهم ذلك فاتوا رسول الله ﷺ يعتذرون إليه، فجعل وديعة بن ثابت ورسول الله ﷺ واقف على راحلته وهو آخذ بحقيبها يقول: يا رسول الله، إنما كنا نخوض ونلعب. فقال مخشي ابن حمير: يا رسول الله، قعد بي اسمي واسم أبي، فكان الذي يتمناه أي بقوله: ﴿إِنْ نَعَفَ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ تُعَذِّبْ طَائِفَةً﴾ [التوبة: ٦٦] في هذه الآية مخشي بن حمير فسُمي عبدالرحمن وسأل الله أن يقتل شهيداً لا يعلم بمكانه، فقتل يوم اليمامة فلم يوجد له أثر». انتهى. وقال عكرمة: كان رجل ممن

نخوضُ ونتحدَّثُ حديثَ الركبِ نَقَطْعُ به عناءَ الطريقِ . قال ابن عمر :
 كَأَنِّي أَنْظِرُ إِلَيْهِ مُتَعَلِّقًا بِسَعَةِ نَاقَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَإِنَّ الْحِجَارَةَ تَنْكَبُ رِجْلَيْهِ ،
 وَهُوَ يَقُولُ : إِنَّمَا كُنَّا نَخْوِضُ وَنَلْعَبُ ، فَيَقُولُ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : ﴿ أَيَا اللَّهِ
 وَعَآئِنِيهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ لَا تَعْدِرُوا فَمَا كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾^(١) ؟ . ما
 يلتفت إليه ، وما يزيده عليه .

أنشأ الله عفى عنه يقول : اللهم إني أسمع آية أنا أعني بها تقشعر منها الجلود،
 وتوجل منها القلوب ، اللهم فاجعل وفاتي قتلاً في سبيلك لا يقول أحد : أنا
 غَسَلْتُ ، أنا كَفَنْتُ ، أنا ذَفَنْتُ . قال : فأصيب يوم اليمامة فما أحدٌ من
 المسلمين إلا قد وجد غيره .

(١) وقوله : ﴿ لَا تَعْدِرُوا فَمَا كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾ أي بهذه المقالة ، وهذا هو
 الشاهد من الآية للترجمة ، وفيه الفرق بين العفو الذي يحبه الله وبين الغفلة على
 أعداء الله ، وأن من الأعذار ما لا ينبغي أن يقبل . قاله المصنف رحمه الله تعالى .
 وقوله : ﴿ إِنْ تَعَفَّ عَنْ طَآئِفَةٍ مِّنْكُمْ ﴾ أي مخشي بن حمير ﴿ نَعَدَتْ طَآئِفَةٌ ﴾
 أي لا يعفى عن جميعكم ، ولا بد من عذاب بعضهم أنهم ﴿ كَانُوا يُجْرِمُونَ ﴾
 أي بهذه المقالة الفاجرة الخاطئة . انتهى . وفي الآية : دليل على أن الرجل إذا
 فعل الكفر ولم يعلم أنه كفر لا يعذر بذلك بل يكفر ، وعلى أن الساب كافر
 بطريق الأولى . نبه عليه شيخ الإسلام . قاله في «الشرح» . وقال شيخ
 الإسلام [كتاب الإيمان ص/٢٥٩] : «أمره الله أن يقول لهم ﴿فَدَّ كَفَرْتُمْ بَعْدَ
 إِيمَانِكُمْ﴾ ، وقول من يقول : إنهم كفروا بعد إيمانهم بلسانهم مع كفرهم أولاً
 بقلوبهم لا يصح؛ لأن الإيمان باللسان مع كفر القلب قد قارنه الكفر فلا يُقال :
 قد كفرتم بعد إيمانكم، فإنهم لم يزالوا كافرين في نفس الأمر ، وإن أريد أنكم



أظهرتم الكفر بعد إظهاركم الإيمان فهم لم يُظهروا ذلك إلا لخواصهم ، وهم مع خواصهم ما زالوا هكذا بل لما نافقوا وحذروا أن تنزل عليهم سورة تبين ما في قلوبهم من النفاق وتكلموا بالاستهزاء صاروا كافرين بعد إيمانهم ، ولا يدل اللفظ على أنهم ما زالوا منافقين»، وقال أيضاً : « أخبر أنهم كفروا بعد إيمانهم مع قولهم : إنما تكلمنا بالكفر من غير اعتقاد له . بل إنما كنا نخوض ونلعب . وبين الاستهزاء بآيات الله كفر، ولا يكون هذا إلا من شرح صدرأ بهذا الكلام ، ولو كان الإيمان في قلبه لمنعه أن يتكلم بهذا الكلام ، والقرآن يبين أن إيمان القلب يستلزم العمل الظاهر بحسبه كقوله تعالى : ﴿ وَيَقُولُونَ ءَأَمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَكَّلُ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴾ [النور: ٤٧] ، ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [النور: ٥١] ، فنفى الإيمان عنمن تولى عن طاعة الرسول، وأخبر أن المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم سمعوا وأطاعوا ، فبين أن هذا من لوازم الإيمان » . انتهى .

وفيه : أن الإنسان قد يكفر بكلمة يتكلم بها أو عمل يعمل به ، وأشدّها خطراً إرادات القلوب فهي البحر الذي لا ساحل له .

ويفيد : الخوف من النفاق الأكبر، فإن الله أثبت هؤلاء إيماناً قبل أن يقولوا ما قالوه . قال ابن أبي مليكة : أدركت ثلاثين من أصحاب رسول الله ﷺ كلهم يخاف النفاق على نفسه . نسال الله السلامة والعفو والعافية في الدنيا والآخرة .
قاله في «الشرح» * .

٤٩-باب

ما جاء في قول الله تعالى : ﴿ وَلَئِن أَدَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَاءَ مَسَّئِهِ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لِلْحُسْنَى فَلَنُنْتَبِئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾ ^(١) [فصلت : ٥٠] .

قال مجاهد : هذا بعلمي وأنا محقوق به .

وقال ابن عباس : يريد من عندي .

وقوله : ﴿ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي ﴾ ^(٢) [القصص : ٧٨] قال قتادة :

على علم مني بوجوه المكاسب . وقال آخرون : على علم من الله أنني له أهل .

(١) قوله : « باب ما جاء في قول الله تعالى ﴿ وَلَئِن أَدَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَاءَ مَسَّئِهِ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لِلْحُسْنَى فَلَنُنْتَبِئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾ قال مجاهد : هذا بعلمي وأنا محقوق به ، وقال ابن عباس : يريد من عندي .

(٢) وقوله : « ﴿ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي ﴾ قال قتادة : على علم مني بوجوه المكاسب . وقال آخرون : على علم من الله أنني له أهل . وهذا معنى قول مجاهد : أُوتيته على شرف » وليس فيما ذكره اختلاف وإنما هي أفراد المعنى . قاله في «الشرح» * . قال ابن كثير - رحمه الله - [التفسير ٧/٢٩٦] في معنى الآية ﴿ ثُمَّ إِذَا خَوَّلْتُهُ نِعْمَةً مِنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ ﴾ يخبر تعالى أن الإنسان في حال الضر يضرع إلى الله تعالى وينيب إليه ويدعوه ، ثم إذا خوله نعمة منه طغى وبنى . وقال : ﴿ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ ﴾ أي : لما يعلم الله من استحقاقي له ولولا أنني عند الله حظيظ لما خولني هذا ، قال الله تعالى : ﴿ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ ﴾ أي اختبار ﴿ وَلَئِن أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ فلهذا يقولون ما يقولون ، ويدعون ما يدعون .

وهذا معنى قول مجاهد : أوتيته على شرف .

وعن أبي هريرة أنه سمع رسول الله ﷺ يقول^(١) : « إن ثلاثة من بني إسرائيل : أبرص وأقرع وأعمى . فأراد الله أن يتليهم فبعث إليهم ملكاً فأتى

وفيه : معرفة تفسير الآية ، وما معنى قوله : أوتيته على علم عندي . قاله المصنف رحمه الله .

(١) قوله : « وعن أبي هريرة ؓ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « إن ثلاثة من بني إسرائيل : أبرص وأقرع وأعمى ، فأراد الله أن يتليهم »* هذا سياق مسلم ورواية البخاري بدأ الله بالباء الموحدة والذال المهملة وكسر لام الجلالة قال ابن قرقول ضبطناه بالهمز ورواه كثير من الشيوخ بلا همز « فبعث إليهم ملكاً فأتى الأبرص فقال : أي شيء أحب إليك ؟ قال : لونٌ حسن وجلد حسن ويذهب عني الذي قد قلدنني الناس به » بكسر الذال المعجمة أي : كرهني « فمسحه ، فذهب عنه قدره ، وأعطي جلدأ حسناً ، ولوناً حسناً . قال : فأبي المال أحب إليك ؟ قال : الإبل والبقر - شك إسحاق - » أي ابن عبدالله بن أبي طلحة راوي الحديث فأعطي ناقه عُسْراء « بعين مهملة مضمومة وشين معجمة مفتوحة وبالمذ غير منصرف ، قال في « تيسير الوصول » : هي الحامل ، وقيل : هي التي أتى على حملها عشرة أشهر . « وقال » أي : الملك « بارك الله لك فيها . قال فأتى الأقرع فقال : أي شيء أحب إليك قال : شعر حسن ويذهب عني الذي قلدنني الناس به ، فمسحه فذهب عنه قدره وأعطي شعراً حسناً ، فقال : أي المال أحب إليك ؟ قال : البقر أو الإبل ، فأعطي بقرة حاملاً ، وقال : بارك الله لك فيها . فأتى الأعمى فقال : أي شيء أحب إليك ؟ قال : أن يرد الله إليّ بصري فأبصر به الناس ، فمسحه ، فردّ الله إليه بصره ، قال : فأبي المال أحب إليك ؟ قال : الغنم فأعطي شاة والذأ « أي ذات ولد ، قال في

* أخرجه البخاري (٣٤٦٤) ، (٦٦٥٣) ، ومسلم (٢٩٦٤) .

الأبرص فقال : أي شيء أحب إليك ؟ قال : لونٌ حسنٌ ، وجلدٌ حسنٌ ،
ويذهب عني الذي قد قَلَرَنِي الناسَ به . قال : فمَسَحَه ، فذهب عنه قلره ،
وأعطني لوناً حسناً وجلداً حسناً . قال : فأبي المال أحب إليك ؟ قال : الإبل - أو
البقر (شك إسحاق) - فأعطني ناقةً عُشراء ، وقال : بارك الله لك فيها . قال :
فأتى الأقرع فقال : أي شيء أحب إليك ؟ قال : شعرٌ حسنٌ ، ويذهب عني
الذي قَلَرَنِي الناسَ به . فمسحه فذهب عنه . وأعطني شعراً حسناً . فقال : أيُّ
المال أحب إليك ؟ قال : البقرُ - أو الإبل - فأعطني بقرةً حاملاً ، قال : بارك الله
لك فيها . فأتى الأعمى فقال : أي شيء أحب إليك ؟ قال : أن يرُدَّ اللهُ إليَّ
بصري فأبصرَ به الناسَ ، فمسحه ، فردَّ اللهُ إليه بصره . قال : فأبي المال أحبُّ
إليك ؟ قال : الغنمُ . فأعطني شاةً والدأ ، فأتج هذان وولد هذا ، فكان لهذا وادٍ
من الإبل ، ولهذا وادٍ من البقر ، ولهذا وادٍ من الغنم . قال : ثم إنه أتى الأبرص في
صورته وهيته فقال : رجلٌ مسكينٌ قد انقطعت بي الحبالُ في سفري ، فلا بلاغٌ
لي اليوم إلا بالله ثم بك ، أسألك - بالذي أعطاك اللونَ الحسنَ والجلدَ الحسنَ
والمالَ - بغيراً أتبلغُ به في سفري ، فقال : الحقوق كثيرة . فقال له : كآني أعرفك ،
ألم تكن أبرصاً يفتُرُّكَ الناسُ ، فقيراً فأعطاك اللهُ عز وجل المالَ ؟ فقال : إنما
وَرِثْتُ هذا المالَ كإبراً عن كابر . فقال : إن كنتَ كاذباً فصيرك اللهُ إلى ما كنتَ .
قال : وأتى الأقرع في صورته ، فقال له مثل ما قال لهذا ، وردَّ عليه مثل ما ردَّ
عليه هذا . فقال : إن كنتَ كاذباً فصيرك اللهُ إلى ما كنتَ . قال : وأتى الأعمى في
صورته فقال : رجلٌ مسكينٌ وابنٌ سليلٌ ، قد انقطعت بي الحبالُ في سفري ، فلا
بلاغٌ لي اليوم إلا بالله ثم بك - أسألك بالذي ردَّ عليك بصرك - شاةً أتبلغُ بها في
سفري . فقال : قد كنتَ أعمى فردَّ اللهُ إليَّ بصري ، فخذ ما شئتَ ودع ما شئتَ ،

فوالله لا أجهدك اليوم بشيء أخذته الله . فقال : أمسك مالك ، فإنما ابتليتم ، فقد رضي الله عنك وسخط على صاحبيك . . أخرجاه .

«التيسير» : الشاة الوالد التي عرف منها كثرة الولد والتاج « فانتج هذان » بفتح الهمزة والتاء المثناة فوق أي : صاحب الناقة والبقرة ، « وولّد » بتشديد اللام « هذا أي » صاحب الشاة ، قال في « تيسير الوصول » : ومعناه اعتنى بها عند الولادة أي : حفظها وقام بمصالحها ، فكان لهذا واد من الإبل ، ولهذا واد من البقر ، ولهذا واد من الغنم «ثم إنه» أي الملك «أتى الأبرص في صورته وهيئته» قال ابن القيم في كتاب «الأعلام» : « وهذا ليس بتعريض ، وإنما هو تصريح على وجه ضرب المثال وإيهام أنني أنا صاحب هذه القصة كما أوهم الملكان داود أنهما صاحباً القصة » فقال : رجلٌ مسكين وابن سبيل قد انقطعت بي الحبال » بالحاء المهملة بعدها باء موحدة ، أي : الأسباب التي يقطعها في طلب الرزق، ولبعض رواة مسلم : الحبال . بياء تحتية جميع حيلة « في سفري فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن والجلد الحسن والمال بغيراً أتبلّغ به في سفري » من البلّغة وهي الكفاية : أي أتوصل به إلى مرادي «فقال : الحقوق كثيرة ، فقال له: كاني أعرفك! ألم تكن أبرصَ يقدرك الناس فقيراً فأعطاك الله عز وجل المال . فقال : إنما ورثت هذا المال كابراً عن كابرأ . فقال : إن كنتَ كاذباً فصيرك الله إلى ما كنت » أي ردك الله إلى ما كنت عليه سابقاً من البرص والفقر « قال : فاتى الأقرع في صورته . فقال له مثل ما قال لهذا ، وردّ عليه « أي الأقرع « مثل ما رد عليه » هذا الأبرص « فقال : إن كنت كاذباً فصيرك الله إلى ما كنت » أي ردك الله عليك ما كنت عليه سابقاً من القرع والفقر . « قال : وأتى الأعمى في صورته وهيئته، فقال : رجل مسكين وابن سبيل ، قد انقطعت بي الحبال في سفري فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك ، أسألك بالذي ردّ عليك بصرك شاة أتبلّغ

بها في سفري ، فقال : قد كنت أعمى فردَّ الله إليَّ بصري، فخذ ما شئت ودع ما شئت ، فوالله لا أجهدك اليوم بشيء أخذته لله عز وجل » هكذا لبعض رواه مسلم ، أي لا أشق عليك في الأخذ والامتثال ، ورواية البخاري : « لا أحمدك » بالحاء المهملة والميم : أي على طلب شيء أو أخذ شيء مما تحتاج إليه من مالي، كما قيل : ليس على طول الحياة ندم ، أي على فوت طول الحياة «فقال» المَلَكُ : « أمسكْ عليك مالك ، فإنما ابتليتم ، فقد رضي الله عنك وسخط على صاحبيك » . أخرجاه . أي البخاري ومسلم ، وهذا حديث عظيم ، وفيه معتبر ، فإن الأوَّلَين جحدا نعمة الله فما أقرَّ الله بنعمة، ولا نسبا النعمة إلى المنعم بها ، ولا أدَيًا حقَّ الله فيها ؛ فحلَّ عليهما السخط ، وأما الأعمى فاعترف بنعمة الله ونسبها إلى المنعم عليه بها وأدَّى حقَّ الله فيها؛ فاستحق الرضا من الله بقيامه بشكر النعمة لَمَّا أتى بأركان الشكر وهي : الإقرار بالنعمة ، ونسبتها إلى المنعم بها ، وبذلها فيما يجب .

قال ابن القيم رحمه الله تعالى [المدارج ٢/٢٤٢] : « أصل الشكر هو : الاعتراف بإنعام المنعم على وجه الخضوع له والذل والمحبة، فمن لم يعرف النعمة بل كان جاهلاً بها لم يشكرها ، ومن عرفها ولم يعرف المنعم بها لم يشكرها أيضاً ، ومن عَرَفَ النعمة والمنعم بها لكن جحدها لم يشكرها ، ومن عرف النعمة والمنعم بها وأقر بها ولم يجحدها ولكن لم يخضع للمنعم بها ولم يرضَ به وعنه ، لم يشكرها أيضاً ، ومن عرفها وعرف المنعم بها وأقر بها وخضع للمنعم بها وأحبه ورضي عنه واستعملها في محابه فهذا هو الشاكر لها ، فلا بد في الشكر من علم القلب وعمل يتبع العلم وهو الميل إلى المنعم ومحبته والخضوع له » . انتهى .
وفيه : معرفة ما هذه القصة العجيبة من العبر العظيمة . قاله المصنف رحمه الله تعالى .

٥٠-باب

قول الله تعالى: ﴿ فَلَمَّا ءَاتَتْهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا ءَاتَاهُمَا فَتَعَلَىٰ اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾^(١) [الأعراف: ١٩٠].

(١) قوله: « باب قول الله تعالى: ﴿ فَلَمَّا ءَاتَتْهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا ءَاتَاهُمَا فَتَعَلَىٰ اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ وقبلها: ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾ أي من آيينا آدم ﴿ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ أي حواء خلقها منه ﴿ لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ﴾ أي يطمئن إليها وبالفها ﴿ فَلَمَّا تَغَشَّاهَا ﴾ أي وطئها ﴿ حَمَلَتْ حَمَلًا خَفِيًّا ﴾ أي لا يثقلها أولاً ، إنما هو نطفة وعلقة ومضغة ﴿ فَمَرَّتْ بِهِ ﴾ أي استمرت بالماء قامت به وقعدت ﴿ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ ﴾ أي صارت ذات ثقل بجملها ودنت ولادتها ﴿ دَعَا اللَّهُ رَبَّهُمَا ﴾ أي آدم وحواء ﴿ لَئِن ءَاتَيْنَا صَالِحًا ﴾ أي بشراً سوياً ﴿ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ قال الإمام أحمد في معنى الآية : حدثنا عبدالصمد حثنا عمر بن إبراهيم حدثنا قتادة عن الحسن عن سمرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لما ولدت حواء طاف بها إبليس، وكان لا يعيش لها ولد . فقال : سميه عبدالحارث فإنه يعيش، فسمته عبدالحارث فعاش ، وكان ذلك من وحي الشيطان وأمره » ، وهكذا رواه ابن جرير عن محمد بن بشار بنदार عن عبدالصمد بن عبدالوارث به . ورواه الترمذي في تفسير هذه الآية عن محمد بن المثني عن عبدالصمد به وقال : هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث عمر بن إبراهيم ، ورواه بعضهم عن عبدالصمد ولم يرفعه ، ورواه الحاكم في مستدركه من حديث عبدالصمد مرفوعاً وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، ورواه الإمام أبو محمد بن أبي حاتم في تفسيره عن أبي زرعة الرازي عن هلال بن فياض عن عمر بن إبراهيم به مرفوعاً ، قال ابن كثير بعد حكاية ما تقدم : وهذا الحديث

* أخرجه أحمد (١١/٥)، والترمذي (٣٠٧٩) وحسنه ، والحاكم (٥٤٥/٢) وصححه ووافقه الذهبي . وطعن ابن كثير في تفسيره في هذا الحديث وأعله . انظر: تيسير العزيز الحميد (ص/٥٤٥) تعليق المحقق .

قال ابن حزم^(١) : اتفقوا على تحريم كل اسم معبّد لغير الله، كعبدِ عمر

معلول من ثلاثة أوجه : أحدها : قول أبي حاتم الرازي : إن عمر بن إبراهيم هو البصري لا يُحتج به . والثاني : إنه قد روي من قول سمرة نفسه . والثالث : قول الحسن هم : اليهود والنصارى . انتهى .

فأما قول أبي حاتم فجوابه : أن عمر بن إبراهيم قد وثقه ابن معين وروى أبو بكر بن مردويه له متابعا من حديث المعتمر عن أبيه عن الحسن عن سمرة مرفوعا .

* وأما قول ابن كثير بأنه قد روي من قول سمرة نفسه .

فجوابه : أن هذا لا يقتضي عدم رفع سمرة للحديث؛ لأن رفعه زيادة والزيادة من الثقة مقبولة لا سيما الصحابي، ولأنه يجوز أن يسمع الرجل حديثاً فيفتي به في وقت ويرفعه في وقت ، ومما يؤيد صحة رفع الحديث رواية الإمام أحمد له في مسنده ، والأصل أنه لا يروي فيه إلا الأحاديث المرفوعة دون أقوال الصحابة . قاله الحافظ ابن حجر .

* وأما قول الحسن : هم اليهود والنصارى .

فجوابه : أن هذا لا يُعد من الحسن عدولاً عما رواه عن سمرة ، ولا ينفي أن يكون سبب نزول الآية آدم وحواء وحكماها عام للشريكين من الذرية من اليهود والنصارى وغيرهم ؛ لأنه لا يجوز قصر الآيات على سبب نزولها .

(١) قوله : « قال ابن حزم » وهو عالم الأندلس أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن

حزم القرطبي الظاهري ، صاحب التصانيف ، توفي سنة ست وخمسين وأربعمائة وله اثنتان وسبعون سنة . « اتفقوا » يعني : أهل العلم « على تحريم كل اسم معبّد لغير الله كعبد عمر وعبد الكعبة وما أشبه ذلك » حكى ابن حزم اتفاق العلماء على تحريم كل ما عبّد لغير الله؛ لأنه شرك في الربوبية والإلهية ؛ لأن الخلق كلهم ملك لله وعبيد له ، خلقهم لعبادته وحده وتوحيده في ربوبيته وإلهيته ، فمنهم من

وعبد الكعبة وما أشبه ذلك ، حاشا عبدالمطلب ^(١) .

عبد الله ووحدَه في ربوبيته وإلهيته ، ومنهم من أشرك به في إلهيته وأقر له بربوبيته وأسمائه وصفاته . قاله في « فتح المجيد » .

(١) قوله : « حاشا عبدالمطلب » وعبدالمطلب هذا جد رسول الله ﷺ واسمه شيبه الحمد وهو ابن هاشم بن عبدمناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي ابن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ، ولا ريب أن عدنان من ذرية إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليه السلام وقوله : « حاشا عبدالمطلب » هذا استثناء من العموم المستفاد من كل ، وذلك أن تسميته بهذا الاسم لا محذور فيه ؛ لأنه لم يعبد لغير الله، وإنما أصله من عبودية الرق ، وذلك أن المطلب أخو هاشم قدم المدينة ، وكان ابن أخيه شيبه هذا قد نشأ في أخواله بني النجار من الخزرج ؛ لأن هاشماً تزوج فيهم امرأة فجاءت منه بهذا الأب ، فلما شبَّ في أخواله وبلغ سن التمييز سافر به عمه المطلب إلى مكة بلد أبيه وعشيرته فقدم به مكة وهو رديفه فرآه أهل مكة وقد تغيَّر لونه بالسفر فحسبوه عبداً للمطلب فقالوا : هذا عبدالمطلب ، فعَلِقَ به هذا الاسم، فصار لا يُذكر ولا يُدعى إلا به ، وقد قال النبي ﷺ : « أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبدالمطلب »** وقد صار معظماً في قريش والعرب ، فهو سيد قريش وأشرفهم في جاهليته ، وهو الذي حفر زمزم وصارت له السقاية وفي ذريته من بعده ، ووالد رسول الله ﷺ أحد بني عبدالمطلب ، وتوفي في حياة أبيه وكان سن أبيه عبدالله حين حملت منه آمنة برسول الله نحو ثمانية عشر عاماً . قال الحافظ الذهبي [تاريخ الإسلام / السيرة ص/٤٩]: « توفي أبوه عبدالله وللنبي ﷺ ثمانية وعشرون شهراً ، وقيل أقل من ذلك ، وقيل وهو حمل ، توفي بالمدينة وعاش خمسةً وعشرين سنة» . قال الواحدي : «وذلك أثبت الأقاويل في سنه ووفاته » .

* (٧٣٤ / ٢) .

** أخرجه البخاري (٢٨٦٤ ، ٢٨٧٤) وكرره ، ومسلم (١٧٧٦) .

وعن ابن عباس في الآية^(١) قال : لما تغشأها آدمُ حملتُ ، فأتاهما إبليس فقال : إني صاحبكما الذي أخرجتكما من الجنة لتطيعاني أو لأجعلن له

وثوفيت أمه آمنة بالأبواء وهي راجعة به من المدينة إلى مكة من زيارة أخوال أبيه بني عدي بن النجار وهو يومئذ ابن ست سنين ومائة يوم، وقيل ذلك أربع سنين، فلما ماتت أمه حملته أم أيمن مولاته إلى جده ، فكان في كفالته إلى أن توفي جده وللنبي ﷺ ثمان سنين فأوصى به إلى عمه أبي طالب .

وقال شيخ الإسلام [الفتاوى ١/٣٧٨-٣٧٩] : « كان المشركون يعبدون أنفسهم وأولادهم لغير الله ، فيضيفون فيه التعبيد إلى غير الله من شمس أو وثن أو بشر أو غير ذلك مما قد يشرك بالله ، فغير ذلك النبي ﷺ فعبدتهم الله وحده فسُمي جماعة من أصحابه ، كان اسم عبدالرحمن بن عوف عبدالكعبة فسماه عبدالرحمن، وكان اسم أبي هريرة عبدشمس فغير اسمه ، وسُمي أبا معاوية عبدالرحمن وكان اسمه عبدالعزيز ، وكان اسم مولاه قيوم فسماه عبدالقيوم ، فشريعة الإسلام الذي هو الدين الخالص لله وحده تعبيد الخلق لربهم كما سنه رسول الله ﷺ وتغيير الأسماء الشركية إلى الأسماء الإسلامية والأسماء الكفرية إلى الأسماء الإيمانية » . انتهى ملخصاً . إذا علم هذا ، فلا تجوز التسمية بـ : عبدالنبي وعبدالرسول وعبدالمسيح وعبد علي وعبدالحسين وعبدالكعبة وعبدالدار وما أشبه ذلك؛ مما فيه تعبيد لغير الله . وفيه : تحريم كل اسم معبد لغير الله. قاله المصنف رحمه الله تعالى .

(١) قوله : « وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - في الآية قال : لما تغشأها آدم حملت ، فأتاهما إبليس فقال : إني صاحبكما الذي أخرجتكما من الجنة ، لتطيعاني أو لأجعلن له » * أي الولد « قرني أيل » بالثنية والإضافة ، والأيل : بفتح الهمزة وكسر المثناة التحتية المشددة ذكر الأوعال « فيخرج من بطنك فيشقه ،

* أخرجه ابن أبي حاتم في التفسير، وسعيد بن منصور، وابن المنذر كما في الدر المشور (٣/٦٢٤).

ولأفعلن ولأفعلن» والمعنى أنه « يخوفهما ، سمياه عبدالحارث » قال سعيد بن جبير كان اسمه - يعني إبليس في الملائكة - الحارث ، وكان مراده أن يسمياه بذلك ليكون قد وجد له صورة الاشتراك به « فأيا أن يطيعاه فخرج ميتاً ، ثم حملت فاتاهما ، فذكر مثل قوله، فأيا أن يطيعاه فخرج ميتاً ، ثم حملت فاتاهما فذكر لهما ، فأدركهما حب الولد فسمياه عبدالحارث ، فذلك قوله : ﴿ جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا ءَاتَتْهُمَا ﴾ ، رواه ابن أبي حاتم . وأما قول ابن كثير ليس المراد من السياق آدم وحواء وإنما المراد المشركون من ذريته ولهذا قال : ﴿ فَتَعَلَىٰ اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ وقوله هذا عما لا يساعد عليه لفظ سياق الآيات الكريمة ، فإنها من أولها إلى آخرها خبر عن آدم وحواء من حين خلقهما الله إلى أن جعللا له شركاء فيما آتاهما من الولد ، ولذا ذكرا بضمير التثنية، ودعوى أن المراد بالآية الذرية لقوله : ﴿ فَتَعَلَىٰ اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ بضمير الجمع لا يقتضي صرف الآية عن مدلولها لفظاً ومعنى ؛ لأن أقل الجمع اثنان فيكون سبب نزولها آدم وحواء وحكماها عام يشمل المشركين من الذرية كغيرها من الآيات ، وأما قول ابن كثير عن أثر ابن عباس وكأنه أصله - و الله أعلم - مأخوذ عن أهل الكتاب فقد استبعده في « فتح المجيد »* جداً ، وهو كما قال ، لا سيما وقد تلقى هذا الأثر عن ابن عباس جماعة من أصحابه كمجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة ، ومن الطبقة الثانية قتادة والسدي وغير واحد من السلف وجماعة من الخلف ، ومن المفسرين من المتأخرين جماعات لا يحصون كثرة ، وعلى فرض تلقيه عن أهل الكتاب فهو مما دل على صحته ظاهر سياق الآيات الكريمة ، فيكون من القسم الذي يشهد له شرعنا بالصحة ، والله أعلم . « وروى ابن أبي حاتم بسند صحيح عن مجاهد في قوله : ﴿ لَيْنَ ءَاتَيْنَا صَالِحًا ﴾ قال أشققاً أن لا يكون إنساناً ، وذكر معناه عن الحسن وسعيد

قرني أَيْل فيخرجُ من بطنك فيشقه ، ولأفعلنَ ، ولأفعلنَ - يخوفهما - سمياه عبد الحارث . فأيا أن يطيعاه ، فخرج ميتاً . ثم حملت ، فأتاهما فقال مثل قوله ، فأيا أن يطيعاه فخرج ميتاً . ثم حملت فأتاهما فذكر لهما ، فأدرکہما حُبُّ الولد ، فسمياه عبد الحارث . فذلك قوله : ﴿ جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا ءَاتَاهُمَا ﴾ [الأعراف: ١٩] . رواه ابن أبي حاتم .

وله بسند صحيح^(١) عن قتادة قال: شركاء في طاعته، ولم يكن في عبادته .
وله بسند صحيح عن مجاهد في قوله : ﴿ لَيْنَ ءَاتَيْنَا صٰلِحًا ﴾ [الأعراف : ١٨٩] قال : أشفقا أن لا يكون إنساناً . وذكر معناه عن الحسن وسعيد وغيرهما .

وغيرهما . وقال أبو صالح أشفقا أن يكون بهيمة ، فقالا : لئن آتيتنا صالحاً بشراً سوياً ، رواه ابن أبي حاتم .

وفيه : أن هبة الله للرجل البنت السوية من النعم . قاله المصنف رحمه الله تعالى ، وذلك أن الله قادرٌ على أن يجعلها غير سوية ، أو من غير الجنس ، فلا ينبغي للرجل أن يسخط مما وهبه الله كأهل الجاهلية ، بل يحمد الله الذي جعلها بشرية سوية ؛ فلماذا كانت عائشة - رضي الله عنها - إذا بُشرت بمولود لم تسأل إلا عن صورته لا عن ذكوريته وأنوثيته . قاله في «الشرح»* .

(١) قوله : « وله - أي ابن أبي حاتم - بسند صحيح عن قتادة قال : جعللا له شركاء في طاعته ولم يكن في عبادته » أي لكونهما أطاعاه في التسمية بعبد الحارث لا أنهما عباده، فهو دليل على الفرق بين شرك الطاعة وبين شرك العبادة . وفيه معرفة تفسير الآية، وأن هذا الشرك في مجرد تسميته لم تقصد حقيقتها . قاله المصنف رحمه الله تعالى .

٥١-باب

قول الله تعالى : ﴿ وَبِاللَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ^(١) فَادْعُوهُ بِهَا ^(٢) وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ﴾ ^(١) [الأعراف : ١٨٠] الآية . ذكر ابن أبي حاتم عن ابن عباس ﴿ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ﴾ : يشركون .

(١) قوله : « باب قول الله تعالى : ﴿ وَبِاللَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَمَكُون ﴾ أشار المصنف رحمه الله تعالى بالترجمة بهذه الآية إلى الرد على الذين يتوسلون بذوات الأموات ، مع أن المشروع التوسل بالأسماء والصفات والأعمال الصالحات . قاله في « قرّة العيون »* . أخبر تعالى أن له أسماء وأنها حسنى ، أي قد بلغت الغاية في الحسن فلا أحسن منها ولا أكمل ، فله من كل صفة كمال أحسن اسم وأكملة وأتمه معنى وأبعده وأنزهه عن شائبة النقص ، فأسمائه أحسن الأسماء كما أن صفاته أكمل الصفات فلا يعدل عما سمى به نفسه إلى غيره ، كما لا يتجاوز ما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله إلى ما وصفه به المبطلون .

(٢) وقوله ﴿ فَادْعُوهُ بِهَا ﴾ ودعاؤه بها نوعان : دعاء ثناء وعبادة ، ودعاء طلب ومسألة . فلا يُثنى عليه إلا بأسمائه الحسنى ، كذلك لا يُسأل إلا بها ، فلا يُسأل في كل مطلوب إلا باسم يكون مقتضياً لذلك المطلوب فيكون السائل متوسلاً بذلك الاسم ، تقول : رب اغفر لي وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم ، ولا يحسن : إنك أنت السميع البصير ، ونحو ذلك . قاله ابن القيم رحمه الله . وقوله ﷺ : « إن لله تسعة وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة »** رواه البخاري قال ابن حزم : « جاءت في إحصائها أحاديث مضطربة لا يصح شيء

* (ص/٢٢٤) .

** أخرجه البخاري (٦٤١٠) ، ومسلم (٢٦٧٧) .

وعنه : سَمَّوْا اللَّاتَ مِنَ الْإِلَهِ ، وَالْعَزَّى مِنَ الْعَزِيزِ .
وعن الأعمش^(٢) : يدخلون فيها ما ليس منها .

منها » . انتهى . وقال ابن القيم رحمه الله تعالى : « أما قوله « إن لله تسعة وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة » فالكلام جملة واحدة . وقوله : « من أحصاها دخل الجنة » صفة لا خبر مستقل . والمعنى : له أسماء متعددة من شأنها أن من أحصاها دخل الجنة ، وهذا لا ينبغي أن يكون له أسماء غيرها ، ويدل عليه قوله ﷺ : « أسألك بكل اسم هو لك ، سميت به نفسك ، أو أنزلته في كتابك ، أو علمته أحداً من خلقك ، أو استأثرت به في علم الغيب عندك »* فجعل أسماءه ثلاثة أقسام : قسماً : سمى به نفسه فأظهره لمن شاء من ملائكته أو غيرهم ولم ينزل به كتابه . وقسماً : أنزل به كتابه وتعرف به إلى عباده . وقسماً : استأثرت به في علم الغيب عنده ، لم يطلع عليه أحداً من خلقه » . انتهى .

(١) قوله : ﴿ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آسْمَائِهِ ﴾ أي اتركوهم وأعرضوا عن مجادلتهم ، قال العوني « عن ابن عباس - في قوله ﴿ يُلْحِدُونَ فِي آسْمَائِهِ ﴾ - يشركون ، وعنه سموا اللات من الإله ، والعزى من العزيز » .

(٢) قوله : « وعن الأعمش » وهو سليمان بن مهران أبو محمد الكوفي ، الفقيه ثقة ، حافظ ورع ، مات سنة مائة وسبع وأربعين وكان مولده سنة إحدى وستين ، قال : « يدخلون فيها ما ليس منها » كتسمية النصراني له أباً ونحوه . قاله في «الشرح»** .

وأصل الإلحاد في كلام العرب العدول عن القصد والميل والجور والانحراف ، ومنه اللحد في القبر لانحرافه إلى جهة القبلة عن سمت الحفر . وقال ابن القيم

* أخرجه أحمد (٢٤٧/٦) ، وابن حبان (٢٣٧٢) ، والحاكم (٥٠٩/١) وقال : حديث صحيح على شرط مسلم ، وصحح الحديث ابن تيمية وابن القيم والألباني رحمهم الله . انظر : الصحيحة رقم (١٩٩) .

** (ص/٥٦٢) .

رحمه الله تعالى : « الإلحاد في أسمائه هو العدول بها وبحقائقها ومعانيها عن الحق الثابت ، وهو أنواع : أحدها : أن تُسمى الأصنام بها كتسمية اللات من الإله ونحوه . الثاني : تسميته بما لا يليق بجلاله كتسمية النصارى له أباً ، وتسمية الفلاسفة له موجباً بذاته أو علة فاعلة . وثالثها : وصفه بما يتعالى عنه ويتقدّس من النقائص كقول أخبث اليهود : إن الله فقير، وقولهم : إنه استراح، وقولهم : يد الله مغلولة . ورابعها : تعطيل الأسماء الحسنى عن معانيها وجحد حقائقها كقول من يقول من الجهمية : إنها ألفاظ مجردة لا تتضمن صفات ولا معاني فيطلقون عليه اسم السميع البصير الحي ، ويقولون : لا سمع له ولا بصر ولا حياة ونحو ذلك . وخامسها : تشبيه صفاته بصفات خلقه - تعالى الله عن قول الملحدين علواً كبيراً - فجمعهم الإلحاد وتفرقت بهم طرقه وبرأ الله أتباع رسوله وورثته القائمين بسنته عن ذلك كله فلم يصفوه إلا بما وصف به نفسه ولم يحددوا صفاته ولم يشبهوها بصفات خلقه ولم يعدلوا بها عما أنزلت لفظاً ولا معنى بل أثبتوا له الأسماء والصفات ونفوا عنه مشابهة المخلوقات فكان إثباتهم بريئاً من التشبيه وتنزيههم خلياً من التعطيل ، لا كمن شبّه حتى كأنه يعبد صنماً ، أو عطّل حتى كأنه يعبد عدماً » . انتهى .

وقال أيضاً في « الكافية الشافية » [٢٥٣-٢٥٤] :

فصل : في بيان حقية الإلحاد في أسماء رب العالمين وذكر انقسام الملحدين :

| | |
|-------------------------------|-------------------------|
| أسماءه أوصاف مدح كلها | مشتقة قد حُمِلت لمعان |
| إياك والإلحاد فيها إنه | كفر معاذ الله من كفران |
| وحقيقة الإلحاد فيها الميل بال | إشراك والتعطيل والنكران |
| فالملاحدون إذاً ثلاث طوائف | فعلبيهم غضب من الرحمن |
| المشركون لأنهم سموا بها | أو ثانهم قالوا إليه ثان |

هم مشبه الخلاق بالإنسان
 إخوانهم من أقرب الإخوان
 إذ كان عين الله ذي السلطان
 هم خصصوا ذا الاسم بالأوثان
 لو عمموا ما كان من كفران
 ينفي حقائقها بلا برهان
 ينفي الحقيقة نفي ذي بطلان
 بقية فاجتهد فيه بلفظ بيان
 واقذف بتجسيم وبالكفران
 وصاف بالأخبار والقرآن
 هذا مجاز وهو وضع ثان
 لا يستفاد حقيقة الإيقان
 عزلت عن الإتقان منذ زمان
 وغلبت عن تقرير ذا بيان
 اه لدفع أدلة القرآن
 ل بالمجاز ولا بمعنى ثان
 الأمران عند العقل يتفان
 متقابلات كلها بوزان
 المعلول ما هذا بذني إمكان
 تبطله يبطل فرعه التحثاني
 لغناء للمنعول ذي البرهان
 فاهجره هجر الترك والنسيان

هم شبَّهوا المخلوق بالخلاق عكـ
 وكذلك أهل الاتحاد فإنهم
 أعطوا الوجود جميعه أسماءه
 والمشركون أقل شركاء منهم
 ولذلك كانوا أهل شرك عندهم
 والملحد الثاني فذو التعطيل إذ
 ما ثم غير الاسم أوله بما
 فالقصد دفع النص عن معنى الحق
 عَطَّلَ وَحَرَّفَ ثُمَّ أَوَّلَ وَأَنْفَهَا
 للمبشيتين حقائق الأسماء والأ
 فإذا هم احتجوا عليك فقل لهم
 فإذا غلبت على المجاز فقل لهم
 أنسى وتلك أدلة لفظية
 فإذا تضافت الأدلة كثرة
 فعليك حينئذ بقانون وضعد
 ولكل نص ليس يقبل أن يؤو
 قل عارض المنقول معقول وما
 ما ثم إلا واحد من أربع
 أعمال دين وعكسه أو تلغي
 العقل أصل النقل وهو أبوه إن
 فتعين الأعمال للمعقول والإ
 أعماله يفضي إلى إلغائه
 إلى أن قال [ص/ ٢٥٥] :

في ما تدل عليه بالبهتان
 بخالق أبداً ولا رحمن

هذا وثالثهم فنافيها ونا
 ذا جاحد الرحمن رأساً لم يقـ

هذا هو الإلحاد فاحذره لعل الله أن ينجيك من نيران وتفوز بالزلفى لديه وجنة المـ أوى مع الغفران والرضوان وفيه : إثبات الأسماء وكونها حسنى ، والأمر بدعائه بها وترك من عارض من الجاهلين الملحدين ، وتفسير الإلحاد فيها ووعيد من ألحد فيها . قاله المصنف رحمه الله تعالى .
فائدة،

ما يجري صفةً أو خبراً عن الرب تعالى أقسام:
أحدها : ما يرجع إلى نفس الذات كقولك : ذات وموجود .
الثاني : ما يرجع إلى صفاته ونعوته كالعليم والقدير .
الثالث : ما يرجع إلى أفعاله كالخالق والرازق .
الرابع : التنزيه المحض ولا بد من تضمنه ثبوتاً كالقدوس والسلام .
الخامس : ولم يذكره أكثر الناس وهو الاسم الدالّ على جملة أوصاف لا تختص بصفة معينة نحو المجيد العظيم الصمد .
السادس : صفة تحصل من اقتران أحد الاسمين والوصفين بالآخر، وذلك قدر زائد على مفرديهما نحو : الغنى الحميد ، الغفور القدير ، الحميد المجيد .
وهكذا عامة الصفات المقترنة والأسماء المزدوجة في القرآن ، فإن الغنى صفة كمال، والحمد كذلك، واجتماع الغنى مع الحمد كمال آخر، فله ثناء من غناه وثناء من حمده وثناء من اجتماعهما . فتأمله فإنه من أشرف المعارف . انتهى باختصار . قاله ابن القيم رحمه الله [بدائع الفوائد ١/١٥٩].

٥٢-باب

لا يقال السلام على الله^(١)

في الصحيح^(٢) عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : كنا من النبي ﷺ في الصلاة. قلنا: السلام على الله من عباده ، السلام على فلان وفلان . فقال النبي ﷺ : « لا تقولوا السلام على الله ، فإن الله هو السلام » .

(١) قوله : « باب لا يقال السلام على الله » قلت : وجه مناسبة الترجمة لكتاب التوحيد أن السلام دعاء للمُسَلَّم عليه وهو يستلزم مدعواً ومدعو له ، والله سبحانه غنيٌّ عن دعاء الداعي وليس هناك مدعواً سواه ، فنهوا عن السلام عليه تنزيهاً لله وتحقيقاً لجناب التوحيد . والله أعلم .

(٢) قوله : « في الصحيح » أي الصحيحين « عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : كنا إذا كنا مع النبي ﷺ في الصلاة قلنا: السلام على الله من عباده ، السلام على فلان وفلان. فقال النبي ﷺ : « لا تقولوا السلام على الله من عباده فإن الله هو السلام ولكن قولوا : التحيات لله »* إلخ . هذا الحديث دليلٌ على النهي عن قول : السلام على الله ؛ لأن الله هو السلام ، أي هو تعالى سالم من كل نقص ومن كل تمثيل، فهو الموصوف بكل كمال ، المنزه عن كل عيب ونقص جل وعلا . قال ابن القيم رحمه الله [بدائع ١٣٧/٢-١٤٢] : « السلام اسم مصدر وهو من ألفاظ الدعاء يتضمن الإنشاء والإخبار ، فجهته الخبرية فيه لا تنافي الجهة الإنشائية، وهو معنى السلام المطلوب عند التحية ، وفيه قولان مشهوران : أحدهما : أن السلام هنا هو الله عز وجل ، ومعنى الكلام نزلت بركته عليكم، فاختر في هذا المعنى من أسماء الله عز وجل اسم السلام دون غيره . الثاني : أن السلام مصدر بمعنى السلامة ، وهو المطلوب المدعوبه عند

* أخرجه البخاري (٨٣٥) ، ومسلم (٤٠٢) .



التحية ، وحق من دعا الله بأسمائه الحسنى أن يسأل في كل مطلوب بالاسم المقتضى لذلك المطلوب المناسب لحصوله فيكون الداعي مستشفعاً إلى الله تعالى متوسلاً إليه به ، فالمقام لما كان مقام طلب السلامة التي هي أهم شيء عند الإنسان أتى في طلبها بصيغة اسم من أسماء الله تعالى وهو السلام الذي تطلب منه السلامة ، فتضمن لفظ السلام معنيين :
أحدهما : ذكر الله .

والثاني : طلب السلامة ، وهو مقصود المسلم . انتهى ملخصاً . ثم أرشدهم إلى ما ينبغي في حقه تعالى وهو قول التحيات لله أي : جميع التعظيمات المستحقة لله تعالى والصلوات أي الخمس أو العبادات كلها ، والطيبات أي : من الأعمال الصالحة كلها لله ، السلام عليكم أيها النبي ورحمة الله وبركاته ، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ، تسلم على نفسك وعلى كل عبد صالح في السماء والأرض . ففي هذا الحديث بيان الفرق بين تحية الخالق وتحية المخلوق . فتحية الخالق : التعظيم . وتحية المخلوق : السلام الذي هو دعاء له بالسلامة . فالتعظيم بالتحية لا ينبغي إلا لله وحده ، فاستبدال بعض الناس السلام في مخاطبتهم بالتحية لا يجوز ، فينبغي النهي عن ذلك . وفيه : معرفة تفسير السلام ، وأنه تحية ، وأنها لا تصلح إلا لله والعلّة في ذلك ، وتعليمهم التحية التي تصلح لله . قاله المصنف رحمه الله تعالى .

٥٢-باب

قول، اللهم اغفر لي إن شئت^(١)

في الصحيح^(٢) عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « لا يقولن أحدكم : اللهم اغفر لي إن شئت ، اللهم ارحمني إن شئت ، ليعزم المسألة^(٣) ، فإن الله لا

(١) قوله : « باب قول : اللهم اغفر لي إن شئت » لما كان العبد لا غناء له عن ربه ومغفرته طرفة عين ، كما قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ [فاطر: ١٥] نُهي عن قول اللهم اغفر لي إن شئت ؛ لما فيه من إيهام الاستغناء عن مغفرة الله ورحمته ، وذلك مضاداً للتوحيد . قاله في «الشرح»* .

(٢) قوله : « في الصحيح » أي الصحيحين « عن أبي هريرة ؓ ، أن رسول الله ﷺ قال : « لا يقولن أحدكم اللهم اغفر لي إن شئت ، اللهم ارحمني إن شئت »** . قال القرطبي : « إنما نهى الرسول ﷺ عن هذا القول لأنه يدل على فتور الرغبة وقلة الاهتمام بالمطلوب ، وكان هذا القول يتضمن أن هذا المطلوب إن حصل وإلا استغنى عنه . ومن كان هذا حاله لم يتحقق من حاله الافتقار والاضطرار الذي هو روح عبادة الدعاء ، وكان ذلك دليلاً على قلة معرفته بذنبه وبرحمة الله . وأيضاً فإنه لا يكون موقناً بالإجابة ، وقد قال عليه السلام «ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة، واعلموا أن الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل»*** .

(٣) قوله : « ليعزم المسألة » قال القرطبي : أي ليجزم في طلبته ويحقق رغبته ويتيقن الإجابة فإنه إذا فعل ذلك دلّ على علمه بعظيم ما يطلب من المغفرة والرحمة وعلى أنه مفتقر إلى ما يطلب مضطر إليه ، وقد وعد الله المضطر

* (ص/٥٦٥) .

** أخرجه البخاري (٦٣٣٩) ، (٧٤٧٧) ، ومسلم (٢٦٧٩) .

*** أخرجه أبو داود (٣٧٢٥) ، وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود (١٦٤/٣) رقم (٢٧٦٦) .

مُكْرَهٌ لَهُ»^(١).

ولمسلم: «وليعظم الرغبة»^(٢)، فإن الله لا يتعاضمه شيء أعطاه».

بالإجابة بقوله: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ [النمل: ٦٢].

(١) قوله: «فإن الله لا مُكْرَهَ لَهُ» هذا لفظ البخاري في الدعوات، ولفظ مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يقولن أحدكم اللهم اغفر لي إن شئت، اللهم ارحمني إن شئت، ليعزم على المسألة في الدعاء، فإن الله صانع ما شاء، لا مُكْرَهَ لَهُ». قال القرطبي: هذا إظهار لعدم فائدة تقييد الاستغفار والرحمة بالمشيئة، فإن الله تعالى لا يضطره إلى فعل شيء دعاء ولا غير بل يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، ولذلك قيد تعالى الإجابة بالمشيئة في قوله: ﴿فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ﴾ [الأنعام: ٤١]، فلا معنى لاشتراط المشيئة بقييله.

وقوله: «فإن الله لا مُكْرَهَ لَهُ» بخلاف العبد، فإنه قد يعطي السائل مسألته وهو كاره لحاجته إليه أو لخوفه أو لرجائه. فالأدب مع الله أن لا يعلّق مسألته لربه بشيء لسعة فضله وإحسانه وجوده وكرمه. وفيه: النهي عن الاستثناء في الدعاء وبيان العلة في ذلك، وقوله: «ليعزم المسألة». قاله المصنف.

(٢) قوله: «ولمسلم: «وليعظم الرغبة» هو بالتشديد «فإن الله لا يتعاضمه شيء أعطاه»* يُقال: تعاضم زيدٌ هذا الأمر، أي: كبر عليه وعسر، والرغبة يعني: الطُّلْبَةُ والحاجة التي يريد، وقيل: السؤال والطلب والتعظيم على هذا بالإلحاح، والأول أظهر. قاله في «الشرح»**.

وفيه: إعظام الرغبة والتعليل لهذا الأمر. قاله المصنف رحمه الله تعالى.

* عند مسلم برقم (٢٦٧٩).

** (ص/٥٦٦).

٥٤- باب

لا يقول عبدي وأمّتي (١)

في الصحيح (٢) عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « لا يقل أحدكم : أطعم ربك ، وضئ ربك ، وليقل : سيدي ومولاي ، ولا يقل أحدكم : عبدي وأمّتي ، وليقل : فتاي وفتاتي وغلامي » .

(١) قوله : « باب لا يقول عبدي وأمّتي » أي : لما في ذلك من إيهام المشاركة في الربوبية فنهى عن ذلك أدباً ، وحماية لجناب التوحيد . قاله في «الشرح» .

(٢) قوله : « في الصحيح » أي الصحيحين « عن أبي هريرة » أن رسول الله ﷺ قال : « لا يقل أحدكم »* هو بالجزم على النهي أي لمملوكه « أطعم ربك » بفتح الهمزة من الإطعام ، « وضئ ربك » أمر من الوضوء ، وفيهما في هذا الحديث « اسق ربك » ، وكان المؤلف اختصرها ، وهذه الألفاظ المنهي عنها وإن كانت تطلق لغةً فالنبي ﷺ نهى عنها تحقيقاً للتوحيد وسداً لذرائع الشرك ، لما فيها من التشريك في اللفظ ؛ لأن الله هو رب العباد جميعهم ، فإذا أطلق على غيره ما يطلق عليه تعالى وقع الشبه في اللفظ ، فينبغي أن يجتنب هذا اللفظ في حق المخلوق من ذلك ، وأرشدهم إلى ما يقوم مقام هذه الألفاظ فقال : « وليقل سيدي ومولاي » وكذا قوله : « ولا يقل أحدكم عبدي وأمّتي » لأن العبيد عبيد الله والإماء إماء الله ، قال تعالى : ﴿ إِن كُنتُمْ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا ﴾ [مریم : ٩٣] ففي إطلاق هاتين الكلمتين على غير الله تشريك في اللفظ فنهاهم عن ذلك تعظيماً لله تعالى وأدباً وتحقيقاً للتوحيد ، وأرشدهم إلى ما ينبغي بقوله : « وليقل فتاي وفتاتي وغلامي » وهذا من باب حماية جناب التوحيد ، قال الخطّابي :

* (ص / ٥٦٦) .

** أخرجه البخاري (٢٥٥٢) ، ومسلم (٢٢٤٩) .



«وسبب المنع أن الإنسان مربوب متعبد بإخلاص التوحيد لله تعالى، وترك الإشراف به، فأمر بترك المضاهاة بالاسم لئلا يدخل في معنى الشرك، ولا فرق في ذلك بين الحر والعبد، وأما من لا تُعبُد عليه من سائر الحيوانات والجمادات ، فلا يكره أن يطلق ذلك عليه عند الإضافة كقوله : « رب الدار والثوب » . قاله في «الشرح»* . قال ابن مفلح : « وظاهر النهي التحريم ، وقد يحتمل أنه للكراهة ، وجزم به غير واحد من العلماء » .

وفيه : النهي عن قول عبدي وأمتي، ولا يقول العبد لسيدته ربي ، ولا يُقال له أطعم ربك ، وتعليم الأول قول : فتاي وفتاتي وغلامي، وتعليم الثاني قول : سيدي ومولاي ، والتنبه للمراد وهو تحقيق التوحيد حتى في الألفاظ. قاله المصنف رحمه الله تعالى .

٥٥-باب

لا يرد من سأل بالله^(١)

عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : « من سأل بالله فأعطوه^(٢) ومن استعاذ بالله فأعيذوه^(٣) ،

(١) قوله : « باب لا يُرد من سأل بالله » أي إعظماً وإجلالاً لله تعالى أن يُسأل به في شيء ولا يجاب السائل إلى سؤاله ومطلوبه. قاله في «الشرح» * ، أي إن رده مكروه أو محرم إذا كان المطلوب ليس محرماً ولا مكروهاً؛ لأن رده دليل على عدم إعظام الله .

(٢) قوله : « عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « من سأل بالله فأعطوه» ** أي إذا قال السائل أسألك بالله . قال شيخ الإسلام : « وإذا قال السائل أسألك بالله فإنما سأله بإيمانه بالله، وذلك سبب لإعطاء من سأله به» . وفيه : إعطاء من سأل بالله . قاله المصنف .

وقد جاء الوعيد على منع من سئل بالله أو بوجه الله ثم منع سائله . قال في «فتح المجيد» *** : « ظاهر الحديث النهي عن ردّ السائل إذا سأل بالله ، لكن هذا العموم يحتاج إلى تفصيل ، فيجب إذا سأل السائل ما له فيه حق كبيت المال أن يُجاب، فيعطى منه على قدر حاجته وما يستحقه وجوباً ، وكذلك إذا سأل المحتاج من في ماله فضل فيجب أن يعطيه على قدر حالة المسؤول ما لا يضر بعائلته ، وإن كان مضطراً وجب أن يعطيه ما يدفع ضرورته » . انتهى .

(٣) قوله : « ومن استعاذ بالله فأعيذوه » أي : تعظيماً لله وتقرباً إليه . وفيه : إعادة من استعاذ بالله . قاله المصنف . ولهذا لما استعاذت منه الجونية

* (ص/٥٧٠) .

** أخرجه أبو داود (١٧٦٣ ، ٥١٠٩) ، والنسائي (٨٢/٥) وأحمد (٦٨/٢ ، ٩٩ ، ١٢٧) ، وصححه الألباني في الصحيحة (٢٥٤) .

*** (٢/٧٥٧-٧٥٨) .

ومن دعاكم فأجيبوه^(١)، ومن صنع إليكم معروفاً فكافئوه^(٢)، فإن لم تجدوا ما تكافئونه فادعوا له^(٣) حتى تُرَوَّأ^(٤) أنكم قد كافأتموه .

قال ﷺ : « لقد عُدتِ بمعاذ ، الحقي بأهلك »* .

(١) قوله : « ومن دعاكم فأجيبوه » أي من دعاكم إلى طعام فأجيبوه، والحديث أعم من الوليمة وغيرها، وهو يدل على الوجوب .
قلت : هذا إذا لم يكن في الدعوة منكر ، فإن كان فيها منكر لم تجب إجابتها إلا إذا كان المدعو يستطيع إزالته ، فتجب الإجابة حيثئذ .
وفيه : إجابة الدعوة . قاله المصنف رحمه الله .

(٢) قوله : « ومن صنع إليكم معروفاً فكافئوه » على إحسانه ليخلص القلب من إحسان الخلق، ويتعلق بالحق؛ لأنك إذا لم تكافئ من صنع إليك معروفاً ؛ بقي في قلبك له نوع تأله ، فشرع قطع ذلك بالمكافأة . هذا معنى كلام شيخ الإسلام رحمه الله . قاله في « إبطال التنديد »** . وفيه : المكافأة على الصنعة ، ولا يهمل المكافأة على المعروف إلا اللثام من الناس ، وبعض اللثام يكفي على الإحسان بالإساءة . قاله في « فتح المجيد »*** .

(٣) قوله : « فإن لم تجدوا ما تكافئونه فادعوا له » أي إذا لم تقدروا على مكافئته . وفيه : أن الدعاء مكافأة لمن لم يقدر إلا عليه، وقد روى الترمذي وصححه والنسائي وابن حبان عن أسامة بن زيد مرفوعاً « من صنع إلي معروفاً فقال لفاعله : جزاك الله خيراً . فقد أبلغ في الثناء »**** .

(٤) قوله : « حتى تُرَوَّأ » بضم التاء ، أي تظنوا ، ويحتمل أن تكون مفتوحة بمعنى

* أخرجه البخاري (٥٢٥٤) .

** (ص/ ٢٧١) .

*** (٢/ ٧٦٠) .

**** أخرجه الترمذي (٢١٢٠) وصححه ، وصححه الألباني أيضاً في صحيح سنن الترمذي (٢/ ٢٠٠) ، رقم (١٦٥٧) .

رواه أبوداود والنسائي بسند صحيح .

* * *

تعلموا أنكم قد كافأتموه ، ويؤيده ما في سنن أبي داود من حديث ابن عمر
«حتى تعلموا» ، فتعين الثاني للتصريح به . قاله في «فتح المجيد»* .

* (٧٦٠/٢) .

باب ٥٦

لا يُسأل بوجه الله إلا الجنة^(١)

عن جابر قال^(٢) : قال رسول الله ﷺ : « لا يُسأل بوجه الله إلا الجنة » رواه أبو داود .

(١) قوله : « باب لا يُسأل بوجه الله إلا الجنة » أي إجلالاً وإكراماً لوجه الله تعالى أن يُسأل به إلا غاية المطالب وهي الجنة .

(٢) قوله : « عن جابر ؓ قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يُسأل بوجه الله إلا الجنة » رواه أبو داود* .

قوله : « لا يُسأل بوجه الله » روي بالنفي والنهي ، وروي بالبناء للمجهول وهو الذي في الأصل ، ورُوي بالخطاب للمفرد . قاله في «الشرح»** . وأما سؤال المخلوق بوجه الله فحرام لما روى الطبراني عن أبي موسى مرفوعاً : « ملعون من سأل بوجه الله ، وملعون من سئل بوجه ثم منع سائله ما لم يسأل هجراً*** . وعن أبي عبيدة مولى رفاعة بن رافع مرفوعاً : « ملعون من سأل بوجه الله ، وملعون من سئل بوجه الله فمنع سائله**** . رواه الطبراني أيضاً . وعن ابن عباس ؓ مرفوعاً : « ألا أخبركم بشر الناس؟ رجلٌ سئل بوجه الله

* أخرجه أبو داود (١٦٧١)، وضعف إسناده الألباني، انظر: رياض الصالحين (ص/٥٨٦) .
** (ص/٥٧٣) .

*** أخرجه الطبراني ، ورجاله رجال الصحيح ؛ إلا شيخه يحيى بن عثمان بن صالح وهو ثقة ، وفيه كلام . وحسنه الألباني . انظر : صحيح الترغيب رقم (٨٥١) (١/٥١٣) .

**** أخرجه الطبراني، قال الألباني: حسن لغيره . انظر : صحيح الترغيب رقم (٨٥٣) (١/٥١٣) .

« وَلَا يُعْطَى »* . رواه الترمذي وحسنه ، وابن حبان في صحيحه ، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِشَرِّ الْبَرِيَّةِ ؟ » قالوا : بلى يا رسول الله . قال : « الَّذِي يُسْأَلُ بِوَجْهِ اللَّهِ وَلَا يُعْطَى »** . فهذه الأحاديث مع حديث الباب تدل على وجوب إعطاء السائل .

وفيه : « لعن من سأل أحداً بوجه الله » . قاله في « إبطال التنديد »*** . قوله : « (إلا الجنة) كان يقول : اللهم إني أسألك بوجهك الكريم أن تدخلني الجنة . وقيل : المراد لا تسألوا الناس شيئاً بوجه الله ، كان يقول : أعطني شيئاً لوجه الله . فإن الله أعظم من أن يُسأل به شيء من الحطام . قال في «الشرح»**** : إن كلا المعنيين صحيح . قال الحافظ العراقي : « وذكر الجنة إنما هو للتنبيه على الأمور العظام لا للتخصيص ، فلا يُسأل بوجه الله في الأمور الدنيئة بخلاف الأمور العظام تحصيلاً أو دفعاً كما يشير إليه استعاذة النبي ﷺ به ، قال في «إبطال التنديد»**** : والحديث أحق مما قال .

وحديث الباب من جملة الأدلة المتواترة في الكتاب والسنة على إثبات الوجه لله تعالى كما هو طريقة أهل السنة والجماعة سلفاً وخلفاً . وفيه : النهي عن أن يُسأل بوجه الله إلا غاية المطالب ، وإثبات صفة الوجه . قاله المصنف رحمه الله تعالى .

* أخرجه أحمد (٩٦-٩٧/٥) الرسالة ، والترمذي (١٧١٩) . وقال الألباني : صحيح . انظر الصحيحة (٢٥٥) .

** أخرجه أحمد (٣٩٦/٢) ، وفي إسناده ضعف ويشهد له غيره من الأحاديث .

*** (ص/٢٧٣) .

**** (ص/٥٧٣) .

***** (ص/٢٧٣) .



قال في «فتح المجيد» * : «وهنا سؤال : وهو أنه قد ورد في دعاء النبي ﷺ : «أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له السموات والأرض» *** ، وحديث : «أعوذ بوجهك الكريم» **** وأمثال ذلك في الأحاديث المرفوعة بالأسانيد الصحيحة أو الحسان. فالجواب : أن ما ورد من ذلك فهو في سؤال ما يقرب إلى الجنة أو ما يمنعه من الأعمال التي تمنعه من الجنة، فيكون قد سأل بوجه الله وبنور وجهه ما يقرب إلى الجنة ..» إلى آخره .

فأقول : هذا السؤال الذي أورده الشيخ رحمه الله تعالى وتكلف الجواب عنه ليس من السؤال بوجه الله، وإنما هو استعاذة بوجه الله، وفرق بين السؤال والاستعاذة ، فتنبه لذلك .

* (٧٦١-٧٦٢) .

** أخرجه الطبراني في الكبير من حديث عبد الله بن جعفر (المجمع ٦/٣٥) ، وقال الألباني في تخريج فقه السيرة للغزالي : ضعيف السند . (ص/١٣٢) .

*** أخرجه الطبراني في الكبير (٨٠٢٧) وهو ضعيف .

**** أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات (٣٨٩) وقال : وهو إسناده صحيح .

٥٧-باب

(١) ما جاء في اللو

وقول الله تعالى : ﴿ يَقُولُونَ لَوْ كَان لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَهُنَا ﴾ [آل عمران : ١٥٤] (٢) .

وقوله : ﴿ الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا ﴾ [آل عمران : ١٦٨] الآية (٣) .

(١) قوله : « باب ما جاء في اللو » أي من الوعيد والنهي عنه عند الأمور المكروهة كالمصائب إذا جرى بها القدر لما فيه من الإشعار بعدم الصبر والأسى على ما فات مما لا يمكن استدراكه، فالواجب التسليم للقدر والقيام بالعبودية الواجبة وهي الصبر على ما أصاب العبد مما يكره ، والإيمان بالقدر أصل من أصول الإيمان الستة ، وأدخل المصنف رحمه الله تعالى أداة التعريف على « لو » وهي في هذا المقام لا تفيد تعريفاً كمنظائرها؛ لأن المراد هنا اللفظ كما قال الشاعر :

رأيت الوليد بن يزيد مباركاً شديداً بأعباء الخلافة كاهله

(٢) قوله : « وقول الله تعالى : ﴿ يَقُولُونَ لَوْ كَان لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَهُنَا ﴾ هذا قول بعض المنافقين يوم أخذ. روى ابن إسحاق بإسناده عن عبدالله بن الزبير قال: قال الزبير : لقد رأيتني مع رسول الله ﷺ حين اشتد الخوف علينا أرسل الله علينا النوم فما منا رجل إلا ذقنه في صدره، قال : فوالله إني لأسمع قول معتب ابن قشير ما أسمعه إلا كالحلم : لو كان لنا من الأمر شيء ما قُتلنا ههنا فحفظتها منه، وفي ذلك أنزل الله ﴿ يَقُولُونَ لَوْ كَان لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَهُنَا ﴾ لقول معتب. رواه ابن أبي حاتم* . وهذا من المنافقين معارضة منهم للقدر بـ « لو »، ولهذا رد الله عليهم بقوله : ﴿ قُل لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ ﴾ [آل عمران : ١٥٤] .

(٣) وقوله : ﴿ الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُل فَادْرَأْوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ وهذا أيضاً معارضة للقدر من المنافقين بقولهم لمن خرج مع

* أخرجه ابن أبي حاتم في التفسير (١٦٩٧)، وابن جرير الطبري في التفسير (٨٠٩٤) .

في الصحيح^(١) عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « احرص على

رسول الله ﷺ يوم أحد . قيل : وإنما قال لإخوانهم أي لمشاركتهم لهم في الظاهر، وقيل لإخوانهم في النسب لا في الدين ﴿ تَوَاطَعُونَ ﴾ في مشورتنا عليهم بعدم الخروج ما قتلوا ، قل : ﴿ فَادْرَأُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ ﴾ أي إن عدم الخروج لا ينجي من الموت ، فإن كنتم صادقين فادفعوا الموت إذا جاءكم، أي إذا كان القعود يسلم به الشخص من القتل والموت فينبغي لكم أن لا تموتوا، والموت لا بد آتيكم ولو كنتم في بروج مشيدة. قال مجاهد عن جابر بن عبد الله : نزلت هذه الآية في عبد الله بن أبي وأصحابه يعني أنه هو الذي قال ذلك. قال شيخ الإسلام [الفتاوى ٧/ ٢٨٠] : « انخزل عبد الله بن أبي يوم أحد ، وقال : يدع رأبي ورأيه ويأخذ برأي الصبيان. وانخزل معه خلق كثير، كان كثير منهم لم ينافق قبل ذلك ، فأولئك كانوا مسلمين وكان معهم إيمان هو الضوء الذي ضرب الله به المثل، فلو ماتوا قبل المحنة والنفاق لماتوا على الإسلام ولم يكونوا من المؤمنين حقاً، الذين امتحنوا فثبتوا على المحنة ، ولا من المنافقين حقاً الذين ارتدوا عن الإيمان بالمحنة ، وهذا حال كثير من المسلمين في زماننا أو أكثرهم إذا ابتلوا بالمحنة التي يتضعض فيها أهل الإيمان ينقص إيمانهم كثيراً وينافق كثير منهم، ومنهم من يظهر الردة إذا كان العدو غالباً، وقد رأينا من هذا ورأى غيرنا من هذا ما فيه عبرة، وإذا كانت العافية أو كان المسلمون ظاهرين على عدوهم كانوا مسلمين وهم مؤمنون بالرسول باطناً وظاهراً لكنه إيمان لا يثبت على المحنة؛ ولهذا يكثر في هؤلاء ترك الفرائض وانتهاك المحارم ، وهؤلاء من الذين قالوا آمنا فقبل لهم : ﴿ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ﴾ [الحجرات: ١٤] أي الإيمان المطلق الذي أهله هم المؤمنون حقاً فإن هذا هو الإيمان إذا أطلق في كتاب الله كما دل عليه الكتاب والسنة، فلم يحصل له ريب عند المحن التي تقلقل الإيمان في القلوب» . انتهى . وفيه : معرفة تفسير الآيتين من آل عمران . قاله المصنف رحمه الله تعالى .

(١) قوله : « في الصحيح » أي صحيح مسلم « عن أبي هريرة ؓ أن رسول الله ﷺ قال : « احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجزن » اختصر المصنف رحمه الله هذا الحديث ، وأوله أن النبي ﷺ قال : « المؤمن القوي خيرٌ وأحبُّ إلى الله

ما ينفعك^(١)، واستعن بالله^(٢) ولا تعجزن^(٣)، وإن أصابك شيء فلا تقل لو

من المؤمن الضعيف، وفي كل خير، احرص على ما ينفعك...» إلى آخره. قال ابن القيم رحمه الله: «تضمن هذا الحديث أصولاً عظيمة من أصول الإيمان، أحدها: أن الله سبحانه موصوف بالحجة وأنه يجب حقيقةً. الثاني: أنه يجب مقتضى أسمائه وصفاته وما يوافقها، فهو القوي يجب المؤمن القوي، وهو وتر يجب الوتر، وجميل يجب الجمال، وعليم يجب العلماء، ونظيف يجب النظافة، ومؤمن يجب المؤمنين، ومحسن يجب المحسنين، وصابر يجب الصابرين، وشاكر يجب الشاكرين. ومنها أن محبة للمؤمنين تفاضل فيحب بعضهم أكثر من بعض، ومنها أن سعادة الإنسان في حرصه على ما ينفعه في معاشه ومعاده. والحرص هو بذل الجهد واستفراغ الوسع.

(١) وقوله: «احرص على ما ينفعك» أي في معاشك ومعادك، والمراد الحرص على فعل الأسباب التي تنفع العبد في دنياه وآخره مما شرعه الله تعالى لعباده من الأسباب الواجبة والمستحبة والمباحة ويكون العبد في حال فعله السبب مستعيناً بالله وحده ليتم له مطلوبه، ويكون اعتماد العبد على الله مع فعل السبب؛ لأن الله هو الذي خلق السبب والمسبب ولا ينفعه سبب إلا إذا نفعه الله به، ففعل السبب سنة والتوكل على الله توحيد، فإذا جمع بينهما تم له مراده بإذن الله.

(٢) قوله: «استعن بالله» لما كان حرص الإنسان وفعله إنما هو بمعونة الله ومشيئته وتوفيقه أمره أن يستعين به ليجمع له بين مقام ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥] فإن حرصه على ما ينفعه عبادةً لله، ولا تتم إلا بمعونة الله، فأمره أن يعبد وأن يستعين به. قاله ابن القيم رحمه الله تعالى.

(٣) قوله: «ولا تعجزن» النون نون التوكيد الخفيفة، نهاه ﷺ عن العجز وذمّه، والعجز مذموم شرعاً وعقلاً، وفي الحديث «الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني»**. قال ابن القيم:

* أخرجه مسلم (٢٦٦٤).

** أخرجه الترمذي (٢٤٦١) وقال: هذا حديث حسن، وابن ماجه (٤٢٦١)، وأحمد (١٢٤/٤).

قال الألباني: ضعيف. انظر: ضعيف سنن الترمذي ص (٢٧٩) رقم (٢٥٩٠).

أني فعلتُ كذا لكان كذا وكذا ، ولكن قل : قدّر الله وما شاء فعل ، فإن لو تفتح عمل الشيطان»^(١) .

«فالحريرص على ما ينفعه المستعين بالله ضد العاجز فهذا إرشاد له قبل وقوع المقدور إلى ما هو من أعظم أسباب حصوله وهو الحرص عليه مع الاستعانة بمن أزمته الأمور بيده ومصدرها منه ومردّها إليه، فإذا وقع المقدور فللعبد حالتان : حالة عجز ، وهي مفتاح عمل الشيطان فيلقيه العجز إلى « لو » ، ولا فائدة فيها؛ بل هي مفتاح اللوم والعجز والسخط والحزن ، وهذا من عمل الشيطان، فنهاه عن افتتاح عمله بهذا المفتاح، وأمره بالحالة الثانية وهي النظر إلى القدر وأنه لو قدر لم يفته ولم يغلبه عليه أحدٌ ولهذا قال : « وإن أصابك شيء » أي غلبك الأمر ولم يحصل المقصود بعد بذل الجهد والاستعانة بالله « فلا تقل : لو أنني فعلت كذا كان كذا وكذا، قل : قدّر الله وما شاء فعل » فأرشدته إلى ما ينفعه حالة حصول مطلوبه، وحالة فواته ؛ ولهذا كان هذ الحديث مما لا يُستغنى عنه، وهو يتضمن إثبات القدر والكسب والاختيار والقيام بالعبودية ظاهراً وباطناً في حالتي حصول المطلوب وعدمه . انتهى ملخصاً . وفيه : الأمر بالحرص على ما ينفع مع الاستعانة بالله والنهي عن ضد ذلك وهو العجز. قاله المصنف رحمه الله .

(١) قوله : « فإن (لو) تفتح عمل الشيطان » أي : لما فيها من التأسف على ما فات والتحسر ولوم القدر، وذلك ينافي الصبر ، والرضى واجب، والإيمان بالقدر فرض. وفيه : النهي الصريح عن قول « لو » إذا أصابك شيء، وتعليل المسألة : بأن ذلك يفتح عمل الشيطان والإرشاد إلى الكلام الحسن . قاله المصنف .
تنبية، وأما قوله ﷺ : « لولا حدثان قومك بالكفر لأتممت البيت على قواعد إبراهيم »*، وقوله : « لو كنت راجماً أحداً بغير بينة لرجمت هذه »** ، وقوله :

* أخرجه البخاري (١٥٨٥) و (١٥٨٦) .

** أخرجه ابن ماجه (٢٦٠٧)، والبيهقي في السنن الكبرى (٤٠٧/٧) . وقال الألباني: صحيح...

وشطره الأول متفق عليه . انظر : صحيح سنن ابن ماجه رقم (٢٠٨٩) .

* * *

«لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك»*، وشبه ذلك . فأجاب القاضي عياض بأن هذا كله مستقبل لا اعتراض فيه على قدر، ولا كراهة فيه؛ لأنه إنما أخبر عن اعتقاده فيما كان يفعل لولا المانع و«ما هو في قدرته، فأما ما ذهب فليس في قدرته، وكذا قوله: «لو استقبلتُ من أمري ما استدبرتُ ما سقتُ المهدي ولجعلتها عمرة»** فليس من المنهي عنه بل هو إخبار لهم عما كان يفعل في المستقبل لو حصل، ولا خلاف في جواز ذلك، وإنما ينهى عن ذلك في معارضة القدر، أو مع اعتقاد أن ذلك المانع لو ارتفع لوقع خلاف المقدر. انتهى ملخصاً .

* أخرجه البخاري (٨٨٧) .

** أخرجه البخاري (١٦٥١)، ومسلم (١٢١٨) .

باب-٥٨

النهي عن سبِّ الرِّيح^(١)

عن أبي بن كعب رضي الله عنه^(٢) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا تُسبُّوا الرِّيح^(٣) ، فإذا

(١) قوله : « باب النهي عن سبِّ الرِّيح » أي لأنها مأمورة، فسبُّها مسبةٌ لأمرها فيكون إذاً لله كمسبة الدهر، وهو من أفعال أهل الجاهلية .

(٢) قوله : « عن أبي بن كعب » أي ابن عبيد بن زيد بن معاوية بن قيس بن عمرو بن مالك بن النجار الأنصاري الخزرجي أبو المنذر ، صحابي جليل ، وكان من قراء الصحابة وعلمائهم، وله مناقب مشهورة، منها : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له : « إن الله أمرني أن أقرأ عليك ﴿ لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ . قال : وسماني؟ . قال : « نعم » ، فبكى أبي* . قال الهيثم بن عدي : مات سنة تسع عشرة ، وقال خليفة بن خياط في سنة اثنتين وثلاثين. يُقال مات فيها أبي بن كعب ، ويُقال : مات في خلافة عمر . وقيل غير ذلك ، رضي الله عنه ، « أن رسول الله قال : « لا تسبُّوا الرِّيح ، فإذا رأيتم ما تكرهون فقولوا : اللهم إنا نسألك من خير هذه الرِّيح وخير ما فيها، وخير ما أمرت به ، ونعوذ بك من شر هذه الرِّيح وشر ما فيها، وشر ما أمرت به»* . صححه الترمذي .

(٣) قوله « لا تسبُّوا الرِّيح » أي لا تشتموها ولا تلعنوها، فإنها مأمورة فلا يجوز سبُّها ، بل تجب التوبة عند التضمر بها وهو تأديب من الله لعباده وتأديبه رحمةٌ للعباد، فلهذا جاء في حديث أبي هريرة مرفوعاً : « الرِّيح من روح الله تأتي بالرحمة وبالعذاب ، فلا تسبُّوها، ولكن سلوا الله من خيرها ، وتعوذوا بالله من

* أخرجه البخاري (٦٥) ، ومسلم (٤٤) .

* أخرجه أحمد (١٢٣/٥) ، والترمذي (٢٢٥٢) ، والنسائي في عمل اليوم والليلة (٩٣٣) ،

٩٣٤) ، قال الألباني : صحيح ، انظر : الصحيحة (٢٧٥٦) .

رَأَيْتُمْ مَا تَكْرَهُونَ^(١) فَقُولُوا : اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ هَذِهِ الرِّيحِ ، وَخَيْرِ مَا فِيهَا ، وَخَيْرِ مَا أَمْرَتْ بِهِ ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ هَذِهِ الرِّيحِ ، وَشَرِّ مَا فِيهَا ، وَشَرِّ مَا أَمْرَتْ بِهِ . صححه الترمذي .

* * *

شَرُّهَا * . رواه أحمد وأبوداود وابن ماجه .

(١) قوله : « فَإِذَا رَأَيْتُمْ مَا تَكْرَهُونَ » أي من الريح ، إما شدة حرها أو بردها ، أو قوتها فارجعوا إلى ربكم بالتوحيد وقولوا : « اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ هَذِهِ الرِّيحِ وَخَيْرِ مَا فِيهَا وَخَيْرِ مَا أَمْرَتْ بِهِ ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ هَذِهِ الرِّيحِ وَشَرِّ مَا فِيهَا ، وَشَرِّ مَا أَمْرَتْ بِهِ » * ففي هذا عبودية لله وطاعة ولسوله واستدفاعٌ للشَّرِّ ، وتعرضٌ لفضله ونعمته ، وهذه حال أهل التوحيد والإيمان خلافاً لحال أهل الفسوق والعصيان الذين حُرِّموا ذوق طعم التوحيد الذي هو حقيقة الإيمان .

وفيه : النهي عن سب الريح ، والإرشاد إلى الكلام النافع إذا رأى الإنسان ما يكره ، والإرشاد إلى أنها مأمورة ، وأنها قد تُؤمر بخير وقد تُؤمر بشر . قاله المصنف رحمه الله تعالى .

* أخرجه أبوداود (٥٠٩٧) ، وابن ماجه (٣٧٢٧) بسند جيد كما قال النووي وصححه غيره .

انظر : صحيح سنن أبي داود (٣/٩٦٠) رقم (٤٢٥٠) .

** أخرجه الترمذي (٢٢٥٣) وقال : هذا حديث حسن صحيح ، وأحمد (١٢٣/٥) . قال

الألباني : ضعيف . انظر : ضعيف سنن الترمذي (ص/٤٥٩) رقم (٧٠٢) .

(١) باب ٥٩

قول الله تعالى: ﴿يَظُنُّوكَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ﴾^(٢) يَقُولُونَ هَل لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ ﴿ [آل عمران: ١٥٤] الآية .

(١) قوله: «باب قول الله تعالى: ﴿يَظُنُّوكَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ يَقُولُونَ هَل لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ ﴿ الآية » أراد المصنف رحمه الله تعالى بهذه الترجمة التنبيه على وجوب حسن الظن بالله ؛ لأن ذلك من واجبات التوحيد ولذلك ذمَّ الله من أساء الظن به ، لأن مبنى حسن الظن على العلم برحمة الله وعزته وإحسانه وقدرته وعلمه وحسن اختياره وقوة التوكل عليه ، فإذا تم العلم بذلك أثمر له حسن الظن بالله. قاله في «الشرح»*. وقد جاء في الحديث القدسي: «قال الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه حين يذكرني»**. رواه البخاري ومسلم، وعن جابر رضي الله عنه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم قبل موته بثلاثة أيام يقول: «لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله عز وجل»***. رواه مسلم وأبو داود.

(٢) قوله: ﴿يَظُنُّوكَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ هذه الآية نزلت خبر من الله عن المنافقين وما جرى لهم في وقعة أحد فقال تعالى: ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَدِّ السَّمَاءِ سَاقِطًا يُغَسِّقُ رُءُوسَكُمْ وَيُسَبِّحُكُمْ يُخْرِجُكُم مِّنْ أَهْلِكُمْ وَمَيِّمًا يُضَلِّبُكُمْ يُضَلِّبُكُمْ بِأَعْيُنِكُمْ قَوَامًا يُؤْتِيكُمُ الْغُلَامَ السَّامِيَّ يَخْرُجُ فِيكُمْ كَالْغَيْمِ يَصْحَبُكُمْ لَئِن لَّمْ يَظُنُّوكَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَأْتِيكُمْ بِهِمْ لَبِيفًا لِّمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾. لا يغشاهم النعاس من القلق والجزع والخوف على أنفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية من أهل الشرك شكاً في أمر الله وتكديماً لنبيه لما رأوا من الهزيمة على المسلمين بسبب مخالفتهم لأمر الرسول صلى الله عليه وسلم وتركهم الثغر الذي أمرهم بلزومه، فكراً عليهم العدو فقتل من قتل منهم ، وشجاً النبي صلى الله عليه وسلم، وكسرت رباعيته،

* (ص/٥٨٢-٥٨٣).

** أخرجه البخاري (٧٤٠٥)، ومسلم (٢٦٧٥).

*** أخرجه مسلم (٢٨٧٧).

وقوله : ﴿ الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ ﴾ ^(١) [الفتح : ٦] الآية .

فظن المنافقون أنها الفيصلة، وأن الإسلام قد باد أهله فقال مُعْتَبُ بن قشير أخو بني عمرو بن عوف : لو كان لنا من الأمر شيء ما قُتِلنا هاهنا . ولما قيل لعبدالله بن أبي : قُتِل بنواخزرج اليوم . قال : وهل لنا من الأمر شيء؟ . قال ابن القيم رحمه الله تعالى : « فليس مقصودهم بالكلمة الأولى والثانية إثبات القدر وردَّ الأمر كله لله، ولو كان هذا مقصودهم لما ذُوموا ولما حَسُن الرد عليهم بقوله : ﴿ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ ﴾ ، ولا كان هذا الكلام ظن الجاهلية ، ولهذا قال غير واحد من المفسرين : إن ظنهم الباطل هاهنا هو التكذيب بالقدر، وأن الأمر لو كان إليهم وكان الرسول ﷺ وأصحابه تبعاً لهم يسمعون منهم لما أصابهم القتل، وكان النصر والظفر لهم، فكذبهم الله في هذا الظن الباطل الذي هو ظن الجاهلية وهو المنسوب إلى أهل الجهل الذين يزعمون بعد نفاذ القضاء والقدر الذي لم يكن بُد من نفاذه أنهم كانوا قادرين على دفعه، وأن الأمر لو كان إليهم لما نفذ القضاء، فكذبهم الله بقوله : ﴿ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ ﴾ فلا يكون إلا ما سبق به قضاؤه وقدره ، وجرى به قلمه وكتابه السابق .

(١) وقوله : ﴿ الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ ﴾ الآية قال ابن كثير [التفسير ٧/ ٣٢٩] : « يتهمون الله تعالى في حكمه ويظنون بالرسول ﷺ وأصحابه أن يقتلوا ويذهبوا بالكلية، ولهذا قال : ﴿ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَعَصِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ ﴾ أي أبعدهم من رحمته ﴿ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ سَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ ، « قال ابن القيم رحمه الله في الآية الأولى [زاد المعاد ٣/ ٢٢٨] : « فُسر هذا الظن بأنه سبحانه لا ينصر رسوله، وأن أمره سيضمحل، وُفسر بظنهم أن ما أصابهم لم يكن بقدر الله وحكمته، فُفسر بإنكار الحكمة ، وإنكار القدر ؛ وإنكار أن يتم أمرُ رسوله، وأن يظهره على الدين كله . وهذا هو ظنُّ السوء الذي ظنَّه المنافقون والمشركون في سورة الفتح ، وإنما كان هذا ظنُّ السوء لأنه ظنُّ غير ما يليقُ به سبحانه ، وما يليقُ بحكمته وحمده ووعد الصديق، فمن ظنُّ أنه يُدِيلُ الباطل على الحق إدالةً مستمرةً يضمحلُّ معها الحقُّ، أو أنكر أن يكون ما جرى بقضائه وقدره ، أو أنكر

قال ابن القيم في الآية الأولى : « فُسِّرَ هذا الظن بأنه سبحانه لا ينصر رسوله، وأن أمره سيضمحل، وفُسِّرَ بأن ما أصابه لم يكن بقدر الله وحكمته، ففُسِّرَ بإنكار الحكمة، وإنكار القدر؛ وإنكار أن يتم أمرُ رسوله ﷺ وأن يظهره على الدين كله. وهذا هو ظنُّ السوء الذي ظنَّه المنافقون والمشركون في سورة الفتح.

وإنما كان هذا ظنُّ السوء لأنه ظنُّ غير ما يليقُ به سبحانه، وما يليقُ بحكمته وحمده ووعد الصديق، فمن ظنَّ أنه يُدِيلُ الباطلَ على الحقِّ إدالةً مستقرةً يضمحلُّ معها الحقُّ، أو أنكر أن يكون ما جرى بقضائه وقدره، أو أنكر أن يكون قدره بحكمةٍ بالغةٍ يستحقُّ عليها الحمد، بل زعم أن ذلك لمشيئة مجردة، فذلك ظنُّ الذين كفروا، فويلٌ للذين كفروا من النار. وأكثر الناس يظنون بالله ظنَّ السوء فيما يختص بهم^(١) وفيما يفعله بغيرهم، ولا يسلم من ذلك إلا من عرَّفَ الله وأسماءه وصفاته وموجبَ حكمته وحمده^(٢)،

أن يكون قدره لحكمة بالغة يستحقُّ عليها الحمد، بل زعم أن ذلك لمشيئة مجردة، فذلك ظنُّ الذين كفروا، فويلٌ للذين كفروا من النار» وفيه : معرفة تفسير آية آل عمران وتفسير آية الفتح . قاله المصنف رحمه الله تعالى .

(١) قوله : « وأكثر الناس يظنون بالله ظن السوء فيما يختص بهم » بل غالب بني آدم إلا من شاء الله يعتقد أنه مبخوس الحق ناقص الحظ ، وأنه يستحق فوق ما أعطاه الله، ولسان حاله يقول : ظلمي ربي ومنعني ما أستحق، ونفسه تشهد عليه بذلك، وهو بلسانه ينكر ولا يتجاسر على التصريح .

(٢) قوله : « وفيما يفعله بغيرهم ولا يسلم من ذلك إلا من عرف الله وأسماءه وصفاته وموجبَ حكمته وحمده » فإذا رأوا رجلاً صالحاً قد قُتِرَ عليه قالوا : هذا ما يستحق . أو رأوا رجلاً قد وُسِّعَ عليه في الدنيا قالوا : هذا ليس بكفو ؛ قدحاً في

فليعتن اللبيب^(١) الناصحُ لنفسه بهذا ، وليتب إلى الله ويستغفره من ظنه بربه ظنُّ السوء، ولو فُتشتَ من فتشت^(٢) لرأيتَ عنده تعُتُّاً على القدر وملامةً له، وأنه كان ينبغي أن يكون كذا وكذا، فمستقيلٌ ومستكثرٌ ، وفتش نفسك ؛ هل أنت سالم ؟

فإن تُنجُ منها تنجُ من ذي عزيمةٍ وإلا فإني لا إخالك^(٣) ناجياً

القدر واعتراضاً عليه . قال أبو الفرج ابن الجوزي : « وهذه حالة قد شملت خلقاً كثيراً من العلماء والجهال أولهم إبليس ، فإنه نظر بعقله فقال : كيف يفضل الطين على جوهر النار؟ وفي ضمن اعتراضه أن حكمتك قاصرة وأنا أجود، وأتبع إبليس في تفضيله واعتراضه خلقٌ كثير مثل الراوندي والمعري ، ومن قوله :

إذا كان لا يحظى برزقك عاقل وترزق مجنوناً وترزق أحقاً
فلا ذنب يا رب السماء على امرئ رأى منك ما لا يُرتضى فتزندق

(١) قوله : « فليعتن اللبيب » أي العاقل « الناصح لنفسه ، ولا يعترض على ربه في قضائه وقدره، وليتب إلى الله ويستغفره من ظنه بربه ظن السوء » .

(٢) قوله : « ولو فتشت من فتشت » يعني من الناس « لرأيتَ عنده تعُتُّاً على القدر وملامةً له ، وأنه كان ينبغي أن يكون كذا وكذا » أي خلاف ما جرى به القدر «فمستقلٌ ومستكثرٌ» أي مستقل من الاعتراض ومستكثر منه «وفتش نفسك هل أنت سالم ؟» من الاعتراض على قضاء الله وقدره أم لا ؟

فإن تُنجُ منها تنجُ من ذي عزيمةٍ وإلا فإني لا إخالك ناجياً

(٣) قوله : « لا إخالك » بكسر الهمزة ، أي : لا أظنك ، والله درُّ القائل :

فلا تظننَّ بربك ظنَّ سوء فإن الله أولى بالجميل
ولا تظننَّ بنفسك قط خيراً فكيف بظالم جان جهول



[وقل يا نفس ماوى كل سوء
 وظن بنفسك السوء تجدها
 وما بك من ثقى فيها وخير
 وليس لها ولا منها ولكن
 أترجو الخير من ميّتٍ بخيلٍ]
 كذلك وخيرها كالمستحيل
 فتلك مواهب الرب الجليل
 من الرحمن فاشكر للدليل
 وفيه : الإخبار بأن ذلك أنواع لا تُحصر، وأنه لا يسلم من ذلك إلا من عرف
 الأسماء والصفات وعرف نفسه . قاله المصنف رحمه الله تعالى .

٦٠- باب

(١) ما جاء في منكري القدر

وقال ابنُ عمر : والذي نفس ابن عمرَ بيده؛ لو كان لأحدهم مثلَ أحدٍ ذهباً ثم أنفقه في سبيل الله ما قبله الله منه حتى يؤمن بالقدر . ثم استدلَّ بقول النبي ﷺ : « الإيمان أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره » (٢) . رواه مسلم .

(١) قوله : « باب ما جاء في منكري القدر » أي من الوعيد الشديد، قال في «المصباح» : «والقدر بالفتح لا غير القضاء الذي يقدره الله تعالى ، والقدر منشؤه عن علم الرب وقدرته » ، ولهذا قال الإمام أحمد رحمه الله تعالى : القدر هو قدرة الله ، واستحسن ابن عقيل هذا الكلام من أحمد غاية الاستحسان وقال : إنه شفى بهذه الكلمة وأفصح بها عن حقيقة القدر، وإلى هذا أشار العلامة ابن القيم بقوله [الكافية الشافية] :
وحقيقة القدر الذي حار الورى في شأنه هو قدرة الرحمن
واستحسن ابن عقيل ذا من أحمد لما حكاه عن الرضى الرباني
قال الإمام شفى القلوب بلفظة ذات اختصار وهي ذات بيان

قال شيخ الإسلام : وقول الإمام أحمد « القدر قدرة الله » يعني أن مَنْ أنكر القدر فقد أنكر قدرة الله ، وقال ابن عباس رضي الله عنهما : الإيمان بالقدر نظام التوحيد، فمن آمن بالله وكذب بقدره نقض تكذيب توحيده، ومن آمن بالقدر صدق إيمانه توحيده .

(٢) قوله : «وقال ابنُ عمر : والذي نفس ابن عمرَ بيده؛ لو كان لأحدهم مثلَ أحدٍ ذهباً ثم أنفقه في سبيل الله ما قبله الله منه حتى يؤمن بالقدر . ثم استدلَّ بقول النبي ﷺ : « الإيمان أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره »* حديث ابن عمر هذا أخرجه مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي

* أخرجه مسلم (٨) .

وابن ماجه، فالإيمان بالله : هو التصديق بأنه سبحانه وتعالى موجود موصوف بصفات الجلال والكمال، منزّه عن صفات النقص، وأنه فرد صمد خالق جميع المخلوقات ، متصرف فيها بما يشاء ، يفعل في ملكه ما يريد . والإيمان بالملائكة : هو التصديق بعبوديتهم لله ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿١٧٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿١٧٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴿١٧٨﴾﴾ [الأنبياء: ٢٦-٢٨] . والإيمان بالرسول : هو التصديق بأنهم صادقون فيما أخبروا به عن الله تعالى ، أيدهم الله بالمعجزات الدالة على صدقهم، وأنهم بلغوا عن الله رسالاته، ويؤثرون للمكلفين ما أمرهم الله به، وأنه يجب احترامهم وأن لا يُفرق بين أحدٍ منهم . والإيمان باليوم الآخر : هو التصديق بيوم القيامة وما اشتمل عليه من الإعادة بعد الموت والنشر والحشر والحساب والميزان والصراط والجنة والنار، وأنهما دار ثوابه وعقابه للمحسنين والمسيئين ، إلى غير ذلك مما صح به النقل ، والإيمان بالقدر : هو التصديق بما دلّ عليه قوله : ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصفات: ٩٦] ، وقوله : ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْتَهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩] وكلام ابن عمر هذا أراد به غلاة القدرية المنكرين أن يكون الله عالماً بشيء من أعمال العباد قبل وقوعها منهم ، وإنما يعلمها بعد كونها . قال القرطبي : ولا شك في تكفير من يذهب إلى ذلك، فإنه جحد معلوماً من الشرع بالضرورة؛ لذلك تبرأ منهم ابن عمر وأفتى بأنه لا تُقبل منهم أعمالهم ونفقاتهم. وقال شيخ الإسلام [الفتاوى ٤٤٩/٨-٤٥٠]: «مذهب أهل السنة في هذا الباب وغيره ما دلّ عليه الكتاب والسنة، وكان عليه السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان ، وهو أن الله خالق كل شيء وربّه ومليكه، وقد دخل في ذلك جميع الأعيان القائمة بأنفسها وصفاتها القائمة بها من أفعال العباد وغير أفعال العباد، وأنه سبحانه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ، فلا يكون في الوجود شيء إلا بمشيئته وقدرته، ولا يمتنع عليه شيء شاء؛ بل هو قادر على كل شيء، ولا يشاء شيئاً إلا هو قادر عليه، وأنه سبحانه يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون، وقد دخل في ذلك أفعال

العباد وغيرها، وقد قَدَّرَ مقادير الخلائق قبل أن يخلقهم، وقَدَّرَ أرزاقهم وأجالهم وأعمالهم وكتب ما يصيرون إليه من شقاوة وسعادة ، فهم يؤمنون بخلقه لكل شيء وقدرته على كل شيء ومشيتته لكل ما كان ، وعلمه بالأشياء قبل أن تكون، وتقديره لها وكتابه إياها قبل أن تكون . « وقد سئل الشافعي رحمه الله عن القدر فقال :
 فما شئتَ كان وإن لم أشأ وما شئتُ إن لم تشأ لم يكن
 خلقتَ العباد على ما علمتَ ففي العلم يجري الفتى والمسن
 على ذا مننتَ وهذا خذلتَ وهذا أعنتَ وذا لم تُعن
 فمنهم شقي ومنهم سعيد ومنهم قبيح ومنهم حسن
 والإيمان بالقدر على درجتين :

إحدهما : الإيمان بأن الله تعالى سبق في علمه ما يعمل العباد من خير وشر وطاعة ومعصية قبل خلقهم، ومن هو منهم من أهل الجنة، ومن هو منهم أهل النار، وأعد لهم الثواب والعقاب وكتب ذلك، وأن أعمال العباد تجري على ما سبق في علمه وكتابه ، وهذه الدرجة أثبتها كثير من القدرية ونفاها غلاتهم كمعبد الجهني وعمرو بن عبيد وغيرهما. وقد قال كثير من أئمة السلف : « ناظروهم - يعني القدرية - بالعلم فإن أقرُّوا به خُصِّموا، وإن جحدوا كفروا .» يريدون أن من أنكر العلم القديم السابق بأفعال العباد، وأن الله قسمهم قبل خلقهم إلى شقي وسعيد ، وكتب ذلك عنده في كتاب حفيظ ، فقد كذب بالقرآن فيكفر بذلك ، وإن أقرُّوا بذلك وأنكروا أن الله خلق أفعال العباد وشاءها منهم وأرادها إرادة كونية قدرية فقد خُصِّموا؛ لأن ما أقرُّوا به حجة عليهم فيما أنكروه .

والدرجة الثانية : أن الله خلق أفعال العباد كلها من الكفر والإيمان والطاعة والعصيان وشاءها منهم ، وفي تكفير هؤلاء نزاعٌ مشهور بين العلماء .

وعن عبادة بن الصامت^(١) أنه قال لابنه^(٢) : يا بني ، إنك لن تجد طعمَ الإيمان حتى^(٣) تعلمَ أن ما أصابك لم يكن ليخطئك ، وما أخطأك لم يكن ليصيبك . سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « إن أولَ ما خلق الله القلم^(٤) » ، فقال

(١) قوله : « وعن عبادة بن الصامت أنه قال لابنه : يا بني ، إنك لن تجد طعمَ الإيمان حتى تعلمَ أن ما أصابك لم يكن ليخطئك ، وما أخطأك لم يكن ليصيبك . سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « إن أولَ ما خلق الله القلم ، فقال له : اكتب . فقال : ربُّ وماذا أكتب ؟ قال : اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة » . يا بني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « مَنْ مات على غير هذا فليس مني »* . أورد المصنف رحمه الله حديث عبادة هذا ولم يعزه . وقد رواه أبو داود مختصراً والترمذي ، ورواه الإمام أحمد مطولاً .

(٢) قوله : « أنه قال لابنه » هو الوليد بن عبادة كما جاء مصرحاً به في رواية الترمذي .
(٣) قوله : « إنك لن تجد طعمَ الإيمان حتى » إلى آخره . فيه : بيان فرض الإيمان بالقدر ، وبيان كيفية الإيمان به ، وإحباط عمل من لم يؤمن به والإخبار أن أحداً لا يجد طعم الإيمان حتى يؤمن به . قاله المصنف . وأن من لم يؤمن بالقدر بأن يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه لا يجد طعم الإيمان . وفيه : براءته ﷺ عن لم يؤمن بالقدر . قاله المصنف رحمه الله .

(٤) قوله : « سمعت رسول الله ﷺ يقول : « أول ما خلق الله القلم » وفي رواية لأحمد : « إن أول ما خلق الله القلم فقال له : اكتب ، فجرى في تلك الساعة بما هو كائن إلى يوم القيامة »** . وفيه : ذكر أول ما خلق الله وأنه جرى بالمقادير في تلك الساعة إلى يوم القيامة . قاله المصنف رحمه الله . قال الحافظ ابن حجر : « حكى أبو العلاء الهمداني للعلماء قولين في أيهما خلق أولاً : العرش أو القلم ؟ . قال : والأكثر

* أخرجه أبو داود (٤٧٠٠) ، والترمذي (٢١٥٥) ، وأحمد (٣١٧/٥) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٨٩١/٣) .

** أخرجه أحمد (٣١٧/٥) ، وابن أبي عاصم (١٠٧) .

له : اكتب. فقال : ربُّ وماذا أكتب؟ قال : اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة». يا بني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : «مَنْ مات على غير هذا فليس مني» .

وفي رواية لأحمد : « إن أول ما خلق الله تعالى القلمُ فقال له : اكتب، فجرى في تلك الساعة بما هو كائنٌ إلى يوم القيامة » .

وفي رواية لابن وهب^(١) : قال رسول الله ﷺ : « فمن لم يؤمن بالقدر خيره

على سبق خلق العرش ، واختار ابن جرير ومن تبعه الثاني . روى ابن أبي حاتم من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : « خلق الله اللوحَ المحفوظ مسيرة خمسمائة عام، فقال للقلم قبل أن يخلق الخلق وهو على العرش : اكتب . فقال : وما أكتب؟ قال : علمي في خلقي إلى يوم القيامة». ذكره في تفسير سورة «سبحان»، وليس فيه سبق خلق القلم على العرش بل فيه سبق العرش . وقد أشار العلامة ابن القيم إلى هذا الخلاف في قصيدته « الكافية الشافية » [٩٦] فقال :

| | |
|------------------------------|-------------------------------|
| والناس مختلفون في القلم الذي | كُتِبَ القضاء به من الرحمن* |
| هل كان قبل العرش أو هو بعده | قولان عند أبي العلاء الهمداني |
| والحق أن العرش قبل لأنه | قبل الكتابة كان ذا أركان |
| وكتابة القلم الشريف تعقبت | إيجاده من غير فصل زمان |
| لما براه الله قال : اكتب كذا | فغدا بأمر الله ذا جريان |

(١) قوله : « وفي رواية لابن وهب » وهو الإمام الحافظ عبدالله بن وهب بن مسلم القرشي، مولا هم ، المصري الفقيه ، ثقة إمام مشهور عابد ، له مصنفات منها الجامع وغيره ، مات سنة سبع وتسعين ومائة وله اثنتان وسبعون سنة .

وشره أحرقه الله بالنار»^(١) .

وفي المسند^(٢) والسنن عن ابن الديلمي^(٣) قال : أتيتُ أبيَّ بن كعب فقلت : في نفسي شيء من القدر، فحدثني بشيء لعلَّ الله يُذهبه من قلبي .

(١) قوله : « قال رسول الله ﷺ : « فمن لم يؤمن بالقدر خيره وشره أحرقه الله بالنار »*
أي : لكفره، أو بدعته إن كان ممن يُقرّ بالعلم السابق وينكر خلق أفعال العباد ، فإن صاحب البدعة معرضٌ للوعيد كأصحاب الكبائر، بل أعظم . قاله في «الشرح»** .
(٢) قوله : « وفي المسند » أي مسند الإمام أحمد « والسنن » أي سنن أبي داود وابن ماجه .

(٣) قوله : « عن ابن الديلمي » وهو عبدالله بن فيروز الديلمي، وفيروز قاتل الأسود العنسي الكذاب، وعبدالله هذا ثقة من كبار التابعين، بل ذكره بعضهم في الصحابة ، والديلمي نسبة إلى جبل الديلم ، وهو من أبناء فارس الذين بعثهم كسرى إلى اليمن « قال : أتيتُ أبيَّ بن كعب فقلت : في نفسي شيء من القدر، فحدثني بشيء لعلَّ الله يُذهبه من قلبي ، فقال : لو أنفقتَ مثلَ أحدٍ ذهباً ما قبله الله منك حتى تؤمن بالقدر، وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك ، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، ولو مُت على غير هذا لكنتَ من أهل النار . قال : فأتيتُ عبدالله بن مسعود وحذيفة بن اليمان وزيد بن ثابت ، كلهم حدثني بمثل ذلك عن النبي ﷺ . حديث صحيح، رواه الحاكم في صحيحه «*** . وفي رواية ابن ماجه زيادة اختصرها المصنف وهي : « لو أن الله عذب أهل سمواته وأهل أرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم ، ولو رحمهم لكانت رحمة خيراً لهم من أعمالهم » . وفيه : عادة

* أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (١١١) وصححه الألباني .

** (ص/٦٠٦) .

*** أخرجه أحمد (١٨٢/٥ ، ١٨٥ ، ١٨٩) ، وأبوداود (٤٦٩٩) ، وابن ماجه (٧٧) . قال

الألباني : صحيح ، انظر : سنن أبي داود (٨٩٠/٣) رقم (٣٩٣٢) .

فقال : لو أنفقتَ مثلَ أحدِ ذهباً ما قبله الله منك حتى تؤمن بالقدر، وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك ، وما أخطأك لم يكن ليصيبك ، ولو مُت على غير هذا لكنتَ من أهل النار . قال : فأتيتُ عبدالله بن مسعود وحذيفة بن اليمان وزيد بن ثابت ، فكلُّهم حدثني بمثل ذلك عن النبي ﷺ .
حديث صحيح، رواه الحاكم في صحيحه .



السلف في إزالة الشبهة بسؤال العلماء ، وأن العلماء أجابوه بما يُزيل الشبهة، وذلك أنهم نسبوا الكلام إلى رسول الله ﷺ فقط . قاله المصنف رحمه الله تعالى .
قال ابن القيم رحمه الله تعالى : « وهما أمرٌ يجب التنبيه عليه والتنبه له، وبمعرفة نزول إشكالات كثيرة تعرض لمن لم يحط به علماً : وهو أن الله سبحانه له الخلقُ والأمر ، وأمره سبحانه نوعان : أمرٌ كوني قدرى ، وأمرٌ ديني شرعي . فمشيئته سبحانه متعلقه بخلقه وأمره الكوني، وأما محبته ورضاه فمتعلقة بأمره الديني وشرعه الذي شرَّعه على السنة رسله ، فما وجد منه تعلق به المحبة والمشية جميعاً فهو محبوب للرب واقع بمشيئته، وما لم يوجد منه تعلق به محبته وأمره الديني ولم تعلق به مشيئته، وما وجد من الكفر والفسوق والمعاصي تعلق به مشيئته ولم تعلق به محبته ولا رضاه ولا أمره الديني ، وما لم يوجد منها لم تعلق به مشيئته ولا محبته ، فلفظ المشية كوني، ولفظ المحبة ديني شرعي، ولفظ الإرادة ينقسم إلى إرادة كونية فتكون هي المشية ، وإرادة دينية فتكون هي المحبة » . انتهى .
وقال أيضاً : « وهو يُعاقب الخلق على مخالفة أمره وإرادته الشرعية وإن كان ذلك بإرادته القدرية، فإن القدر كما جرى بالمعصية جرى أيضاً بعقابها » . انتهى .

٦١-باب

ما جاء في المصورين^(١)

عن أبي هريرة رضي الله عنه^(٢) قال : قال رسول الله ﷺ : « قال الله تعالى : وَمَنْ أَظْلَمُ مِنْ ذَهَبٍ يَخْلُقُ كَخَلْقِي^(٣) ، فليخلقوا ذرةً ، أو ليخلقوا حبةً ، أو ليخلقوا شعيرةً » أخرجاه .

ولهما^(٤) عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال : « أشدُّ

(١) قوله : « باب ما جاء في المصورين » أي من الوعيد .

(٢) قوله : « عن أبي هريرة رضي الله عنه » قال رسول الله ﷺ : « قال الله تعالى : وَمَنْ أَظْلَمُ

مَنْ ذَهَبٍ يَخْلُقُ كَخَلْقِي ، فليخلقوا ذرةً ، أو ليخلقوا حبةً ، أو ليخلقوا شعيرةً » أخرجاه* .

هذا من الأحاديث القدسية التي يرويها النبي ﷺ عن جبريل عن ربه تبارك وتعالى .

(٣) قوله : « وَمَنْ أَظْلَمُ مَنْ ذَهَبٍ يَخْلُقُ كَخَلْقِي » فلا أظلم من المصورين الذين

عملوا صوراً تشبه خلق الله عز وجل ؛ لأنه تعالى هو الخالق البارئ المصور وهم

بعملهم قد نازعوه في أسمائه ، وتشبهوا به في صفات ربوبيته حيث عملوا ما

يضاهي خلقه ، ولذا تحدّاهم تعالى بقوله : « فليخلقوا ذرةً » فيها روح تتصرف

بنفسها كمثل ما خلق الله من ذوات الأرواح ، « أو ليخلقوا حبةً ، أو ليخلقوا

شعيرةً » مثل ما خلق الله من النباتات التي تُزرع وتنمو وتحيا بالماء ، فإن للنبات

حياة تخصه وهي النمو والزيادة كما للحيوان حياة تخصه وهي النمو والحركة ،

فنبّه بالذرة والحبة والشعيرة على ما هو أعظم منها وأكبر ، فإنهم لا يستطيعون

ذلك بل هم عاجزون عنه .

وقوله : « أخرجاه » أي البخاري ومسلم .

(٤) قوله : « ولهما » أي البخاري ومسلم « عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أن

* أخرجه البخاري (٥٩٥٣) و (٧٥٥٩) ، ومسلم (٢١١١) .

الناسِ عذاباً يومَ القيامة الذين يُضاهون بِمَخْلَقِ اللَّهِ» .

ولهما عن ابن عباس : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « كل مصور في النار، يُجعل له بكل صورة صورها نفس يُعذب بها في جهنم » .
ولهما عنه ^(١) مرفوعاً : « من صورَ صورةً في الدنيا كُفِّ أن ينفخ فيها الروح، وليس بنافع » .

رسول الله ﷺ قال : « أشد الناس عذاباً يوم القيامة الذين يضاهون بِمَخْلَقِ اللَّهِ »*
قال في « النهاية » : أراد المصورين، والمضاهاة المشابهة، وقد تُهمز ، فالمصور لما صور الصورة على مثل ما خلق الله صار مضاهناً لخلق الله فكان أشد الناس عذاباً ؛ لأن ذنبه من أعظم الذنوب. وأما قول من قال هذا محمول على صانع الصورة لتعبد ، فهذا تخصيص لكلام النبوة بغير دليل؛ بل يردُّه قوله في نفس الحديث : «يضاهون خلق الله» فذكر العلة وهي المضاهاة . وأما قوله : وقيل هو فيمن قصد المضاهاة واعتقد ذلك فهذا الاعتقاد الذي اشترطه تقييد للحديث مردود؛ لأنه من المعلوم لدى كل ذي عقل سليم أن المصور إنما قصد بعمل الصورة نفس مضاهاة خلق الله أي مشابهته، ولا يخطر بباله سوء ذلك ولكن بمثل هذه المحامل التي لا تتحمل والقيود التي لا دليل عليها والتأويلات التي هي صرف اللفظ عن ظاهره أو هتئوا دلالة الأحاديث عند ضعف البصائر وجنوا على الشريعة، وصار ما قالوه حجة لكل مبطل فلا حول ولا قوة إلا بالله .

(١) قوله « ولهما » أي البخاري ومسلم « عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « كل مصور في النار ، يُجعل له بكل صورة صورها نفس يُعذب بها في جهنم »** ، ولهما عنه مرفوعاً : « من صورَ صورةً في

* أخرجه البخاري (٢٤٧٩) و (٥٩٥٤، ٥٩٥٥) و (٥٩٦١)، ومسلم (٢١٠٧) .

** أخرجه البخاري (٢٢٢٥) و (٥٩٦٣) و (٧٠٤٢)، ومسلم (٢١١٠) .

الدنيا كُلف أن ينفخ فيها الروح، وليس بنافخ* . وفيه: التغليظ الشديد في المصورين والتنبيه على العلة وهو ترك الأدب مع الله لقوله: « ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي » ، والتنبيه على قدرته وعجزهم لقوله: « فليخلقوا ذرة أو حبة أو شعيرة » ، والتصريح بأنهم أشد الناس عذاباً ، وأن الله يخلق بعدد كل صورة نفساً يُعذب بها في جهنم ، وأنه يُكلف أن ينفخ فيها الروح . قاله المصنف رحمه الله . واعلم أن التعليل في أحاديث التصوير قد ورد بألفاظ متعددة ، فعمل في بعضها بالمضاهاة يعني المشابهة، وفي بعضها بتكليفه بأن ينفخ فيها الروح ، وفي بعضها بقوله: « احيوا ما خلقتم » فاما التعليل بالمضاهاة والإحياء فيقتضي تحريم تصوير ما خلق الله من حيوان ونبات لوجود المضاهاة والحياة . قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا﴾ [الأنبياء: ٣٠] ، فإن للنبات حياة تخصه وهي النمو والزيادة، كما أن للحيوان حياة تخصه وهي النمو والحركة ، ولقوله: « فليخلقوا ذرة أو ليخلقوا حبة أو ليخلقوا شعيرة » وبهذا قال مجاهد بن جبر إمام التفسير وراوي ابن عباس ، وسواء كانت صورة كاملة أو بعض صورة حتى الرأس والكف لحصول المضاهاة بذلك، وقوله في بعض الروايات « يجعل له بكل صورة نفس يُعذب بها » وتكليفه في الرواية الأخرى بأن ينفخ فيها الروح لا ينفي تحريم ما علته المضاهاة والحياة وإلا لم يكن للتعليل بذلك فائدة . وأما ما احتج به من أراد استحلال ما حرم الله من أن الصورة الشمسية ليست من الصور المحرمة بحجة أنها مسك للظل كما يرى الناظر صورته في المرآة فهذا غير صحيح؛ لأن ما يبدو في المرآة صورة غير ثابتة ولا صنع للناظر فيها ولا يُسمى الناظر مصوراً، ولا تُسمى صورة لغة ولا شرعاً ولا عرفاً ، وأما الصورة الشمسية فلا يشك من له أدنى معرفة بأحكام الشرع وعِلله أنها من جملة الصور المحرمة ؛ لأنها لا تتأني إلا

* أخرجه البخاري (٥٩٦٣) ، ومسلم (٢١١٠) .

ومسلم عن أبي الهياج^(١) قال : قال لي عليٌّ : ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسولُ الله ﷺ : ألا تدعَ صورةً إلا طمسَها، ولا قبراً مشرفاً إلا سوَّيته .

بالآلة المخصوصة التي صنعت لها وعمل من المصور بوضعها في مواد التحميص لتكون ثابتة وملونة فهي صورة حقيقة، وعاملها يُسمى مصوراً لغة وشرعاً وعرفاً، والتصوير محرم سواء كانت الصورة لها شخص متصب، أو كانت منقوشة في سقف أو جدار، أو موضوعة في نمط أو في نقد، أو منسوجة في ثوب أو بساط أو مكان، وسواء كانت من شمع أو عجين أو حلاوة أو غير ذلك، فإن قضية العموم تأتي على ذلك كله .

(١) قوله : «ومسلم عن أبي الهياج الأسدي» واسمه حبان بن حصين قال : قال لي عليٌّ : ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسولُ الله ﷺ : ألا تدعَ صورةً إلا طمسَها، ولا قبراً مشرفاً إلا سوَّيته» * فدل هذا الحديث على إتلاف الصورة لمن قدر على إتلافها، وإزالتها لمضاهاتها لخلق الله، وطمسها إن كانت غير مجسمة، وتسوية القبور المشرفة لما في تعليتها من الفتنة بأربابها وتعظيمها، وهو من ذرائع الشرك ووسائله، فصرف الهمم إلى هذا وأمثاله من مصالح الدين ومقاصده وواجباته . ولما وقع التساهل في هذه الأمور وقع المحذور، وعظمت الفتنة بأرباب القبور، وصارت محطاً لرحال العابدين المعظمين لها فصرفوا لها جُلَّ العبادة من : الدعاء والاستغاثة والاستعانة، والتضرع لها، والذبح والنذور وغير ذلك من كل شركٍ محظور. قاله في «الشرح» **. قال ابن القيم رحمه الله تعالى [إغاثة اللهفان / ١ : ٢١٤-٢١٥] : « ومن جمع بين سنة رسول الله ﷺ في القبور وما أمر به ونهى عنه وما كان عليه أصحابه وبين ما عليه أكثر الناس اليوم رأي أحدهما مضاداً للآخر

* أخرجه مسلم (٩٦٩) .

** من فتح المجيد وليس التيسير (٧٩٩/٢) .



مناقضاً له :

فنهى عن الصلاة إلى القبور وهؤلاء يصلون عندها وإليها .
 ونهى عن اتخاذها مساجد ، وهؤلاء ينون المساجد عليها ويسمونها مشاهد
 مضاهاة لبيوت الله .
 ونهى عن إيقاد السُّرج عليها، وهؤلاء يوقفون الوقوف على إيقاد القناديل
 عليها.
 ونهى أن تتخذ أعياداً ، وهؤلاء يتخذونها أعياداً ومناسك ويجتمعون لها
 كاجتماعهم للعيد أو أكثر .
 وأمر بتسويتها كما في حديث أبي الهياج وفضالة ابن عبيد ، وهؤلاء يبالغون في
 مخالفة هذين الحديثين ويرفعونها عن الأرض كالبيت ويعقدون عليها القباب .
 ونهى عن تجصيصها والبناء عليها والكتابة عليها، وهؤلاء يتخذون عليها الألواح
 ويكتبون عليها القرآن وغيره . انتهى ملخصاً .
 وقيد الأمر بطمس الصور إذا وُجدت . قاله المصنف رحمه الله تعالى .

باب - ٦٢

ما جاء في كثرة الحلف (١)

وقول الله تعالى : ﴿ وَأَحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ ﴾ (٢) [المائدة : ٨٩] .

عن أبي هريرة (٣) قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « الحَلِفُ مَنْفَقَةٌ لِلسَّلْعَةِ ، مَمْحَقَةٌ لِلْكَسْبِ » . أخرجاه .

(١) قوله : « باب ما جاء في كثرة الحلف » أي من النهي عنه والوعيد عليه .
 (٢) قوله : « وقول الله تعالى : ﴿ وَأَحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ ﴾ ذكر غير واحد من المفسرين عن ابن عباس : يريد لا تحلفوا . وهذا هو الشاهد من الآية للترجمة ، قال في «فتح المجيد»* : وهو المعنى الذي أراد المصنف من الآية ، وقال آخرون : احفظوا أيمانكم عن الحنث فلا تحثوا . وقال ابن جرير : لا تتركوها بغير تكفير ؛ لأنه يلزم من كثرة الحلف كثرة الحنث ، مع ما في ذلك من الاستخفاف بعظمة الله ، وهذا مما ينافي كمال التوحيد الواجب أو عدمه . قاله في «فتح المجيد»** . وفيه : الوصية بحفظ الأيمان . قاله المصنف رحمه الله .

(٣) قوله : « وعن أبي هريرة : قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : الحلف منفقة للسلعة ، محقة للكسب » أخرجاه*** . أي البخاري ومسلم ، وأخرجه أبو داود والنسائي .
 قوله : « الحلف منفقة للسلعة » أي مظنة لنفاقها ورواجها عند المشتري ، فإذا حلف أنه أعطى بها كذا أو أنه اشتراها بكذا ظنه صادقاً فيأخذها بزيادة على ما ذكره .

وقوله : « محقة للكسب » أي مظنة لمحق الكسب ، فإنه يحلف بالله كاذباً قد عصى الله فيعاقب بمحق البركة ، فإذا ذهبت بركة كسبه دخل عليه من النقص أعظم من تلك الزيادة التي دخلت عليه بسبب حلفه ، وربما ذهب ثمن تلك السلعة رأساً ،

* (٨٠٩/٢) .

** (٨٠٩/٢) .

*** أخرجه البخاري (٢٠٨٧) ، ومسلم (١٦٠٦) .

وعن سلمان^(١) أن رسول الله ﷺ قال: «ثلاثة لا يكلمهم الله^(٢) ولا يُزكّهم

فإن ما عند الله لا ينال إلا بطاعته ، وإن تزخرت الدنيا للعاصي فعاقبتها
اضمحلال وذهاب وعقاب . قاله في « فتح المجيد »* . وفيه : الإخبار بأن الحلف
منفقة للسُّلعة ممحقة للكسب . قاله المصنف .

(١) قوله : « وعن سلمان ؓ أن رسول الله ﷺ قال : « ثلاثة لا يكلمهم الله ولا
يزكّهم ولهم عذاب أليم : أشميط زان، وعائل مستكبر، ورجل جعل الله بضاعته
لا يشتري إلا يمينه ، ولا يبيع إلا يمينه » . ورواه الطبراني بسند صحيح* سلمان
لعله سلمان الفارسي أبو عبد الله ، أسلم مقدم النبي ﷺ المدينة وشهد الخندق ،
روى عنه أبو عثمان النهدي وشرحبيل بن السمط وغيرهما ، قال النبي ﷺ :
« سلمان منا أهل البيت ، إن الله يحب من أصحابي أربعة : علياً وأباذر وسلمان
والمقداد»** . أخرجه الترمذي ، توفي في خلافة عثمان ؓ ، ويحتمل أنه سلمان
ابن عامر بن أوس الضبي .

(٢) قوله : « إن رسول الله ﷺ قال : « ثلاثة لا يكلمهم الله » هذا وعيد شديد في
حقهم ، ونفي كلامه تعالى وتقدس عن هؤلاء العصاة دليل على أنه يكلم من
أطاعه ويكلمونه في عرصات القيامة ، وأن الكلام صفة من صفات كماله ، والأدلة
على ذلك من الكتاب والسنة أظهر شيء وأبينه . وفيه : الرد على الجهمية
والأشاعرة نفاة الكلام . قال في « فتح المجيد »*** : « والذي عليه أهل السنة والجماعة
من المحققين قيام الأفعال بالله سبحانه ، وأن الفعل يقع بمشيئته تعالى وقدرته شيئاً
فشيئاً ، ولم يزل متصفاً به . فهو حادث الأحاد ، قديم النوع ، كما يقول ذلك أئمة

* أخرجه الطبراني في الكبير رقم (٦١١١) ، وفي الصغير (٢١/٢) ، وفي الأوسط (١٦٦) -

جمع البحرين) ، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٣٠٧٢) .

** رواه الطبراني في الكبير (٢٦٠-٢٦١) ، والحاكم (٣/٥٩٨) . قال الألباني : ضعيف جداً ، وذكر

أنه يصح موقوفاً على علي ؓ . انظر : ضعيف الجامع (٣٢٧٢) ، والضعيفة (٣٧٠٤) .

*** (٨١١/٢) - (٨١٢) .

ولهم عذابٌ أليمٌ^(١) : أشميطُ زانٍ^(٢) ، وعائلٌ مستكبرٌ^(٣) ، ورجلٌ جعل اللهُ بضاعته^(٤) ، لا يشتري إلا بيمينه ، ولا يبيع إلا بيمينه» . رواه الطبراني بسند صحيح .

وفي الصحيح^(٥) عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «خيرٌ

أصحاب الحديث ، وغيرهم من أصحاب الشافعي ، وأحمد ، وسائر الطوائف ، كما قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ سَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [يس : ٨٢] ، فأتى بالحروف الدالة على الاستقبال ، والأفعال الدالة على الحال والاستقبال أيضاً . وذلك في القرآن كثير . انتهى .

(١) قوله : « ولا يزيكهم » أي لا يطهرهم « ولهم عذاب أليم » لما عظم ذنبهم عظمت عقوبتهم ، فعوقبوا بهذه الثلاث التي هي من أعظم العقوبات .

(٢) قوله : « أشميطُ زانٍ » صغره تحقيراً له ، والأشمط الذي قد اختلط شعره الأبيض بالأسود ؛ لأن داعي المعصية قد ضعف في حقه فدل على أن الحامل له على الزنا محبته المعصية والفجور وعدم خشية الله عز وجل .

(٣) قوله : « وعائلٌ مستكبرٌ » أي فقير ؛ لأنه لا داعي له إلى الكبر ، فإن الكبر إنما يحمل عليه في الغالب كثرة المال والنعم والرياسة ، فاستكباره مع عدم الداعي يدل على أن الكبر طبيعة له ، كامن في قلبه . وفيه : أن الذنب يعظم مع قلة الداعي . قاله المصنف .

(٤) قوله : « ورجلٌ جعل اللهُ بضاعته » بنصب الاسم الشريف أي الحلف به جعله بضاعته لكثرة استعماله اليمين في بيعه وشرائه ، وهذا هو الشاهد من الحديث للترجمة . وفيه : الوعيد الشديد فيمن لا يبيع ولا يشتري إلا بيمينه . قاله المصنف رحمه الله .

(٥) قوله : « وفي الصحيح » أي صحيح مسلم عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «خيرٌ أمتي قرني ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم» . قال عمران :

أمي قرني^(١) ، ثم اللين يلونهم ، ثم اللين يلونهم » . قال عمران : فلا أدري

فلا أدري أذكرَ بعد قرنه مرتين أو ثلاثاً ، « ثم إن بعدكم قوماً يشهدون ولا يُستشهدون ، ويخونون ولا يُؤتمنون ، وينلدرون ولا يُوفون ، ويظهر فيهم السُّمْنُ »* . وأخرجه البخاري وأبو داود والترمذي .

(١) قوله : « قال رسول الله : « خير أمي قرني » ولفظ البخاري : « خيركم قرني » قال في « النهاية » [٤٥/٤] : « والقرن أهل كل زمان ، وهو مقدار التوسط في أعمار أهل كل زمان مأخوذ من الاقتران ، وكأنه المقدار الذي يقترن فيه أهل ذلك الزمان في أعمارهم وأحوالهم » . وقيل القرن أربعون سنة ، وقيل ثمانون ، وقيل مائة سنة ، وقيل هو مطلق من الزمان ، بدأ ﷺ بقرنه لفضيلة أهل ذلك القرن في العلم والإيمان والأعمال الصالحة ، ولذا لم يعرف فيهم - والله الحمد - من تعدد الكذب على النبي ﷺ ، كما لم يعرف فيهم من كان من أهل البدع المعروفة كبدعة الخوارج والرافضة والقدرية والمرجئة . قال الشافعي رحمه الله تعالى : « وقد أثنى الله على الصحابة في القرآن والتوراة والإنجيل وسبق لهم من الفضل على لسان نبيهم ما ليس لأحد بعدهم » . وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تسبوا أصحابي ، فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مدَّ أحدكم ولا نصيفه»** . وقال ابن مسعود : إن الله نظر في قلوب عباده فوجد قلب محمد خير قلوب العباد ، ثم نظر في قلوب الناس بعده فرأى قلوب أصحابه خير قلوب العباد فاخترهم لصحبته ، وجعلهم أنصار دينه ووزراء نبيه . وقال ابن الحاج في « المدخل » : « فالقرن الأول خصهم الله عز وجل بخصوصيته لا سبيل لأحد أن يلحق غبار أحدهم فضلاً عن عمله ؛ لأن الله عز وجل قد خصَّهم برؤية نبيه عليه الصلاة والسلام ومشاهدته ونزول القرآن عليه غضاً طرياً يتلقونه من في النبي ﷺ حين

* أخرجه البخاري (٢٦٥١) و(٣٦٥٠) و(٦٤٢٨) ، ومسلم (٢٥٣٥) .

** أخرجه البخاري (٣٦٧٣) ، ومسلم (٢٥٤٠) .

أذكَرَ بعد قرنه مرتين أو ثلاثاً^(١)، «ثم إن بعدكم قوماً يشهلون ولا يُستشهدون،

يتلقاه من جبريل عليه السلام، وخصَّهم بالقتال بين يدي نبيه ونصرته وحمايته، وإذلال الكفر وإخماده، ورفع منار الإسلام وإعلانه، وحفظهم القرآن الذي كان ينزل نجوماً فأهلهم الله لحفظه حتى لم يضع منه حرف واحد، فجمعوه وسرَّوه لمن بعدهم وفتحوا البلاد والأقاليم للمسلمين ومهدوها لهم، وحفظوا أحاديث نبيهم عليه الصلاة والسلام في صدورهم وأثبتوها على ما ينبغي من عدم اللحن واللغظ والسهو والغفلة، فوضعهم في الحفظ والضبط لا يمكن الإحاطة به ولا يصل إليه أحد، فجزاهم الله عن أمة نبيه خيراً، لقد أخلصوا لله الدعوة، ودُّبوا عن دينه بالحُجَّة». انتهى ملخصاً.

قوله: «ثم الذين يلونهم» أي قرن التابعين، فضَّلوا على من بعدهم لظهور الإسلام فيهم وكثرة الداعي إليه والراغب فيه، وما ظهر فيهم من البدع أنكر وأزبل كبدعة الخوارج والقدرية والرافضة، فهذه البدع وإن كانت قد ظهرت فيه فأهلها في غاية الذل والهوان والقتل لمن عاند منهم ولم يتب.

(١) قوله: «ثم الذين يلونهم» فلا أحري أذكر بعد قرنه مرتين أو ثلاثاً». هذا شك من راوي الحديث عمران بن حصين، قال القرطبي: «ما شك فيه عمران تحقيقه في حديث ابن مسعود حيث ذكر بعد قرنه ثلاثاً». انتهى. والمشهور في الروايات أن القرون المفضلة ثلاثة، والثالث دون الأولين في الفضل لكثرة البدع فيه، لكن العلماء متوافرون والإسلام فيه ظاهر والجهاد فيه قائم، ثم ذكر ما يقع بعد القرون الثلاثة من الجفاء في الدين وكثرة الأهواء. وفيه: ثناؤه ﷺ على القرون الثلاثة أو الأربعة، وذكر ما يحدث بعدهم. قاله المصنف رحمه الله.

قوله: «ثم إن بعدكم قوماً يشهدون ولا يستشهدون» لاستخفافهم بأمر الشهادة وعدم تحريهم الصدق لقلّة دينهم وضعف إسلامهم، ولا يعارض هذا حديث:

ويخونون ولا يؤتمنون^(١) ، وينذرون ولا يوفون^(٢) ، ويظهر فيهم السم^(٣) .

وفيه^(٤) عن ابن مسعود أن النبي ﷺ قال : « خير الناس قرني ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ، ثم يجيء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه ، ويمينه شهادته » .

«خير الشهداء الذي يأتي بشهادته قبل أن يسألها» * لأن الأول في حقوق الأدميين ، وهذه في حقوق الله التي لا طالب لها . وقيل الأول في الشهادة على الغيب في أمر الخلق فيشهد أنه من أهل النار ، والآخرين بغيره ، وقيل أن يتحملوا الشهادة من غير تحميل . قاله في « إبطال التنديد » ** .

وفيه : ذم الذين يشهدون ولا يستشهدون . قاله المصنف .

(١) قوله : « ويخونون ولا يؤتمنون » أي لخياتهم الظاهرة بحيث لا يعتمد عليهم . قاله في « إبطال التنديد » *** .

(٢) قوله « وينذرون ولا يوفون » لا يعارض حديث النهي عن النذر ، وإنما هو تأكيد لأمره وتحذير من التهاون به بعد إيجابه . قاله في « إبطال التنديد » **** .

(٣) قوله : « ويظهر فيهم السم » أي يجبون التوسع في المآكل والمشارب وهي أسباب السم . قاله في « إبطال التنديد » ***** .

(٤) قوله : « وفيه » أي صحيح مسلم « عن ابن مسعود ؓ أن النبي ﷺ قال : « خير الناس قرني ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ، ثم يجيء قوم تسبق شهادة

* أخرجه أحمد (٢٨/٢٩٤) بنحوه ، طبعة الرسالة ، وقال المحقق « حديث صحيح ، وهذا

إسناد ضعيف » .

** (ص/٣٠١) .

*** (ص/٣٠١) .

**** (ص/٣٠١-٣٠٢) .

***** (ص/٣٠٢) .

وقال إبراهيم^(١) : كانوا يضربوننا على الشهادة والعهد ونحن صغار .



أحدهم يمينه، ويمينه شهادته* . إشارة إلى التسارع في الشهادة واليمين، وهذه حال من صرف رغبته إلى الدنيا ونسي المعاد فخفف أمر الشهادة واليمين عنده تحملاً وأداءً لقلّة خوفه من الله وعدم مبالاته بذلك ، وهذا علّم من أعلام النبوة ، فإنه قد وجد ذلك كما أخبر النبي ﷺ .

(١) قوله : « وقال إبراهيم » هو ابن يزيد النخعي : « كانوا يضربوننا على الشهادة والعهد ونحن صغار » . قوله : « كانوا » الظاهر أن مراده أصحاب عبدالله بن مسعود كما هي عادة إبراهيم في النقل عنهم . قاله في « إبطال التنديد »** .

قلت : ولا وجه لتخصيص كلام إبراهيم بأصحاب عبدالله بن مسعود بل كان هذا حال السلف في تربية أولادهم؛ لأنهم إذا اعتادوا ذلك في حال الصغر أدى ذلك إلى التساهل في ذلك في حال الكبر، وكانت هذه حالة السلف الصالح محافظة على أولادهم لا يتركون شيئاً مما يكره إلا أنكروه على الصغار وأدبوهم عليه . وفيه : كون السلف يضربون الصغار على الشهادة والعهد . قاله المصنف رحمه الله تعالى .

* أخرجه البخاري (٢٦٥٢) و (٣٦٥١) و (٦٤٥١) و (٦٤٢٩) و (٦٦٥٨) .

** (ص / ٣٠٢) .

٦٣- باب

ما جاء في ذمة الله وذمة نبيه ﷺ (١)

وقول الله تعالى : ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا ﴾ (٢) [النحل: ٩١] الآية .

عن بريدة (٣) قال : كان رسول الله ﷺ إذا أمر أميراً على جيش أو سرية

(١) قوله : « باب ما جاء في ذمة الله وذمة نبيه ﷺ » أي من الأدلة على وجوب الوفاء بها وإتمامها إذا عقدت لأحد ، والذمة : العهد .

(٢) قوله : « وقول الله تعالى ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَيْدًا ﴾ الآية » قال ابن كثير [التفسير ٥١٦/٤]

: « وهذا مما أمر الله به وهو الوفاء بالعهود والمواثيق والمحافظة على الأيمان ، ولهذا قال : ﴿ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا ﴾ ، وهذه الأيمان المراد بها الأيمان الداخلة في العهود والمواثيق لا الأيمان الواردة على حث أو منع » . « ونكث العهد دليل على عدم تعظيم الله ، فهو قاذح في التوحيد » . قاله في «إبطال التنديد» * .

وقوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَعَلَّوْا ﴾ تهديد ووعيد على نقض الإيمان .

(٣) قوله : « عن بريدة » هو ابن الحصيبي - بمهملتين مصغر - أبوسهل الأسلمي ،

صحابي أسلم قبل بدر ، مات سنة ثلاث وستين . قاله في «التقريب» . وهذا من رواية ابنه سليمان عنه . قاله في «المفهم» قال : كان رسول الله ﷺ إذا أمر أميراً على جيش أو سرية أوصاه بتقوى الله « قال الحربي : السرية الخيل تبلغ أربعمائة ونحوها ، والجيش ما كان أكثر من ذلك ، وتقوى الله : التحرز بطاعته من عقوبته بأن تعمل بطاعة الله على نور من الله ترجو ثواب الله ، وأن تترك معصية الله على نور من الله تخاف عقاب الله .

أوصاه بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيراً^(١) ، فقال : « اغزوا بسم الله في سبيل الله^(٢) ، قاتلوا من كفر بالله^(٣) ، اغزوا ولا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تُمثلوا^(٤) ، ولا تقتلوا وليدأ ، وإذا لقيتَ عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال - أو خلال -^(٥) فأيتهن ما أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم^(٦) ، ثم ادعهم

(١) قوله : « ومن معه من المسلمين خيراً » أي وأوصاه بمن معه من جنود المسلمين أن يفعل معهم خيراً من الرفق بهم والإحسان إليهم وخفض الجناح لهم وترك التعاضم عليهم .

(٢) قوله : « فقال اغزوا باسم الله » الباء هنا للاستعانة ، أي : اشرعوا في فعل الغزوة مستعينين بالله مخلصين له متوكلين عليه . وفيه : قوله اغزوا بسم الله « في سبيل الله » قاله المصنف رحمه الله .

(٣) وقوله : « قاتلوا من كفر بالله » بيان لعلة القتال وهي الكفر . قاله المصنف . وفيه : الرد على من زعم أن علة القتال المقاتلة . وهذا العموم شامل لجميع أهل الكفر المحاربيين وغيره ، وقد خصّ من هذا العموم من له عهد والرهبان والنساء ومن لم يبلغ الحلم ، ومن أعطى الجزية من أهل الكتاب والمجوس .

(٤) قوله : « اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا » الغلول : الأخذ من الغنيمة قبل أن تقسم ، والغدر : نقض العهد ، والتمثيل : التشويه بالقتيل كجذع أنفه وقطع أذنه ومذاكيره وشق بطنه ، وما أشبه ذلك ، ولا خلاف في تحريم الغلول والغدر وكراهة التمثيل .

(٥) قوله : « وإذا لقيتَ عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال - أو خلال - » شك من الراوي ، ومعناها واحد .

(٦) قوله : « فأيتهن ما أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم » قيّدناه عمّن يوثق بعلمه وتقييده بنصب « أيتهن » ؛ على أن يعمل فيها « أجابوك » لا على إسقاط حرف الجر ، وما زائدة ، ويكون تقدير الكلام : إلى أيتهن أجابوك فاقبل منهم ، كما

إلى الإسلام^(١) ، فإن أجابوك فاقبل منهم ، ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين^(٢) ، وأخبرهم أنهم إن فعلوا ذلك^(٣) فلهم ما للمهاجرين وعليهم ما

تقول : أجبتك إلى كذا فيُعَدَى إلى الثاني بحرف الجر. قاله في «الشرح»* . قال في «فتح المجيد»** : فيكون في ناصب «أيتهم» وجهان ذكرهما الشارح :
الأول : منصوب على الاشتغال .
والثاني : على نزع الخافض . انتهى .

(١) قوله : « ثم ادعهم إلى الإسلام » كذا وقعت الرواية في جميع نسخ كتاب مسلم، ثم ادعهم بزيادة «ثم»، والصواب إسقاطها كما روى أبو داود في سننه، وأبو عبيد في كتاب «الأموال»، وقال المازري: ليست «ثم» زائدة بل دخلت لاستفتاح الكلام.
(٢) قوله : « فإن هم أجابوك فاقبل منهم ثم ادعهم إلى التحول إلى دار المهاجرين » يعني المدينة ، وذلك مستحب إذا أسلموا أو واجب في أول الأمر على من أسلم، أو على أهل مكة خاصة من أسلم منهم قبل الفتح ، وأما بعد الفتح فقال ﷺ : « لا هجرة بعد الفتح، ولكن جهاد ونية »*** . قاله في «إبطال التنديد»**** . قال في «قرة العيون»***** : « حديث « لا هجرة بعد الفتح » يعني من مكة؛ لأنها صارت دار إسلام، وهذا لا ينفي وجوب الهجرة من بلاد الشرك والكفر، وكذا إذا ظهرت المعاصي في بلدة ، نص عليها الفقهاء في كتبهم » . انتهى .
(٣) قوله : « وأخبرهم أنهم إن فعلوا ذلك » أي تحولوا إلى دار المهاجرين فلهم ما

* يعني : القرطبي ، صاحب كتاب « المفهم شرح صحيح مسلم » الذي نقل عنه صاحب «فتح المجيد» . قاله الدكتور الوليد الفريان في تحقيقه للفتح .
** (٢/ ٨٢٠) .

*** أخرجه الإمام أحمد (٣/ ٢٢ و ٥/ ١٨٧)، والطيالسي (١١٠ و ٩٦٧ و ٢٢٠٥) . قال الألباني :
إسناده صحيح على شرط الشيخين . انظر : الإرواء (٥/ ١١) حديث (١١٨٧) .
**** (ص/ ٣٠٦) .
***** (ص/ ٢٥١) .

على المهاجرين ، فإن أبوا أن يتحولوا منها فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين يجري عليهم حكم الله تعالى ، ولا يكون لهم في الغنمة والفيء شيء ، إلا أن يجاهدوا مع المسلمين، فإن هم أبوا فاسألهم الجزية^(١)،

للمهاجرين أي من الاستحقاق في الفيء والغنمة « وعليهم ما على المهاجرين » وإلا فهم كسائر أعراب المسلمين المقيمين في البادية من غير هجرة ولا غزو، وتجري عليهم أحكام الإسلام ولا حق لهم في الغنمة والفيء، وإنما يكون لهم نصيب من الزكاة إذا كانوا مستحقين .

(١) قوله : « فإن هم أبوا فاسألهم الجزية » فيه حجة لملك والأوزاعي في أخذ الجزية من كل كافر عربياً كان أو غيره ، كتابياً كان أو غيره . وذهب أبوحنيفة إلى أنها تؤخذ من الجميع إلا مشركي العرب ومجوسهم . وقال الشافعي : لا تؤخذ إلا من أهل الكتاب عربياً كانوا أو عجماً . وهو قول الإمام أحمد في ظاهر مذهبه، وتؤخذ من المجوس لأن النبي ﷺ أخذها من مجوس هجر ، وقال : « سنوا بهم سنة أهل الكتاب »* واختلفوا في القدر المفروض من الجزية ، فقال مالك : أربعة دنانير على أهل الذهب، وأربعون درهماً على أهل الورق، وهل ينقص منها الضعيف أو لا؟ قولان . وقال الشافعي: فيه دينار على الغني والفقير . وقال أبوحنيفة والكوفيون : على الغني ثمانية وأربعون درهماً ، والوسط أربعة وعشرون درهماً ، والفقير اثنا عشر درهماً ، وهو قول الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله ، قال يحيى بن يوسف الصرصري الحنبلي :

| | |
|----------------------------------|--------------------------------|
| وقاتل يهودا والنصارى وعصبة الـ | ممجوس فإن هم سلموا الجزية اصدد |
| على الأدون اثني عشر درهماً افرضن | وأربعة من بعد عشرين زُيد |
| لأوسطهم حالاً ومن كان موسراً | ثمانية مع أربعين لتنفد |
| وتسقط عن صبيانهم ونسائهم | وشيوخ لهم فان وأعمى ومقعّد |
| وذو الفقر والمجنون أو عبد مسلم | ومن وجبت منهم عليه فيهتدي |

* أخرجه مالك في الموطأ (٦١٨) ، وضعفه الألباني ، انظر : غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام رقم (٤٣) .

فإن هم أجابوك^(١) فاقبل منهم وكف عنهم ، فإن هم أبوا فاستعن بالله وقاتلهم ، وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه^(٢) فلا تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه ، ولكن اجعل لهم ذمتك وذمة أصحابك ، فإنكم إن تخفروا ذمكم وذمة أصحابكم أهون من أن تخفروا ذمة الله وذمة نبيه ، وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تنزلهم على حكم الله فلا تنزلهم على حكم الله ، ولكن أنزلهم على حكمك ، فإنك لا تدري أتصيب فيهم حكم الله أم لا . رواه مسلم^(٣) .

(١) قوله : « فإن هم أجابوك » يعني إلى إعطاء الجزية « فاقبل » الجزية منهم « وكف عنهم فإن هم أبوا » أن يعطوا الجزية « فاستعن بالله وقاتلهم » وفيه الاستعانة بالله وقاتلهم عند امتناعهم من أداء الجزية .

(٢) قوله : « وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه » والذمة العهد « فلا تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه ولكن اجعل لهم ذمتك وذمة أصحابك ، فإنكم إن تخفروا ذمكم وذمة أصحابكم أهون من أن تخفروا ذمة الله وذمة نبيه » .
وقوله : « تخفروا » أي تنقضوا ، قال في « في النهاية » أخفرت الرجل إذا نقضت عهده وذمامه . قال في « إبطال التنديد » * : وهذا نهي تنزيه ، أي لا تجعل لهم ذمة الله فإنه قد ينقضها من لا يعرف حقها كبعض الأعراب وسواد الجيش ، فكأنه يقول : إن وقع نقض عهد من متعد أو جاهل كان نقض عهد الخلق أهون من نقض عهد الخالق تعالى .

(٣) قوله : « وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تنزلهم على حكم الله فلا تنزلهم على حكم الله ولكن أنزلهم على حكمك ، فإنك لا تدري أتصيب حكم الله فيهم أم لا » رواه مسلم « فيه : دليل على أنه ليس كل مجتهد مصيب ، بل المصيب واحد ، وهو الموافق لحكم الله في نفس الأمر ، ووجه الاستدلال به أنه ﷺ قد



نصَّ على أن الله تعالى حكماً معيناً في المجتهدات ، فمن وافقه فهو المصيب ، ومن لم يوافقه فهو المخطئ . قاله في « فتح المجيد »* . وفيه : الفرق بين ذمة الله وذمة نبيه وذمة المسلمين ، والإرشاد إلى أقل الأمرين خطراً ، والفرق بين حكم الله وحكم العلماء ، وكون الصحابي يحكم عند الحاجة بحكم لا يدري أيوافق حكم الله أم لا . قاله المصنف .

٦٤- باب

(١) ما جاء في الإقسام على الله

عن جُنْدَب بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : « قال رجلٌ : والله لا يغفر الله لفلان ، فقال الله عز وجل : مَنْ ذا الذي يتألى عليّ أن لا أخفر لفلان؟ إني قد غفرتُ له وأحببتُ عمَلَك » رواه مسلم (٢) .

(١) قوله : « باب ما جاء في الإقسام على الله » الإقسام على الله هو التألي عليه ، والإليّة - بالتشديد - هو الحلف . قال في « النهاية » [٦٤/١] : « يُقال تألَى يتألى تألياً ، والاسم الإليّة ، ومنه الحديث : « ويل للمتألين من أمتي » * يعني الذين يحكمون على الله ويقولون : فلان في الجنة ، وفلان في النار ، وكذا الحديث الآخر : « من المتألي على الله » ** » .

(٢) قوله « عن جندب بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : « قال رجلٌ : والله لا يغفر الله لفلان ، فقال الله عز وجل : مَنْ ذا الذي يتألى عليّ أن لا أخفر لفلان؟ إني قد غفرتُ له وأحببتُ عمَلَك » رواه مسلم *** » وقد رواه أبو داود من حديث أبي هريرة بأبسط من رواية مسلم ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « كان رجلان في بني إسرائيل متواخيين ، فكان أحدهما يلذّب والآخر يجتهد في العبادة ، فكان المجتهد لا يزل يرى الآخر على الذنّب ، فيقول : اقصر . فوجده يوماً على ذنّب فقال له : اقصر . فقال : خلني وربي ، أبعثت عليّ رقيباً ؟ فقال : والله لا يغفر الله لك ، ولا يدخلك الجنة . فقبض أرواحهما فاجتمعا عند رب العالمين فقال لهذا المجتهد : أكنت بي عالماً وعلى ما في يدي قادراً ؟ وقال للملذّب : اذهب فادخل الجنة برحمتي ، وقال للآخر : اذهبوا به إلى النار » .

* أخرجه البخاري في التاريخ عن جعفر العبدى مرسلأ ، وضعفه الألباني . انظر : ضعيف الجامع برقم (٦١٤٣) .

** أخرجه البخاري (٢٥٥٠) ، ومسلم (١٥٥٤) بنحوه .

*** أخرجه مسلم (٢٦٢١) .

وفي حديث أبي هريرة أن القائل رجلٌ عابد . قال أبو هريرة : تكلم بكلمة أوبقت دنياه وآخرته^(١) .

قوله : « من ذا الذي يتألى علي؟ » استفهام على جهة الاستنكار والوعيد؛ لأن هذا يقتضي الحكم على الله بعدم المغفرة لفلان ، وهذا جهل وسوء أدب ، وأما إذا أقسم العبد على ربه في أمر من الأمور بناءً على حسن الظن به سبحانه في إبرار قسمه فليس من ذلك ، كما ثبت في الصحيح أن أنس بن النضر قال للنبي ﷺ : والذي بعثك بالحق لا تكسر ثنية الربيع . فقال النبي ﷺ : « يا أنس، كتاب الله القصاص » فعفا القوم . فقال النبي ﷺ : « إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره^{*} » أي لأبر قسمه ولم يحنث، وفي الصحيح أيضاً عن النبي ﷺ أنه قال : « رب أشعث أغبر ذي طمرين مدفوع بالأبواب، لو أقسم على الله لأبره^{**} » ، وكما كان البراء بن مالك وغيره من السلف يقول : أقسمتُ عليك يا رب لتفعلن كذا .

(١) قوله : « وفي حديث أبي هريرة أن القائل رجلٌ عابد . قال أبو هريرة : تكلم بكلمة أوبقت دنياه وآخرته » وفي هذا بيان خطر اللسان، وفي حديث معاذ: قلت : يا رسول الله : وأنا لمؤاخذون بما نتكلم به ؟ قال : « تكلمت أمك يا معاذ ، وهل يكب الناس في النار على وجوههم - أو قال : على مناخرهم - إلا حصائد ألسنتهم^{***} » . رواه أحمد والترمذي وابن ماجه ، وقال الترمذي : حسن صحيح . وفيه : التحذير من التألي على الله ، وكون النار أقرب إلى أحدنا من شراك نعلنا ، وأن الجنة مثل ذلك . وفيه : شاهد لقوله : « إن الرجل ليتكلم بالكلمة .. » الخ ، وأن الرجل قد يُغفر له بسبب هومن أكره الأمور إليه . قاله المصنف رحمه الله تعالى .

* أخرجه البخاري (٢٨٠٦) و(٤٥٠٠) و(٤٦١١) ، ومسلم (١٦٧٥) .

** أخرجه مسلم (٢٦٢٢) و(٢٨٥٤) .

*** أخرجه الترمذي (٢٧٦٢) وقال : حديث حسن صحيح . وابن ماجه (٣٩٧٣) . وقال

الألباني : صحيح . انظر صحيح الترمذي (٣٢٩/٢) .

٦٥- باب

لا يستشفع بالله على خلقه^(١)

عن جبير بن مطعم^(٢) قال : جاء أعرابيُّ إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله، نُهَكَتْ الأنفُسُ ، وجاع العيال ، وهلكت الأموال ، فاستسق لنا ربك ،

(١) قوله : « باب لا يُستشفع بالله على خلقه » الاستشفاع بالله طلب الشفاعة به في حصول الشيء ، أي جعله واسطة في ذلك ، وهذا لا يليق بجلال الله سبحانه لأنه الكبير المتعال الذي لا يشفع أحد عنده إلا بإذنه، فكيف يُستشفع به عند أحد من خلقه ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

(٢) قوله : « عن جبير بن مطعم » بن عدي بن نوفل بن عبد مناف القرشي، يُكنى أبا محمد، كان من أكابر قريش وعلماء النسب، أسلم قبل الفتح ، ومات في خلافة معاوية بالمدينة سنة سبع أو ثمان أو تسع وخمسين للهجرة قال : « جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ، نهكت الأنفس - أي هزلت - ، وجاع العيال ، وهلكت الأموال فاستسق لنا ربك » والاستشفاع طلب السقيا « فإننا نستشفع بالله عليك » أي نطلب الشفاعة به في حصول المطر « وبك على الله ». فقال النبي ﷺ : « سبحان الله، سبحان الله » فما زال يسبح حتى عُرف ذلك في وجوه أصحابه * قال شيخ الإسلام : « وهذا يبيّن أن معنى الاستشفاع بالشخص في كلام النبي ﷺ وأصحابه هو الاستشفاع بدعائه وشفاعته ليس هو السؤال بذاته ، فإنه لو كان هذا السؤال بذاته لكان سؤال الخلق بالله تعالى أولى من سؤال الله بالخلق، ولكن لما كان معناه هو الأول أنكر النبي ﷺ قوله : « نستشفع بالله عليك » ولم ينكر قوله : « نستشفع بك على الله » ؛ لأن الشفيع يسأل المشفوع إليه أن يقضي حاجة الطالب، والله تعالى لا يسأل أحداً من عباده أن يقضي حوائج خلقه ». انتهى .

* أخرجه البخاري في التاريخ الكبير (٢/٢٢٤) ، وأبوداود (٤٧٢٦) ، وضعفه الألباني في ضعيف سنن أبي داود (١٠١٧) .

فإننا نستشفع بالله عليك، وبك على الله. فقال النبي ﷺ: « سبحان الله ، سبحان الله » فما زال يسبِّحُ حتى عُرف ذلك في وجوه أصحابه ، ثم قال النبي ﷺ: « ويحك ^(١) ، أتلدري ما الله ؟ إن شأن الله أعظمُ من ذلك ^(٢) ، إنه لا يُستشفعُ بالله على أحدٍ من خلقه ^(٣) . وذكر الحديث . رواه أبو داود ^(٤) .

(١) قوله: « ثم قال النبي ﷺ: « ويحك » كلمة تُقال للزجر ، كذا في « قرّة العيون »* ، وفي « النهاية » [٢٠٤/٥]: « ويح : كلمة ترحُّم وتوجّع تُقال لمن وقع في هلكة لا يستحقها » .

(٢) وقوله: « أتلدري ما الله ؟ إن شأن الله أعظم من ذلك » فيه إشارة إلى قلة علمه بعظمة الله وجلاله .

(٣) وقوله: « إنه لا يُستشفع بالله على أحد من خلقه » لأن الأمر كله بيده تعالى ليس في يد المخلوق منه شيء ، لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع ، تعالى وتقدّس .

(٤) قوله: « وذكر الحديث ، رواه أبو داود » في السنن بتمامه، لكن المصنف اقتصر منه على الشاهد للترجمة وبقية الحديث: « شأن الله أعظم من ذلك، ويحك أتلدري ما الله ؟ إن عرشه على سمواته هكذا - وقال بأصابعه مثل القبة عليه - وإنه ليضط به أطيط الرجل بالراكب » قال ابن يسار في حديثه « إن الله فوق عرشه ، وعرشه فوق سماواته » قال الحافظ الذهبي: رواه أبو داود بإسناد حسن عنده في « الرد على الجهمية » من حديث محمد بن إسحاق بن يسار . وفي هذا الحديث إثبات علو الله على خلقه وأن عرشه فوق سماواته . وفيه: تفسير الاستواء بالعلو، كما فسره الصحابة والتابعون والأئمة خلافاً للمعطلة والجهمية والمعتزلة ومن أخذ عنهم كالأشاعرة ونحوهم ممن ألحد في أسماء الله وصفاته . قاله في «الشرح»** .

وهذا الحديث رواه أبو داود ورضيه على عادته فيما كان عنده صحيحاً أو حسناً وسكت عليه . وفيه دليل على أنه لا يجوز الاستشفاع بالله على أحد من خلقه ،

* (ص/٢٥٤) .

** هو في فتح المجيد (٢/٨٣٠) .



وأما الاستشفاع بالرسول ﷺ في حياته فإنما المراد الاستشفاع بدعائه ﷺ وليس هذا خاصاً بالنبي ﷺ بل كل حي صالح يُرجى أن يُستجاب له لا بأس أن يُطلب منه الدعاء كما قال النبي ﷺ لعمر لما استأذنه في العمرة: « لا تسنا يا أخي من صالح دعائك »* ، وأما الميت فإنما يشرع في حقه الدعاء له في الصلاة على جنازته وعلى قبره عند زيارته . وفيه : إنكاره ﷺ على من قال « نستشفع بالله عليك » وتغيره تغيراً عرف في وجوه أصحابه من هذه الكلمة ، وأنه لم يُنكر عليه قوله « نستشفع بك على الله » .

والتنبيه على تفسير « سبحان الله » ، وأن المسلمين يسألونه ﷺ الاستسقاء . قاله المصنف رحمه الله تعالى .

* أخرجه أبو داود (١٤٩٨) ، والترمذي (٣٥٥٧) وقال : حديث حسن صحيح ، وابن ماجه (٢٨٩٤) ، وأحمد (١/٢٩ ، ٢/٥٩) ، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٦٢٧٨) .

باب ٦٦

ما جاء في حماية النبي ﷺ حمى التوحيد وسله طرق الشرك^(١)

عن عبدالله بن الشَّحِير^(٢) قال : انطلقت في وفد بني عامر إلى النبي ﷺ

(١) قوله : « باب ما جاء في حماية النبي ﷺ حمى التوحيد وسله طرق الشرك » قد بالغ ﷺ في حماية التوحيد في الأقوال والأفعال وحثر أمته من كل ما يبطله أو يقدح فيه أو ينقصه ، حتى قال : « لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم »* وقال : « إنه لا يُستغاث بي وإنما يُستغاث بالله »** ، ولما خاطبوه بالسيادة قال : « السيد الله ، أنا محمد عبدالله ورسوله » خوفاً على أمته من الوقوع في الضلال ، وأدباً مع ربه الكبير المتعال ، فصلوات الله وسلامه عليه .

(٢) قوله : « عن عبدالله بن الشَّحِير » - بكسر الشين وتشديد الخاء المعجمتين - ابن عوف بن كعب بن عامر الحريشي - بفتح المهملة وكسر الراء وآخره معجمة - العامري ثم الحريشي ، صحابي من مسلمة الفتح ﷺ قال : انطلقت في وفد بني عامر إلى النبي ﷺ قلنا : أنت سيدنا . فقال : « السيد الله تبارك وتعالى » . قلنا : وأفضلنا فضلاً ، وأعظمنا طولاً . فقال : « قولوا بقولكم ، أو بعض قولكم ، ولا يستجرينكم الشيطان » . رواه أبو داود بسند جيد*** وفي هذا الحديث نهى عن أن يقولوا أنت سيدنا ، وقال : « السيد الله تبارك وتعالى » ، ونهاهم أن يقولوا : « وأفضلنا فضلاً ، وأعظمنا طولاً » ، وقال : « لا يستجرينكم الشيطان » . قاله في « فتح المجيد »**** .

* تقدم تحريجه (ص/١٦٦) .

** تقدم تحريجه (ص/١٢٤) .

*** أخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة (٢٤٧)، وأحمد (٤/٢٥) ، وأبو داود (٤٨٠٦) ،

والنسائي (٢٤٨) . قال الألباني : صحيح . انظر صحيح الجامع (٣٧٠٠) .

**** (٨٣٦/٢) .

فقلنا : أنت سيدنا . فقال : « السيد الله^(١) تبارك وتعالى » . قلنا : وأفضلنا فضلاً ، وأعظمتنا طَوْلاً . فقال : « قولوا بقولكم ، أو بعض قولكم ، ولا يستجرينكم الشيطان » . رواه أبو داود بسند جيد .
وعن أنس^(٢) ؓ أن ناساً قالوا : يا رسول الله، يا خيرنا وابن خيرنا ،

(١) قوله : « السيد الله » قال الخطابي : « يريد - عليه السلام - السؤدد حقيقة لله عز وجل ، وأن الخلق كلهم عبيد له ، فعلمهم الثناء عليه - عليه السلام - وأرشدهم إلى الأدب في ذلك ، وقال عليه السلام : « قولوا بقولكم » يريد قولوا بقول أهل دينكم وملتكم ، وادعوني نبياً ورسولاً كما سماني الله في كتابه فقال : ﴿ يا أيها النبي ﴿ و ﴿ يا أيها الرسول ﴿ ولا تسموني سيدياً كما تسمون رؤساءكم وعظماءكم، ولا تجعلوني مثلهم ، فإنني لست كأحدكم إذ كانوا يسودونكم في أسباب الدنيا وأنا أسودكم بالنبوة والرسالة فسموني : رسولاً ونبياً » .
وقوله : « أو بعض قولكم » فيه حذف واختصار ومعناه : دعوا بعض قولكم واتركوه ، يريد بذلك الاختصار في المقال .

وقوله عليه السلام : « لا يستجرينكم الشيطان » معناه : لا يتخذكم جرياً ، والجري : الوكيل . ويقال : الأجير . انتهى كلام الخطابي باختصار . قاله في «إبطال التنديد» * .
وفي « النهاية » [٢٥٥-٢٥٦] : « ولا يستجرينكم الشيطان أي : لا يستغلبنكم فيتخذكم جرياً ، أي رسولاً ووكيلاً ، وذلك أنهم كانوا مدحوه فكره لهم المبالغة في المدح فنهاهم عنه ، يريد : تكلموا بما يحضركم من القول ولا تكلفوا كأنكم وكلاء الشيطان ورسله تنطقون عن لسانه » . انتهى .

(٢) قوله : « وعن أنس ؓ أن ناساً قالوا : يا رسول الله ، يا خيرنا وابن خيرنا ، وسيدنا وابن سيدنا : فقال : « يا أيها الناس ، قولوا بقولكم أو بعض قولكم ولا يستهوينكم الشيطان ، أنا : محمد عبدالله ورسوله ، ما أحب أن ترفعوني فوق منزلي التي أنزلني الله

عز وجل» . رواه النسائي بسند جيد* قال في «إبطال التنديد»** : « وهذان الحديثان دليل على الأدب مع الله عز وجل، وقوله: «أنا سيد ولد آدم» وشبهه دليل على الجواز» .

فأقول : إذا كان الحديثان دليلاً على الأدب مع الله عز وجل فما الذي أجاز سوء الأدب ومخالفة الأحاديث الصحيحة ؟ أما الاستدلال على جواز سوء الأدب بقوله ﷺ «أنا سيد ولد آدم ولا فخر»*** فلا يدل على الجواز؛ لأن هذا إخبار منه ﷺ عن ما فضله الله به على البشر؛ تحدثاً بنعمة الله عليه، عملاً بقوله : ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى : ١١] ، قال شيخ الإسلام في «المنهاج» : « فإن الله خيرٌ محمداً بين أن يكون عبداً رسولاً وبين أن يكون ملكاً نبياً، فاختر أن يكون عبداً رسولاً» . انتهى . فجعله سيد ولد آدم لما تواضع لربه عز وجل، وليس هذا تشريعاً للأمة حتى يخاطبوه أو يصفوه بذلك ، ولهذا لم ينقل عن أحد من الصحابة رضوان الله عليهم أنه خاطبه بذلك، ولو كان خيراً لسبقونا إليه بل نهاهم عن إطرائه فقال : « لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبدٌ ، فقولوا : عبدالله ورسوله» ، ولما قيل له : أنت سيدنا . قال : «السيد الله» ، وعدُّ مخاطبتهم له بذلك من استجراء الشيطان واستهوائه ، ثم أرشدهم إلى ما ينبغي في مخاطبته ، فقال : «أنا محمد عبدالله ورسوله، ما أحب أن ترفعوني فوق منزلي التي أنزلني الله عز وجل» وهي العبودية التي وصفه بها في أشرف المقامات فقال : ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾ [الإسراء : ١] ، وقال : ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ﴾ [الفرقان : ١] ، وقال : ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ [البقرة : ٢٣] . وفيه : تحذير الناس عن الغلو ، وما ينبغي أن يقول من قيل له : أنت سيدنا . وقوله : « لا يستهويكم

* أخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة (٢٤٨، ٢٤٩) والترمذي (٣١٤٨، ٣٦١٥)، وابن ماجه (٤٣٠٨)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي رقم (٢٥١٦) .

** (ص/٣١٦) .

*** أخرجه البخاري (٤٧١٢) ، ومسلم (٢٢٧٨) .

وسيدنا وابن سيدنا . فقال : « يا أيها الناس، قولوا بقولكم ، ولا يستهونكم الشيطان ، أنا محمد عبد الله ورسوله ، ما أحب أن ترفعوني فوق منزلي التي أنزلي الله عز وجل » . رواه النسائي بسند جيد .

الشيطان « مع أنهم لم يقولوا إلا الحق . وقوله : « ما أحب أن ترفعوني فوق منزلي » . قاله المصنف رحمه الله تعالى . قال ابن القيم رحمه الله تعالى [بدائع الفوائد ٣/٢١٣] : «اختلف العلماء في جواز إطلاق السيد على البشر، فمنعه قوم، ونُقل عن مالك، واحتجوا بقول النبي ﷺ لما قيل له « أنت سيدنا » قال : « السيد الله » ، وجوزّه قوم ، واحتجوا بقول النبي ﷺ للأنصار : « قوموا إلى سيدكم* » وهذا أصح من الحديث الأول، قال هؤلاء : السيد أحد ما يضاف إليه ، فلا يقال للتميمي سيد كندة ، ولا للملك سيد البشر ، وعلى هذا فلا يجوز أن يطلق على الله هذا الاسم ، وفي هذا نظر؛ فإن السيد إذا أُطلق عليه تعالى فهو بمنزلة المالك والمولى والرب لا بمعنى الذي يُطلق على المخلوق» . انتهى .

قلت: والصواب المنع من إطلاق لفظ السيد على البشر لقول النبي ﷺ «السيد الله»، ولما صح عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَغْنَىٰ اللَّهُ أَتَيْنِي رَبًّا ﴾ [الأنعام: ١٦٤] أي إلهاً وسيداً ، ولما صح عنه أيضاً في قوله : ﴿ اللَّهُ أَضْكَمُ ﴾ [الإخلاص: ٢] أنه السيد الذي كمل في جميع أنواع السؤدد. وقال أبووائل : هو السيد الذي انتهى سؤدده . أما ما احتج به من أجاز ذلك من قول النبي ﷺ للأنصار « قوموا إلى سيدكم » فهذا لا حجة فيه ؛ لأنه قال ذلك عام الخندق سنة خمس حينما جاء سعد للحكم في بني قريظة، وقوله « السيد الله » قاله لوفد بني عامر سنة الوفود سنة تسع وإنما يؤخذ بالمتأخر من قوله ﷺ ، وإذا كان محمد بن عبد الله أفضل الخلق وأكرمهم على ربه لم يقبل مخاطبته بالسيادة أدباً وتواضعاً لربه عز وجل فغيره أولى أن لا يخاطب بذلك،

* أخرجه أحمد (١٤١/٦-١٤٢)، وابن ماجه (٦٩٨٩)، وصححه الألباني في الصحيحة برقم (٦٧).



لا سيما وقد اتخذ هذا اللفظ بعض الدجالين أداة للسيطرة على ضعفاء العقول وأهموهم أن لهم مزية وفضلاً على غيرهم، وأن لهم حقاً في أموالهم بل استعبدوهم وأهموهم أنهم ينفعون ويضرون ويتبرك بهم وأنهم أولياء ، واتخذوا لهم علامة على السيادة خضراء، وكل هذا جهل وضلال، فإنه لا فضل لعربي على عجمي ولا لأحمر على أسود إلا بالتقوى ، هذا الذي ندين الله تعالى به ، والله الموفق ، لا إله غيره ولا رب سواه .

باب-٦٧

ما جاء في قول الله تعالى : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ .. ﴾ [الزمر: ٦٧] الآية^(١) .

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال^(٢) : جاء خبرٌ من الأحبار إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا محمد ، إنا نجدُ أنَّ اللهَ يجعلُ السموات على إصبع ، والأرضين على إصبع ، والماء على إصبع ، والشجر على إصبع ، والثرى على إصبع ، وسائر

(١) قوله : « باب ما جاء في قول الله تعالى ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرَكُونَ ﴾ أي من الأحاديث والآثار في معنى هذه الآية الكريمة . قال ابن كثير رحمه الله تعالى [التفسير ١٠٣/٧] : « يقول تعالى : ما قدر المشركون اللهَ حق قدره حتى عبدوا معه غيره ، وهو العظيم الذي لا أعظم منه ، القادر على كل شيء ، المالك لكل شيء ، وكل شيء تحت قهره وقدرته . وقال السدي : ما عظموه حق عظمته . وقال محمد بن كعب : لو قدروه حق قدره ما كذبوه . قال مجاهد : نزلت في قريش . وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس : هم الكفار الذين لم يؤمنوا بقدرة الله عليهم ، فمن آمن أن الله على كل شيء قدير فقد قدر الله حق قدره ، ومن لم يؤمن بذلك فلم يقدر الله حق قدره . »

(٢) قوله : « عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : جاء خبرٌ من الأحبار إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا محمد ، إنا نجدُ أنَّ اللهَ يجعلُ السموات على إصبع ، والأرضين على إصبع ، والماء على إصبع ، والشجر على إصبع ، والثرى على إصبع ، وسائر الخلق على إصبع ، فيقول : أنا الملك . فضحك النبي صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذُه تصديقاً لقول الخبر ، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ الآية* .

الخلق على إصبع ، فيقول : أنا الملك . فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه تصديقاً لقول الخبر، ثم قرأ رسول الله ﷺ : ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَتَّى قَدَرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ . الآية [الزمر: ٦٧]. أخرجاه . وفي رواية لمسلم : «والجبال والشجر على إصبع ، ثم يهزهن فيقول : أنا الملك، أنا الله » . وفي رواية للبخاري : « يجعل السموات على إصبع، والماء والثرى على إصبع، وسائر الخلق على إصبع » . أخرجاه .

ولمسلم عن ابن عمر مرفوعاً^(١) : « يطوي الله السموات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى ، ثم يقول : أنا الملك ، أين الجبارون ؟ أين المتكبرون ؟ ثم

وفي رواية لمسلم : والجبال والشجر على إصبع ، ثم يهزهن فيقول : أنا الملك، أنا الله . وفي رواية للبخاري : يجعل السموات على إصبع ، والماء والثرى على إصبع، وسائر الخلق على إصبع . أخرجاه * ، وروى الإمام أحمد عن ابن مسعود قال : جاء رجل من أهل الكتاب إلى النبي ﷺ فقال : يا أبا القاسم ، أبلغك أن الله تعالى يجعل الخلائق على إصبع ، والسموات على إصبع، والأرضين على إصبع، والشجر على إصبع، والثرى على إصبع، وسائر الخلق على إصبع فيقول : أنا الملك . فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه تصديقاً لقول الخبر . قال وأنزل الله : ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَتَّى قَدَرِهِ﴾ الآية ** ، وهكذا رواه البخاري ومسلم والنسائي من طرق عن الأعمش به .

(١) قوله : « ولمسلم عن ابن عمر مرفوعاً : « يطوي الله السموات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى، ثم السبع، ثم يأخذهن بشماله ، ثم يقول : أنا الملك ؟ أين الجبارون ؟ أين المتكبرون؟» *** يقول : أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟ ثم يطوي الأرضين

* البخاري ٤٨١١، ٧٤١٤، ٧٤١٥ / ٧٤٥١، ٧٥١٣ .

** أخرجه البخاري (٧٤١٥) و(٧٤٥١)، ومسلم (٢٧٨٦) و(٢٢)، وأحمد (٦/٦٩) .

*** أخرجه مسلم (٢٧٨٨) .

يطوي الأرضين السبع ، ثم يأخذهن بشماله ، ثم يقول : أنا الملك ؟ أين الجبارون؟ أين المتكبرون ؟ » .

وروي عن ابن عباس قال : ما السموات السبع والأرضون السبع في كف الرحمن إلا كخردلة في يد أحدكم .

وقال ابن جرير^(١) : حدثني يونس ، أنبأنا ابن وهب قال : قال ابن زيد : حدثني أبي قال : قال رسول الله ﷺ : « ما السموات السبع في الكرسي إلا

وروي عن ابن عباس قال: ما السموات السبع والأرضون السبع في كف الرحمن إلا كخردلة في يد أحدكم»* وفيه : معرفة قوله تعالى : ﴿ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا بَقَضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ وأن هذه العلوم وأمثالها باقية عند اليهود الذين في زمنه ﷺ لم ينكروها ولم يتأولوها، وأن الخبر لما ذكر للنبي ﷺ صدق، ونزل القرآن بتقرير ذلك ، ووقوع الضحك من رسول الله ﷺ لما ذكر الخبر هذا العلم العظيم ، والتصريح بذكر اليدين وأن السموات في اليد اليمنى، والأرضين في الأخرى، والتصريح بتسميتها الشمال، وذكر الجبارين والمتكبرين عند ذلك . وقوله « كخردلة في كف أحدكم » قاله المصنف رحمه الله .

(١) قوله : «وقال ابن جرير حدثني يونس أنبأنا ابن وهب قال : قال ابن زيد حدثني أبي قال : قال رسول الله ﷺ : « ما السموات السبع في الكرسي إلا كدراهم سبعة ألقيت في ترس»** . قال : قال أبوذر : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ما الكرسي في العرش، إلا كحلقة من حديد ألقيت بين ظهري فلاة من الأرض » وروي ابن جرير عن أسباط عن السدي ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴾ [البقرة: ٢٥٥] فإن السموات والأرض في جوف الكرسي، والكرسي بين يدي العرش وهو موضع قدميه .

* أخرجه ابن جرير (١٧/٢٤) ، وانظر : «العلو» للذهبي (ص/٩١) ، وهو ضعيف .

** أخرجه ابن جرير (٨، ٧/٣) وهو ضعيف .

كدرهم سبعة ألقيت في ثرس» . قال : وقال أبوذر : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ما الكرسي في العرش إلا كحلقة من حديد ألقيت بين ظهري فلاه من الأرض» .

وعن ابن مسعود^(١) قال : « بين السماء الدنيا والتي تليها خمسمائة عام ، وبين كل سماء وسماء خمسمائة عام ، وبين السماء السابعة والكرسي خمسمائة عام ، وبين الكرسي والماء خمسمائة عام ، والعرش فوق الماء ، والله فوق العرش ، لا يخفى عليه شيء من أعمالكم» . أخرجه ابن مهدي عن حماد بن سلمة عن عاصم عن زر عن عبد الله . ورواه بنحوه المسعودي عن عاصم عن أبي وائل عن عبد الله . قاله الحافظ الذهبي رحمه الله تعالى . قال : وله طرق .

وعن العباس بن عبدالمطلب^(٢) قال : قال رسول الله ﷺ : « هل تدرون

وفيه : معرفة عظم الكرسي بالنسبة إلى السماء ، وعظم العرش بالنسبة إلى الكرسي ، وأن العرش غير الكرسي والماء . قاله المصنف رحمه الله .

(١) قوله : « وعن ابن مسعود ﷺ قال : « بين السماء الدنيا والتي تليها خمسمائة عام ، وبين كل سماء وسماء خمسمائة عام ، وبين السماء السابعة والكرسي خمسمائة عام ، وبين الكرسي والماء خمسمائة عام ، والعرش فوق الماء ، والله فوق العرش ، لا يخفى عليه شيء من أعمالكم» . أخرجه ابن مهدي عن حماد بن سلمة عن عاصم عن زر عن عبد الله . ورواه بنحوه المسعودي عن عاصم عن أبي وائل عن عبد الله . قاله الحافظ الذهبي رحمه الله تعالى . قال : وله طرق* وفيه : معرفة كم بين كل سماء إلى سماء ، وكم بين السماء السابعة والكرسي ، وكم بين الكرسي والماء ، وأن العرش فوق الماء ، وأن الله فوق العرش .

(٢) قوله : « وعن العباس بن عبدالمطلب قال : قال رسول الله ﷺ : « هل تدرون كم بين

* أخرجه ابن خزيمة (١٠٥-١٠٦ ، ٣٧٦-٣٧٧) ، و الدارمي في الرد على الجهمية (ص/٢٦ ، ٢٧) وفي النقص على بشر المريسي (ص/٧٣ ، ٩٠ ، ١٠٥) .

كم بين السماء والأرض ؟ » قلنا : الله ورسوله أعلم . قال : « بينهما مسيرة خمسمائة سنة ، ومن كل سماء إلى سماء مسيرة خمسمائة سنة ، وكيف كل سماء مسيرة خمسمائة سنة ، وبين السماء السابعة والعرش بحر بين أسفله وأعله كما بين السماء والأرض ، والله تعالى فوق ذلك ، وليس يخفى عليه شيء من أعمال بني آدم » . أخرجه أبو داود وغيره .

السماء والأرض ؟ ، قلنا : الله ورسوله أعلم . قال : « بينهما مسيرة خمسمائة سنة ، ومن كل سماء إلى سماء مسيرة خمسمائة سنة ، وكيف كل سماء مسيرة خمسمائة سنة ، وبين السماء السابعة والعرش بحر بين أسفله وأعله كما بين السماء والأرض ، والله سبحانه وتعالى فوق ذلك ، وليس يخفى عليه شيء من أعمال بني آدم » . أخرجه أبو داود وغيره ، * وحديث العباس هذا ساقه المصنف مختصراً ، والذي في سنن أبي داود عن العباس قال : كنت في البطحاء في عصابة فيهم رسول الله ﷺ فمررت سحابة فنظر إليها فقال : « ما تسمون هذه ؟ » قالوا : السحاب . قال : « المزن » قالوا : والمزن . قال : « والعنان » قالوا : والعنان - قال أبو داود : لم أتقن العنان جيداً - قال : « هل تدرون ما بعد ما بين السماء والأرض » قالوا : لا ندري . قال : « إن بعد ما بينهما واحدة أو اثنتان أو ثلاث وسبعون سنة ثم السماء التي فوقها كذلك حتى عد سبع سموات ، ثم فوق السابعة بحر بين أسفله وأعله مثل ما بين سماء إلى السماء ، ثم فوق ذلك ثمانية أحوال بين أظلافهم وركبهم مثل ما بين سماء إلى سماء ثم على ظهورهم العرش بين أسفله وأعله كما بين سماء إلى سماء ، ثم الله تعالى فوق ذلك » . وأخرجه الترمذي وابن ماجه وقال الترمذي : حسن غريب . وقال الحافظ الذهبي : رواه أبو داود بإسناد حسن . وروى الترمذي نحوه من حديث أبي هريرة ، وفيه : « ما بين سماء إلى سماء خمسمائة عام » . قال في «الشرح»** : « ولا منافاة بينهما ؛ لأن تقدير ذلك بخمسمائة عام هو على سير القافلة مثلاً ، ونيف وسبعون سنة على سير البريد » . وفيه : معرفة كم بين السماء والأرض

* أخرجه أبو داود (٤٧٢٣) ، والترمذي (٣٣٢٠) ، وابن ماجه (١٩٣) ، وأحمد (١/٢٠٦) ،
 (٢٠٧) ، وضعفه الألباني كما في ضعيف سنن أبي داود (ص/١٠٤) .
 ** في فتح المجيد (٢/٨٥٤) .

* * *

ويُكْتَفَى كُلُّ سَمَاءٍ خَمْسَمِائَةَ سَنَةٍ ، وَأَنَّ الْبَحْرَ الَّذِي فَوْقَ السَّمَاءِ بَيْنَ أَسْفَلِهِ وَأَعْلَاهُ خَمْسَمِائَةَ سَنَةٍ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ . قَالَ الْمَصْنُفُ .

وهذه الأحاديث التي ذكرها المصنف وما في معناها تدل على عظمة الله وعظيم قدرته وعظم مخلوقاته ، وأنه المستحق للعبادة وحده لا شريك له في ربوبيته وإلهيته ، وتدل أيضاً على إثبات الصفات التي وصف بها نفسه في كتابه أو وصفه بها رسوله ﷺ على ما يليق بجلال الله وعظمته إثباتاً بلا تمثيل ، وتنزيهاً بلا تعطيل ، وعلى هذا مضى سلف الأمة وأئمتها ومن تبعهم بإحسان .

وصلَّى اللهُ وسلَّم على محمد خاتم الأنبياء والمرسلين المبعوث رحمة للعالمين

وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات .

* * *

حُرِّرَ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ شَهْرِ جُمَادَى الْآخِرَةِ سَنَةَ أَلْفٍ وَثَلَاثِمِائَةٍ وَسِتِّ وَثَمَانِينَ مِنْ هِجْرَةِ النَّبِيِّ الْكَرِيمِ عَلَيْهِ مِنَ اللَّهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَأَتَمُّ التَّسْلِيمِ بِمَنْزِلِي بِالطَّائِفِ .

* * *

فهرس الفهارس

وئشل ما يلى :

- ١- فهرس الآيات القرآنية.
- ٢- فهرس الأحاديث النبوية.
- ٣- فهرس الأعلام الذين ترجم لهم الشارح.
- ٤- فهرس الضوائد.
- ٥- فهرس أهم المراجع.
- ٦- فهرس الموضوعات.



فهرس الآيات القرآنية

سورة الفازحة

| الآية | رقمها | الصفحة |
|------------------------|-------|--------|
| إياك نعبد وإياك نستعين | ٥ | ٣٨٦ |

سورة البقرة

| | | |
|---------------------------------------|-----|-------------|
| وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض | ١١ | ٣١٣ |
| يا أيها الناس اعبدوا ربكم | ٢١ | ٣٢٩ |
| فلا تجعلوا لله أنداداً | ٢٢ | ٣٢٩، ٥٢ |
| وإن كنتم في ريب مما نزلنا | ٢٣ | ٤٢٨، ١٦٦ |
| ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا | ٤٢ | ١٤٠ |
| ولقد علموا لمن اشتراه ما له | ١٠٢ | ٢٠٨، ١٤٦ |
| أولئك عليهم صلوات من ربهم | ١٥٧ | ٢٨٩ |
| وإلهكم إله واحد | ١٦٣ | ٣٢٤ |
| ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً | ١٦٥ | ٢٦٠، ٧١، ٧٠ |
| إذ تبرأ الذين أتبعوا من الذين أتبعوا | ١٦٦ | ٢٦٦، ٧١ |
| وما هم بخارجين من النار | ١٦٧ | ٧٣ |
| وما أهيلٌ به لغير الله | ١٧٣ | ٩٩ |
| ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل | ١٨٨ | ٣٤٩ |
| وعسى أن تكرهوا شيئاً | ٢١٦ | ٢٩٠ |
| والفتنة أكبر من القتل | ٢١٧ | ٣٠٧ |
| من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه | ٢٥٤ | ١٥٠ |
| من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه | ٢٥٥ | ٤٣٣، ١٤٦ |
| فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله | ٢٥٦ | ٧٢، ٧ |

| | | |
|-----|-----|------------------------------|
| ١١١ | ٢٧٠ | وما أنفقتم من نفقة أو نذرتم |
| ٢١١ | ٢٧٥ | الذين يأكلون الربا لا يقومون |

سورة آل عمران

| الصفحة | رقمها | الآية |
|---------------|-------|---|
| ٣٢٣ | ٧ | هو الذي أنزل عليك الكتاب |
| ٢٦٠ | ٣١ | قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني |
| ١٢١ | ٣٧ | كلما دخل عليها زكريا المحراب |
| ٧٠ | ٨٠ | ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة |
| ١٣٠، ١٢٨ | ١٢٨ | ليس لك من الأمر شيء |
| ٢٧ | ١٣١ | واتقوا النار التي أعدت للكافرين |
| ٣٩١، ٣٨٤ | ١٥٤ | ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمانة |
| ١٨٥ | ١٦٤ | لقد منَّ اللهُ على المؤمنين إذ بعث فيهم |
| ١٤٦ | ١٦٦ | وما أصابكم يوم التقى الجمعان |
| ٣٨٥، ٣٨٤ | ١٦٨ | الذين قالوا لإخوانهم وقعدوا |
| ٢٧٩، ٢٧٨، ٢٧٧ | ١٧٣ | الذين قال لهم الناس إن الناس |
| ٢٦٨ | ١٧٥ | إنما ذلكم الشيطان يخوف أوليائه |
| ٣٤٠ | ١٧٦ | ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر |

سورة النساء

| الصفحة | رقمها | الآية |
|--------|-------|----------------------------------|
| ١٤ | ٦ | وابتلوا اليتامى حتى إذا بلغوا |
| ٢١١ | ١٠ | إن الذين يأكلون أموال اليتامى |
| ١٠ | ٣٦ | واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً |
| ٤٩ | ٤٨ | إن الله لا يغفر أن يشرك به |

| | | |
|--------------------|-----|---|
| ٢٠٨، ١٩٢ | ٥١ | ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب |
| ٣٤٨، ٣٠٤ | ٥٩ | أطيعوا الله وأطيعوا الرسول |
| ٣١٨، ٣١٧، ٣١٢، ٣١١ | ٦٠ | ألم ترى إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا |
| ٣١٦، ٣٠٧، ٣٠٦ | ٦٥ | فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك |
| ١٦٠ | ١٧١ | يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم |

سورة المائدة

| الصفحة | رقمها | الآية |
|---------------|-------|--|
| ٢٧٥ | ٢٣ | وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين |
| ٣٤٨ | ٤٤ | ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون |
| ٣١٨، ٣١٥، ٣١٤ | ٥٠ | أفحكم الجاهلية يبغون |
| ١٩٣ | ٦٠ | قل هل أنبئكم بشر من ذلك |
| ٤٠٨ | ٨٩ | واحفظوا أيمانكم |

سورة الأنعام

| الصفحة | رقمها | الآية |
|----------|-------|-------------------------------------|
| ١٣٢ | ١٥ | قل إنني أخاف إن عصيت ربي |
| ١٤٥، ١٣١ | ١٩ | وأوحى إلي هذا القرآن لأنذركم به |
| ٣٧٥ | ٤١ | فيكشف ما تدعون إليه إن شاء |
| ١٢٥ | ٥٠ | قل لا أقول لكم عندي خزائن الله |
| ١٤٥ | ٥١ | وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا |
| ١٢١ | ٦٣ | قل من ينجيكم من ظلمت البر |
| ٣٨ | ٧٩ | إنني وجهت وجهي للذي فطر السموات |
| ٧١، ٢١ | ٨٢ | الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم |
| ٢٤٧ | ٩٧ | وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها |
| ١١٧ | ١١٥ | وتمت كلمت ربك صدقاً وعدلاً |

| | | |
|-------------|---------|---|
| ١٩٩ | ١١٩ | وإن كثيراً ليضلون بأهوائهم |
| ١١٦،١١٥ | ١٢٨ | يا معشر الجن قد استكثرتم |
| ١٦،١٣،١٢،١١ | ١٥٣-١٥١ | قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم |
| ١٤،١٣ | ١٥٢ | ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن |
| ١٥،١٤ | ١٥٣ | وأن هذا صراطي مستقيماً |
| ٩٧ | ١٦٣-١٦٢ | قل إن صلاتي ونسكي ومحياي |
| ٤٢٩ | ١٦٤ | قل أغير الله أبغي رباً |

سورة الأعراف

| الصفحة | رقمها | الآية |
|--------------|---------|-------------------------------------|
| ١٣٩، ١٢٠، ٩٠ | ٥٤ | والشمس والقمر والنجوم مسخرات |
| ٣١٣ | ٥٦ | ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها |
| ٢٨١ | ٩٩ | أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله |
| ٢٣١ | ١١٧-١٢٢ | وأوحينا إلى موسى أن ألق عصاك |
| ٢٣٤، ٢٣٣ | ١٣١ | ألا إنما طائركم عند الله |
| ٩٥، ٩٤ | ١٣٨ | اجعل لنا إلهاً كما لهم إلهة |
| ٢٦ | ١٧٢ | ألسنت بربكم قالوا بلى |
| ٣٦٨، ٣٦٧ | ١٨٠ | ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها |
| ٢٨١ | ١٨٢ | سنستدرجهم من حيث لا يعلمون |
| ١٣٢، ١٣٠ | ١٨٨ | قل لا أملك لنفسي نقعاً ولا ضراً |
| ٣٦٦، ٣٦٥ | ١٨٩ | لئن آتيتنا صالحاً |
| ٣٦١ | ١٩٠ | فلما آتاهاما صالحاً جعلنا له شركاء |
| ١٢٦ | ١٩٢-١٩١ | أيشركون ما لا يخلق شيئاً وهم يخلقون |
| ١١٥ | ٢٠٠ | وإما ينزغك من الشيطان نزغ |

سورة الأنفال

| الصفحة | رقمها | الآية |
|--------|-------|------------------------------------|
| ٢٧٦ | ٢ | إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله |
| ٢١١ | ١٦ | ومن يؤلّهم يومئذ دبره إلا |
| ٢٧٧ | ٦٢ | وإن يريدوا أن يخدعوك فإن حسبك الله |
| ٢٧٧ | ٦٤ | يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك |

سورة التوبة

| الصفحة | رقمها | الآية |
|---------------|-------|--|
| ٢٦٩ | ١٨ | إنما يعمر مساجد الله من أمن |
| ٢٦١ | ٢٤ | قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم |
| ٣٠٨، ٦٩، ٦٨ | ٣١ | اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً |
| ٣٠٠ | ٥٨ | ومنهم من يلمزك في الصدقات |
| ٣٥٤، ٣٥١، ٣٥٠ | ٦٥ | ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب |
| ٣٥٣ | ٦٦ | إن نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة |
| ١٠٧، ١٠٦، ١٠٤ | ١٠٨ | فيه رجال يحبون أن يتطهروا |
| ١٠٧ | ١٠٩ | أفمن أسس بنيانه على تقوى |
| ١٥٨، ١٥٦، ١٥٥ | ١١٣ | ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا |
| ٣٣٣ | ١١٩ | يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله |
| ١٨٥ | ١٢٨ | لقد جاءكم رسول من أنفسكم |

سورة يونس

| الصفحة | رقمها | الآية |
|--------|-------|------------------------------------|
| ١٣١ | ٢ | أكان للناس عجباً أن أوحينا إلى رجل |
| ١٢٧ | ٢٩-٢٨ | وقال شركاؤهم ما كنتم إيانا تعبدون |
| ٢٣١ | ٨٢-٨١ | فلما ألقوا قال موسى ما جئتم به |

| | | |
|-----|---------|---------------------------------|
| ٢٧٥ | ٨٤ | قال موسى يا قوم إن كنتم آمنتم |
| ١٢٢ | ١٠٧-١٠٦ | ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك |

سورة هود

| الصفحة | رقمها | الآية |
|--------|-------|-----------------------------------|
| ٢٩٧ | ١٦-١٥ | من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها |
| ٢٦٨ | ٥٤ | إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا |

سورة يوسف

| الصفحة | رقمها | الآية |
|--------|-------|--|
| ٣٤٣ | ٤٨ | ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد |
| ٢٨٢ | ٨٧ | إنه لا يئأس من روح الله إلا القوم الكافرون |
| ٧٦،٧٩ | ١٠٦ | وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون |
| ٥٦،٥٥ | ١٠٨ | قل هذه سبيلي ادعوا إلى الله |

سورة الرعد

| الصفحة | رقمها | الآية |
|---------|-------|------------------------------|
| ١٢٣ | ١٤ | والذين يدعون من دونه |
| ٣٢٥،٣١٩ | ٢٠ | وهم يكفرون بالرحمن قل هو ربي |

سورة إبراهيم

| الصفحة | رقمها | الآية |
|--------|-------|-----------------------------|
| ٥٨ | ٩ | إنا كفرنا بما أرسلتم به |
| ٥٨ | ١٠ | أفي الله شك |
| ٥٠،٤٩ | ٣٥ | واجنبي وبني أن نعبد الأصنام |

سورة الحجر

| الصفحة | رقمها | الآية |
|--------|-------|--------------------------------|
| ١٣٨ | ١٨-١٧ | وحفظناها من كل شيطان رجيم |
| ٢٨٢ | ٥٥-٥٤ | قال أبشرتوني على أن مسني الكبر |

ومن يقنط من رحمة ربه

٢٨٢ ٥٦

سورة النحل

| الآية | رقمها | الصفحة |
|----------------------------------|-------|--------|
| وألقي في الأرض رواسي أن تميد بكم | ١٥-١٦ | ٢٤٧ |
| ولقد بعثنا في كل أمة رسولا | ١٨ | ٣٦،٧ |
| يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها | ٨٣ | ٣٢٦ |
| وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم | ٩١ | ٤١٥ |
| فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله | ٩٨ | ١١٥ |
| إن إبراهيم كان أمة | ١٢٠ | ٣٨ |
| ادعوا إلى سبيل ربك بالحكمة | ١٢٥ | ٥٦ |

سورة الإسراء

| الآية | رقمها | الصفحة |
|---------------------------------------|-------|--------------|
| سبحان الذي أسرى بعبده | ١ | ٤٢٨، ١٦٦، ٩٠ |
| من كان يريد العاجلة عجلنا له | ١٨ | ٢٩٧ |
| وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه | ٢١-٢٣ | ٨ |
| تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن | ٤٤ | ١٤١ |
| قل ادعوا الذين زعمتم من دونه | ٥٦ | ٦٧ |
| أولئك الذين يدعون يبتغون | ٥٧ | ٦٧ |

سورة الكهف

| الآية | رقمها | الصفحة |
|-------------------------------------|-------|--------|
| قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن | ٢١ | ١٩٤ |
| ويوم يقول نادوا شركاءكم الذين زعمتم | ٥٢ | ١٢٣ |
| قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي | ١١٠ | ٢٩٣ |

سورة صريم

| الصفحة | رقمها | الآية |
|--------|-------|---|
| ٣٧٦، ٦ | ٩٣ | إن كل من في السموات والأرض إلا آتي الرحمن |

سورة طه

| الصفحة | رقمها | الآية |
|---------------|-------|--------------------------------------|
| ٤ | ٥ | الرحمن على العرش استوى |
| ٣٢٥ | ١٤ | إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني |
| ٢٣١، ٢١٦، ٢٠٨ | ٦٩ | والتق ما في يمينك تلقف ما صنعوا |

سورة الأنبياء

| الصفحة | رقمها | الآية |
|--------------------|-------|--------------------------------------|
| ٢٩٣ | ٢٥ | وما أرسلنا من قبلك إلا رسولا |
| ٣٩٧، ١٥٠، ١٤٨، ١٣٥ | ٢٩-٢٦ | وقالوا اتخذ الرحمن ولداً سبحانه |
| ٤٠٥ | ٣٠ | وجعلنا من الماء كل شيء حي |
| ١١٢، ٩٣ | ٥٢ | ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون |

سورة الحج

| الصفحة | رقمها | الآية |
|--------|-------|-----------------------------------|
| ١٢٦ | ٧٤-٧٣ | يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له |

سورة المؤمنون

| الصفحة | رقمها | الآية |
|----------|-------|------------------------------------|
| ٢٧٥ | ٣١ | ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء |
| ٢٨٢، ٢٨١ | ٥٦-٥٥ | أيحسبون أنما نمدهم به من مال |
| ٢٢٧، ٣٩ | ٦١-٥٧ | إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون |
| ٣٩ | ٥٩ | والذين هم بربهم لا يشركون |
| ٣٢٥، ٢٥ | ٩٢-٩١ | ما اتخذ الله من ولد وما كان معه |

سورة النور

| الصفحة | رقمها | الآية |
|----------|-------|--|
| ٢١١ | ٢٣ | إن الذين يرمون المحصنات الغافلات |
| ٣٥٥ | ٤٧ | ويقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا |
| ٣٥٥ | ٥١ | إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله |
| ٣٠٧، ٣٠٦ | ٦٣ | فليحذر الذين يخالفون عن أمره |

سورة الفرقان

| الصفحة | رقمها | الآية |
|----------|-------|-----------------------------------|
| ٤٢٨، ١٦٦ | ١ | تبارك الذي نزل الفرقان |
| ٣٢٥ | ٢ | ولم يتخذ ولداً ولم يكن له |
| ١٣-١٢ | ٧٠-٦٨ | والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر |

سورة الشعراء

| الصفحة | رقمها | الآية |
|---------|---------|-------------------------------------|
| ٢٠١ | ٧١ | قالوا نعبد أصناماً فنظلم لها عاكفين |
| ٢٦٠، ٧١ | ٩٨-٩٧ | تالله إن كنا لفي ضلال مبين |
| ٢٥٨ | ٢١٢-٢١٠ | وما تنزلت به الشياطين |
| ١٣١، ٣٢ | ٢١٤ | وأندر عشيرتك الأقربين |

سورة النمل

| الصفحة | رقمها | الآية |
|-------------------------|-------|---------------------------------------|
| ٣٧٥، ١٢٤، ١٢٣، ١٢١، ١٢٠ | ٦٢ | أمن يجيب المضطر إذا دعاه |
| ١٢٥ | ٦٥ | قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب |

سورة القصص

| الصفحة | رقمها | الآية |
|---------------|-------|--------------------------|
| ٣٠٩ | ٥٠ | فإن لم يستجيبوا لك فاعلم |
| ١٥٨، ١٥٧، ١٥٣ | ٥٦ | إنك لا تهدي من أحببت |

| | | |
|-----|----|------------------------------|
| ٧١ | ٦٣ | قال الذين حق عليهم القول |
| ١٢٣ | ٦٤ | وقيل ادعوا شركاءكم فدعوهم |
| ٣٥٦ | ٧٨ | قال إنما أوتيته على علم عندي |

سورة العنكبوت

| الصفحة | رقمها | الآية |
|--------------|-------|--------------------------------------|
| ٢٧٠ | ١٠ | ومن الناس من يقول أمنا بالله |
| ٢٠١، ١٢٢، ٤٩ | ١٧ | إنما تعبدون من دون الله آوثاناً |
| ٢٦٧ | ٢٥ | إنما اتخذتم من دون الله آوثاناً مودة |

سورة الروم

| الصفحة | رقمها | الآية |
|--------|-------|------------------------------|
| ١٩ | ٤٧ | وكان حقاً علينا نصر المؤمنين |

سورة لقمان

| الصفحة | رقمها | الآية |
|---------|-------|-------------------------------|
| ١٢٢، ٢٢ | ١٣ | يا بني لا تشرك بالله إن الشرك |
| ٨ | ١٤ | أن أشكر لي ولوالديك |

سورة الأحراب

| الصفحة | رقمها | الآية |
|--------|-------|--------------------------------|
| ٢٥٣ | ٣٣ | ولا تبرجن تبرج الجاهلية |
| ٢٠٣ | ٤٠ | ما كان محمد أباً أحد من رجالكم |
| ١٤٦ | ٤٥-٤٦ | إننا أرسلناك شاهداً ومبشراً |
| ١٩٩ | ٦٧ | وقالوا ربنا إننا أطعنا ساداتنا |

سورة سبأ

| الصفحة | رقمها | الآية |
|---------------|-------|----------------------------------|
| ١٤٧، ١٣٤ | ٢٢ | قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله |
| ١٤٧، ١٣٦، ١٣٤ | ٢٣ | حتى إذا فزع عن قلوبهم |

ويوم يحشرهم جميعاً ثم يقول للملائكة

سورة فاطر

| الصفحة | رقمها | الآية |
|---------|-------|---|
| ٢٧٢، ٧٥ | ٢ | ما يفتح الله للناس من رحمة |
| ١٢٦ | ١٣ | والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير |

سورة يس

| الصفحة | رقمها | الآية |
|----------|-------|--------------------------|
| ٢٣٤ | ١٩ | قالوا طائركم معكم |
| ٢٥١، ٢٤٨ | ٣٩ | والقمر قدرناه منازل |
| ٤١٠، ١١٧ | ٨٢ | إنما أمره إذا أراد شيئاً |

سورة الصافات

| الصفحة | رقمها | الآية |
|--------|-------|---|
| ١٣٨ | ١٠ | إلا من خطف الخطفة فاتبعه شهاب |
| ١٢ | ٣٥ | إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون |
| ٢٠١ | ٩٥ | أتعبدون ما تنحتون |
| ٣٩٧ | ٩٦ | والله خلقكم وما تعملون |

سورة الزمر

| الصفحة | رقمها | الآية |
|--------|-------|---------------------------------|
| ٣٣٦ | ٧ | وإن تكفروا فإن الله غني عنكم |
| ٣٨ | ٩ | أمن هو قانت أثناء الليل ساجداً |
| ٦ | ١٧-١٨ | فبشر عباد ، الذين يستمعون القول |
| ١٢٠ | ٣٠ | إنك ميت وإنهم ميتون |
| ٢٦٨ | ٣٦ | ويخوفونك بالذين من دونه |
| ٧٥ | ٣٨ | قل أفرءيتم ما تدعون من دون الله |
| ١٢٠ | ٤٢ | الله يتوفى الأنفس حين موتها |

| | | |
|---------------|----|--------------------------------|
| ١٤٦، ١٤٥ | ٤٤ | قل لله الشفاعة جميعاً |
| ١٦٣، ١٢ | ٤٥ | وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب |
| ٤٣٣، ٤٣٢، ٤٣١ | ٦٧ | وما قدروا الله حق قدره |

سورة غافر

| الصفحة | رقمها | الآية |
|--------|-------|-------------------------------------|
| ١٥٠ | ١٨ | وما للظالمين من حميم ولا شفيع |
| ٦ | ٣١ | وما الله يريد ظلماً للعباد |
| ٦ | ٤٠ | إن الله قد حكم بين العباد |
| ٤٩ | ٥٣ | قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم |
| ١١٩ | ٦٠ | ادعوني استجب لكم |

سورة فصلت

| الصفحة | رقمها | الآية |
|--------|-------|----------------------------------|
| ٩٠ | ١٠ | وبارك فيها وقدر فيها أقواتها |
| ٥٦ | ٣٣ | ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله |
| ٣٥٦ | ٥٠ | ولئن أذقناه رحمة منا من بعد ضراء |

سورة الشورى

| الصفحة | رقمها | الآية |
|--------|-------|---------------------------------------|
| ٣٤٨ | ١٠ | وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله |
| ١٥٧ | ٥٢ | وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم |
| ٢٣ | ٨٦ | إلا من شهد بالحق وهم يعلمون |

سورة الزخرف

| الصفحة | رقمها | الآية |
|--------|-------|---------------------------------------|
| ١٣٥ | ١٩ | وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن |
| ٧٣، ٦٨ | ٢٧-٢٦ | وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني براء |
| ٧٣ | ٢٨ | وجعلها كلمة باقية في عقبه |

سورة الجاثية

| الصفحة | رقمها | الآية |
|-------------|-------|------------------------------------|
| ٢٦ | ١٣ | وسخر لكم مافي السموات وما في الأرض |
| ٣٤٢،٣٤١،٣٤٠ | ٢٤ | وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا |

سورة الأحقاف

| الصفحة | رقمها | الآية |
|--------|-------|------------------------------|
| ١٢٣ | ٥ | ومن أضل ممن يدعو من دون الله |

سورة محمد

| الصفحة | رقمها | الآية |
|---------|-------|---------------------------|
| ٢٣ | ١٩ | فاعلم أنه لا إله إلا الله |
| ٢٥٠،٢٤٩ | ٢٢ | فهل عسيتم إن توليتم |

سورة الفتح

| الصفحة | رقمها | الآية |
|--------|-------|---------------------------------|
| ٣٩٢ | ٦ | الظانين بالله ظن السوء |
| ١٢٥ | ٩ | وتسبحوه بكرة وأصيلاً |
| ١٧٣ | ٢٩ | محمد رسول الله والذين معه أشداء |

سورة الحجرات

| الصفحة | رقمها | الآية |
|--------|-------|-----------------------------|
| ٢٥٣ | ١٣ | إن أكرمكم عند الله أتقاكم |
| ٣٨٥ | ١٤ | لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا |

سورة الذاريات

| الصفحة | رقمها | الآية |
|--------|-------|----------------------------------|
| ٥ | ٥٦ | وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون |

سورة النجم

| الصفحة | رقمها | الآية |
|---------|-------|----------------------|
| ١٨٠، ٩٠ | ١٩ | أفرأيتم اللات والعزى |

| | | |
|--------------|-------|--|
| ١٤٧ | ٢٦ | وكم من مَلَكٍ في السموات لا تغني شفاعتهم |
| | | سورة القمر |
| الصفحة | رقمها | الآية |
| ٣٩٧ | ٤٩ | إنا كل شيء خلقناه بقدر |
| | | سورة الرحمن |
| الصفحة | رقمها | الآية |
| ٤ | ٢-١ | الرحمن * علم القرآن |
| | | سورة الواقعة |
| الصفحة | رقمها | الآية |
| ٢٥٧ | ٨٢-٧٥ | فلا أقسم بمواقع النجوم |
| ٢٥٧، ٢٥١ | ٨٢ | وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون |
| | | سورة الحديد |
| الصفحة | رقمها | الآية |
| ٢٧ | ٢١ | سابقوا إلى مغفرة من ربكم |
| | | سورة الحشر |
| الصفحة | رقمها | الآية |
| ١٤٦ | ٥ | ما قطعتم من لينة أو تركتموها |
| | | سورة التغابن |
| الصفحة | رقمها | الآية |
| ٢٨٦، ٢٨٥ | ١١ | ومن يؤمن بالله يهد قلبه |
| | | سورة الطلاق |
| الصفحة | رقمها | الآية |
| ٢٧٤ | ٣-٢ | ومن يتق الله يجعل له مخرجاً |
| ٢٧٨، ٢٧٧، ٤٥ | ٣ | ومن يتوكل على الله فهو حسبه |
| | | سورة الملك |
| الصفحة | رقمها | الآية |
| ٩٠ | ١ | تبارك الذي بيده الملك |

| | | |
|---------------------|-------|--------------------------------------|
| ٢٩٦ | ٢ | ليلوكم أيكم أحسن عملاً |
| ٢٤٧ | ٥ | ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح |
| سورة نوح | | |
| الصفحة | رقمها | الآية |
| ١٦١ | ٢٣ | وقالوا لا تذرنا تهتكم ولا تذرنا وداً |
| سورة الجن | | |
| الصفحة | رقمها | الآية |
| ١١٥ | ٦ | وأنه كان رجال من الإنس يعوذون |
| ١٣٨ | ٩-٨ | وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت |
| ١٣٠ | ٢٣-٢١ | قل إني لا أملك لكم ضرراً ولا رشداً |
| سورة المدهثر | | |
| الصفحة | رقمها | الآية |
| ١٢٠ | ٣٨ | كل نفس بما كسبت رهينة |
| سورة الإنسان | | |
| الصفحة | رقمها | الآية |
| ١١١ | ٧ | يوفون بالنذر ويخافون يوماً |
| سورة عبس | | |
| الصفحة | رقمها | الآية |
| ٢٥٨ | ١٦-١٣ | في صحف مكرمة |
| سورة التكويد | | |
| الصفحة | رقمها | الآية |
| ١٤٢ | ٢١-١٩ | إنه لقول رسول كريم ذي قوة |
| ٣٣٧، ٣٣٥ | ٢٨ | لمن شاء منكم أن يستقيم |
| سورة العجر | | |
| الصفحة | رقمها | الآية |
| ٧١ | ٢٦-٢٥ | فيؤمئذ لا يعذب عذابه أحد |

سورة الكوثر

| الصفحة | رقمها | الآية |
|--------|-------|------------------|
| ٩٨ | ٢ | فصل لربك وانحر |
| ١٩٢ | ٣ | إن شانك هو الأبر |

سورة الكافرون

| الصفحة | رقمها | الآية |
|--------|-------|-------------------------|
| ٧ | ٥،٣ | ولا أنتم عابدون ما أعبد |

سورة الاخلاص

| الصفحة | رقمها | الآية |
|--------|-------|----------------------|
| ٤٢٩ | ٢ | الله الصمد |
| ٣٢٥ | ٤ | ولم يكن له كفواً أحد |

سورة الفلق

| الصفحة | رقمها | الآية |
|----------|-------|--------------------------|
| ٢١٧، ٢٠٧ | ٤ | ومن شر النفاثات في العقد |



فهرس الأحاديث النبوية

رقم الصفحة طرف الحديث أو الأثر

(١)

| | |
|---------|--|
| ٣٥٤-٣٥١ | أبالله وءاياته ورسوله كتم تستهزؤن |
| ٢٠٧ | أتاني ملكان فجلس أحدهما عند رأسي |
| ١٤٧ | أتي تحت العرش فأخر ساجداً |
| ٣٣٦ | أجعلتني لله نداً |
| ١٢٨ | أحد جبل يحبنا ونحبه |
| ٢٤٠ | أحسنها الفأل ولا ترد مسلماً |
| ٢٤٨ | أخاف على أمتي بعدي خصلتين |
| ٢٤٨ | أخاف على أمتي ثلاثاً حيف الأئمة |
| ١٤١ | أخذ النبي ﷺ في يده حصيات |
| ٥١،٥٠ | أخوف ما أخاف عليكم الشرك |
| ٢٩٠ | إذا أحب الله قوماً ابتلاهم |
| ٢٨٩،٢٨٨ | إذا أراد الله بعبده الخير عجل له |
| ١٤١-١٤٠ | إذا أراد الله تعالى أن يوحى بالأمر تكلم |
| ٢٦٢ | إذا تبايعتم بالعينة وأخذتم أذناب البقر |
| ٢٣٨ | إذا تغولت الغيلان فبادروا |
| ١٣٦ | إذا تكلم الله بالوحي سمع أهل |
| ١٣٧ | إذا تكلم الله بالوحي سمع أهل السماء الدنيا صلصلة |

| | |
|----------|--|
| ٢٨١ | إذا رأيت الله يعطي العبد على معاصيه |
| ٢٣٥ | إذا سمعتم به في أرض فلا تقدموا عليه |
| ١٣٦ | إذا قضى الله الأمر في السماء |
| ٢٨٠ | إذا وقعت في الأمر العظيم |
| ٨١ | أذهب البأس رب الناس |
| ٢٥٢، ٢٤٦ | أربع في أمتي من أمر الجاهلية |
| ٨٠ | أرسل رسولاً أن لا ييقين في رقبة |
| ٣٦٨ | أسألك بكل اسم هو لك |
| ٣٤٥ | أشد غضب الله على من زعم أنه ملك الأملاك |
| ٤٠٤، ٤٠٣ | أشد الناس عذاباً يوم القيامة الذين |
| ٢٩ | أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله |
| ٣٢٨، ٢٤٦ | أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر |
| ٨٢ | أعرضوا علي رقاكم لا بأس |
| ٣٩ | أعوذ بكلمات الله التامات التي لا |
| ٣٨٣ | أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له السموات |
| ٣٨٣ | أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات |
| ٣٨٣ | أعوذ بوجهك الكريم |
| ٢٥٣ | أعيرته بأمه ؟ |
| ٣٤٥ | أغیظ رجل على الله يوم القيامة |
| ٢٨٤ | أكبر الكبائر الإشراك بالله - ابن مسعود - |

- ٤٠٦ ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ
- ٣٨٢ ألا أخبركم بشر البرية
- ٣٨١ ألا أخبركم بشر الناس - ابن عباس -
- ٢٩٥ ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي
- ٩ ألا أنبئكم بأكبر الكبائر
- ٣٠٩،٣٠٨ ليس يجرمون ما أحل الله
- ١٨٣ أما إنك لو بلغت معهم الكدى
- ٢٤٧ أما السماء الدنيا فإن الله خلقها من دخان
- ٣٠٥ أمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يجعلوها عمرة
- ٧٤، ٦٦ أمرت أن أقاتل الناس حتى
- ٩ أمك ، ثم أمك
- ٣٤٤ إن أخنع اسم عند الله
- ١٩٩ إن أخوف ما أخاف على أمي الأئمة
- ٤٠٠،٣٩٩ إن أول ما خلق الله القلم
- ٤٠٠،٣٩٩ إن أول ما خلق الله القلم فقال له اكتب فجرى
- ٤٢٢ إن الرجل ليتكلم بالكلمة
- ٨١ إن الرقى والتمائم والتولة شرك
- ٢١٥ إن العيافة والطرق والطيرة من الجبت
- ١٩٦-١٩٥ إن الله زوى لي الأرض
- ٢٥٣ إن الله قد أذهب عنكم عبية الجاهلية

| | |
|-----------------|--|
| ١٩٩ | إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً |
| ١٩٣ | إن الله لم يهلك أمة أو قال |
| ٣٤٧ | إن الله هو الحكم |
| ٢٢٠ | إن الله يبغض البليغ من الرجال |
| ٣٥٢ | إن المؤمن يأكل في معاء واحد |
| ١٣٧ | إن الملائكة تنزل في العنان |
| ٢١٠، ٧٠، ١٣، ١٢ | أن تجعل الله نداً وهو خلقك - أي الذنب أعظم - |
| ٣٦٠-٣٥٧ | إن ثلاثة من بني إسرائيل : أبرص وأقرع |
| ٢٧٢ | إن رزق الله لا يجره حرص حريص |
| ٢٩٠ | إن عظم الجزاء مع عظم البلاء |
| ٢٥٩ | أن لا يمسه القرآن إلا طاهر |
| ٣٦٨، ٣٦٧ | إن لله تسعة وتسعين اسماً |
| ٢١٩، ٢٠٧ | إن من البيان لسحرا |
| ١٧٦ | إن من شرار الناس من تدركهم الساعة |
| ٢٧١-٢٧٠ | إن من ضعف اليقين أن ترضي الناس |
| ٣٢ | أن نوحاً عليه السلام قال لابنه عند موته |
| ١٨٦ | إن هذا الدين يسر |
| ١٠٨ | إن هذا يوم جعله الله للمسلمين عيداً |
| ٣٣٥ | أن يهودياً أتى النبي ﷺ فقال إنكم تشركون |
| ٣٦٣ | أنا النبي لا كذب |

| | |
|--------------|---|
| ٤٢٨ | أنا سيد ولد آدم ولا فخر |
| ٢٩١ | الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل |
| ٥٧ | إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب |
| ٢٤٨ | إنما أخاف على أمتي التصديق بالنجوم |
| ٣٠٩، ٣٠٤، ٦٩ | إنما الطاعة في المعروف |
| ٢٤٤، ٢٤٣ | إنما الطيرة ما أمضاك أو ردك |
| ١٤٩ | إنما تنقض عرى الإسلام عروة - عمر بن الخطاب- |
| ٤٢٦، ١٢٥ | إنه لا يستغاث بي وإنما يستغاث |
| ٢٢-٢١ | إنه ليس الذي تعنون ألم |
| ١٧٣-١٧٢ | إنني أبرأ إلى الله أن يكون لي |
| ٤٢ | أول زمرة تدخل الجنة |
| ١٦٩ | أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح |
| ١٦٧ | إياكم والغلو فإنما أهلك من كان |
| ٣٩٦ | الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته |
| ٢٩٦-٢٩٥ | أيها الناس إياكم وشرك السرائر |
| ٢١٨-٢١٧ | ألا هل أنبئكم ما العضة |
| ٢٨٦ | اثنان في الناس هما بهم كفر |
| ٢٠٩ | اجتنبوا السبع الموبقات |
| ٥٢ | اجعلتني لله نداً |
| ٣٨٦، ٣٨٥ | احرص على ما ينفعك |

| | |
|---------------|---|
| ٣٧٤ | ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة |
| ١٨٣ | ارجعن مأزورات غير مأجورات |
| ١٥٦ | استغفر إبراهيم لأبيه وهو مشرك |
| ٩٤،٩٣ | الله أكبر إنها السنن |
| ١٢٩ | اللهم ألعن فلاناً وفلاناً |
| ٣٩٠ | اللهم إنا نسألك من خير هذه الريح |
| ٣٢٢، ٤١ | اللهم فقه في الدين |
| ٥٠-٤٩ | اللهم لا تجعل قبري وثناً |
| ٢٠١، ١٧٧، ١٧٨ | |
| ٣٤٤ | اللهم لك الحمد كله ولك الملك كله |
| ٦٤ | انفذ على رسلك |
| (ب) | |
| ٢٠٥ | بييت المقدس |
| ٧٠، ١٢ | بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً |
| ١٨٥ | بعثت بالحنيفية السمحة |
| ٦٩ | بلى إنهم حرّموا عليهم الحلال |
| ٤٣٤ | بين السماء الدنيا والتي تليها خمسمائة عام - ابن مسعود - |
| (ت) | |
| ٢٨٨ | تدمع العين ويمحزن القلب ولا نقول |
| ٣٠٣، ٣٠١، ٢٩٩ | تعس عبدالدينار تعس عبدالدرهم |

٩٢ تلك العزى

١٤٠ تلك الكلمة التي يخطفها الجني

(ث)

٤٢٢ ثكلتك أمك يا معاذ

٢٤٢ ثلاث لا يسلم أحد منهم

٢٦٣ ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان

٢٤٩ ثلاثة لا يدخلون الجنة

٤٠٩ ثلاثة لا يكلمهم الله

(ج)

٤٣١ جاء خبر من الأخبار إلى رسول الله ﷺ فقال يا محمد إنا نجد

١٧٦،١٧٥ جعلت لي الأرض مسجداً

١٠٣ الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله

(ح)

٢١٢،٢١١ حد الساحر ضربة بالسيف

٣٢١ حدثوا الناس بما يعرفون - علي بن أبي طالب -

٣٠٣ حرس ليلة في سبيل الله أفضل من ألف ليلة

٢٧٩-٢٧٨ (حسبنا الله ونعم الوكيل) قالها إبراهيم - ابن عباس -

٤٠٨ الحلف منفقة للسلعة

(خ)

١٥ خط رسول الله ﷺ خطأ

- ٤٠٠ خلق الله اللوح المحفوظ مسيرة خمسمائة عام - ابن عباس -
- ٤١١، ٤١٠ خير أمي قرني
- ٣٢ خير الدعاء دعاء يوم عرفه
- ٤١٣ خير الشهداء الذي يأتي بشهادته قبل أن
- ٤١٣ خير الناس قرني
- (د)
- ١٠٢، ١٠١ دخل الجنة رجل في ذباب
- ١٠٨ دعهما يا أبا بكر فإن لكل قوم عيداً
- (ر)
- ٣٢٢ رأى رجلاً أنتفض لما سمع حديثاً - أثر -
- ٣٣٨ الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين
- ٤٢٢ رب أشعث أغبر ذي طمرين
- ٣٠٣ رب أشعث مدفوع بالأبواب
- ٨٢ رخص رسول الله ﷺ في الرقية
- ٣٨٩ الريح من روح الله تأتي بالرحمة
- (س)
- ٤٢٤، ٤٢٣ سبحان الله سبحان الله
- ٣٠ سمعت الناس يقولون بشيء فقلته
- ٤١٨ سنوا بهم سنة أهل الكتاب
- ٤٢٨، ٤٢٧، ٤٢٦ السيد الله تبارك وتعالى

(ش)

- ٢٣٦ الشؤم في ثلاث في المرأة والدابة
 ١٢٧ شج النبي ﷺ يوم أحد
 ٣٠١ شجرة في الجنة - طوبى -
 ٢٨٣، ٢٨٢ الشرك بالله والياس من روح الله - سئل عن الكبائر -
 ٤٤ الشفاء في ثلاث شربة عسل

(ص)

- ٢٨٥ الصبر نصف الإيمان
 ٩ الصلاة على وقتها

(ط)

- ٣٠١ طوبى لمن رأني وآمن بي
 ٢٤٢-٢٤١ الطيرة شرك الطيرة شرك

(ع)

- ٤١ عرضت على الأمم فرأيت النبي
 ٣٠٤ على المرء السمع والطاعة ما لم يؤمر

(ف)

- ٣٥، ٢٨ فإن الله حرم على النار من قال لا إله
 ٤٢ فاستزدت ربي فزادني
 ١٣٧ فلا ينزل على أهل سماء إلا صعقوا
 ٤٠١ فمن لم يؤمن بالقدر خيره وشره أحرقه الله بالنار

٦٦

فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً

(ق)

٣٢٨

قال الله تعالى أصبح من عبادي مؤمن بي

٢٩٤

قال الله تعالى أنا أغنى الشركاء عن الشرك

٣٩١

قال الله تعالى أنا عند ظن عبدي بي

٤٠٥،٤٠٣

قال الله تعالى ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي

٣٤١

قال الله تعالى يؤذيني ابن آدم

٣٥،٣٤

قال الله تعالى يا ابن آدم لو أتيتني بقراب الأرض

٣٥

قال الله تعالى يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني

٤٢١

قال رجل والله لا يغفر الله لفلان

٣١

قال موسى يا رب علمني شيئاً أذكرك

١٥٤

قل لا إله إلا الله كلمة أحاج

٤٢٩

قوموا إلى سيدكم

(ك)

٣١٨-٣١٧

كان بين رجل من المنافقين ورجل من اليهود - الشعبي -

٤١٦،٤١٥

كان رسول الله ﷺ إذا أمر أميراً على جيش

٢٣٩-٢٣٨

كان لي تمر في سهوة فكانت الغول

٦٧

كان ناس من الإنس يعبدون

٣

كُلُّ أمر ذي بال لا يفتح بذكر الله

٢٣٦

كُلُّ باسم الله ثقة بالله

- ٤٠٤ كل مصور في النار
- ١٤١ كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل - ابن مسعود -
- ٣٨٦ الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت
- ١٩٧ كيف بك ياسراق إذا وضع
- ١٢٨ كيف يفلح قوم شجوا نبيهم
- (ل)
- ٦٢،٦١ لأعطينا الراية غداً رجلاً
- ٣٣١ لأن أحلف بالله كاذباً - ابن مسعود -
- ١٨٩، ١٠٨ لا تتخذوا قبري عيداً وصلوا علي
- ١٩٠، ١٨٩، ١٨٨ لا تتخذوا قبري عيداً ولا بيوتكم قبوراً
- ١٨٧-١٨٦ لا تجعلوا بيوتكم مقابر
- ٣٣٣ لا تحلفوا بأبائكم من حلف بالله
- ٣٠٧ لا تزال طائفة من أمتي على الحق منصوره
- ٢٠٤ لا تزال عصابة من أمتي يقاتلون
- ٤١١ لا تسبوا أصحابي
- ٣٤٣، ٣٤١ لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر
- ٣٩٠-٣٨٩ لا تسبوا الريح فإذا رأيتم ما تكرهون
- ٨٧ لا تستنجوا بالروث والعظام
- ١٩٠ لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد
- ٤٢٨، ٤٢٦، ١٦٦ لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم

| | |
|----------|--------------------------------------|
| ٣٧٢ | لا تقولوا السلام على الله |
| ٣٣١ | لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان |
| ٢٠١ | لا تقوم الساعة حتى تضطرب |
| ٤٢٥ | لا تنسنا يا أخي من صالح دعائك |
| ١٩٨ | لا راد لما قضيت |
| ٤١ | لا رقية إلا من عين أو حمة |
| ٢٣٩، ٢٣٤ | لا عدوى ولا طيرة ولا هامة |
| ٢٣٨ | لا غول ولكن السعالي سحرة الجن |
| ١٠٨ | لا نذر في معصية |
| ٤١٧ | لا هجرة بعد الفتح |
| ٢٦٢ | لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه |
| ٣١٦، ٣١٥ | لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه |
| ٢٦٦ | لا يجد العبد صريح الإيمان حتى يجب |
| ٢١٠، ١٣ | لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن |
| ٢٠١ | لا يذهب الليل والنهار حتى تعبد اللات |
| ٣١٦ | لا يزني الزاني حين يزني |
| ٣٨١ | لا يُسأل بوجه الله إلا الجنة |
| ٢٣٥ | لا يعدي شيء |
| ٢٢٢ | لا يقبل الله صلاة حائض إلا بخمار |
| ٣٧٦ | لا يقل أحدكم أطعم ربك |

| | |
|----------|--|
| ٣٧٥، ٣٧٤ | لا يقولن أحدكم اللهم اغفر لي إن شئت |
| ٣٩١ | لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله |
| ٢٣٥ | لا يورد ممرض على مصح |
| ١٩٤، ٩٤ | لتتبعن سنن من كان قبلكم |
| ٢١٨ | لعن الله العاصهه |
| ٩٩، ٩٨ | لعن الله من ذبح لغير الله |
| ١٨٣، ١٨١ | لعن رسول الله ﷺ زائرات القبور |
| ١٩٤، ١٧١ | لعنة الله على اليهود والنصارى |
| ٣٧٩ | لقد عذت بمعاذ |
| ١٥١ | لكل نبي دعوة مستجابة |
| ٣٦١ | لما ولدت حواء طاف بها إبليس |
| ١٢٧ | لن تمسك النار |
| ٣٨٨ | لو استقبلت من أمري ما استدبرت |
| ٣٨٨ | لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك |
| ٣٨٧ | لولا حدثان قومك بالكفر |
| ٢٨٧ | ليس بين العبد وبين الكفر أو الشرك |
| ٢٢٥ | ليس منا من تطيرا أو تطير له |
| ٢٨٧ | ليس منا من ضرب الخدود |
| | (م) |
| ٢٨٥ | ما أعطي أحد عطاء خيراً |

- ٤٥ ما أنزل الله من داء إلا أنزل شفاء
- ٤٣٣ ما السموات السبع والأرضون السبع
- ٤٣٣ ما السموات السبع في الكرسي إلا كدراهم
- ٤٣٤ ما الكرسي في العرش إلا كحلقة من حديد
- ١٨٦ ما بقي شيء يقرب من الجنة ويباعد
- ١٣٩ ما كنتم تقولون إذا كان هذا
- ١٢٧ ما لك أقماك الله
- ٢٩ ما من عبد قال لا إله إلا الله ثم مات على ذلك
- ٧٦ ما هذه ؟ ... أنزعها فإنها لا تزيدك
- ١٧ معاذ أعلم أمتي بالحلل والحرام
- ٣٨١ ملعون من سأل بوجه الله وملعون من سئل
- ٣٨١ ملعون من سئل بوجه الله فمنع سائله
- ٢٢٢ من أتى كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر
- ٢٢٣ من أتى عرافاً أو كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر
- ٢٢٣، ٢٢٢، ٢٢١ من أتى عرافاً فسأله عن شيء فصدقه لم تقبل له
- ٢٢٤ من أتى كاهناً أو ساحراً فصدقه بما يقول فقد كفر
- ٢٦٦ من أحب لله وأبغض لله
- ١٦ من أراد أن ينظر إلى وصية محمد - ابن مسعود -
- ٢٥٠، ٢٤٧، ٢٤٦، ٢١٦ من اقتبس شعبة من النجوم
- ٢٧٣ من التمس رضى الناس بسخط الله

- ٧٨ من تعلق تميمه فقد أشرك
- ٧٨ من تعلق تميمه فلا أتم الله له
- ٨٤ من تعلق شيئاً وكل إليه
- ٣٣٠ من حلف بغير الله فقد كفر
- ١١٢ من حلف وقال في حلفه واللات
- ١٠٩ من حلف باللات والعزى فليقل
- ٢٤٣-٢٤٢ من رده الطيرة عن حاجته
- ٣٧٨ من سأل بالله فأعطوه ومن
- ٢٣ من شهد أن لا إله إلا الله
- ٢٩ من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمد عبده ورسوله
- ٢٧٢ من صنع إليكم معروفاً فكافئوه
- ٣٧٩ من صنع إليه معروف فقال
- ٤٠٥،٤٠٤ من صور صورة في الدنيا كلف أن ينفخ فيها
- ١٠١ من ظلم شبراً من الأرض طوقه
- ٢١٧-٢١٦ من عقد عقدة ثم نفث فيها
- ٢٨٧ من غشنا فليس منا
- ١٥١ من قال لا إله إلا الله خالصاً
- ٧٣،٧٢ من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد
- ٨٨ من قطع تميمه من إنسان كان كعدل - سعيد بن جبير -
- ١٠٠ من الكبائر شتم الرجل والديه

| | |
|----------|--------------------------------|
| ٢٧٢ | من لا يشكر الناس لا يشكر الله |
| ٥٣ | من لقي الله لا يشرك به شيئاً |
| ٥١ | من مات وهو يدعو من دون الله |
| ٤٢١ | من المتألي على الله |
| ١١٤، ١١٣ | من نذر أن يطيع الله فليطعه |
| ١١٦ | من نزل منزلاً فقال أعوذ بكلمات |

(ن)

| | |
|---------|----------------------------------|
| ٢٥٥-٢٥٤ | النائحة إذا لم تتب قبل موتها |
| ١٠ | نعم الصلاة عليهما وإنفاذ عهدهما |
| ٤٥ | نعم يا عباد الله تداووا فإن الله |
| ٨٧ | نهى أن يستنجي بعظم أو روث |

(هـ)

| | |
|----------|-----------------------------------|
| ١٦٢-١٦١ | هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح |
| ٤٣٥، ٤٣٤ | هل تدرون كم بين السماء والأرض |
| ٢٥٦ | هل تدرون ماذا قال ربكم؟ |
| ١٠٧ | هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية |
| ١٦٨ | هلك المتنطمون |
| ١٠٦ | هو ذاك فعليكموه |
| ١٠٦ | هو مسجدي هذا |
| ٢٢٩ | هي من عمل الشيطان - النشرة - |

(و)

- ١٧ وإنما تارك فيكم ما إن تمسكنم به لن
والذي نفسي بيده لتنفقن كنوزهما
١٩٧
والذي نفسي بيده لينزلن فيكم ابن مريم
٢٠٣
وفر من المجذوم كما تفر من الأسد
٢٣٥
ولا تقوم الساعة حتى يلحق
٥١
وليعظم الرغبة
٣٧٥
ومن سحر فقد أشرك
٢٠٧
ويل للمتالين من أمي
٤٢١

(ي)

- ١٦٢ يا أكثم رأيت عمرو بن لحي
٤٢٢ يا أنس كتاب الله القصاص
١٥٣ يا عم تأمرهم بالنصح لأنفسهم
٢٩-٢٨ يا معاذ ما من عبد يشهد أن لا إله إلا الله
١٧ يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد
١٣٢-١٣ يا معشر قريش اشتروا أنفسكم
٨٦ يارويفع لعل الحياة ستطول بك
٤٣٢ يجعل السموات على إصبع
٣٣ يصاح برجل على رؤوس الخلائق يوم القيامة
٤٣٢ يطوي الله السموات يوم القيامة

- ٢٨١ يقول الله تعالى أنا عند ظن عبدي بي
- ٢٦٩ يقول الله تعالى للعبد يوم القيامة ما منعك
- ٢٠٢ يكون في أمتي كذابون دجالون
- ٣٠٤ يوشك أن تنزل عليكم حجارة - ابن عباس -
- ١٧٧ يوشك أن يضرب الناس من أكباد

فهرس الأعلام الذين ترجم لهم الشارح

| | |
|---------|--|
| ٨٨ | إبراهيم النخعي |
| ٨٠ | أبو بشير الأنصاري |
| ١٧٣ | أبو بكر الصديق رضي الله عنه |
| ٨٤ | أبو داود سليمان بن الأشعث |
| ٣١ | أبو سعيد الخدري رضي الله عنه |
| ٧٢ | أبو مالك الأشجعي |
| ٢٥٢ | أبو مالك الأشعري |
| ٢٤٩ | أبو موسى الأشعري |
| ٩٢ | أبو واقد الليثي رضي الله عنه |
| ١٣١ | أبو هريرة |
| ٣٨٩ | أبي بن كعب رضي الله عنه |
| ٧٧ | أحمد بن حنبل |
| ٢١٦ | أحمد بن شعيب النسائي |
| ١٤٧-١٤٨ | أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية أبو العباس |
| ٢٢٤ | أحمد بن علي أبو يعلى |
| ٢٢٥-٢٢٦ | أحمد بن عمر البزار |
| ١٩٩ | أحمد بن محمد البرقاني |
| ٢٤٨-٢٤٩ | إسحاق بن إبراهيم بن مخلد |
| ١٦٩ | أم سلمة هند بنت أبي أمية |
| ٣٤ | أنس بن مالك بن النضر رضي الله عنه |
| ١٨١ | أوس بن عبد الله الربيعي ابن الجوزاء |

| | |
|------------|---|
| ١٦٣ | ابن القيم |
| ٣٦٢ | ابن حزم |
| ٢١٢ | بجالة بن عبدة |
| ٤١٥، ٤١-٤٠ | بُرَيْدَةُ بن الحَصِيبِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ |
| ١٠٧ | ثَابِت بن الضَّحَّاك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ |
| ١٩٥ | ثَوْبَان مولى رسول الله ﷺ |
| ٥٣ | جَابِر بن عبد الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا |
| ٤٢٣ | جَبْرِ بن مطعم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ |
| ١٧٢ | جُنْدَب بن سفيان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ |
| ٧٩ | حَدِيفَةُ ابن اليمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ |
| ٢٤٨ | حَرْب ابن إسماعيل الكرمانى |
| ٢٣١ | الحسن ابن أبى الحسن |
| ٢٢٦ | الحسين بن مسعود البغوي |
| ٤٠ | حصين بن عبدالرحمن |
| ٢١٣ | حفصة بنت عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهَا |
| ٢١٤ | حيان ابن العلاء |
| ١١٦ | خولة بنت حكيم رَضِيَ اللهُ عَنْهَا |
| ٨٦ | رويفع بن ثابت رَضِيَ اللهُ عَنْهُ |
| ٣٥١ | زيد بن أسلم |
| ٢٥٥ | زيد بن خالد الجهني رَضِيَ اللهُ عَنْهُ |
| ١٥٤ | سعيد بن المسيب |
| ٤٠ | سعيد بن جبير |
| ٣٠٧، ١٨٠ | سفيان الثوري |

| | |
|---------|-------------------------------------|
| ١٣٨ | سفيان بن عيينة |
| ٤٠٩ | سلمان الفارسي رضي الله عنه |
| ١٢٤ | سليمان بن أحمد الطبراني |
| ٣٦٨ | سليمان بن مهران الأعمش |
| ٦١ | سهل بن سعد رضي الله عنه |
| ٧٢ | طارق بن أشيم ابن مسعود رضي الله عنه |
| ١٠٢-١٠١ | طارق بن شهاب البجلي رضي الله عنه |
| ٣٣٧ | الطفيل بن عبدالله رضي الله عنه |
| ١١٣ | عائشة بنت أبي بكر رضي الله عنها |
| ٣١٧ | عامر بن شراحيل الشعبي |
| ٢٣ | عبادة بن الصامت رضي الله عنه |
| ٧٩-٧٨ | عبدالرحمن بن أبي حاتم الرازي |
| ٣٢٢ | عبدالرزاق بن همام |
| ٤٢٦ | عبدالله بن الشخير رضي الله عنه |
| ٣٢٢ | عبدالله بن طاووس اليماني |
| ٣٢٢،٤١ | عبدالله بن عباس رضي الله عنهما |
| ٤٠١ | عبدالله بن فيروز الديلمي |
| ١٦ | عبدالله بن مسعود رضي الله عنه |
| ٣٢٧ | عبدالله بن مسلم ابن قتيبة |
| ٤٠٠ | عبدالله بن وهب القرشي |
| ٨٤ | عبدالله عكيم رضي الله عنه |
| ٣٦٣ | عبدالمطلب جد النبي ﷺ |
| ٢٨ | عتبان ابن مالك رضي الله عنه |

| | |
|----------|--|
| ٣٠٨ | عدي بن حاتم رضي الله عنه |
| ٧٧ | عقبة ابن عامر رضي الله عنه |
| ٤٦ | عكاشة بن محصن رضي الله عنه |
| ٢٨٦ | علقمة ابن قيس النخعي |
| ٩٩-٩٨ | علي بن أبي طالب رضي الله عنه |
| ١٨٨ | علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب |
| ١٦٦، ١٢٩ | عمر بن الخطاب رضي الله عنه |
| ٧٦ | عمران بن حصين رضي الله عنه |
| ٢١٤ | عوف ابن أبي جميلة |
| ٣٢٧ | عون بن عبدالله بن عتبة بن مسعود |
| ٢٤٣ | الفضل بن عباس بن عبدالمطلب رضي الله عنه |
| ٢١٤ | قبيصة رضي الله عنه |
| ٢٣٠ | قتادة بن دعامة |
| ٣٣٥ | قُتَيْلَة بنت صيفي الجهنية رضي الله عنها |
| ١٧٧ | مالك بن أنس |
| ١٨٠ | مجاهد ابن جبر |
| ٢٠ | محمد بن إسماعيل البخاري |
| ١٨٠ | محمد بن جرير الطبري |
| ٢١٤ | محمد بن جعفر غندر |
| ٣٤ | محمد بن حبان أبو حاتم البستي |
| ٣٤ | محمد بن عبدالله النيسابوري الحاكم |
| ١٩١-١٩٠ | محمد بن عبدالواحد المقدسي |
| ٣٤ | محمد بن عيسى الترمذي |

| | |
|-----|------------------------------|
| ٣٥١ | محمد بن كعب القرظي |
| ٥١ | محمود بن لبيد بن رافع |
| ١٧ | معاذ بن جبل رضي الله عنه |
| ١٨٠ | منصور بن المعتمر |
| ١٤٠ | النواس بن سمعان رضي الله عنه |
| ٣٤٧ | هاني بن يزيد الكندي أبوشريح |
| ٨٨ | وكيع بن الجراح |

* * *

فهرس الغواند

| الصفحة | الغواند المنثورة |
|---------|--|
| ٣٥ | - الشرك نوعان وذكر كلام ابن تيمية - رحمه الله - |
| ٧٧-٧٦ | - تحريم الشارح للمعضد الذي يلبس في اليد الشمال لعلاج الروماتيزم ، وكذلك تحريمه للتطعيم ! |
| ٩٤ | - لماذا نُنهى عن أمر وهو سيقع ؟ |
| ١٠١ | - من تغيير منارات الأرض تغيير الحجج والاستحكامات |
| ١٠٦ | - الخلاف في أول مسجد أسس على التقوى |
| ١١٩ | - الدعاء نوعان : دعاء مسألة ودعاء عبادة |
| ١٢١ | - الاستغاثة الجائزة والممنوعة |
| ١٢٤ | - الكلام عن منافقي القرن الرابع عشر ! . |
| ١٤٤ | - شروط الشفاعة ومانعها ومستحقها والمالك لها وأنواعها |
| ١٧٧ | - أصح الأسانيد |
| ١٨٠ | - ثناء الشارح على تفسير ابن جرير الطبري |
| ١٩٥ | - وقوع مشابهة أهل الكتاب اليوم |
| ٢٦٠ | - آية المحنة |
| ٢٦٦ | - عامة مؤاخاة الناس اليوم على أمر الدنيا |
| ٢٦١ | - الأسباب الجالبة لمحبة الله |
| ٢٨٥ | - قال الإمام أحمد : ذكر الله الصبر في تسعين موضعاً من القرآن |
| ٢٨٥ | - أنواع الصبر . |
| ٢٩٠ | - رجح ابن القيم أن المصائب ثوابها تكفير الخطايا فقط |
| ٤٠٤-٤٠٣ | - رد الشارح على من أجاز التصوير (مهم) |
| ٤٣٠-٤٢٩ | - اختيار الشارح منع إطلاق السيد على المخلوق |

الفروق

- ١٠٧ - الفرق بين الصنم والوثن
- ١١٥ - الفرق بين العياذ واللياذ
- ١١٩ - الفرق بين الإغائة والإجابة
- ١٧٢ - الفرق بين الخلة والمحبة
- ٢٣٩ - الفرق بين الطيرة والفأل
- ٢٦٤ - الفرق بين المحبة لله والمحبة مع الله
- ٢٩٣ - الفرق بين الرياء والسمعة
- ٤١٥ - الفرق بين الجيش والسرية

تعقبات ابن حمدان على بعض العلماء (الشرح وغيرهم).

- ١٦ - تعقبه على الشيخ محمد بن عبد الوهاب
- ٩٨ - تعقبه على النووي
- ١٠١ - تعقبه على الرافعي وصاحب تيسير العزيز
- ٢١١ - تعقبه على صاحب التيسير
- ٢٢٣ - تعقبه على النووي
- ٢٣٦ - تعقبه على صاحب فتح المجيد
- ٢٤٧ - تعقبه على صاحب قرة عيون الموحدين
- ٣٣٥ - تعقبه على صاحب التيسير
- ٣٥٠ - تعقبه على صاحب قرة العيون
- ٣٨٤ - تعقبه على صاحب فتح المجيد
- ٤٣٠ - تعقبه على صاحب إبطال التنديد

فهرس أهم المراجع

- إبطال التنديد باختصار شرح كتاب التوحيد للشيخ حمد بن عتيق ، تقديم ومراجعة الشيخ إسماعيل بن سعد بن عتيق ، دار الهداية .
- إتمام الأعلام ، للدكتور نزار أباطه و محمد رياض المالح، دار صادر بيروت.
- الأثبات ، لعلي الشبل .
- إرواء الغليل للألباني ، المكتب الإسلامي .
- تتمه الأعلام محمد خير رمضان ، دار ابن حزم .
- تراجم متأخري الحنابلة للشيخ سليمان بن حمدان ، تحقيق بكر أبوزيد ، دار ابن الجوزي .
- تفسير ابن كثير ، تحقيق سامي السلامة ، دار طيبة .
- تكملة معجم المؤلفين محمد خير رمضان ، دار ابن حزم .
- تيسير العزيز الحميد ، للشيخ سليمان بن عبدالله ، تحقيق زهير الشاويش ، المكتب الإسلامي .
- جامع العلوم والحكم ، تحقيق إبراهيم باجس ، مؤسسة الرسالة .
- الجامع المفهرس لأطراف الأحاديث النبوية التي خرجها الألباني ، سليم الهلالي ، دار ابن الجوزي .
- الجامع للمتون العلمية ، عبدالله بن محمد الشمراني ، دار الوطن .
- جمع الفوائد من جامع الأصول وجمع الزوائد ، لمحمد بن سليمان المغربي ، تحقيق سليمان بن دريع ، دار ابن حزم .
- الحجة على تارك الحجة ، لابن نصر ، الجامعة السلفية بالهند .
- الدر النضيد على أبواب التوحيد للشيخ سليمان بن حمدان، دار الصحابة .

- الدر النضيد في تخريج أحاديث كتاب التوحيد ، صالح العصيمي ، دار ابن خزيمة .
- روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد وحوادث السنين ، للقاضي .
- زوائد السنن على الصحيحين ، صالح الشامي ، دار القلم .
- السلسلة الصحيحة ، للألباني ، مكتبة المعارف .
- السلسلة الضعيفة ، للألباني ، مكتبة المعارف .
- السنة لابن أبي عاصم ، تحقيق باسم الجوابرة ، دار الصمعي .
- سنن أبي داود .
- سنن أبي داود الطيالسي ، تحقيق الدكتور محمد التركي ، دار هجر .
- سنن ابن ماجه .
- سنن الترمذي .
- سنن النسائي .
- شرح السنة ، تحقيق زهير الشاويش وشعيب الأرنؤاط، المكتب الإسلامي .
- الشيخ سليمان بن سحمان وطريقته في تقرير العقيدة ، محمد بن حمود الفوزان
مكتبة الرشد بالرياض .
- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، تحقيق شعيب الأرنؤاط، مؤسسة الرسالة.
- صحيح ابن خزيمة تحقيق محمد مصطفى الأعظمي ، المكتب الإسلامي .
- صحيح البخاري .
- صحيح الترغيب والترهيب للألباني ، مكتبة المعارف .
- صحيح الجامع للألباني ، المكتب الإسلامي .
- الصحيح المسند من أسباب النزول ، مقبل الوداعي ، دار ابن حزم .
- صحيح سنن أبي داود للألباني .
- صحيح سنن ابن ماجه للألباني .

- صحيح سنن الترمذي للألباني .
- صحيح سنن النسائي للألباني .
- صحيح مسلم .
- ضعيف الترغيب والترهيب للألباني ، مكتبة المعارف .
- ضعيف الجامع للألباني ، المكتب الإسلامي .
- علماء نجد خلال ثمانية قرون ، عبدالله البسام ، دار العاصمة .
- عناية العلماء بكتاب التوحيد، عبدالإله الشايع، دار طيبة .
- غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام للألباني ، المكتب الإسلامي .
- فتح المجيد على كتاب التوحيد تحقيق الوليد الفرمان ، دار الصمعي .
- قررة عيون الموحدين ، تحقيق إسماعيل الأنصاري ، دار الإفتاء .
- الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية ، تحقيق عبدالله العمير، دار ابن خزيمة .
- كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، ط جامعة الإمام محمد بن سعود .
- كتاب قضاة المدينة المنورة ، عبدالله بن محمد بن زاحم ، مكتبة العلوم والحكم .
- كنز العمال ، بيت الأفكار الدولي .
- المجموعة ، عبدالكريم بن حمد الحقييل .
- مجموع فتاوى ابن باز ، جمع الطيار ، دار الوطن .
- مجموع فتاوى ابن تيمية .
- المجموع في ترجمة الشيخ حماد الأنصاري ، عبدالأول بن حماد الأنصاري .
- المدخل المفصل إلى فقه الإمام أحمد بن حنبل ، بكر أبو زيد ، دار العاصمة .
- مستدرك الحاكم ، دار المعرفة .
- مسند الإمام أحمد ، مؤسسة الرسالة .

- المعجم الأوسط ، للطبراني ، تحقيق طارق عوض الله ، دار الحرمين .
- المعجم الكبير ، للطبراني ، تحقيق مجدي السلفي .
- معجم المطبوعات العربية في المملكة العربية السعودية ، علي جواد الطاهر .
- معجم المعاجم والأثبات ، للدكتور يوسف المرعشلي ، مكتبة الرشد .
- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، محمد فؤاد عبدالباقى .
- المعجم المفهرس لكلمات القرآن الكريم ، الشيخ عبدالوحيد نور أحمد ، دار السلام
- معجم مصنفات الخنابلة ، للدكتور عبدالله بن محمد الطريقي .
- موسوعة أسبار للعلماء والمتخصصين في الشريعة الإسلامية في المملكة العربية السعودية .
- موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف ، محمد السعيد زغلول ، دار الكتب العلمية .
- موسوعة الحافظ ابن حجر العسقلاني الحديثية ، جمع وإعداد وليد الزبيري وإياد القيسي وجماعة ، مجلة الحكمة .
- النجم البادي في ترجمة العلامة المحدث السلفي يحيى بن عثمان عظيم أبادي ، أحمد بازمول .
- النهاية في غريب الحديث ، تخريج وتعليق صلاح عويضة ، دار الكتب العلمية .
- هداية الأريب الأمد للشيخ سليمان بن حمدان ، تحقيق بكر أبوزيد ، دار العاصمة .
- وغيرها من المراجع .



فهرس الموضوعات والأبواب

* * *



فهرس الموضوعات والأبواب

| الصفحة | الموضوع |
|--------|---|
| ٣ | إذن نشر الكتاب |
| ٤ | أصل إذن نشر الكتاب |
| ٥ | مقدمة المعتني |
| ٩ | ترجمة المؤلف |
| ١٠ | اسمه |
| ١١ | مولده |
| ١١ | شيوخه |
| ١٢ | ثناء العلماء عليه |
| ١٢ | أعماله |
| ١٢ | صفاته الخلقية |
| ١٣ | صفاته وأخلاقه |
| ١٣ | طلابه |
| ١٥ | نسخه للكتب |
| ١٦ | مؤلفاته |
| ٢١ | الكلام على كتاب الدر النضيد |
| ٢٣ | ميزات كتاب الدر النضيد |
| ٢٣ | ثناء الشيخ بكر أبو زيد على الكتاب |
| ٢٤ | موارد الشارح - رحمه الله تعالى - فائدة |
| ١ | مقدمة الشارح |

| رقم الباب | الباب | الصفحة |
|-----------|---|--------|
| ١ | كتاب التوحيد | ٣ |
| ٢ | باب فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب | ٢١ |
| ٣ | باب من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب | ٣٧ |
| ٤ | باب الخوف من الشرك | ٤٨ |
| ٥ | باب الدعاء إلى شهادة أن لا إله الله | ٥٥ |
| ٦ | باب تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله | ٦٧ |
| ٧ | باب من الشرك لبس الحلقة والخيط ونحوهما لرفع البلاء أو دفعه | ٧٥ |
| ٨ | باب ما جاء في الرقى والتمائم | ٨٠ |
| ٩ | باب من تبرك بشجرة أو حجر ونحوهما | ٩٠ |
| ١٠ | باب ما جاء في الذبح لغير الله | ٩٧ |
| ١١ | باب لا يذبح لله بمكان يذبح فيه لغير الله | ١٠٤ |
| ١٢ | باب من الشرك النذر لغير الله | ١١١ |
| ١٣ | باب من الشرك الاستعاذة بغير الله | ١١٥ |
| ١٤ | باب من الشرك أن يستغيث بغير الله أو يدعو غيره | ١١٩ |
| ١٥ | باب قول الله تعالى: ﴿أَيْشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ | ١٢٦ |
| ١٦ | باب قول الله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ...﴾ | ١٣٤ |
| ١٧ | باب الشفاعة | ١٤٤ |
| ١٨ | باب قول الله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ الآية | ١٥٣ |
| ١٩ | باب ما جاء أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين | ١٦٠ |

| | | |
|-----|---|----|
| ١٦٩ | باب ما جاء من التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح فكيف إذا عبده ؟ | ٢٠ |
| ١٧٧ | باب ما جاء أن الغلو في قبور الصالحين يصيرها أوثاناً تعبد من دون الله | ٢١ |
| ١٨٥ | باب ما جاء في حماية المصطفى ﷺ جناب التوحيد وسده كل طريق يوصل إلى الشرك | ٢٢ |
| ١٩٢ | باب ما جاء أن بعض هذه الأمة يعبد الأوثان | ٢٣ |
| ٢٠٧ | باب ما جاء في السحر | ٢٤ |
| ٢١٤ | باب بيان شيء من أنواع السحر | ٢٥ |
| ٢٢١ | باب ما جاء في الكهان ونحوهم | ٢٦ |
| ٢٢٩ | باب ما جاء في النشرة | ٢٧ |
| ٢٣٣ | باب ما جاء في التطير | ٢٨ |
| ٢٤٥ | باب ما جاء في التنجيم | ٢٩ |
| ٢٥١ | باب ما جاء في الاستسقاء بالأنواء | ٣٠ |
| ٢٦٠ | باب قول الله تعالى : ﴿ ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله ﴾ | ٣١ |
| ٢٦٨ | باب قول الله تعالى : ﴿ إنما ذلكم الشيطان يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا اللَّهَ إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ . | ٣٢ |
| ٢٧٥ | باب قول الله تعالى : ﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ | ٣٣ |
| ٢٨١ | باب قول الله تعالى : ﴿ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ . | ٣٤ |
| ٢٨٥ | باب من الإيمان بالله الصبر على أقدار الله | ٣٥ |
| ٢٩٣ | باب ما جاء في الرياء | ٣٦ |

- ٢٩٧ باب من الشرك إرادة الإنسان بعمله الدنيا ٣٧
- ٣٠٤ باب من أطاع العلماء والأمرء في تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرمه فقد اتخذهم أرباباً من دون الله ٣٨
- ٣١١ باب قول الله تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ ... ﴾ ٣٩
- ٣١٩ باب من جحد شيئاً من الأسماء والصفات ٤٠
- ٣٢٦ باب قول الله تعالى : ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ﴾ ٤١
- ٣٢٩ باب قول الله تعالى : ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أُنْدَاداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ٤٢
- ٣٣٣ باب ما جاء فيمن لم يقنع بالحلف بالله ٤٣
- ٣٣٥ باب قول: ما شاء الله وشئت ٤٤
- ٣٤٠ باب من سب الدهر فقد آذى الله ٤٥
- ٣٤٤ باب التسمي بقاضي القضاة ونحوه ٤٦
- ٣٤٧ باب احترام أسماء الله وتغيير الاسم لأجل ذلك ٤٧
- ٣٥٠ باب من هزل بشيء فيه ذكر الله أو القرآن أو الرسول ٤٨
- ٣٥٦ باب ما جاء في قول الله تعالى: ﴿وَلَيْنِ أَدْقْنَا رَحْمَةً مِّنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَسَّئُهُ لَيَقُولُنَّ هَذَا لِي﴾ ٤٩
- ٣٦١ باب قول الله تعالى : ﴿فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحاً جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا﴾ ٥٠
- ٣٦٧ باب قول الله تعالى : ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾ ٥١
- ٣٧٢ باب لا يقال: السلام على الله ٥٢
- ٣٧٤ باب قول: اللهم اغفر لي إن شئت ٥٣

| | | |
|-----|---|----|
| ٣٧٦ | باب لا يقول: عبدي وأمي | ٥٤ |
| ٣٧٨ | باب لا يرد من سأل بالله | ٥٥ |
| ٣٨١ | باب لا يسأل بوجه الله إلا الجنة | ٥٦ |
| ٣٨٤ | باب ما جاء في اللو | ٥٧ |
| ٣٨٩ | باب النهي عن سب الرياح | ٥٨ |
| ٣٩١ | باب قول الله تعالى: ﴿يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ الآية | ٥٩ |
| ٣٩٦ | باب ما جاء في منكري القدر | ٦٠ |
| ٤٠٣ | باب ما جاء في المصورين | ٦١ |
| ٤٠٨ | باب ما جاء في كثرة الحلف | ٦٢ |
| ٤١٥ | باب ما جاء في ذمة الله وذمة نبيه | ٦٣ |
| ٤٢١ | باب ما جاء في الإقسام على الله | ٦٤ |
| ٤٢٣ | باب لا يستشفع بالله على خلقه | ٦٥ |
| ٤٢٦ | باب ما جاء في حماية النبي ﷺ جَمَى التوحيد وسده طرق الشرك | ٦٦ |
| ٤٣١ | باب ما جاء في قول الله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ﴾ الآية | ٦٧ |
| ٤٣٧ | فهرس الفهارس | |
| ٤٣٩ | فهرس الآيات القرآنية | |
| ٤٥٥ | فهرس الأحاديث النبوية | |
| ٤٧٣ | فهرس الأعلام الذين ترجم لهم الشارح | |
| ٤٧٨ | فهرس الفوائد | |
| ٤٨١ | فهرس أهم المراجع | |
| ٤٨٥ | فهرس الموضوعات | |
| ٤٩٢ | صدر للمحقق | |

صدر للمحقق

١. آراء ابن قدامة حول الإعاقة ، دار الصمعي .
٢. آراء ابن تيمية حول الإعاقة ، دار الصمعي .
٣. آراء ابن القيم حول الإعاقة ، دار الصمعي .
٤. اللؤلؤ الثمين من فتاوى المعوقين ، مجلدان ، دار الصمعي .
٥. عناية العلماء بكتاب التوحيد ، دار طيبة .
٦. فتاوى عن الكتب ، دار الصمعي
٧. الدر النضيد على أبواب التوحيد للشيخ سليمان بن حمدان (تحقيق) ، دار الصمعي .
٨. مختصر كتاب نكت الهميان في نكت العميان للصفدي ، دار الصمعي .
٩. ملخص منهاج السنة للشيخ عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ (تحقيق) ، مكتبة الرشد .
١٠. كشف النقاب عن مؤلفات الأصحاب للشيخ سليمان بن حمدان (تحقيق) تحت الطبع .
١١. كتب أثنى عليها العلماء - المجموعة الأولى - قسم العقيدة (تحت الطبع) .
١٢. الكتب التي تكلم عنها ابن القيم - رحمه الله - (تحت الإعداد)
١٣. إبطال التنديد باختصار شرح كتاب التوحيد للشيخ حمد بن عتيق (تحقيق) تحت الطبع .



